كتاب المقفى الكبير

(تراجم مغربيّة ومشرقيّة من الفترة العبيديّة)

تقي الدّين المقريزي (845/1441)

اختيار وتحقيق

محمد اليعلاوي

دار الغرب الإسلامي

الطبعة الاولى

1987 - 1407

دار الغرب الإسلامي

ص. ب: 5787 - 113
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

كتاب «التاريخ الكبير المقفّى في تراجم أهل مصر والواردين إليها»[1] لتقي الدين المقريزي هو قاموس رجال، على غرار تاريخ ابن خلّكان ـ أي وفيات الأعيان ـ وما تبعه من إضافات وزيادات واستدراكات كالوافي بالوفيات للصفدي وفوات الوفيات لابن شاكر، رتّبه صاحبه على حروف المعجم وأراد أن يجعل منه، في زعم بعض الدارسين المعاصرين[2] «معجماً قوميّاً كبيراً لتراجم حكّام مصر ورجالها ونسائها والواردين عليها».

ولا ندري على الحقيقة هل خامرت فكرة القوميَّة ذهن المؤرِّخ المصريّ، وهل ركّز كتابه على حكَّام مصر بالخصوص، وهل أدرج فيه تراجم للنساء: فمقدّمة الكتاب مفقودة، وكذلك خاتمته، فلا نعرف بالتالي البرنامج الذي التزم به المقريزي ولا الخطة التي أراد اتّباعها. ثمَّ إنَّ الكتاب في الصورة التي وصل بها إلينا منقوص مبتور: فقد ضاعت منه حروف كثيرة، من الدال إلى الضاد، وقسم وافر من حرف العين بما فيه علي وعمر وعمرو، والفاء والقاف، ثم ما يلي المحمّدين إلى آخر الحرُوف. وبالتالي، فإذا أردنا أن نتبين منهج المقريزي مما تبقى لدينا من كتابه، فنظرتنا بالضرورة تكون جزئية محدودة، ولا يكون اعتمادُنا إلاّ على الإشارات القليلة التي تتخلل بعض التراجم هنا وهناك كقوله في ترجمة المنصور، بعد أن قال إنَّ المعزّ

(1) هذا هو العنوان الذي يحمله غلاف مخطوط السليميّة.

(2) من فصل للدكتور مصطفى زيادة في مجموع «دراسات عن المقريزي»، نشر الجمعيّة المصريّة للدراسات التاريخيّة، القاهرة 1971، ص 12.

دخل مصر بتوابيت آبائه: «فلذلك ذكرته [أي المنصور] في كتابي هذا»[3]، فنفهم أنه أدرج في الكتاب من دخلوا مصر أمواتاً محنَّطين، أو حُملت إليها رؤوسهم مقطوعةً مشوَّهة كالثائر الزناتي محمد بن الخير بن خزر وأصحابه، وخلف بن جبر (ترجمة 36).

فالكتاب لا يقتصر على رجالات مصر المقيمين بها ولا على من دخلها فاستقرَّ بها: ففيه رجال نشأوا بمصر وتحوّلوا عنها، ورجال عبروها عبوراً كمئات الأندلسيّين والمغاربة الذين يمرّون بها في طريقهم إلى الحجِّ فيتوقفون مدَّة لسماع حديث أو نسخ كتاب. وبهذا الصدد نلاحظ أن تراجم الفقهاء والصلحاء تفوق في العدد تراجم الأمراء والحكّام والقوّاد. وقد يدرج المقريزي أعلاماً لا يثق بدخولهم مصر، ولكنه يذكرهم على الظنِّ والترجيح والسماع. ثمَّ من الأعلام المترجمين من لا تكون مصر أحقَّ باحتوائه من العراق أو الحجاز أو الشام، مثل الحجَّاج بن يوسف وأبي نواس والمتنبّي، أو لا تكون أطوار حياته من الثبوت والواقعيَّة بحيث ينسبون إلى صقع دون صقع، مثل سيّدنا إبراهيم الخليل الذي يفتتح به مخطوط السليميّه.

والكتاب بعد يقتصر على الرجال دون النساء: فعلى الرغم من إشارات المقريزي إلى تراجم نسائيّة في الكتاب مثل قوله عن بعض بنات المهدي: «وقد ذكرنَ في هذا الكتاب»[4] وإشارته الصريحة إلى ترجمة أخت الحاكم ست الملك (في ترجمة ابن دوّاس رقم 69)، فإننا لا نجد إلَّا امرأتين[5] في المجلَّدات الخمسة التي وصلت إلينا، وعدد تراجمها يفوق 3500 ترجمة. فهل كان ينوي إفراد التراجم النسائيّة في مجلَّد على حدة، فِعلَ من سبقه من أصحاب الطبقات والوفيات؟ أم كان ينوي إدماج النساء مع الرجال عند تبييض نسخ الكتاب؟

ذلك أنَّ الكتاب في معظمه وصل إلينا في صورة مسوَّدات بخط المؤلِّف: ذاك هو شأن مجلَّد باريس (المكتبة الوطنيّة رقم 2144) ومجلّدات

(3) انظر ترجمة إسماعيل المنصور، ص 190.
(4) ترجمة المهدي عبيدالله، ص 94.
(5) كلثوم بنت الحافظ. وملكة بنت البشير في مخطوط ليدن 1.

ليدن الثلاثة (مكتبة الجامعة رقم 1366)، كما ذكر بروكلمان (ج 2 ص 48 رقم 30) وكما أثبت دوزي في «ملاحظاته عن بعض مخطوطات ليدن» (بالفرنسية، ليدن 1851)، وهذه المجلّدات الأربعة تتضمّن نحو 2157 ترجمة. ويشهد بأنّها مسوّدات بقيت تنتظر التبييض النهائيّ وجودُ الثغرات الكثيرة في تسلسل التراجم في الحرف الواحد، مثل فقدان ترجمة الحسين بن إسماعيل المنصور وقد قدم إلى القاهرة مع أخيه المعزّ، أو تكرار بعض التراجم في نسختين مثل ترجمة ابن شاجم الشاعر، أو الحجّاج بن يوسف أو أحمد ابن تيميّة الحنبليّ، أو تواجد ثلاثة إخوة باسم واحد: محمد بن إبراهيم (مخطوط ليدن1) أو توزُّع تراجم حرف الهمزة بين مخطوطي ليدن والسليميّة، ممّا يُشعر بأنّ ناسخ المخطوط التركي قد نقل عن مسوّدة غير مسوّدة ليدن. كما يشهد ببدائيّة هٰذه المجلّدات الأربعة البياض الذي يتركه المؤلّف في غضون الترجمة بقصد تعميره فيما بعد، وهو بياض يهُمُّ الكنية أحياناً، ويوم الوفاة غالباً، وربّما شمل البياضُ كامل الترجمة المنتظرة فلا نجد إلّا اسم الشخص وحده: أحمد أو محمّد لا غير. وهناك أدلّة أخرى: منها أنّ المقريزي يلصق جذاذاتٍ طيّارةً مُضافةً إلى صفحات الكتاب وهذه الجذاذات تحمل تراجم مقتضبة أو مبتورة أو مقلوبة، أي مكتوبة على عكس الرسم العادي، أفقيّا لا عموديّاً. ومنها أنّ طائفة من التراجم كتبت على ورق مستعمل، أي يحمل كتابة قديمة شطب عليها وعوّضت بالكتابة الجديدة.

ولسنا واثقين من أنّ المقريزي أتمّ كتابه، أي تجاوز المحمّدين إلى حرف النون وما بعده، ولكنّه يشير في غضون الكتاب الحاصل بين أيدينا إلى تراجم قد صنّفها من اخر الحروف كترجمة يانس العزيزي (ص 403)، ولكنها مفقودة فيما فُقد من أجزاء الكتاب.

والكتاب كما قلنا، وصلنا في خمسة أجزاء مخطوطة، جزء منها بباريس ـ ويشمل بعض التراجم من حرف الطاء والظاء، وجانباً من حرف العين ـ وثلاثة أجزاء بليدن ـ وتشمل بعض تراجم الهمزة، وشيئاً قليلاً من الكاف واللام، وجانباً هامّاً من الميم ـ وهذه الأجزاء هي التي عرفها المستشرقون في القرن الماضي فعرّفوا بها ونبّهوا إلى أهميّة الكتاب في معرفة الأحداث التي زامنها

المقريزي في عصر المماليك، أو عرفها بالنقل عمَّن سبقه من المؤرخين، ممَّن ضاعت مؤلَّفاتهم كابن شداد الصنهاجي وابن زولاق والسلفي وغيرهم. وتنبّهوا كذلك إلى أهميَّته في معرفة الخطط والمسالك والعلاقات بين مصر والبلاد المجاورة، فكان المستشرق الفرنسي كاترومير من أوَّل من استثمروا تراجم المقفَّى، وذلك في «مذكَّراته الجغْرافِيَّة والتاريخية عن مصر» (باريس 1811) وفي «تاريخ مماليك مصر». واهتمَّ أيضاً بالعقائد الإسماعيليَّة فعمل على نقل ترجمة المهدي عبيد الله إلى الفرنسيّة (المجلَّة الأسيوية، 1836) لما تضمَّنته من آراء وأقوال ومواقف حول حقيقة النسب الفاطميّ، وهي الترجمة نفسها التي أعاد المستشرق فانيان نقلها إلى الفرنسيّة (سنة 1910) بمناسبة الذكرى المئوية لولادة العلاَّمة الإيطالي ميكال أماري (بالرمو، 1910 في مجلَّدين)، فكانت دون ترجمة كاترومير العتيقة كما نبيِّن في هوامش تحقيقنا لنصِّها الأصليّ في المقفَّى.

والمستشرق الصقلّي أماري نفسه عمِل على استخراج تراجم الأعلام الصقلّيين من بني الكلبي وغيرهم وإدراجها في كتابه الضخم «المكتبة العربيَّة ـ الصقليّة» فكان مجموع ما نشره من المقفَّى اثنتي عشرة ترجمة[6].

فإذا أضفنا إلى هؤلاء الباحثين الغربيّين القدماء ملاحظات دوزي عن مخطوطات ليدن، وعن المقفَّى بالذات (ليدن 1851)، ونشر كونيغ لترجمة الكندي صاحب كتاب الولاة والقضاة في صدر تاريخه لولاة مصر (نيويورك 1908)[7]، وأخيراً الفصل الذي استغل فيه جيرار طروبو ترجمة عبدالله الأسواني من مخطوط باريس[8]، تبيَّنا أنَّ اهتمام المستشرقين بكتاب المقفَّى لا يكاد ينقطع منذ أكثر من قرن ونصف قرن، ابتداءً من مذكَّرات كاترومير سنة 1811 وربّما سلفاستر دي ساسي قبله.

أمَّا الباحثون من العرب، فلم نعلم فيهم من اهتمَّ بالمقفَّى اهتماماً يصل إلى

---

(6) المكتبة العربية ـ الصقلية. (انظر الفهارس).

(7) لم نطلع على هذا الكتاب، وبالتالي على ترجمة الكندي فيه.

(8) مجلّة أرابيكا سنة 1954 ص 276.

نشره كلّيّاً أو جزئيّاً، إلاّ حبيب الزيّات منذ خمسين عاماً تقريباً: فقد نشر في مجلّة «المشرق» (المجلد 25، سنة 1937، ص 183 وما يليها) تسع تراجم استطرفَها لأن أصحابها كانوا ذوي أطوار غريبة أو سلوك مضحك أو تصرفات فكِهة، فلم يهتم بالناحية التاريخية أو الأدبيّة من الكتاب، بل ساق تراجمه ـ وقد اختصر البعض منها ـ شاهداً لما ينبغي أن تكون عليه كتب التراجم والتاريخ والطبقات في نظره، من المزج بين الجدِّ المضني والهزل المريح. والتراجم التسع مستخرجة من مجلّدات ليدن الثلاثة.

هؤلاء الباحثون القدماء، من غربيِّين وعرب، لم يعرفوا من كتاب المقفّى إلاّ نسخ باريس وليدن، ولم يشيروا قط إلى جزء خامس، وهو نسخة السليميّة باستنبول، كأنّ هذه النسخة قد دخلت رصيد المكتبة التركيّة وأدرج عنوانُها في الفهارس في أخرة من الزمن.

وهي حقيقة ببحث خاصّ عن مصدرها وطريق وصولها إلى استنبول: ذلك أنّها هي النسخة الوحيدة التي وصلت إلينا في شكل نهائيّ، لا في مسودة، وهي ليست بخط المقريزي كأخواتها الأوروبيّة، بل خطّها واضح أنيق مقروءٌ بسهولة. وهي منقولة عن أصل غير الأصل الباريسيّ أو الهولندي، وإن كانت بدون شكّ أخذت شيئاً من حرف الهمزة في مادّة إبراهيم وأحمد، ولكنها لم تنقل كلّ أحمد وكلّ إبراهيم من مخطوط ليدن، ولم تنقل شيئاً من مخطوط باريس. والأصل الذي نقلت منه كان أيضاً مسوَّدة بدليل الثغرات التي استبقاها الناسخ، وهي ثغرات توافق البياض الباقي في الأصل. إلاّ أن الناسخ يئس من العثور على نسخة مبيّضة نهائيّة فنسَخَ الأصل الذي بين يديه كما هو، ولكنه ساق التراجم تباعاً دون تهوئة ولا استراحة، وكأنّه يقتصد الجهد والورق.

ومن الباحثين المعاصرين الذين اطّلعوا على نسخة السليميّة ـ وقد جلب معهد المخطوطات التابع للجامعة العربيّة نسخة مصوَّرة منها كما جلب مصوَّرات من مخطوطات باريس وليدن ـ الدكتور حسين زكّار الذي وعد بنشر تراجم الخلفاء الفاطميين المغاربة وأعوانهم مثل أبي عبدالله الداعي والقائد

جوهر ـ وتراجم الداعي والقائد والمنصور توجد في مخطوط السليميّة ـ فانتظرنا بروز هذه التراجم[9] ولا نعلم أنَّها ظهرت إلى هذه الساعة.

* * *

لذلك عزمنا على أن ننشر من هذا المعجم الكبير التراجم التي تتعلَّق بالخلفاء الفاطميِّين في فترتهم الإفريقية، بصرف النظر عن مدى انتساب المترجم لهم إلى إفريقية والمغرب: فالمهدي مثلاً مشرقي قدم إلى المغرب ومات بالمهديّة الإفريقيّة وكذلك القائم. أمَّا المنصور فقد ولد بإفريقية ومات بها. فيكفي أن يكون المترجَم له من أصل مغربي، أو عاش مدَّة بالمغرب ـ ونعني بالمغرب إفريقية بالخصوص في حدودها الواسعة ـ أو تعامل مع الخلفاء المغاربة وخدمهم، أو ناصبهم العداء وقاومهم، سواء بالمشرق أو بالمغرب، حتى يندرج في كتابنا هذا. ومعنى هذا أننا نتجاوز في الواقع الفترة المغربيَّة من الخلافة الفاطميَّة، نتجاوزها إن صحَّ التعبير من طرفَيْها: نتجاوزها عكساً بإدراج أعلامٍ عاشوا وربَّما ماتوا قبل قيام الدولة العبيديّة، ولكنَّهم مهَّدوا لها وبشروا بها، شأن أبي عبدالله الشيعيّ وأخيه أبي العبَّاس المخطوم. ونتجاوزها طرداً بإثبات تراجم رجال امتدَّت بهم الخدمة ـ أو العداوة والمناهضة ـ إلى ما بعد انتقال المعزّ إلى القاهرة، أي إلى عهد العزيز وربَّما الحاكم.

وتجاوزنا كذلك الصبغة المغربيَّة للدولة الفاطميَّة، فأدرجنا أعلاماً مشرقيّين لم تطأ أقدامهم إفريقية والمغرب، ولكنهم دعَوا لأبناء فاطمة في مشرقهم وسعَوا لجلب المعزّ إلى المشرق مثل زعماء الحسينيّين بمصر أو بعض رجالات الإخشيديّة والكافوريّة، أو بالعكس قاوموا النفوذ الفاطميّ مقاومة شديدة، رغم الاشتراك في النحلة والمعتقد، مثل الأعصم القرمطيّ وغيره.

فالتراجم التي اخترناها هي إذن تراجم الخلفاء الثلاثة الأول ـ وترجمة المعزّ مفقودة لأنَّ حرف الميم كما أسلفنا وقف عند المحمَّدين ولم يصل إلى معدّ، وهو اسم المعزّ ـ وتراجمُ كُلِّ مَن كان له بهم أدنى اتصال في الإيجاب والسلب، أي في المناصرة أو المناهضة، سواءٌ في إفريقية والمغرب، أو مصر والشام

(9) صرَّح بهذا العزم في ملتقى القاضي النعمان بمدينة المهديّة بتونس سنة 1975.

والعراق. وتنضاف إليها تراجم أشخاص عاشوا في النصف الثاني من القرن الرابع وربّما تجاوزوه إلى بداية القرن الخامس، فكان اتصالهم - المناصر أو المعادي - بحكّام القاهرة يتجاوز تاريخ وفاة المعزّ، وهو خاتَم الفترة المغربيّة على الحقيقة. والذي دعانا إلى هذا التوسّع أنّ كثيراً من الأعلام المترجمين مغاربة نزحوا إلى مصر مع المعزّ مثل أولاد القاضي النعمان، أو من سلالة مغربيّة مثل أبناء القائد الكتاميّ جعفر بن فلاح. وقد كنّا سرنا على هذا المنهج نفسه في جمعنا للأدب الإفريقيّ - المغربيّ المتّصل، مدحاً أو ذماً، بدولة العبيديّين في النصف الأوّل من القرن الرابع الهجري[10]. وهي طريقة، والحقّ يقال، لا تخلو من اعتباط إذ تجعل أمر التوسعة أو التقليص رهين مشيئة الجامع المصنِّف. ولكنَّ عذرَنا في هذا التجاوز التاريخيّ والجغرافيّ يكمن في طبيعة الدولة الفاطميّة نفسها: فهي دولة قامت على دعوة ومذهب ونحلة هي الدعوة الشيعيّة الإسماعيليّة، ومن طبيعة الدعوة أن لا تنحصر في رقعة من الأرض، بل تسعى إلى كسب الأنصار في كامل دار الإسلام. ثمَّ هي دولة لا شرقيَّة ولا غربيَّة، بل يزعم أصحابها أنَّهم وارثو الأرض كلِّها عن استحقاق وجدارة بحكم إرث النبي ﷺ. وأخيراً هي دولة بدأت صغيرة محصورة محدودة ثمَّ توسَّعت وعظمت حتى امتدَّ سلطانها من أقاصي المغرب إلى الحجاز والشام، ومن صقلّية وجنوب إيطاليا إلى بلاد النوبة.

* * *

وبعد، ما قيمة هذا الكتاب؟ فهل يضيف جديداً إلى كتب التاريخ وكتب التراجم وقواميس الرجال والطبقات؟ بل هل يضيف المقريزي شيئاً إلى ما ذكره عن الفاطميّين في كتابيه المعروفَين: اتِّعاظ الحنفاء والخطط، إذا اقتصرنا على المشهور المعروف من مؤلَّفاته العديدة؟ نترك الحكم في هذا للقارىء. ولكنّا نعتقد أنَّ المؤرِّخ المصري الكبير أفادنا في تراجمه بتفاصيل ومعلومات وملاحظات وأحكام خلا منها كامل ابن الأثير، وخلا منها تاريخ ابن خلّكان، أي وفياته، وحتى تاريخ ابن عساكر وكتاب الكندي. ذلك أنّه اطلع كما قلنا

(10) نشر الكتاب في بيروت، 1986، دار الغرب الإسلامي بعنوان: الأدب بإفريقيّة في العهد الفاطميّ.

على كتب نفيسة ولكنها ضاعت فنقل منها، مثل كتاب «الجمع والبيان في أخبار القيـروان» للأمير الصنهاجي ابن شـدَّاد، وتواريـخ الرقيق وابن الجـزار والقـاضي النعمان، ممَّـا نجد صـداه في كتاب «عيـون الأخبار» للداعي الإسماعيلي إدريس عماد الدين[11]، هذا فيما يخصُّ العهد المغربيّ، واطلع كذلك على كتب مشرقيّة فقدت هي أيضاً كتواريخ القضاعي والسلفيّ وأخي محسّن الدمشقيّ وابن زولاق وغيرهم، فنقل عنها كثيراً من التفاصيل التي لا نجدها عند ابن تغري بردي مثلاً في النجوم الزاهرة أو عند القلقشندي في صبح الأعشى.

من هذه التفاصيل، نذكر، على سبيل التمثيل، ما كتبه عن ثورة أبي يزيد في ترجمة المنصور، وبالخصوص استعراضه للساعات الأخيرة من حياة الثائر الخارجيّ الكبير. وكذلك ما ألحَّ عليه من العداوة بين سكّان مصر ـ القاهرة وكذلك دمشق الشام، والعنصر البربري المتغلّب، المتمثل في الجند الكتاميّ المدلّ بخدمته للدولة الشيعيَّة. وكذلك ما يكشفه لنا من تواطؤ رجال الدولة الإخشيدية وحتّى الطولونيّة مع دعاة الفاطميّين بمصـر، وتمهيدهم لاستيلاء جوهر على وادي النيل والشامات. وكذلك ما صوَّره لنا من بغض الصلحاء والفقهاء السنّيين بالمشرق للشيعة وكراهيـة لطقـوسهم الجديـدة المبتدعة، وذلك من خلال ترجمة الزاهد الشامي ابن النابلسيّ مثلاً، الذي ذكّرتْنا مواقفه الصارمة بمواقف نظيره المغربي الشيخ السبائي كما صوَّرها المالكي في كتاب رياض النفوس[12].

والمقريزي في أحكامه منصف، لا يتبنّى المقولات الإسماعيليّة كلّها ولا يشارك مؤلّفي السنّة في تحاملهم على العبيديّين والتنديد بطقوسهم. هذا الحياد، نجد منه شاهداً في استنكاره الأقوال التي تنسب عبيدالله إلى أبٍ يهوديّ أو إلى أصل مزدكيّ مجوسيّ، فهو في هذا يحذو حذو شيخه ابن

(11) نشرنا منه القسم الخاصّ بالخلافة الإفريقية تحت عنوان «تاريخ الخلفاء الفاطميّين بالمغرب»، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1985.

(12) انظر ترجمة السبائي في رياض النفوس، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت 1981 - 1984.

خلدون ويصرِّح بذلك. ولكنه من جهة أخرى يستنكر من الحكّام الفاطميِّين قساوتهم إزاء الأعداء الذين يقعون في قبضتهم، حتى المنصور ـ والمقريزي من المعجبين به ـ لا يسلم من استنكاره: فالمؤلّف يستفظع مثلاً سلخه للخصوم وهم أحياء، أو التنكيل بجثثهم. ولا شكَّ أنَّ هذا المؤرِّخ المصريّ كان فخوراً بالدرجة العالية التي بلغتها بلاده على يد الفاطميِّين في الحضارة والعلوم والعمران مع النفوذ العسكري والسلطة الروحيّة، وقد جرَّ إليه هذا الإعجاب تهمة التشيّع لهم والحنين إلى عهدهم. ولكنَّه في المقابل لا يخفي شيئاً من تصرُّفات الحاكم الجنونيّة ومناورات خدم القِصر وتنافس القوّاد الأتراك والمغاربة على الحكم.

هذا في خصوص الجانب التاريخيّ من كتاب المقفَّى. وهناك أيضاً فوائد أدبيَّة لا تنكر. فالمقريزي كغيره من المؤرخين وأصحاب الطبقات لا يُهمل ما يقع إليه من شعر المترجمين وخطبهم ورسائلهم وأقوالهم المأثورة، ولنا من ذلك شواهد كثيرة في خطب المنصور مثلاً، وفي شعر القائم، خصوصاً تلك القصيدة البائيَّة التي يندِّد فيها ـ ظلماً ـ بشغب أمّ المقتدر، وكذلك في شعر الشعراء المعروفين أو المغمورين، ولا يخلو قاضٍ أو زاهد أو وزير من خطرات يقول فيها الشعر، وربَّما أفادنا بعض هذا الشعر المجهول بفائدة لغويَّة غير منتظرة، كهذا النظير اللطيف للفظة التكرير التي نطلقها اليوم على تنقِية النفط، في قول الحسن بن عمر الأسطرلابي (بسيط):

يزداد لُؤْماً إذا ما زدتَه كرماً ... كالنفط يزداد بالتكريم إحراقاً

* * *

منهجنا في التحقيق يتمثَّل في محاولة ضبط النصِّ، وهو عمل صعب لأنَّ الكتاب كما قلنا لا يوجد منه إلَّا نسخة واحدة متعدِّدة الأجزاء، فالمقابلة إذن متعذِّرة. ولكنَّا قابلنا نصّ المقريزي كلَّما أمكن ذلك بالتراجم التي صنَّفها صاحب الوفيات أو تابعوه ومكملوه كالصفدي وابن شاكر، أو بكلام المقريزي نفسِه في اتِّعاظ الحنفاء خاصَّة، أو ابن سعيد المغربي في القسم الخاصِّ بمصر والقاهرة من كتابه المغرب، هذا بقطع النظر عن كتاب النجوم الزاهرة لابن تغري بردي والكامل في التاريخ لابن الأثير وذيل تاريخ دمشق

لابن القلانسيّ ومختلف كتب التاريخ والطبـقـات التي تعرَّضت للمترجَمين الذين أدرجناهم في هذا الكتاب. فإذا أمكن الإكمال وتعمير الفراغ فَعَلْنا، وإذا تعذَّر ذلك أبقينا البياض كما هو. وحاولنا التعريف بالأعلام والأماكن التي يذكرها المقريزي في التراجم، وبقي جانب وافر من هذه الأسماء مجهولاً غامضاً، ولكنَّا نبَّهنا فيها إلى قصورنا عن التعريف عسى أن يسعفنا بعض الباحثين بملاحظاتهم وتصويباتهم وإرشاداتهم حتى نستفيد بها عند نشرنا للكتاب كاملاً.

وعلَّقنا على كلِّ ترجمة تقريباً بما تسمح به مادَّتها، وحاولنا استخراج فائدتها بالمقارنة مع ما جاء في المصادر الأخرى، أو بالنظر في قيمتها الذاتية.

أمَّا ترتيب التراجم فقد اتبعْنا فيه سنِي الوفيات، فبدأنا بالوفيات التي سبقت انتصاب الدولة الفاطميَّة ثمَّ سايرنا تاريخ الدولة إلى وفاة المعزّ بالقاهرة فخلافة العزيز وفترة من خلافة الحاكم. وقد يهمل المقريزي سنة الولادة والوفاة معاً، فنكمل الفراغ بالرجوع إلى كتب التراجم الأخرى، وإذا تعذّر التدقيق، اكتفينا بذكر حادث مؤرّخ في حياة صاحب الترجمة فنقول: مات بعد ذلك التاريخ.

وسعينا إلى مقابلة التواريخ الهجريّة بالتاريخ الميلادي المناسب، ولعلَّنا سهونا أحياناً وأغفلنا هذا التنظير، وهو في الحقيقة يثقل المتن بدون ضرورة. والأفضل في نظرنا أن يستثمر الباحث الذي يهمُّه الأمر هذه المعادلة البسيطة التي تقابل السنة الهجرية (هـ) بالسنة الميلادية (م):

$$م = (هـ \times \frac{32}{33}) + 622$$

فإذا طلب مزيداً من التدقيق وأراد معرفة الشهر الميلادي واليوم من الأسبوع، فعليه بالرجوع إلى جداول المعادلات كجدول كاتينوز أو جدول زامباور أو رزنامة الشيخ محمَّد بن الخوجة.

ورجاؤُنا في الختام أن يُسعفنا القرَّاء والباحثون بتصويباتهم وتنبيهاتهم

وملاحظاتهم حتى نستفيد بها فيما نعتزمه من نشر كتاب المقفّى بأجزائه الخمسة ـ أو مخطوطاته الثلاث ـ .

والله نسأل أن يوفّقنا إلى إتمام ما نشرع فيه اليوم، فهْو حسبُنا ونعم الوكيل.

هرقلة 27 جويلية 1986

محمد اليعلاوي

مراجع التحقيق

ـ أ ـ

ـ **آغا بزرك الطهراني**: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، النجف 1936.

ـ **ابن الأبّار** (1260/658): الحلّة السيراء، نشر حسين مؤنس، القاهرة 1963.

ـ **ابن الأثير** (1233/630): الكامل في التاريخ، القاهرة 1934 (مع تعليقات الشيخ عبد الوهاب النجّار).

ـ **إدريس عماد الدين الداعي** (1468/872): تاريخ الخلفاء الفاطميّين بالمغرب (عيون الأخبار)، بيروت، دار الغرب الإسلامي 1985.

ـ **ابن أبي أصيبعة** (1269/668): عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء، نشر نزار رضا، بيروت 1965.

ـ **ابن إياس** (1524/930): تاريخ مصر (بدائع الزهور في وقائع الدهور) بولاق 1311.

ـ ب ـ

ـ **الباخرزي** (1074/467): دمية القصر، نشر محمد التونجي.

ـ **آبن بشكوال** (568 /1172): كتاب الصّلة، نشر عزّت العطّار، القاهرة، 1955.

ـ **البغدادي** (الخطيب، 463 / 1072): تاريخ بغداد.

ـ **بوناوالا** (إسماعيل قربان): ببليوغرافيا الأدب الإسماعيلي ـ ماليبو ـ كاليفورنيا 1977.

ـ ت ـ

ـ **ابن تغري بردي** (1470/874): النجوم الزاهرة، القاهرة 1933.

ـ ث ـ

ـ **الثعالبي** (1038/429): يتيمة الدهر، القاهرة 1934.

ـ ج ـ

ـ **جعفر الحاجب**: سيرة جعفر الحاجب. نشر إيڤانوف ـ مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية مجلد 4 جزء 2، ديسمبر 1936.

ـ **ابن جلجل** (987/377): طبقات الأطباء والحكماء، نشر فؤاد سيِّد، المعهد العلمي الفرنسيّ بالقاهرة 1955.

ـ **الجوذري**: سيرة الأستاذ جوذر، نشر محمد كامل حسين وعبد الهادي شعيرة القاهرة ـ د. ت.

ـ ترجمتها الفرنسية لماريوس كانار، الجزائر 1958.

ـ **ابن الجوزي** (1200/597): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، حيدر آباد 1358.

ـ ح ـ

ـ **ابن حجر العسقلاني** (1448/852):

ـ رفع الإصر عن قضاة مصر، القاهرة 1957 و 1961 (جزآن فقط).

ـ لسان الميزان.

ـ **حسن** (حسن إبراهيم): تاريخ الدولة الفاطميَّة، القاهرة 1967.

ـ **حسن** (علي إبراهيم): تاريخ جوهر الصقلّي، القاهرة 1933.

ـ **الحصري** (1022/413): زهر الآداب، نشر أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1953.

ـ **ابن حمّاد** (1230/628): أخبار ملوك بني عبيد وسيرهم، نشر فوندرهايدن، الجزائر 1927.

ـ **حمّادة** (محمد ماهر): الوثائق السياسيَّة والإداريَّة للعهود الفاطميّة والأتابكيّة والأيوبيّة، بيروت، 1980.

ـ **الحميدي** (1094/488): جذوة المقتبس، نشر محمد بن تاويت، القاهرة 1953.

ـ خ ـ

ـ **الخربوطلي** (علي حسن): أبو عبدالله الشيعيّ، القاهرة 1972.

- **ابن الخطيب** (1375/776): أعمال الأعلام، نشر ح. ح. عبد الوهاب، بالرمو، 1910.
- **ابن خلدون** (1406/808): كتاب العبر، بولاق 1868.
- **ابن خلكان** (1282/681): وفيات الأعيان، نشر إحسان عبَّاس، بيروت 1968.

ـ د ـ

- **الدبَّاغ** (1297/696) وابن ناجي: معالم الإيمان، تونس 1902.
- **ابن دريد** (933/321): ديوانه، نشر عمر بن سالم، تونس 1973.

ـ ذ ـ

- **الذهبي** (1347/748):
  - تذكرة الحفّاظ، حيدر آباد الدكن 1956.
  - العبر في أخبار من عبر، الكويت 1961.

ـ ر ـ

- **ابن رشيق** (1063/456): أنموذج الزمان في شعراء القيروان، نشر المطوي والبكوش، تونس 1986.
- **الرقيق القيرواني** (1033/425): قطب السرور (المختار منه) نشر عبد الحفيظ منصور، تونس 1976.

ـ ز ـ

- **زامباور**: معجم الأنساب والأسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي، القاهرة 1957.

ـ س ـ

- **ابن سعيد** (1285/685):
  - النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، نشر حسين نصّار، القاهرة 1970.
  - المغرب في حلى المغرب (قسم مصر) نشر زكي محمد حسن، القاهرة 1951.

- سيرة جعفر الحاجب وسيرة جوذر: انظر: جعفر وجوذر.
- **السيوطي** (1504/911):
- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، القاهرة د. ت.
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، نشر محمد أبو الفضل إبراهيم، جزءان، القاهرة 1967.

- ش -

- **ابن شاكر الكتبي** (1362/764): فوات الوفيات، نشر إحسان عبَّاس، بيروت د. ت.
- **الشريف الرضيّ** (1015/406): ديوانه. صادر، بيروت.
- **ابن شدَّاد** (1284/684): الأعلاق الخطيرة في أمراء الشام والجزيرة. نشر سامي الدهَّان، دمشق 1962.

- ص -

- **الصفدي** (1362/764):
- أمَراء دمشق في الإسلام، نشر صلاح الدين المنجّد.
- الوافي بالوفيات، ظهر منه 17 جزءاً (بفيسبادن ابتداءً من سنة 1962).

- ط -

- **محمد الطالبي**:
- الإمارة الأغلبية، ترجمة الصيّادي، بيروت 1985.
- تراجم أغلبيّة من مدارك القاضي عياض، تونس، 1968.

- ع -

- **ابن عبد ربّه** (939/328): العقد الفريد، نشر أحمد أمين وجماعة، القاهرة 1953.
- **ابن عذاري** (1312/712): البيان المغرب، ليدن 1948 - 1951.
- **أبو العرب** (945/333): طبقات علماء إفريقية، نشر ابن أبي شنب، الجزائر 1917.
- **عريب بن سعد** (980/370): صلة تاريخ الطبري، نشر محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة 1982.

- **ابن عساكر** (1175/571) تاريخ دمشق نشر عبد القادر بدران، دمشق 1329.
- **العماد الأصفهاني** (1201/597): الخريدة، قسم مصر.
- **كتاب العيون والحدائق**، الجزء الرابع، نشر عمر السعيدي، دمشق 1973.
- **ابن العماد الحنبلي** (1678/1089): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت. د. ت.
- **عنان** (محمد عبدالله): الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطميَّة، القاهرة 1959.

ـ ف ـ

- **ابن فرحون** (1396/799): الديباج المذهب، بيروت، د. ت.

ـ ق ـ

- **القاضي النعمان**: انظر: النعمان.
- **القفطي** (1247/646): تاريخ الحكماء، نشر يوليوس ليبارت، ليبزيغ 1903.
- **ابن القلانسي** (1160/555): ذيل تاريخ دمشق، نشر أمدروز، ليدن 1908.

ـ ك ـ

- **ابن كثير** (1373/774): البداية والنهاية، القاهرة، 1932.
- **كثير عزَّة**: ديوانه، نشر إحسان عبّاس.
- **كشاجم** (< 971/360): المصايد والمطارد، نشر أسعد طلس، بغداد 1954.
- **الكندي** (961/350): كتاب الولاة والقضاة، نشر رفن كست، بيروت 1908.

ـ ل ـ

- **لقبال** (موسى): دور كتامة في تاريخ الدولة الفاطميَّة، الجزائر 1979.
- **لويس** (برنارد): أصول الإسماعيلية، ترجمة خليل الحلو وجاسم الرجب، القاهرة د. ت.

ـ م ـ

- **المالكي** (1061/453): رياض النفوس، نشر البشير البكوش، بيروت 1984.
- **مجهول**: العيون والحدائق، الجزء الرابع ـ نشر عمر السعيدي، دمشق 1973.

- **المسعودي** (956/345):

- التنبيه والإشراف، نشر عبدالله الصاوي بغداد 1938
- مروج الذهب، نشر شارل بلّا، بيروت 1966.

- **المقريزي** (1441/845):

- اتعاظ الحنفاء، الجزء الأول، نشر الشيّال، القاهرة 1948. الجزء الثاني نشر محمد حلمي أحمد، القاهرة 1971.
- الخطط، القاهرة 1324 ـ 1325 مطبعة النيل.

- **ابن المنجب الصيرفي** (1147/542): الإشارة إلى من نال الوزارة، نشر عبدالله مخلص، المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة، مجلّد 25.
- **المنقري** (نصر بن مزاحم ـ 827/212): وقعة صفّين. نشر عبد السلام هارون.
- **ابن ميسّر** (-1278/677): أخبار مصر، نشر هـ. ماسيه. القاهرة، 1919.

ـ ن ـ

- **ابن النديم** (999/380): الفهرست، نشر رضا تجدد، طهران.
- **النعمان بن محمَّد** (974/363):

- افتتاح الدعوة، بيروت 1970، تونس 1975.
- المجالس والمسايرات، تونس 1978.

- **النويري** (1332/733): نهاية الأرب، الجزء 24، نشر حسين نصّار، القاهرة 1983.

ـ و ـ

- **ابن واصل الحمويّ** (1297/697): تجريد الأغاني، 1957.

ـ ي ـ

- **اليعقوبي** (897/284): كتاب البلدان، نشر دي خوية، ليدن 1892.
- **اليعلاوي** (محمد): ابن هانىء المغربي الأندلسي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1985.

1 ـ الحسن بن أبي الملاحف (ـ بعد 290)
(أخو أبي عبدالله الشيعيّ)

الحسن بن أحمد بن محمد بن زكريا أخو أبي عبدالله الشيعيّ، ويُعرف بابن أبي الملاحف.

خرج مع أخويه أبي عبدالله الحسين، وأبي العبَّاس محمد، وصار من جملة الشيعة. وتوجَّه مع أخيه أبي عبدالله إلى بلاد المغرب بعد أن مرَّ بمصر. وأقام بالمغرب إلى قبيل مسير عبيدالله إلى المغرب بيسير(1).

ثمَّ صار إلى صنعاء ونزل عند عليّ بن الفضل بن زياد الخلقاني(2) الجنَديّ، وصار له بصنعاء اليمَن شأن، إلى أن تخوّف من عليّ بن الفضل. فقال له: إنِّي رأيتُ فيما يرى النائمُ كأنِّي بمكَّة في مكان عالٍ وحولي جمع كبير.

فقال له: أنت والله صاحب مكَّة.

[269] فسيّره وضمَّ / إليه ابن أدهم وأنفذ معهما مالاً عظيماً. فسارا من صنعاء، وقد خلَّف حسن له بها مائتَي فرس إلى غير ذلك من الأموال.

ونزلا مكَّة فشرعا في إشهاد الدعوة وبثِّها في الناس، فوشِيَ بهما، وشهد عليهما ابن خزيمة من عدول مكَّة بالقرمطة، فضُربا بالسياط حتى ماتا. وصُلبا، فكان ذلك تأويل رؤيا حسن.

* * *

(1) كان خروج المهدي من سلميَّة سنة 286 (عيون الأخبار، 145).

(2) علي بن الفضل يعرف بالجيشاني نسبة إلى جيشان باليمن.

المصدر: مخطوط السليميّة، 268 ب.

التعليق: ابن أبي الملاحف الذي صحب أبا عبد الله إلى بلاد كتامة، اسمه في افتتاح الدعوة، 61/31 عبد الله، ولم يذكر القاضي النعمان أنَّه أخٌ للداعيَين. وكذلك الداعي إدريس في عيون الأخبار، 84، لم يذكر هذه القرابة. وتساءل محمد الطالبي في رسالته عن الإمارة الأغلبية، 640 (و 657 من الترجمة العربيَّة) عن هذا الشخص «الغامض» ولم يذكر له قرابة بأبي عبد الله غير القرابة في المذهب.

والمقريزي نفسه يسمِّيه عبد الله في ترجمة أبي عبد الله ولا يذكر الأخوّة بينهما. ولكنَّه يسمِّي أبا العبَّاس المخطوم «ابن أبي الملاحف» وهي نسبة لم يطلقها على أبي عبد الله.

فلعلَّ المؤلف قد وهم في الاسم وفي القرابة معاً، وابن أبي الملاحف يبقى داعياً مرافقاً لأبي عبد الله إلى المغرب كما جاء في افتتاح الدعوة، وكذلك في سيرة جعفر الحاجب، 125.

وقدَّرنا تاريخ قتله بسنة 290 اعتماداً على ما جاء في الترجمة من أنَّه خرج من المغرب حوالى سنة 286، فالأربع سنوات البواقي تكون مدَّة إقامته باليمن ثم بمكَّة.

2 ـ أبو عبدالله الشيعيّ(*) (ـ 298)

[أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعيّ: من أهل صنعاء. وقد صار إلى ابن حوشب(1) النجَّار، وصحبه بعدَن، وصار من كبار أصحابه، وكان له علم وفهمٌ، ودهاءٌ ومكرٌ. فلمَّا أتاه خبرُ وفاة الحلوانيّ وأبي سفيان(2) قال لأبي عبدالله الشيعيّ: إنَّ أرضَ كتامة من المغرب قد حرثها الحلوانيّ وأبو سفيان، وماتا، وليس لها غيرك، فبادِرْ! فإنَّها مُوَطَّأةٌ مُمَهَّدَةٌ لك.

فخرج أبو عبدالله، وأعطاه ابن حوشب مالاً، وسيَّر معَه عبدالله بن أبي ملاحف. فلمَّا قدم أبو عبدالله مكَّة سأل عن حجَّاج كتامة فأُرشد إليهم، فاجتمع بهم ولم يعرِّفهُم قصدَه. وجلس قريباً منهم فسمِعهم يتحدثون بفضائل] أهل البيت، فأظهَرَ استحسانَ ذلك وحدَّثَهُم بما لَمْ يعلمُوه، ففرِحُوا به.

وكان رأسَ الشيعة من كتامة رجلان هما الحرث الجيملي وموسى بن مكاد(3) وهما اللذان جلس أبو عبدالله إلى جانِبهما وتحدَّثَ معهما في فضائل

(*) الترجمة مبتورة من أوَّلها فملأنا الفراغ برواية ابن الأثير من الكامل، 127/6 وجعلنا المنقول بين مربَّعين.

(1) هو منصور اليمن الحسن بن فرح بن حوشب. انظر عيون الأخبار، الفصل الثاني.

(2) في خصوص هذين الداعِيَين، انظر رسالة محمد الطالبي: الإمارة الأغلبيّة 574.

(3) في عيون الأخبار، 84: حريث الجيملي.

ال البيت. فلمَّا أراد القيام سألوه أن يأذن لهم في زيارته والانبساط معه، فأذن لهم في ذلك. وسألوه عن مقصده في سفره وقالوا له: أين تريد؟

فقال: مصر.

ففرحوا بصحبتِه، وسرَّهم ذلك منه وقالوا: الطريق واحدة.

فرحلوا، وهو لا يخبرهم بغرضِه. وأظهر لهم العبادةَ والزهدَ، فازدادُوا فيه رغبةً وخدمُوه. وكان يسألهم عن بلادهم وأحوالهم وقبائلهم، وعن طاعتهم لسلطان إفريقية، فقالوا: ما له علينا طاعة أكثر من أن نقول إنَّه سلطان، وبيننا وبينه عشرة أيّام.

قال: أتحملون السلاح؟

قالوا: هو شغلنا.

قال: فأقرب المدن إليكم؟

قالوا: ميلة.

فلم يزل يتعرَّف أحوالهم حتى وصلوا إلى مصر. فقال لهم: أستودعكم / الله. [أ]

قالوا: أيّ شيءٍ تطلب بمصر؟

قال: أطلب التعليم بها.

قالوا: إذا كنت تطلب هذا فبلادنا أنفَعُ لك ونحن أعرف بحقك.

قال: بلادكم بعيدة.

قالوا: وما عليك من بُعدها، ونحن نسير في عمران وبلاد؟ فإذا وصلتَ بلادنا نرفع قدرك عن التعليم وتكون لنا سيِّداً.

فلم يُطمعهم وعلَّق الأمر معهم على الاستخارة. وكان جلداً محتالاً قد علم الحيل. ثمَّ أظهر لهم الإجابة بعد المسألة. وسار معهم حتى انتهوا إلى سوجمار[4] حيث تلقَّاهم رجال من الشيعة فأخبروهم بخبر أبي عبدالله

(4) سوجمار: هي قرية سجرمة الحاليّة بالجزائر (محمد الطالبي، 600).

الشيعيّ. فنظروا إلى تعظيم الكتاميّين إيَّاه فرغبوا في نزوله عندهم حتى رموا عليه القرعة [في] مَن يُضَيِّفه.

ثم رحلوا حتى دخلوا حدَّ كتامة يوم الخميس النصفَ من ربيع الأوَّل سنة ثمان وثمانين ومائتين [8 مارس 901][5]. فسألـه قوم من خيارهم أن ينزل عندهم فقال: أين يكون فجّ الأخيار؟

فنظر بعضهم إلى بعض تعجُّباً، وكانوا لم يذكروه في طريقهم ولا سمَّوه له، وإنَّما أخذه من كلام صبيانهم.

فقالوا له: عند بني سكتان.

فقال: إليه نقصد! ثمَّ نأتي كلَّ قوم منكم في موضعهم ونَزُورهم في بيوتهم فأُرضي بذلك قلوب الجميع.

وسـار إلى جبل يقال له «إيكجان» وفيه فجّ الأخيار. فقال: هذا فجّ الأخيار. وما سُمِّيَ إلا بكُم، لقد جاء في بعض الروايات أنَّ للمهديّ هجرةً تنبو [به] عن الأوطان ينصره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان: قومٌ مشتقٌّ اسمُهم من الكتمان. فأنتم هم كتامة، وبخروجكم من هذا الفجّ يسمَّى فجّ الأخيار.

وتسامعت به القبائل وتحدَّثـ[ـت] بفضله وعلمه[6] في المحافل. وأتته البرابر من كلِّ فجّ فأظهر ما أذهل عقولَهم. وعظم أمرُه إلى أن تقاتلت كتامة عليه مع قبائل البربر، وسلم من القتل مراراً، وهو مع ذلك لا يذكر لهم المهديّ. واجتمع أهل العلم على مناظرتِه يريدون قتله. فمنعته كتامة من مناظرتهم. وكان اسمُه عند الناس «أبو عبدالله المشرقيّ»[7].

* * *

(5) النصف من ربيع الأوَّل سنة 288 كان يوم أحد. وفي عيون الأخبار، 88: الخميس نصف ربيع الأوَّل 280. وهو يوم اثنين في الواقع.

(6) في الأصل: وعمله.

(7) وستصبح عبارة «المشارقة» تسمية تهجين للعبيديّين عند جمهور السنَّة بإفريقية.

وبلغ خبره إلى إبراهيم بن الأغلب أمير إفريقية، فأرسل إلى عامله على مدينة ميلة يسأله عن أمره. فصغَّره، وذكر له أنَّه يلبس الخشن ويأمر بالخير والعبادة فلم يعرض له وسكت عنه.

ثمَّ إنَّه قال للكتاميِّين: أنا صاحب البذر الذي ذكر [ه] لكم أبو سفيان والحلوانيّ.

فقالوا: صدقت.

وازدادت محبَّتُهُم له وإعظامُه وقويَ أمره وأطاعـ[ـتـ]ـه قبائل البربر. هذا وابن حوشب يواصله[8] ويسأله فيعرّفُه ضعف بني العبَّاس ببغداد.

فاتفق أن البربر وكتامة اختلفوا بسبب أبي عبدالله وهمّ بعضُهم بقتله فاختفى. ووقع بين الفريقين قتال شديد. فأخذ الحسن بن هارون، أحد كبراء كتامة، أبا عبدالله إليه، ودافع عنه، ومضى به إلى مدينة تازروت[9] فأتته القبائل من كلّ مكان، وعظم شأنه. وصارت الرئاسةُ للحسن بن هارون، وسلَّم إليه أبو عبدالله أعنَّة الخيل، وظهر من الاستتار وشهد الحروب وكان الظفر له فيها وغنم الأموال.

وانتقل إلى مدينة تازروت وخندق عليها. فزحفت قبائل الغرب إليها وقاتلوا أهلها عدَّة وقائع كثيرة ظفر بهم فيها أبو عبدالله، وصارت إليه[10] أموالهم فاستقام له أمر البربر عامَّة.

وزحف إلى مدينة ميلة وقاتل أهلها قتالاً شديداً حتى طلبوا الأمان، فأمَّنهم ودخلَها. فبعث إليه إبراهيم بن أحمد بن الأغلب أمير إفريقيّة ابنَه الأحول[11] في اثني عشر ألفاً وتبِعه مثلُهم فقاتلهم أبو عبدالله فهزموه وكثر

---

(8) هكذا في المخطوط، ولعلَّها: يُراسلُه.

(9) تاصروت في المخطوط، والتصويب من عيون الأخبار وغيره.

(10) في المخطوط: إليهم.

(11) هو أبو حوال محمد أبو عبدالله «ولم يكن أحوَلَ» (افتتاح الدعوة، 138. وانظر عيون الأخبار، =

القتل في أصحابه وتبعه الأحول، فسقط ثلج عظيم حال بينهم وبينَه، وسار إلى جبل إيكجان، وأحرق الأحول مدينة تازروت ومدينة ميلة.

وبنى أبو عبدالله بإيكجان دار هجرة فقصده أصحابه. وعاد الأحول إلى إفريقية فسار أبو عبدالله بعد رحيله.

واتفق موت إبراهيم بن الأغلب وقتل ولده أبي العبَّاس وولاية زيادة الله[12] واشتغاله باللهو. فخرج الأحول بجيش كبير يريد أبا عبدالله فهزمه. وعاد فقتله زيادة الله. فقوي شأنُ أبي عبدالله وانتشرت جيوشه في البلاد وقال: المهديّ يخرج في هذه الأيَّام ويملك / الأرض. فطوبى لمن هاجر إليَّ وأطاعني! [381 ب

وجعل يغري الناس بزيادة الله ويعيبُه. وكان مع ذلك وزراء زيادة الله شيعةً لا يسُوءُهم ظفر أبي عبد الله، بل كانوا قد تشوَّفوا إلى ظهور المهديّ، وأبو عبد الله يرسل إليهم ويعدهم.

وبعث برجال من كتامة يثق بهم إلى عبيدالله المهدي وهو بسلميّة من بلاد الشام ليخبروه بما فتح الله وأنَّهم ينتظرونه. فساروا إليه وأخبروه بما كان من أمر أبي عبدالله. [فهرب هو وولده أبو القاسم، وخرج معه خاصَّته][13] وأمواله ومواليه. ومرَّ بمصر في زي التجَّار حتى انتهى إلى سجلماسة فقبض عليه صاحبها اليسع بن مدرار وحبسه.

وخرج أبو عبدالله في العساكر ففتح ميلة وغيرها من المدائن فجهَّز زيادة الله العساكر لقتال أبي عبدالله، وقدَّم عليها إبراهيم بن حبشي[14] أحد أقربائه، فتوجَّه إليه في نحو من ثمانين ألفاً، وأبو عبدالله متحصِّن في الجبال

= 91 هامش 20، و ص 110 هامش 53). وهنا التباس في اسم أمير إفريقية: إبراهيم بن أحمد أم ابنه عبد الله بن إبراهيم؟

(12) جمع المقريزي أحداثاً دارت في سنتين، بين 289 و 290 (انظر ابن الأثير، الكامل 103/6).

(13) الزيادة من الكامل، 129/6 (سنة 296).

(14) ابن حبيش في المخطوط. والإصلاح من الإمارة الأغلبيّة وعيون الأخبار.

لا يخرج إليه. فطمع فيه إبراهيم وزحف إليه بالعساكر. فأخرج أبو عبدالله خيلاً انتقاها فعاجلها إبراهيم بالحرَب، ولم يصحبه أحدٌ من أصحابه، وكانت أثقال عسكره كما هي على ظهور الدوابّ والجمال. ونشبت الحرب فزحف أبو عبدالله بالعساكر على إبراهيم فوقعت الهزيمة [عليه] وعلى أصحابه، وجرح إبراهيم وعقر فرسُه ولم ينجُ إلاَّ بعد الجهد. واستمرَّت الهزيمة عليه فأسلموا الأثقال والأموال والعدد والسلاح، وأبو عبدالله في طلبهم يومَه ذلك وإلى الغد، فقتَل منهم خلقاً كثيراً. وكانت هذه الواقعة قاصِمةَ الظهر، وبها تمَّ لأبي عبدالله أخذ المغرب واستقرارُ دولته.

وكتب إلى المهديّ [وهو] بسجنه في سجلماسه يبشّره بالفتح، وأنفذ الكتاب مع أبي الحسين جدّ[15] بني الحسين ولاة صقلية، وبعث معه نفقةً. ودخـل أبـو الحسين السجن في زيّ لحَّـام وعلى رأسـه لحمٌ يبيعـه للمحبـ[ـو] سينْ وثياب دهنة[16]، فاجتمع به وعرَّفه ذلك.

ثمَّ سار أبو عبدالله وأخذ عدَّة مدائن بالسيف. فحشد زيادة الله وبعث العساكر لقتال أبي عبدالله، فلقيـ[ـتـ] ـهم خيل لأبي عبدالله وأوقعوا بهم حتى أتوا على معظمهم قتلاً. فاشتدَّ ذلك على زيادة الله وخرج بنفسه في سنة خمس وتسعين [ومائتين/ أكتوبر 907)][17]. ثمَّ عاد، وبعث إبراهيم - مِن بني عمِّه - فواقعه أبو عبدالله وقتل منهم خلقاً كثيراً، ومضى كلّ منهما. فجمع أبو عبدالله عساكره فبلغت مائتي ألف فارس وراجل. وجمع زيادة الله مع ابن عمِّه إبراهيم ما لا يحصى. وسار أبو عبدالله في أوَّل جمادى الآخرة سنة ستّ وتسعين [ومائتين / 25 فيفري 909] فلقيه إبراهيم واقتتلُوا قتالاً عظيماً طال

---

(15) في الكامل، 130/6: مع أحد ثقاته. وأبو الحسين الكلبي مؤسس الأسرة الحاكمة بصقلية لا ذكر له عادةً، وإنما يذكر ابنه علي وحفيداه الحسن وعمَّار (انظر ترجمة ماريوس كانار لسيرة جوذر، ص 103). وفي ترجمة الحسن بن عمّار الكلبي (رقم 60) ألحق آسم «محمد بن الفضل بن يعقوب» بكنية أبي الحسين، فلعلّه آسم رأس الأسرة الكلبيّة الصقليّة.

(16) هكذا في المخطوط ولعلّها تعني: وسخة بالزيوت.

(17) في عيون الأخبار، 122: في أوَّل سنة 295.

زمانُه وجرَت فيه أمورٌ آلت إلى هزيمة زيادة الله إلى مصر، ونهبت قصور بني الأغلب.

ووصل إبراهيم إلى القيروان، وجمع الناس عليه فلم يستقم له أمرٌ وخرج. ونزل أبو عبدالله برقادة وأمَّن الناس ولم يتعرَّض لأحدٍ. وخرج إليه الفقهاء ووجوه البلد فلقُوه وسلَّموا عليه وهنَّؤوه بالفتح. فردَّ عليهم ردّاً حسناً وحدَّثهم وأمَّنهم، فأعجبهم ذلك وسرَّهم. وأخذوا في ذمِّ زيادة الله وذكر مساوئه، فقال لهم: ما كان إلَّا قويّاً[18] وله منَعة ودولة شامخة، وما قصَّر في دفاعه، ولكن أمرَ الله لا يعانَد ولا يُدافَعَ.

فأمسكوا عن الكلام ورجعوا إلى القيروان.

وكان دخول أبي عبدالله رقَّادة يوم السبت مستهلّ شهر رجب [26/296 مارس 909]. وعندما نزل بالقصر فرَّقَ دورَها على كتامة. وكان قد خرج منها الناس فنادى بالأمان، فرجع الناس إلى أوطانهم. وبعث العمَّال إلى البلاد، وتتبَّع أهل الشرِّ والفساد فقتلهم. وجمع ما كان لزيادة الله من الأموال والسلاح وغيره، فاجتمَع كثيرٌ من ذلك. وكان فيما وُجد عدَّة جوارٍ لهنَّ حظّ من الجمال فسأل عمَّن يكفلهنَّ فَدُلَّ على امرأة صالحةٍ كانت لزيادة الله، فأحضرها وأحسن إليها وسلَّم الجواري إليها، وأمرها بالقيام عليهن، وأمر لهنَّ بما يصلحهنَّ [ولم ينظر إلى واحدةٍ منهنَّ][19]. وأمر بضرب السكَّة وأن لا ينقش عليها اسم، ونقش عليها من وجه:

بلغت حجَّة الله

ومن الوجه الآخر:

تفرَّقت أعـداء الله

ونقش على السلاح:

---

(18) هكذا في الكامل: 132/6 وفي مخطوطنا.

(19) في المخطوط: ولم يذكروا أحداً، والإصلاح من الكامل 132/6 (سنة 296).

ووسم على أفخاذ الخيل:

الملك لله

وأقام على ما كان عليه من لبس الدون الخشن وتناول القليل من الطعام الغليظ.

وقدم عليه أخوه أبو العبَّاس برقادة فسرَّ به. وخرج في شهر رمضان من رقادة واستخلف على إفريقية أخاه / أبا العبَّاس وأبا زاكي. وسار في [382 أ] جيوش عظيمة فاهتزَّ الغرب لخروجه وخافَته زناتة وتنحَّت القبائل عن طريقه وأتته رسلهم بالطاعة له.

فلمَّا قارب سجلماسة بعث إلى اليسع صاحبها يتلطَّف به ويقول: «لم أقصد حربك، ولكنَّ لي حاجةً مهمَّةً عندك». وَوَعَدَهُ بالجميل. فلما أتته كتبُه رمى بها وقتلَ الرسل. فعاودَه بالملاطفة خوفاً على عبيدالله المهدي - ولم يذكره له - فقتل الرسول أيضاً، وخرج فقاتل أبا عبد الله يومَه على ظاهر سجلماسة، فلمَّا جنَّهُم الليل افترقوا، وهرب اليسع وأصحابه. وبات أبو عبدالله في غمّ عظيم لا يدري ما صُنع بالمهدي وولده. فلمَّا أصبح خرج إليه أهل سجلماسة وأعلموه بهرب اليسع، فدخل أبو عبدالله بأصحابه المدينة، وقصد المكان الذي فيه عبيدالله المهدي، وأخرجه وولدَه وأركبَهُما، ومشى هو ورُؤساء القبائل بين أيديهما، وأبو عبدالله يقول للناس: «هذا مولاكم» وهو يبكي من شدَّة الفرح، حتى وصل إلى الفسطاط الذي ضرب له، فنزل فيه. وحصل في الناس من المسرَّة ما كاد يذهب بعقولهم. وأمر أبو عبدالله بطلب اليسع فأخِذ وضرب بالسياط ثم قُتل[20].

وسار بالمهدي إلى رقادة. فلمَّا قاربها مشى أبو عبدالله وجمعُ القبائل

(20) هذه رواية الكامل، 133/6. وفي عيون الأخبار، 162 أنَّه ماتَ بمشيئته لأنَّه امتنع عن الأكل والشرب، وقد صفح عنه المهديّ.

في ركاب المهدي حتّى نزل القصر وسلَّمه الأمرَ كلَّه. فتصرَّف فيه على ما اقتضاه رأيُه.

فحسده أبو العبَّاس أخو أبي عبدالله، وأخذ يزري عليه في مجلس أخيه. وما زال بأخيه أبي عبدالله حتى غيَّره، وكان المهديّ لم يترك لأبي عبدالله ولا لأخيه أمراً. فواجه أبو عبدالله المهديّ بما في نفسه وقال له: يا مولانا، لو كنتَ تجلسُ في قصرك، وتتركني مع كتامة آمرُهم وأنهاهم على حسَب ما عوَّدتُهم، لأنِّي عارفٌ بأخلاقهم، لكان ذلك أهيبَ لك في أعين الناس.

وكان المهدي قد بلغه ما كان من مفاوضة أبي العبَّاس مع أخيه أبي عبدالله، فعندما واجهَه أبو عبدالله بهذا، تحقَّق صدقَ ما نُقل إليه، غير أنَّه ردَّ ردّاً لطيفاً، ولم يُظهِر له شيئاً.

وكثر القول من أبي عبدالله وأخيه. وأخذ أبو العبَّاس يغري بالمهدي سرّاً[21] فيصل ذلك إلى المهديّ ويتغافل. وزاد الأمر حتى اجتمعوا على قتل المهديّ غدراً. وكان غزويه بن يوسف[22] يدخل معهم ويخبر المهديّ بما جرى، فاتفق أنهم اجتمعوا في دار أبي زاكي ومعهم أبو عبدالله. فلمَّا كان الصبح خرج أبو عبدالله على عادته، وقد لبس ثوبه مقلوباً، فدخل على المهديّ فسلَّم عليه وخرج. فلم يذكر له المهديّ شيئاً. ثمَّ دخل عليه في اليوم الثاني والثالث وثوبه مقلوب على حاله. فقال له المهديّ: ما هذا الأمر الذي أذهلك وشغلك عن أمر نفسك يا أبا عبدالله؟

قال: يا مولانا، وما هو؟

---

(21) قراءة ظنيّة.

(22) في المخطوط: أبو يوسف. ولم يُسَمَّ هذا الجاسوس في الكامل ولا في عيون الأخبار. وسيتضامن هذا الزعيم الملوسي مع أخيه حباسة فيقتله المهديّ.

قال: أرى ثوبك مقلوباً عليك منذ ثلاثة أيّام فعلمتُ أنك ما نزعتَه عن بَدَنِك.

فنظر أبو عبدالله إلى ثوبه فرآه مقلوباً فقال: والله ما علمتُ بذلك إلاَّ ساعتي هذه.

فقال المهديّ: إن هذا لشغل عظيم، فأين كنتَ البارحة بائتاً والليالي التي قبلَها؟

فسكت أبو عبدالله. فقال المهدي: أليس بتَّ هذه الليالي في دار أبي زاكي؟

قال: بلى.
قال: وما الذي أحوجك أن تبيتَ في غير دارك؟
فقال: يا مولانَا، خِفتُ.
قال: وهل يخاف الإنسانُ إلاَّ من عدوّه؟
قال: أعوذ بالله!
قال المهديّ: إنَّ المؤمنَ لا يخافُ وليَّه.

فسكت أبو عبدالله وعلِم أنَّ عورتَه قد ظهرت للمهدي. ثمَّ انصرف وأخبر أصحابه بالقصَّة، فخافوا على أنفسهم من المهديّ. فما زال بهم المهديّ حتى فرَّقهم في البلاد.

وخرج أبو عبدالله وأخوه أبو العبَّاس يوماً يريدان القصر. وكان المهدي أمر غزويه ورجالاً معه أن يرصدوا أبا عبدالله وأخاه. فلمَّا وصلا إلى قرب القصر حمل غزويه على أبي عبدالله وحمل آخر على أخيه فقال أبو عبدالله: لا تفعل يا بنيّ!

قال: الذي أمرتَنا بطاعتِه أمرني بقتلك.

فقتلاهما يوم الاثنين النصف من جمادى الآخر سنة ثمان وتسعين

ومائتين [/ 18 فيفري 911]. فخرج المهديّ وصلّى عليهما وقال: رحمك الله يا أبا عبدالله وجزاك خيراً بجميل سعيك! ولا رحمك يا أبا العبّاس فإنّك صرفته عن الحقّ[23].

* * *

التعليق: الترجمة في مخطوط السليميَّة ورقة 380 ب إلى 382 أ.

وخبر دعوة أبي عبد الله في كتامة مستفيض في كتاب افتتاح الدعوة للقاضي النعمان، وفي اتّعاظ الحنفاء للمقريزي، وكذلك في عيون الأخبار للداعي إدريس.

وقد ترجم ابن خلكان أيضاً للداعي أبي عبدالله (رقم 199).

وقد أفادنا المقريزي هنا بأمور، منها:

1 ـ أن غزويه بن يوسف الكتاميّ هو الذي كان يحمل خبر المؤامرة إلى المهديّ.

2 ـ أنَّ اليسع بن مدرار صاحب سجلماسة قُتل صبراً بعد الظفر به.

3 ـ أنَّ جدَّ الكلبيّين أمراء صقلّيّة ـ أبا الحسين ـ كان من أصحاب أبي عبدالله الأوّلين.

هذا وقد خصَّص المقريزي ترجمة لأبي العبَّاس المخطوم شقيق أبي عبدالله (رقم 3 من كتابنا هذا).

(23) في عيون الأخبار، 187 تعليق طويل على ترحّم المهديّ على صاحبه بعد قتله.

3 ـ أبو العبَّاس المخطوم (ـ 298)

محمد بن أحمد بن محمد بن زكريا أبو العبَّاس، أخو أبي عبدالله الشيعيّ، ويعرف بابن أبي الملاحف[1].

كان أسنَّ من أخيه أبي عبد الله وأعلم، وكان أبو عبد الله أرجح عقلاً وأكثر ديناً.

ولم يزل هو وأخوه أبو عبدالله يدعوان إلى مذهبهما وينتقلاَن في الأقطار حتَّى نزلا بسلميّة من أرض الشام، واتَّصلا بعبيدالله المهديّ[2] فخرج أبو عبدالله إلى اليمن، وسار منها حتَّى اتَّصلَ بكتامة أهل المغرب، وترك أبا العبَّاس مقيماً عند عبيدالله المهدي بسلميّة حتى استقام الأمر لأبي عبدالله مع كتامة، وبعث إلى المهديّ يبشِّره بما فتح الله له.

فخرج المهديّ من سلميّة ومعه ابنه وأتباعُه، وفيهم أبو العبَّاس، فنزلا

(1) ابن أبي الملاحف هو في الواقع داعٍ رافق أبا عبدالله من اليمن إلى بلاد كتامة بأمر من ابن حوشب منصور اليمن، كما مرَّ بنا في ترجمة أبي عبدالله. فلعلَّ هذا وهمٌ من المقريزي.

(2) هنا أيضاً ينفرد المقريزي بهذه الإشارة: فالمعروف أنَّ أبا عبدالله لم ير المهديّ قبل تخليصه إيَّاه من سجن اليسع بسجلماسة. ذاك ما تشهد به سيرة جعفر الحاجب (ص 125 من مجلَّة كلية الآداب بالجامعة المصريَّة، مجلَّد 4 جزء 2، ديسمبر 1936) حيث يقول جعفر بن علي، وهو ألصق بالمهدي من غيره: «وذلك أنَّ أبا عبدالله لم يكن رأى المهدي (عم) كما ذكرنا أوَّلاً ولا عرفه» ويبرِّر استصحاب أبي عبدالله رجلاً من الهاشميّين كان اجتمع بالمهدي، حتى يعرِّفه به لأنه «لم يكن رأى المهدي (عم) رؤية عين».

ولا تذكر المصادر الأخرى اتِّصالاً سابقاً بين الداعي والمهديّ.

مصر وأقاما بها. ثم خرج الجميعُ يريدون القيروان فقدّم المهدي أبا العبَّاس بين يديه ببعض ما معه وأمره أن يلحق بكتامة.

فلمَّا وصل أبو العبَّاس إلى القيروان وجد الخبر قد سبقه إلى زيادة الله بن الأغلب صاحب إفريقية بخبر المهديّ. فسأل عنه رفقته فأخبروه أنَّ المهديّ تخلف بطرابلس، وأنَّ صاحبَهُ أبا العباس بالقيروان. فأُخذ أبو العبَّاس وقُرِّر، فأنكر وقال: «أنا رجل تاجر صحبت رجلاً في القَفَلِ» فحبسَه زيادَةُ الله.

فبعث أبو العبَّاس إلى المهديّ يخبره بما وقع فتوجَّه إلى قسطيلية ثمَّ إلى سجلماسة فقبض عليه كما قد ذكر في ترجمتِهِ(3). فأقام أبو العبَّاس محبوساً بالقيروان مدَّةً، ثمَّ فرَّ إلى طرابلس وأقام بها إلى أن انهزم زيادة الله وهرب يريد مصر. فنزل طرابلس وأحضر أبا العبَّاس وقرَّره هل هو أخو أبي عبدالله؟ فأنكر وقال: أنا رجل تاجر قيل عنّي إنّي أخو أبي عبدالله فحُبستُ.

فقال له زيادة الله: أنا أطلقُك فإن كنتَ صادقاً في أنَّك تاجر فلا مأثمَ فيك، وإن كنت كاذباً وأنت أخو أبي عبدالله فليكن للصنيعة عندك موضع، وتحفظنا فيمَن خلَّفناه.

وأطلقَه، وسار أبو العبَّاس إلى أخيه أبي عبدالله وقد ملك رقادة، ففرح به، واستخلَفه على إفريقية ومعه أبو زاكي، وسار لإخراج المهديّ من سجن اليسع بسجلماسة إلى أن أخرجه وأحضره إلى رقادة وسلَّم إليه الأمر. فأستبدَّ المهديّ بالأمور ولم يجعل لأبي عبدالله ولا لأخيه أبي العبَّاس من الأمر شيئاً.

فداخل أبا العبَّاس الحسدُ وعظم عليه الفِطام عن الأمر والنهي، والأخذ والعطاء. وأقبل يزري على المهديّ في مجلس / أخيه ويتكلَّم فيه، وأخوه [105
ينهاه ولا يرضَى فعلَه فلا يزيدُه ذلك إلَّا لَجاجاً. ثمَّ إنَّه أظهر أخاه على ما في

(3) أي ترجمة المهدي (الآتية بعد هذه، رقم 10).

نفسِه وقال له: ملكت أمراً ثمَّ جئتَ بمَن أزالك عنه، وكان الواجب عليه أن لا يُسقطَ حقك.

ولم يزل حتَّى أثَّر في قلبِ أخيه. وصار أبو العبَّاس مع ذلك يُشِير إلى المقدَّمين بشيء ممَّا في نفسِه فإذا رأى من أحدٍ منهم قَبولاً كشفَ له ما في نفسِه وقال: «ما جازاكم على ما فعلتُموه، بل أخذ الأموَال ولم يقسِمها فيكُم»، فيبلغ ذلك المهديّ ويتغافل، وأبو عبدالله يداري.

ثمَّ صار أبو العبَّاس يقول: «إنَّ هذا ليس بالذي كنَّا نعتقد طاعته وندعو إليه لأنَّ المهديّ يأتي بالآيات الباهرة»، فأخذ قوله بقلوب كثيرٍ من الناس حتَّى إنَّ شخصاً منهم يقال له «شيخ المشايخ»[4] واجه المهديّ بذلك وقال له: إن كنت المهديّ فأظهِر لنا آيةً، فقد شككنا فيك» فقَتَله المهديّ.

وخاف أبو عبدالله وعلم أنَّ المهديّ تغيَّر عليه، فاتفق هو وأخوه ومن معهُما على الاجتماع عند أبي زاكي، وعزموا على قتل المهديّ، واجتمع معهم قبائل كتامة إلاَّ قليـ[ـلا] منهم. فبلغ المهديّ ذلك كلُّه فلاطف الأمر وفرَّق الأكابر وأوقف رجالاً قتلوا أبا عبدالله وأخاه أبا العبَّاس في يوم الاثنين النصف من جمادى الآخرة سنة ثمانٍ وتسعين ومائتين [18 فيفري 911]. وخرج فصلَّى عليهما وقال: رحمك الله يا أبا عبدالله وجزاك خيراً على جميل سعيك، ولا رحمك الله يا أبا العبَّاس، فإنَّك صرفتَه عن الحقِّ.

* * *

التعليق: الترجمة من نسخة ليدن 1، ورقة 105 أ.

انفرد المقفى، كما أشرنا، بذكر التعارف بين أبي عبدالله والمهدي بسلمية. ولمَّا كانت ترجمة أبي عبدالله مبتورة من أوّلها، فلعله قال نفس القول هناك. ولئن اتفقت المصادر الأخرى على حصول اللقاء بين أبي العبَّاس والمهدي بالمشرق، فهي لم تشر إلى لقاء بين أبي عبدالله والمهديّ. وانظر افتتاح الدعوة 316/261 وعيون الأخبار 180 - 188.

---

(4) شيخ المشايخ: اسمه هارون بن يونس المسالتيّ أبـو مـوسى كمـا سيـرد ص 89.

4 ـ حباسة بن يوسف الكتاميّ (ـ 307)
أحد قوّاد المهدي عبيدالله

[319 ب] /وبعثه المهديّ على الجيوش لأخذ مصر، وجهّز معه مائتي مركب. فسار إلى برقة، وبها أبو النمر أحمد بن صالح من الأبناء[1] على جيش كبير من قِبل أبي منصور تكين أمير مصر. فخرج إلى سرت ولقي حباسة فاقتتلا وانتصف كلّ منهما وامتنَعَ من صاحبه. فعزل تكين أبا النمر بخير المنصوري.

وبلغ ذلك حباسة، فبعث إلى أبي النمر، وهو مواقفُه: «ما يحملك على حربنا وأنت معزول؟» وبعث إليه بكتاب وَرَدَ عليه من مصر بذلك. فانصرف أبو النمر إلى برقة، وتبعه حباسة، ومضى أبو النمر إلى مصر فملك حباسة برقة.

وخرج منها فلقي خير المنصوري وهزمه، وأقبل بجيوشه إلى الإسكندرية فدخلها يوم السبت لثمان خلون من المحرَّم سنة اثنتين وثلاثمائة [/ 3 أوت 914] [1م]، ومعه ما يزيد على مائة ألف. فقدم القاسم بن سيما[2] من العراق وقدمت الجيوش مدداً لتكين. فخرج أوّل العسكر من مصر إلى الجيزة في خامس جمادى الأولى منها [/26 نوفمبر 914] وخرج تكين في تاسعه فعسكر بها.

---

(1) الأبناء: انظر تعليقنا على هذا المصطلح في هامش 1 ص 49 من هذا الكتاب.

(1م) الثامن محرَّم 302 يوم الأربعاء، ولكنّ الكندي، كتاب الولاة والقضاة، 269 يذكر أيضاً يوم سبت.

(2) القاسم بن سيما الفرغاني، أحد قوّاد المكتفي والمقتدر (العيون والحدائق، 568، وفيها أنّه مات سنة 305).

وخرج حباسة من الإسكندرية فعسكر بمشتول من أرض الجيزة. ونوديَ بالنفير في الفسطاط لعشر بقين من جمادى الآخرة فلم يتخلَّف عن الخروج إلى الجيزة أحدٌ من الخاصَّة والعامَّة، إلاَّ نفرً [ا] يُعذرون بعلَّة أو حالِ عجزٍ عن الحركة. ثمَّ انصرفوا عشاءً ولم يكن لقاء.

ثم نودي بالنفير يوم الخميس بعد ذلك بيومين. فخرج الناس خروجاً لم يُر مثلُه قط في الاجتماع والنشاط وحسن البصيرة. وأتاهم حباسة في جيشه يومئذٍ فيما بين الظهر والعصر فالتقَوا فكثرت القتلى بينهم، وقُتل أكثر رجال حباسة وانهزم باقيهم، فتبِعهم جمعٌ من الرعيَّة، وعبروا خلفَهم خليج بوهة[3]، وقد دخل الليل، فخرج عليهم كمين لحباسة بعد الغروب فقتل منهم نحواً من عشرة آلاف.

وأصبح الجند على مصافِّهم بالجيزة يوم الجُمعة، وفيه نوديَ بالنفير وقت صلاة المغرب، فاضطرب الناس لذلك اضطراباً شديداً، وخرجت الرعيَّة إلى الجيزة ليلَهم كلَّه كخروجهم بالأمس. ثمَّ عادوا إلى الفسطاط غدَاةَ يوم السبت ولم يكن لقاء.

وعاد حباسة إلى الغرب. فعند وصوله إلى المهديّة قتله المهديّ.

وقال نافع بن محمد بن عمرو في واقعة حباسة (طويل):

أَلاَ شُقَّ جَيْبَ الصَّبْرِ إنْ كُنْتَ مُوجَعَا … وَلاَ يُلْفِ لاَحٍ فيكَ لِلْعَذْلِ مَطْمَعَا
لِمَا دَهَمَ الإسلامَ مِن فجع حادثٍ … تهُمُّ لـه أركـانُـه أن تَضَعْضَعَا
لِمصرَعِ إخوانٍ على الدينِ صُرِّعُوا … لنصـرةِ دين الله يا لَـكَ مصـرَعَـا!
فمَـاتُوا كِـراماً مـا استضِيمُوا أعِـزَّةً … يُـلاقـونَ في الله الأسنَّـةَ شُـرَّعَـا
أَلَمْ ترهُم يومَ الخميسِ، وقد غَدَا … عَـدُوُّهُمْ فِيـمَنْ أعَـدَّ وأجـمَعَـا؟
وقـد صـاح فيهم بـالنفيـرِ أميـرُهُمْ … فجـاؤُوا سراعـاً، حاسِـرينَ ودُرَّعَـا

(3) خليج بوهة: لم نتعرَّف عليه.

فصـــادمَهُمْ في النـاكِثينَ فـأُيِّـدوا وكـان حماةُ الـدينِ أعلى وأمنَعا[4]
فـولَّى بخِـزيٍ طُـوِّقَتـه كُتـامَـةٌ وقد سُقِيَتْ كأساً من الموتِ مُتْرَعَا
ألـوفٌ أبـادَ القتـلُ جَمٌّ عـديـدِهِمْ فـأمسَوا طعـامـاً للكـلابِ ومـرتَعـا
ترى القوم صرعَى في الحُلاَفِي جَوَاثِماً كـأعجازِ نخـلٍ بـالبقيـعِ تَقَلَّعَـا[5]
/ وطيف بِهامِ الفاسقينَ على القَنَا وبُضِّـعَ مِنْ لحمـاتِهم مـا تبضَّعَـا [320 أ]
وكانت لِحِزبِ الكُفر إذْ ذاك عِطفةٌ فقُتِّـلَ مِن أشيـاعِنـا من تَسَـرَّعَـا
فصلَّى على تلك النفـوس مليكُهـا وعــوَّضَهــا أبقى ثـوابٍ وأنفَعَـا!

وقال ابن مهران (وافر):

وأيّ وقـائـع كـانـت بـسـفط ألا بـل بـين مـشتـول وسَـفط[6]
وقـد وافـى حبـاسـة في كتـام بـكـلِّ مهـنّـدٍ وبكـلِّ خَـطِّي
وقـد حشدوا لمصـر، ودون مصـر لـه خـرط الـقتـادِ وأيُّ خـرط
وأقبـلَ جـاهـلا حتَّى تـخـطَّى وجـازَ بـجـهـلِهِ حـدَّ الـتـخـطِّي
بـكُتـبِ جمـاعـةٍ قـد كـاتبُـوهُ مِنَ آقْبَـاطٍ بـمصـرَ وغـيـر قِبطِ
وكـلّ كـاتـبُـوه ونـافـقـونـا وكـلٌّ في الـبـلاد لـه مُـوَطِّي
ووافـانـا سليـمـان بـن كـافِي يخطُّ الأرضَ في غيـرِ المَخَطِّ[7]
وحـفَّـتْ بـالأمِـيـرِ لـه رُمَـاةٌ منَ الأتـراكِ ممَّنْ لَيْسَ يُـخْـطِيء
ولا سيمـا وعـن قِسْيٍ صِـلابٍ وفـتـيـانٍ ومـدّ بـالـتـمـطِّي[8]
فــوافَى الخـائنَ المخـذولَ مِنَّـا سِهـامُ للمقـاتِـل ليسَ تُخـطِيء

---

(4) في ولاة مصر، 271: فأبدأوا.
(5) الحُلاَفي: المكان تكثر فيه الحلفاء.
(6) سفط أبي جرجا: قرية بالصعيد غربيّ النيل (ياقوت، وذكر الوقعة ونقل الأبيات 1 - 3).
(7) سليمان بن كافي الجيملي (انظر عيون الأخبار، 193) أحد رجال الفاطميِّين في الحملة على مصر. ذكر ابن عذاري 181/1 تحت سنة 307 مشاركته في احتلال الفيُّوم والأشمونين. وفي رياض النفوس، 404/2 ذكر «عامل برقة المعروف بابن كافي» في خبره مع قاضي برقة ابن الجبلي الذي كان يتشبَّث برؤية الهلال ولا يجنح إلى الحساب الفاطميّ فقتل سنة 341 من أجل ذلك.
(8) قراءة العجز ظنية وهي غير مفهومة، وكذلك في ولاة مصر، 272.

فكم بالجسرِ من رأسٍ وكفٍّ   ومصلوبٍ ومشدودٍ بشُرط
ومَرَّ لَنَا مع الإقبَالِ يومٌ   شفَى ما فِي القُلوبِ لكُلِّ مِلْطِ[9]
فقل لحبَاسة: إن كنتَ عَنَّا   مضيتَ، فإنّ قَتلَكَ ليس يُبْطي
بحولِ الله ذاك، فصدّقوني   وهٰذي رُقْعَتِي لكمُ بخَطِّي

فكان الأمر كما قال ابن مهران، وقُتل حباسة.

* * *

التعليق: الترجمة من مخطوط السليميّة ورقة 319 ب ـ 320 أ.

تلازم رواية المقفّى هنا كلام الكندي في كتاب ولاة مصر عند ترجمته لأبي منصور تكين الخاصّة، ص 267 وما يليها.

ونجد في البيان المغرب 168/1 تفاصيل كثيرة عن حباسة بن يوسف الملّوسي وعن فعاله بأهل برقة، وانقطاعه عن القائم بمصر، ممّا جرّ قتلَه بالمهديّة حين عاد إليها. وتبع قتلَه انتقاض أخيه غزويه بن يوسف ـ وقد رأينا دوره في الإيقاع بأبي عبدالله الشيعيّ ـ في جموع من ملوسة حتى إنّهم هدّدوا القيروان حسب رواية ابن الأثير (حوادث 302).

والترجمة مفيدة بما أوردته من شعر المصريّين المناهضين للجيش الفاطميّ، ولكنها لا تعرّف بالشاعرين: ابن مهران ونافع بن محمد. وكذلك الكندي لا يعرِّف بهما، وإنما يضيف (ص 278) أنّ ابن مهران قُتل بسبب بيتين قالَهُما في تكين لمَّا عُزل عن ولاية مصر فأمر بقتله عندما ولي مصر سنة 311 للمرَّة الثالثة.

(9) المِلط: المجهول النسب.

5 ـ إبراهيم بن كيغلغ (ـ 308)

الأمير الكاتب الأديب، أبو إسحاق. ولّاه أمير المؤمنين المقتدر بالله مدناً على ساحل الشام، منها اللاذقية وجَبَلة[1] وصيدا وأعمالها. فورد الموصل وسأل عن أهل الأدب فخرجوا إليه، فرحَّب بهم، وأنشدهم من شعره وشعر غيره.

وذكره ابن العديم وقال إنه صاحب حمص [و] أمير مذكور، ومن أمراء عرب الشام، له غزوات. وكان أديباً فاضلاً. وهو أخو أحمد بن كيغلغ.

وقدم إلى مصر يوم الثلاثاء لسبع بقين من ربيع الآخر سنة سبع وثلاثمائة [21 سبتمبر 919]. فلما قدم المظفَّر مؤنس بعساكر بغداد إلى مصر لقتال أبي القاسم ابن المهديّ صاحب إفريقية، بعث إبراهيم إلى جزيرة الأشمونين فأقام بها قليلاً / . ومات بالبهنَسَى مستهلّ ذي القعدة سنة ثمان وثلاثمائة. [51 ب]

ومن شعره (سريع):

لاعَبْتُ بالخاتَم إنسانةً   كالبدرِ في تاجِ دُجىً فاحِمِ
حتّى إذا واليتُ أخذي له   من البَنانِ المُتْرَفِ الناعِمِ
خَبَّتْه في فيها فقلت انظروا   قد خبَّتِ الخاتَمَ في الخاتَمِ[2].

---

(1) جبلة: قلعة قرب اللاذقيّة من أعمال حلب (ياقوت).

(2) خبّته عوض: خبّأته.

وقال (كامل):

قــالــوا اعــتــللت وقــد فــصــد تَ فكيف حــالــك في الـفِصــاد
إنِّــي لأعــلــم بــالــذي تَـشـكُــو بِـجِـسْـمِـكَ مِـن فـؤادي
[قــد] كــان شـخـصُــك مــاثــلاً بــالــقــلــب مــن دون الــسَــوادِ

وقال (مجزوء الكامل):

قــم يــا غــلامُ أَدِرْ مُــدَامَــكْ وآحثُثْ عـلى النُّدْمَـانِ جَـامَـكْ
تُــدعــى غُــلامــي ظـاهــراً وأظَــلُّ فــي ســرٍّ غُــلامَــك
والله يــعــلــم أنَّــنِــي أهــوى اعـتـنـاقَـك والـتـزامَـك

* * *

التعليق: الترجمة من مخطوط السليميّة، 51 ب.

هذا الأمير شارك أيضاً بصفة متواضعة في دفع الخطر الشيعيّ عن مصر، ولعلَّ صفة الأديب فيه هي التي شفعت له عند المقريزي فأدرجه في قاموسه.

وذكره ابن خلكان عرضاً في ترجمة الإخشيد (رقم 689) عند حديثه عن أخيه أحمد بن كيغلغ. وخصَّص له الصفدي (الوافي رقم 2526) وابن شاكر (فوات 42/1) ترجمةً وجيزة، إلاَّ أن مختارات الشعر في الوافي أوفرُ.

6 ـ ثمل الخادم (ـ بعد 311)

/غزا في بحر الروم فغنم وسبى وعاد في سنة ست وثلاثمائة. فلمّا قدمت [292 ب] مراكب المهدي عبيدالله من إفريقيّة تريد الإسكندريّة، وعدّتها ثمانون مركباً، وقائدها سليمان الخادم ويعقوب الكتامي[1]، وقد ملكها أبو القاسم ابن المهديّ، بعث أمير المؤمنين المقتدر بالله أبو الفضل جعفر إلى ثمل، وهو على مراكب طرسوس، فأتى في خمسة وعشرين مركباً إلى رشيد، فلقي المراكب وعليها سليمان الخادم في العشرين من شوّال سنة سبع وثلاثمائة [14 مارس 920]، وقاتله قتالاً شديداً. فبعث الله الريح على مراكب سليمان فألقتها إلى البرّ فتكسّر أكثرُها. وأَخَذَ ثمل مَن فيها أخذاً باليد وقتل أكثرهم، وسار بمن بقي إلى الفسطاط فأنزلهم بالمَقْسِ يوم الاثنين لأربع بقين منه. فأمر أبو منصور تكين أمير مصر بتمييز الأسارى فأطلق أهل القيروان وأهل طرابلس وبرقة وصقلّية، وميّز كتامة وزويلة ناحية، ثمّ أذن للناس في قتلهم، فقتلوا مِنْهم نحو السبعمائة.

ودخل ثمل ومعه سليمان الخادم فطاف به مقيّداً، ومعه رؤساء المراكب وهم مائة وسبعة عشر رجلاً في يوم الثلاثاء لثلاث بقين منه [27 مارس 920]. ثمّ مضى إلى الإسكندرية في مراكبه فقاتل أصحاب أبي القاسم وهزمَهُم، وملكها، ونقل أهلها إلى رشيد، وذلك في المحرّم سنة تسع وثلاثمائة [ماي

(1) يعقوب بن إسحاق: تميميّ، وهو أخو خليل بن إسحاق قائد القائم، وقد روى مغامراته بعد أسره. انظر عيون الأخبار، 234 - 236.

921] ورجع إلى الفسطاط فمضى في مراكبه إلى اللاهون(2).

ثم عاد بعد مسير أبي القاسم إلى برقة. وخرج مع مؤنس في ربيع الآخر سنة تسع وثلاثمائة، ومعه سليمان الخادم والأسرى في مراكبه، فحمل سليمان إلى بغداد.

وغزا في سنة إحدى عشرة وثلاثمائة فغنم من السبي ألف رأس وثمانية آلاف دابّة ومائة ألف رأس من الغنم، ومن الذهب والفضة شيئاً كثيراً(3).

* * *

التعليق: الترجمة من مخطوط السليميّة، 292 ب.

وخبر القتال بين القائم ـ وهو وليّ عهد إذ ذاك ـ وثمل ثمّ مؤنس مفصّل أيضاً في كتاب العيون والحدائق، 206. وفيه أنّ أهل صقليّة وأهل طرابلس الذين كانوا في أسطول الفاطميّ تمرّدوا و«تراموا من رشيد إلى المصريّين»، فلعلّ ذلك سرّ معاملة تكين لهم بالرفق. أمّا كتامة، وهم الأنصار الأوفياء، والأعوان الأشدّاء، فلا رحمة نحوهم ولا شفقة.

وانظر ترجمة القائم (رقم 15)، وتكين الخاصّة (رقم 9) في هذا الكتاب.

---

(2) في عيون الأخبار، 206، أنّ القائم ترك الإسكندرية عن طواعيّة، دون أن يخرجه منها ثمل. واللاهون من أعمال الفيُّوم والصعود إليها على النيل.

(3) في الكامل (تحت سنة 311) أنّ هذه الغزوة كانت في البحر، وهذه الأرقام الخياليَّة تبعث على الظنّ أن الغزوة استهدفت السواحل الروميَّة.

7 ـ أبو زنبور الماذرّائي (232 ـ 314 أو 317)

الحسين بن أحمد بن عيسى بن رستم، ولد سنة 232.

. . . وكان أبو زنبور مع إنعامه وإفضاله له رأيٌ سديد وتدبير جيِّد. وقد ضبط أمور مصر أربع مرَّات:

أوَّلها يوم ذُبِحَ خُمَارويه بدمشق فعقد البيعة لابنه جيش بن خُمَارَوَيْه[1] وتختَّم بخاتم أبي الجيش وسار بالعساكر إلى مصر حتى دخل بها سالماً.

والثانية لمَّا دخل محمد بن سليمان الكاتب[2] إلى مصر لزوال دولة ابن طولون، لم يزل يعمل الحيلة ويكتب إلى العراق حتى جاء الكاتب وهزم ابن الخَليج[3] وأسره.

والثالثة في وقعة حباسة: قام بالأمر مع مؤنس وأحسن إلى المستأمنة وأنفق أموالاً جمَّة.

والرابعة في نوبة الجيزة لمَّا مات ذكا الأعور أمير مصر: فإنَّه خاف على

---

(1) خمارويه بن أحمد بن طولون: قتله غلمانُه بدمشق سنة 896/282. وخلفه ابنه جيش أبو العساكر على إمارة مصر والشام ولكنه لم يدم فيها إذ قتل بعد ستة أشهر سنة 896/283.

(2) محمد بن سليمان الحنيفي (ت 910/297) هو الذي قضى على حكم الطولونيِّين وحوَّل قصورهم إلى خرابات.

(3) ابن الخليج: محمد بن علي كما ورد في الولاة والقضاة، 258 هامش 2. وقال إنه أسر سنة 293.

مصر من قدوم عساكر الغرب، فكتب إلى ابن المهديّ ـ وهو بالإسكندرية ـ يعده بأن يسلّم إليه مصر، وكتب إلى دمشق يحثُّ تكين على المسير بالعساكر إلى مصر، وكتب إلى العراق يحثُّ مؤنس الخادم على القدوم إلى مصر بالعساكر ويخوِّفه استيلاء المغاربة. فتمَّ له ما أراد وتكاملت عنده العساكر بمصر.

* * *

المصدر: مخطوط السليميّة 379.

التعليق: في كتاب العيون والحدائق، 543 (تعليق المحقِّق) أنَّ أبا زنبور مات بين سنتي 314 و 317.

وترجمته في المقفَّى طويلة، فاقتصرنا منها على ما يتعلَّق بالعبيديّين في أوَّل حملاتهم على مصر.

8 ـ أحمد بن صالح أبو النمر (ـ 316)

/من الأبناء(1). عقد له الأمير تكين أبو منصور على برقة فسار إليها في جيش وملكها. واشتدَّ سلطانه بها، وفرض لها فروضاً من المغرب وغيرهم. وخرج منها حتى بلغ سرت وحسن أثره من ولايته. [285 ب

وتوجه حباسة بن يوسف أحد قوَّاد المهدي عبيدالله صاحب إفريقية من القيروان يريد مصر فحاربه وانتصف منه. وبينما هو مواقفه إذ بعث إليه حباسة بأنَّه قد عزل بخير المنصوري وسيَّر له بذلك كتاباً قدم عليه من مصر. فانصرف إلى برقة ومضى منها إلى مصر، وذلك في سنة ثلاثمائة.

* * *

التعليق: هذه الترجمة الوجيزة في مخطوط السليميّة ورقة 85 ب.

وخبر الحملة الأولى على مصر مفصَّل بعض التفصيل في عيون الأخبار للداعي إدريس، ص 193 وفيه أنَّ حباسة خرج في 25 جمادى الآخرة سنة 301.

وانظر كذلك ترجمة حباسة بن يوسف في هذا الكتاب.

وقد ذكر ابن سعيد في المغرب (قسم مصر) أن أحمد بن صالح أبَا النمر توفِّي سنة 316.

---

(1) الأبناء: كأن هذا اللقب يعني رجالات الدولة العبَّاسيَّة من الخراسانيِّين خاصَّة (انظر فصل الأبناء بدائرة المعارف الإسلامية وكذلك ما كتبه عنه محمد الطالبي في رسالته: الدولة الأغلبيّة، ص 161 من الترجمة العربيَّة). وفي مفاتيح العلوم للخوارزمي، القاهرة 1981، ص 264: الأبناء هم أبناء الدهاقين، وأبناء الفرس الذين دخلوا اليمن في أيام كسرى.

9 ـ تكين الخاصّة (ـ 321)

ب] /الأمير أبو منصور الخزري. ولي مصر من قِبل المقتدر بالله على صلاتها فدعي له بها يوم الجمعة لإحدى عشرة خلت من شوّال سنة سبع وتسعين ومائتين. وقدمَها يوم السبت لليلتين خلتا من ذي الحجّة [11 أوت 910]. وتقدَّم إليه بالجدِّ في أمر المغرب والاحتراس منه فعقد لأبي النمر أحمد بن صالح على برقة فبعث معه بجيش فلقي حباسة بن يوسف فواقعه. ثمَّ صرفه بخير المنصوريّ فقاتل حباسة خيراً وهزمه.

وكتب تكين إلى المهديّ عبيدالله صاحب إفريقية كتاباً على لسان أمير المؤمنين المقتدر بالله يدعوه فيه إلى الطاعة والتمسُّك بها. وجَمَع وجوه أهل مصر وقُرىء عليهم وأنفذه إليهم[1] وذلك في سنة ثلاثمائة.

وخرج رجل بمَدْيَن[2] يقال إنَّه من آل أبي طالب. فبعث إليه تكين محمد بن طاهر صاحب الشرطة فأتى به وشهَّره في رابع عشر شعبان منها [سنة 26/300 مارس 913].

وأمر تكين في يوم نوروز أو المهرجان بجمع المؤنّثين[3] فأمرهم بإظهار المعازف والمزامير والطبول وشهَّرهم في لباسهم وطافوا الفسطاط ومرُّوا على

(1) أي إلى العبيديّين بإفريقية، وانظر العيون والحدائق، 163.
(2) مدين: تقع على بحر القلزم (البحر الأحمر اليوم) وهي من أعمال مصر الشرقية (ياقوت).
(3) في المخطوط: الوثنين، والإصلاح من الكندي، 269.

الجامع العتيق، وذلك يوم الثلاثاء سابع ذي القعدة منها.

وقدم عليه الخبر بدخول حباسة إلى الإسكندرية في ثامن المحرَّم سنة اثنتين وثلاثمائة [3 أوت 914] فبعث بالخبر إلى بغداد فقدمت الجيوش في العشرين من صفر مدداً له. وقدم الحسين بن أحمد الماذرّائي وأبو بكر محمد بن عليّ الماذرّائي(4) من بغداد على الخراج بمصر في تاسع ربيع الأوّل [2/302 أكتوبر 914] ومعهما أحمد بن كيغلغ وأبو قابوس(5) محمود بن حمك في جمع من القوّاد، فبعث تكين مقدّمته في الخامس من جمادى الأولى إلى الجيزة. وخرجت الجيوش يوم الاثنين تاسعه فعسكر بالجيزة. ونودي بالنفير بالفسطاط. وقابل حباسة يوم الخميس لثمان بقين منه [15 ديسمبر 914] وهزمه وقتل رجاله. وتبعه طائفة من الناس فخرج عليهم كمين لحباسة قتل منهم عشرة آلاف، ومضى حباسة إلى الغرب.

فقدم المظفر الخادم مؤنس من بغداد للنصف من شهر رمضان ومعه جمعٌ من الأمراء فصرف تكين عن مصر يوم الخميس الرابع عشر من ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثمائة وأخرجه في سابع ذي الحجّة [24/302 جوان 915].

ثمَّ ولي مصر ثانياً بعد موت ذكا الأعور(6) وتسلّم [له] خليفته(7) حتى قدم، والعسكر بالجيزة، لقتال أبي القاسم ابن المهدي صاحب إفريقية. فنزلها يوم الخميس لإحدى عشرة خلت من شعبان سنة سبع وثلاثمائة وحفر خندقاً ثانياً.

(4) الماذرّائيّون: الحسين بن أحمد المعروف بأبي زنبور: خدم الطولونيّين وكلّف بالخراج في مصر والشام مراراً وتوفي سنة 314 أو 317 (انظر تعليق عمر السعيدي ناشر العيون والحدائق في الفهرس وانظر ما نقلنا من ترجمته رقم 7).

أمّا محمد بن علي الماذرائيّ فقد ولي خراج مصر إلى وفاته سنة 345 (العيون والحدائق، 488 وانظر ترجمته رقم 20).

(5) في المخطوط: أحمد بن كيغلغ أبو قابوس وأبو قابوس محمود بن حمك، والإصلاح من الولاة والقضاة 269.

(6) توفّي ذكا الأعور في 11 ربيع الآخر 307 (العيون والحدائق، 276).

(7) تسلّم ولاية مصر باسم تكين في انتظار قدومه.

وأقبلت مراكب إفريقية تريد / الإسكندرية فبعث إلى ثمل الخادم فقدم بمراكب طرسوس فقاتل سليمان وهو على مراكب إفريقية وأسره وقتل أكثر مَن معه. وقدم بسليمان ومَن بقي إلى تكين فقتلهم. [

وقدم المظفّر مؤنس الخادم من العراق مدداً إلى تكين في المحرَّم سنة ثمان وثلاثمائة [جوان 920] فعسكر معه بالجيزة وسارًا بعسكريهما يوم الخميس لثماني عشرة خلت من صفر سنة تسع وثلاثمائة [26 جوان 921] وملكا الفيّوم. فمضى أبو القاسم حتى بلغ برقة، ولم يكن لقاء.

وعاد إلى الجيزة يوم السبت الرابع من ربيع الأوَّل سنة تسع وثلاثمائة. فصرف مؤنس تكين عن مصر يوم الأحد لثلاث عشرة خلت من ربيع الأوَّل بأبي قابوس محمود بن حمك ثمَّ أعاده يوم الجمعة لخمس بقين من ربيع الأوَّل، فأقام أربعة أيّام وصرفه عنها وأمره أن يسير إلى الشام فخرج في أربعة آلاف من أهل الديوان فقال ابن مهران (وافر):

وَلِيت ولايَةً وعُزِلت عنها كما قد كُنتَ تَعْزِلُ مَنْ تُوَلِّي
رحِمتُك يا أبا منصورَ لمَّا خرجتَ كذا بلا عَلَم وطبل

* * *

التعليق: الترجمة في مخطوط السليميَّة ورقة 283 ب.

وهي تنقل في شيءٍ من الاقتضاب ما جاء في كتاب الولاة والقضاة للكندي، كأن يختصر الأحداث ويحذف الشعر، ويغفل حدثاً تكرّر أو يخلط بين التواريخ والمدد: فالمعروف أنَّ تكين ولي مصر ثلاث مرَّات والثالثة كانت سنة 311 (الكندي، 280)، وهذه الولاية الثالثة لم يذكرها المقريزي، كأنَّه اعتبر رجوع تكين إلى الولاية بعد اثني عشر يوماً من عزله الثاني، توليةً ثالثة.

ثم إنَّه لا يتتبَّع حياة مترجمه إلى آخر مراحلها، فلم يذكر مثلاً وفاته (الكامل، سنة 321) ولا ذكر تلقيبه بتكين الخاصِّ (المغرب لابن سعيد، 152) أو تكين الخاصَّة (الكامل).

10 ـ المهديّ عبيدالله (ـ 322)

/ عبيدالله المهدي بالله الإمام أمير المؤمنين أبو محمد بن محمد [211 أ] الحبيب بن جعفر المصدّق بن محمد المكتوم بن الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين السِّبط بن الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

وقد اختلف الناس في نسب عبيدالله هذا اختلافاً كبيراً: منهم من أثبت نَسَبَه وصحّح انتماءَه إلى علي بن أبي طالب ونسبَتَه إلى بنوّتِهِ. ومنهم من نفاه عن العلويّة وطعن في نسبه. ومنهم من زعم أنّه من اليهود.

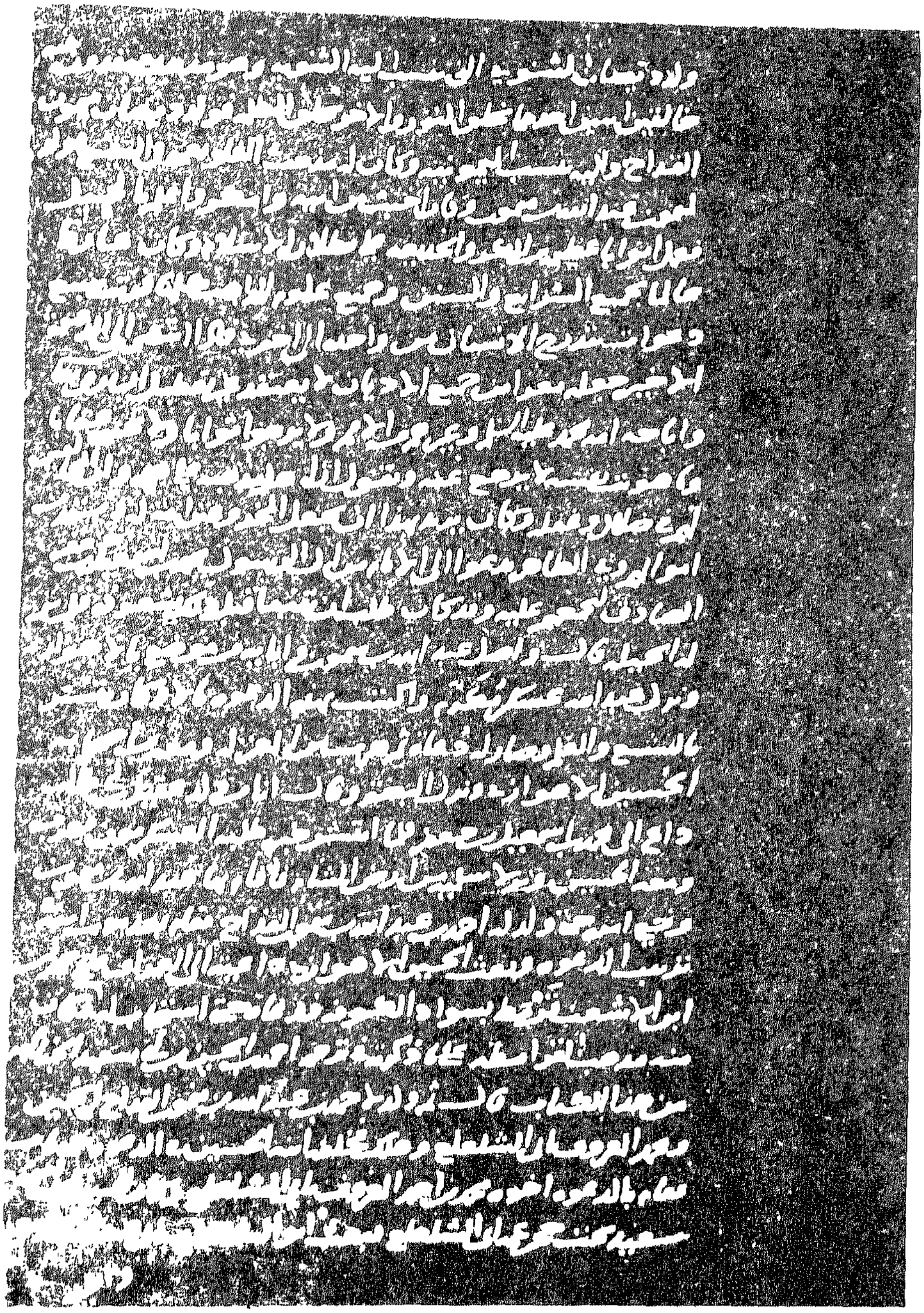
[حقيقة اسمه]

والذين أثبتوا نسبه والذين نفَوه اختلفُوا في اسمه ومَن ينسبو[نـ]ـه إليه اختلافاً زائداً. فقال قوم: هو عبيدالله بن الحسن بن علي بن محمد بن عليّ ابن موسى بن جعفر الصادق. ذكره صاحب تاريخ القيروان[1].

وقال غيره: هو عبيدالله بن محمد بن سعيد بن جعفر المذكور.

وقيل: هو علي بن الحسين بن أحمد بن عبدالله بن الحسن بن محمد ابن عليّ بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

(1) هو عبد العزيز بن شدّاد الصنهاجي. والكتاب مفقود. ولكنّ المؤرخين المتأخّرين ينقلون عنه، ولا سيما ابن الأثير في الكامل، والمقريزي هنا وفي الاتّعاظ والداعي إدريس في عيون الأخبار.



ترجمة المهدي
الورقة 211 ب (مخطوط باريس)

وقيل: هو عبيدالله بن التقيّ بن الوفيّ بن الرضيّ، وهؤلاء الثلاثة يقال لهم «المستورون[2] في ذات الله تعالى». فالرضيّ هو ابن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق. والتقيّ اسمُه الحسين. واسم الوفيّ أحمد. واسم الرضيّ عبدالله. وإنّما استتروا لأنّهم خافوا على أنفسهم لأنهم كانوا مطلوبين من جهة بني العبّاس، فإنّهم[3] علموا أنَّ فيهم من يروم الخلافة أسوةً [بـ] ـغيرهم من العلويّين.

وإنّما تسمّى المهديّ عبيدَالله اتِّقَاءً[4]. ويقال إنَّ اسمَه سعيد، ولقبه عبيدالله، وزوج أمّه اسمه الحسين بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن ميمون القدَّاح، وأنَّه كان يقال لعبيدالله «اليتيم» من أجل أنَّه رُبّي[5] يتيماً في حجر زوج أمّه. وقيل: بل ربّي يتيماً في حجر عمّه. ويقال له أيضاً «المعلِّم».

وقيل: بل هو أبو محمد عبيدالله، وهو سعيد بن الحسين بن محمد بن عبدالله بن عبيدالله.

وقيل: هو أبو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق. وهذا قول شيخ الشرف النسّابة[6].

وقيل: بل خرج من الكوفة الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق إلى الشام وسكن سلميّة فصادف بها أبا عبدالله الشيعيّ وأخَوَيْه، فوَسْوسُوا به حتى أجابهم إلى القرمطة. وكان له بنون أربعة، وادَّعى الإمامة وقال: أنا وليّ عهدِ أبي، محمد بن إسماعيل، وأنا داعٍ لأبي إلى أن يخرج.

---

(2) في المخطوط: المستورين.
(3) أي: العبّاسيُون.
(4) ترجم فانيان: ابتداء، ولم يفهم اتقاء أي: تقيّة.
(5) في ترجمة فانيان: «بقي» عوض «ربّي».
(6) شيخ الشرف (ت 1054/437): علويّ عالم بالأنساب، اسمه محمد بن محمد بن عبيدالله الحسيني (انظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، رقم 2272 والوافي بالوفيات للصفدي والأعلام للزركليّ) وله ترجمة في المقفّى (الترجمة 77 من كتابنا هذا).

فالأمر لابني أبي القاسم أحمد. فإن حدث به الأمر الذي لا بُدَّ منه، فالأمر لأخيه صاحب الخال. فإن حدث به أمر، فالأمر لأخيه عبدالله.

فخرج أبو القاسم بدمشق وعُرف بصاحب الجمل وقُتل في الحرب ظاهرَ دمشق.

وقام من بعده أخوه أبو الحسن علي صاحب الخال، وظُفر به وحُمل إلى بغداد فقتل بها.

وسار أبو عبدالله الشيعيّ إلى بلاد الغرب ودعا لعبيدالله هذا حتى استقام له الأمر فلحق به.

وخرج أبوهم الحسين ومعه ابنه الرابع، واسمه القاسم، وجمع الناس وطرق الكوفة وخرج. فأتته العساكر من بغداد وقاتلَتْه فقتل في الهَبِير[7] وقُتل ابنُه وزوجتُه المؤمنة.

[القول في نسبه: مطاعن ابن رزام وأخي محسّن]

وقال الشريف العابد أبو الحسين محمد بن علي المعروف بأخي محسّن الدمشقيّ في كتابه الذي ألَّفه في الطعن على الفاطميِّين خلفاء مصر أولاد عبيدالله هذا، كلاماً طويلاً، وليس هو منشئه، وإنَّما هو كلام أبي عبدالله بن رزام في كتابه الذي ردَّ فيه على الإسماعيليَّة[8]، أخذه الشريف ولم يعرض إليه، وتناقله مؤرخو الشام والعراق والمغرب حتى انتشر في الآفاق إلى اليوم

(7) الهبير: في طريق مكَّة، وأضاف ياقوت: كانت به وقعة القرامطة بالحاجّ في محرَّم سنة 312.

(8) أخو محسِّن الدمشقيّ، أبو الحسين: سمَّاه المقريزي في الاتِّعاظ: محمد بن علي بن الحسين ورفع نسبه إلى جعفر الصادق. أمَّا ابن رزام - واسمه كما جاء في التنبيه والإشراف للمسعودي، 343: أبو عبدالله محمد بن عليٍ الطائيّ الكوفيّ - فهو «أوَّل كاتب أشاع قصَّة انتماء الفاطميِّين إلى ميمون القدَّاح» حسب رأي المرحوم الشيَّال في طبعته للاتعاظ، 25 / هامش 5.
وفي برنارد لويس: أصول الإسماعيلية، الترجمة العربيّة 57، أنَّ الرجلين عاشا في النصف الأوَّل من القرن الرابع، وقد اعتبرهما من مؤرِّخي السنَّة.

وامتلأت به التصانيف. وأنا أبرأ إلى الله منه، ولولا خشية الظنِّ أنِّي لَمْ أَقِف عليه لما سطَّرتُه.

[211، (قال): هؤلاء القوم من / ولد ديصان الثنويّ الذي تنسب إليه الثنويّة، وهو مذهب يعتقدون فيه خالقَين اثنَين أحدهما يخلق النور والآخر يخلق الظلمة. فولد ديصان ميمونَ القدَّاح، وإليه تنسب الميمونيّة، وكان له مذهب في الغلوّ ـ يعني في التشيُّع ـ فولد لميمون عبدالله بن ميمون، وكان أخبث من أبيه وأمكر، وأعلم بالحيَل، فعمِل أبواباً عظيمة من المكر والخديعة على بطلان الإسلام، وكان عارفاً عالماً بجميع الشرائع والسنن وجميع علوم المذاهب كلّها. فرتَّب سبع دَعوات يتدرَّج الإنسان من واحدة إلى أخرى فإذا انتهى إلى الدعوة الأخيرة جَعَلَهُ مُعرًّى من جميع الأديان لا يعتقد غيرَ تعطيل الباري تعالى وإباحةِ أمّة محمد عليه السلام وغيرهم من الأمم، ولا يرجو ثواباً ولا يخشى عقاباً، وما هوَّنت نفسه لا يرجع عنه. ويقول إنَّ أهل مذهبه على هدى وأن المخالفين لهم في ضلال وغفلة. وكان يريد بهذا أن يجعل المخدوعين أُمَّةً له ويستمدَّ من أموالهم. وفي الظاهر يدعو إلى الإمام من آل الرسول، محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، ليجمعهم عليه. وقد كان طلب أن يتنبَّأ قبلَ ذلك بشعوذة فلم تتمّ له الحيلة.

(قال) وأصل عبدالله بن ميمون وآبائه من موضع بالأهواز. ونزل عبدالله عسكر مُكَرَّم[9]، واكتسب بهذه الدعوة مالاً. وكان يتستَّر بالتشيُّع والعلم، وصار له دعاة. ثمَّ هرب من المعتزلة[10] ومَعَهُ من أصحابه الحسين الأهوازيّ.

---

(9) الشكل من المقريزي نفسه، والنسخة بخطّه، أمّا ياقوت فرسمها «مُكْرَم» بضمٍّ فسكون ففتح، ونسبها إلى بعض أتباع الحجّاج بن يوسف اسمه مكرم بن معزاء، ونسب إليها أبا هلال العسكري.

(10) نُقول المقريزي في الاتّعاظ، 29، أكثر تفصيلاً ووضوحاً: «وصار له دعاة، وظهر ما هو عليه من التعطيل والإباحة، والمكر والخديعة، فثارت به الشيعة والمعتزلة، وكبسوا داره، ففرَّ إلى البصرة...». وانظر الملاحظة الهامَّة من المرحوم الشيَّال في الهامش 4 من ص 29 من اتعاظ الحنفاء.

ونزل البصرة وقال: أنا مِن ولد عقيل بن أبي طالب، داع إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر.

فلمَّا انتشر خبرُه طلبه العسكريّون، فهرب ومعه الحسين ونزلا سلميّة من أرض الشام. فأقام بها عبدالله بن ميمون، وخفِيَ أمره حتى ولد له أحمد بن عبدالله بن ميمون القدَّاح. فقام بعد موت أبيه في ترتيب الدعوة، وبعث الحسين الأهوازيَّ داعيتَه إلى العراق فلقِيَ حمدان بنَ الأشعث قَرْمَطَ بسواد الكوفة فدعاه حتى استجاب له ـ وكان منه مذهب القرامطة على ما ذكرتُه في ترجمة أحمد بن الحسين بن أبي سعيد الجنَّابيّ من هذا الكتاب(10م).

(قال) ثمَّ ولد لأحمد بنِ عبدالله بن ميمون القدَّاح الحسينُ ومحمَّدٌ المعروف بأبي الشلعلع، وهلك(11) فخلفه ابنه الحسين في الدعوة حتّى مات. فقام بالدعوة أخوه محمد بن أحمد المعروف بأبي الشلعلع. وكان للحسين ابنٌ اسمُه سعيد تحت حجر عمّه أبي الشلعلع(12). فبعث أبو الشلعلع بأبي عبدالله الشيعيّ / وأخيه أبي العبَّاس حتى نزلا في قَبيلَتين من قبائل البربر بأرض المغرب يدعوان الناس. [212 أ]

واشتهر أمرهم بسلميّة واشتروا وصار لهم أملاك كثيرة. وبلغ السلطانَ خبرُهم فبعث في طلبهم ففرَّ سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبدالله بن ميمون القدَّاح بن ديصان الأهوازيّ الثنويّ إلى مصر وهرب إلى المغرب وصار صاحب الأمر. فلم يلبث إلَّا يسيراً حتى قَتل أبا عبدالله وتسمّى بعبَيدالله وتكنّى بأبي محمَّد وتلقَّب بالمهديّ وصار إماماً علويّاً من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر.

(10 م) انظر ترجمة الأعصم القرمطي في هذا الكتاب (رقم 40).

(11) الهالك هو أحمد بن عبدالله كما في الاتعاظ، 30: ثم هلك أحمد فخلفه ابنه الحسين..

(12) في الفهرست، 238: ولد لعبدالله بن ميمون ثلاثة بنين: أحمد ومحمد والحسين، وولد لمحمَّد ابن اسمه أحمد ولقبه أبو الشلعلع، وولد للحسين ابن اسمُه سعيد. فأبو الشلعلع هو ابن عمّ سعيد، لا عمّه كما في رواية ابن رزام التي ينقلها المقريزي هنا.

وفي الخطط، 19/2 ـ أنَّ سعيداً هو ابن أحمد بن عبدالله. وهو خطأ من النسّاخ لأن المقريزي يقول بعدها بقليل: وإنما هو سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبدالله بن ميمون القدَّاح.

(قال) وأصلهم من المجوس، وسعيد هذا الذي استولى على المغرب وتسمَّى بعبيدالله كان يتيماً بعد أبيه في حجر عمِّه محمد أبي عليّ، ويلقَّب محمد هذا بأبي الشلعلع، وكان عَلَى ترتيب الدعوة بعد أخيه يرتّب أمرَها لسعيد. فلمَّا هلك وكبر سعيد وصار على الدعوة وترتيب الدعاة والرئاسة، هرب، لمَّا ظهر أمره وطلبه المعتضد، إلى المغرب. ولمَّا هرب من سلميّة ترسّم بالتعليم ليُخفِيَ أمرَه، وكان يقول إنَّه تربّى في حجر أبي الشلعلع وأنَّه من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر. وكان يقال له «يتيم المعلّم».

[جريدة الأنساب العلويّة ببغداد]

(قال) وحدَّثني أخي أحمد بن عليّ أنَّه نظر في الجريدة الكبرى في بغداد التي فيها أنساب الطالبيّين في جميع الأقطار، فوجد فيها ذكرَ هذا الدَّعيّ الذي هرب من سلميّة إلى المغرب وخبر دعواه. وهذه الجريدة هي أبين ما في وقتنا. ولم يدَّع سعيد هذا المسمَّى بعبيدالله نسباً إلى علي بن أبي طالب إلاَّ بعد هروبه من سلميَّة، وآباؤه مِن قَبله لَمْ يَدَّعُوا هذا النسب، وإنَّما كانوا يُظهرون التشيُّعَ والعلم، وأنَّهم يدعون إلى الإمام محمد بن إسماعيل، وأنَّه حيٌّ لم يمُت. وهذا القول باطل ومكر وخديعة. وباطنهم غير ظاهرهم[13]، وليس يُعرفُ هذا القول إلاَّ لهم، وهم أهل تعطيل وإباحة، وإنَّما جعلوا عَلَقَهُمْ بآل البيت باباً للخديعة والمكر. ولم يتمَّ لسعيد أمره بالمغرب إلاَّ أن قال: «أنا من آل رسول الله». فتمَّ له بذلك الحيلة والخديعة، وشاع بين الناس أنَّه علويّ فاطميّ من ولد إسماعيل بن جعفر، وخفِي أمر مذهبه في تعطيل الباري تعالى والطعن على جميع الأنبياء، وإباحة أنفس أُممِهم وأموالهم وحرمهم[14]. وأطال من التشنيع.

---

(13) أخطأ فانيان القراءة هنا (ص 8 هامش 3) وخطَّأ ترجمة كاترمير قبله، وهي الصحيحة، وهي موافقة لما في الاتّعاظ، 34.

(14) انتهى هنا النقل عن الشريف أخي محسّن. والجملة الموالية تعليق من المقريزي.

[قول القاضي النعمان]

وقال القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد في «افتتاح الدولة الزاهرة»[15]: بدأنا بذكر صاحب دعوة اليمن وهو أبو القاسم الحسن بن الفرح بن حوشب بن زاذَان الكوفي، وتسمَّى بـ «منصور اليمن» لِما أتيح له من 212 ب] / النَّصر والظفر. وكان من بيت علم وتشيُّع، وقد قرأ القرآن وطلب الحديث والفقه على مذاهب الإماميّة الاثنَي عشريّة أصحاب محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر الصادق الذين كانوا يرون أنه المهديّ وأنَّه يظهر[16]. قال أبو القاسم: فعرضت لي فكرة يوماً في ذلك وذكرتُ قول الفهري (هزج):

ألا يا شيعةَ الحقِّ　　ذوي الإيمان والبرّ
أتتكم نصرة الله　　على التخويف والزجر
فلا تدعوا إلى الداعيـ　　ـن أهل النكث والغدرِ
فلو قد فُقِد العاشـ　　ـرُ أوْ زيدَ على العشر
لدارت عُصبُ الضرّ　　على الدائر بالشرّ
فعند الستّ والتسعيـ　　ـن قطع القول والعُذرِ
لأمرٍ ما يقول النا　　سُ: بيعَ الدرُّ بالبعرِ
وصار الجوهر المكنو　　نُ عِلقاً غيرَ ذي قدرِ
يتيمٌ كان خلف البا　　بِ فانقضَّ على الوكر[17]

ـ قوله في اليتيم ههنا رمز على المهديّ. (قال أبو القاسم) فرأيتُ الوقت

(15) هو كتاب افتتاح الدعوة المعروف. والنقل من ص 2 (طبعة الدشراوي) وص 32 (طبعة وداد القاضي).

(16) المهدي المنتظر عند الاثني عشرية هو محمد المنتظر بن الحسن العسكريّ بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، أي الثانيَ عشر من الأئمة بعد علي بن أبي طالب فالحسن فعلي زين العابدين فمحمَّد الباقر إلخ.

(17) نقل الداعي إدريس في كتابه «عيون الأخبار» ص 51 من طبعتنا «تاريخ الخلفاء الفاطميِّين بالمغرب» بيروت 1985، أبياتاً من هذه المقطوعة، وقد حاولنا هناك التعريف بالفهريّ.

قد قرب على ما قاله الفهريّ. فخرجت إلى دجلة ثمَّ أخذتُ في قراءة سورة الكهف فإذا شيخ يمشي معه رجل ما نظرتُ إلى أحدٍ يملأ قلبي هيبةً قبلَه. فجلس ناحيةً وجلس الرجلُ بين يديه. وأقبل غلام فقرب منِّي، فقلت: من أنت؟

فقال: حسينيّ.

فاستعبرتُ وقلت: بأبي الحسين المضرّج بالدماء، الممنوع من هذا الماء!

فرأيت الشيخ نظر إليَّ وكلَّم الرَّجل الذي بين يديه فقال لي الرجل: تقدّم إلينا!

فقمت وجلست بين يديه. فقال لي: مَن أنت؟

قلت: رجل من الشيعة.

قال: ما اسمُك؟

قلت: الحسن بن فرح بن حوشب.

قال: أعرف أباك من الشيعة الاثني عشريّة.

قلت: نعم.

قال: وأنتَ منهم؟

قلت: كنت على ذلك إلى أن بطل الأمر في أيدينا.

فقال: سمعتك تقرأ، فاقرأ كما كنت تقرأ!

(قال) فابتدأت من حيثُ وقفتُ حتَّى بلغتُ ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إذَا لَقِيَا غُلَاماً فَقَتَلَهُ﴾ (الكهف، 74). قال: أنت ممَّن يقول بالعدل والتوحيد؟

قلت: نعم.

قال: فمن أيِّ وَجْهِ العدل أن تُقتَل نفسٌ زاكية بغير نفس إلَّا لقوله[18]:

(18) في طبعتي الافتتاح، 36/7: إلى قوله... ونصّ المقفّى أثبت: فالاحتجاج مبنيّ على الاستثناء=

﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وكُفْراً﴾ (الكهف، 80)؟

قلت: والله لكأنّني ما قرأتُها قطّ، وإنّني إلى علم الوجهِ في ذلك لفقير.

فقال: دون ذلك سِتر رقيق.

ثمَّ تحرّك للقيام وتركني. فلمَّا غاب ندمت إذ لم أكن تبعته حتى عرفت مكانه. وعظم موقع كلامه من قلبي حتى إذا كنت في حدِّ الإياس منه، مرّ بي الرجل الذي كان معه فسلَّمت عليه وسألتُهُ عن / الشيخ، فعرَّفَني أنَّه [213 أ] الإمام[19] وجمع بيني وبينه. فصار يقوِّيني ويرمز بقرب الأمر ودنوّ العصر، ويقول في كلامه: البيت يمانٍ والركن يمانٍ والدين يمانٍ والكعبة يمانيّة، ولن يقومَ هذا الدين ويظهر أمرُه إلاَّ مِن قبَل اليمن.

ثمَّ قال لي يوماً: يا أبا القاسم، هل لك في غربةٍ في الله؟

قلت: الأمرُ إليك.

فقال: ما لليمن إلاَّ أنتَ! اصبر، كأنّي برجل يقدم من اليمن.

فقدِم رجل من أهل جيشانَ مدينة باليمن، يشار إليه، يقالُ له أبو الحسن عليّ بن الفضل، قد خرج حاجّاً في سنة ستٍّ وستّين ومائتين. فلمَّا قضى حجَّه أتى قبر الحسين بن عَليّ عليهما السلام زائراً في جملة أهل اليمن. فاجتمع برجلٍ من أصحاب الإمام فحمله إليه. فلمَّا رآه واختبر حالَه قال لأبي القاسم: «هذا الذي كنَّا ننتظره، فاعزم على اسم الله!» ودعا بعليّ بن الفضل وسأله عن أخبار اليمن وقال له: أتعرف عدَن لاعة؟

= كما فهم فانيان، أي: لا حجّة للخضر عليه السلام إلاَّ خشيتُهُ لما سيؤول إليه أمر الغلام. وما سبق أداة الاستثناء ليس من لفظ الآية وإنما هو من معناها.

(19) انظر في الافتتاح، 37 هامش 4، تلخيص وداد القاضي لمختلف الآراء في اسم الإمام، وانظر كذلك رأي برنارد لويس: أصول الإسماعيلية، 162. وقضية النسب الفاطميّ وحقيقة الإمام المستودع والإمام المستقرّ قضيَّة عويصة خاض فيها القدماء والمعاصرون. انظر إحالاتنا في كتاب المجالس والمسايرات للقاضي النعمان، تونس 1978، ص 410، هوامش 1 - 3، وفي كتاب عيون الأخبار للداعي إدريس، 246.

قال: لا.

فقال لأبي القاسم: عدن لاعة[20] فاقصد، وعليها فاعتمد، ففيها يظهر أمرُنا.

وقال لعلي بن الفضل: إنّني مرسل أخاك هذا داعياً إلى اليمن، وأنت معه.

وتقدَّم إلى كلّ واحدٍ منّا ناحيةً وأوصاه[21].

وأعطى أبا القاسم كتاباً فيه أصولٌ ورموزٌ، كان افتتاحُه: «باسم الله الرحمان الرحيم. من أبي المسلمين وأمير المؤمنين ووارث الوارثين، وسماء الطارقين، وشمس الناظرين، وقمرِ المستضيئين، وقبلة المصلّين، وأمانِ الخائفين، وقاتل إبليس اللعين، ركنِ الإسلام، وعلَم الأعلام، وقلم الأقلام، ويوم الأيّام، ونور التمام، رسالة عبدٍ مسكين يعمل في البحر منذ سنين لعلَّ سفينَته تنجو من الغرَق فينجو فيها من ينجو من العطب».

ثمَّ أفسح الكلام الذي أصَّله والمعنى الذي أراده وقال له في عهده إليه: إن لقيتَ مَن هو ألحن بالحجَّة منك، فانغمِسْ له في الباطن.

قال: وكيف ذاك؟

قال: بقطع الكلام. وتُريه أنَّ تحت ما يريد الجواب به باطناً لا يمكن ذكره، فتحتجِزُه بذلك منه إلى أن تتهيَّأ لك الحجَّة عليه.

وأوصاه بعليّ بن الفضل خيراً وتقدَّم إلى عليّ وأوصاه[22]. وودَّعَهُمَا ودعا لهما.

قال أبو القاسم: ولمَّا ودَّعت الأهل وخرجت إلى القادسيَّة سمعتُ حادياً

---

(20) عرَّفنا بعدن لاعة في ص 62 من تحقيقنا لكتاب عيون الأخبار للداعي إدريس.

(21) انتهى كلام منصور اليمن هنا. وخبر الدعوة باليمن مفصَّل في كتاب عيون الأخبار، 59 - 79.

(22) في المخطوط: وأوصاه بي، والسياق يقتضي: به، أي بمنصور اليمن ابن حوشب.

يقول (رجز):

يا حاديَ الليل مليحَ الـزجْرِ   بَشِّـر مطايـاك بضـوءِ الفجـر

(قال) فسُررت به واستحسنتُ ذلك الفأل، وَوَافَيْتُ مكّة.

[213 ب] ثمّ دخـل أبـو القـاسم / وأبـو الحسن اليمن في أوّل سنـة ثمـانٍ وستّين ومائتين. فأقاما باليمن يدعوان الناس سنَتين مُسْتَتِرَيْنِ. ثمّ ظهرت الدعوة باليمن سنة سبعين ومائتين.

قال أبو القاسم: واجتمعتُ بقوم يقال لهم بنو موسى، من الشيعة، فأخذت عليهم العهد. فقالوا لي: إنَّ لنا إخواناً من الشيعة بعدن لاعة.

فقلت: إليهَا أُرسِلتُ.

وسرت معهم فأصبت دار شيعةٍ.

وتزوَّج أبو القاسم ابنة أحمـد بن عبدالله بن خليـع [وكان] داعيـاً للمهديّ[23].

قال أبو القاسم: وبعثْتُ بكتابٍ ومالٍ كثير وطرائف وطرازٍ إلى المهديّ. فلمّا وصل إليه وقرأ الكتاب، تمثّل بهذه الأبيات (رجز):

الله أعـطاك التي لا فـوقهـا   وكم أرادوا منعهـا وعـوقَهـا

عنك، ويأبى الله إلاّ سَـوقَها   إليك، حتى طوّقُوكَ طَوْقَهَا[24]

وفشا أمر الدعوة باليمن، وابتنى أبو القاسم حصناً[25] بجبل لاعة وملك

---

(23) أوقع سقوط «كان» فانيان في الخطإ ففهم أنَّ تزوّج منصور اليمن بابنة ابن خليع كان القصدُ منه حملَ أبيها على الدخول في الدعوة. وقد اختصر المقريزي كلام النعمان وفيه ذكر لوفاة ابن خليع في حبس اليعفري بسبب الدعوة.

(24) البيتان لكثيّر عزّة (ديوانه، نشر إحسان عبّاس بيروت 1971، 535).

(25) في عيون الأخبار، 70، هو حصن «عبر محرم».

صنعاء وفرَّق الدعاة في نواحي اليمن وإلى سائر البلدان إلى اليمامة والبحرين والسِّند والهند وناحية مصر والمغرب.

[قول ابن شدَّاد الصنهاجي]

وقال الأمير عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن شدَّاد بن تميم بن المعزّ ابن باديس الحِمْيَري في كتاب «الجمع والبيان في أخبار القيروان ومن كان فيها وفي سائر المغرب من الملوك والأعيان»: أول من أظهر الزندقة في الإسلام أبو الخطَّاب[26] محمد بن أبي زينب مولى بني أسد، وأبـو شاكـر ميمون بن ديصان بن سعيد الغضبان صاحب كتاب «الميدان» في نصرة الزندقة، وأبو سعيد... [27] من أهل رامهرمز من كورة الأهواز، وكان من خُرَّمِيَّة المجوس. فَأَلْقَى هَؤُلَاءِ إلى مَنْ اختصُّوا به أنَّ لكلِّ شيءٍ من العبادات باطناً، وأنَّ الله ما أوجب على أوليائه ومَن عرفَ الأئمَّة والأبواب[27م] صلاةً ولا زكاة ولا صوماً ولا حجّاً، ولا حرَّم عليهم شيئاً من المحرّمات، وأباح لهم نكاح الأمَّهات والأخواتِ. وقال: إنَّما هَذه العبادات عذابٌ على الأمَّة وأهل الظاهر، وهي ساقطة عن الخاصَّة، وإنَّ آدم وجميعَ الأنبياء كذَّابون محتالون طلَّاب الرئاسة. ولمَّا كان في أيّام بني العبَّاس اشتدَّت شوكتُهم مع أبي الخطَّاب وأصحابه لانتحالهم التشيُّع لبني هاشم، وحماهُم بنو العبَّاس. فلمَّا قامت البيِّنة عليهم في الكـوفـة، وأنَّ أبـا الخـطَّاب أسقط العبـادات / وحلَّل المحـرَّمـات، [214 أ]
أخذه عيسى بن موسى الهاشميّ مع سبعين من أصحابه فضرب أعناقهم.

---

(26) في خصوص الخطَّابيّة. انظر: المجالس والمسايرات، 84. وعيون الأخبار، 73. واتِّعاظ الحنفاء، 48، هامش4 .

(27) بياض بالأصل، وقال فانيان: لعلَّه حسن بن بهرام الجنَّابي. ولكنَّ الجنَّابي لا ينسب إلى رامهرمز. وفي الاتعاظ، جاء عنوان كتاب ميمون بن ديصان: كتاب الميزان. وينقل ابن الأثير أيضاً عن ابن شدَّاد (الكامل، 126/6) ولا يذكر أبا سعيد هذا، ولم يذكره المقريزي في الاتعاظ، 50.

(27 م) البـاب مصطلح إسماعيليّ يعيّن مرتبةً عاليةً في الدعوة.

وتفرَّق باقيهم في البلاد فصار منهُم جماعة في نواحي خراسان والهند وصار أبو شاكر ميمون [بن ديصان] بن سعيد الغضبان إلى بيت المقدس مع جماعة من أصحابه وأخذوا في تعليم الشعبذة والنارنجات ومعرفة الزَّرَق[28] وصفة النجوم والكيمياء، وإظهار الزهد والورع. ونشأ لأبي شاكر ميمون ابنٌ يقال له عبدالله القدَّاح، وعرَّفه هذه النحلة وإظهار التشيُّع. وكان قد ثار في أيّام المأمون مع إسحاق بن إبراهيم بن مصعب وادَّعوا التشيُّع في الكَرَج[29] وفي أصبهان. وكان من جملتهم رجل يُعرف بمحمَّد بن الحسين بن جهار لختان[30] ويلقَّب بديدان، وكان بنواحي الكَرَج وأصبهان له حال واسعة، وكان يبغض العرب. وسمع عبدالله بن ميمون القدَّاح به فسار إليه. وكان عبدالله يتعاطى الطبَّ وعلاج العين ويقدحُ[31] الماءَ النازل بها، ويُظْهر أنَّه يفعل ذلك حسبةً وقربةً إلى الله تعالى، فطار له بهذا اسم في نواحي أصبهان والجبل. وسمع به ديدان فأحضره، وأظهر له عبدالله مساوِئَ العرب فأحبَّه، وأخذ منه مالاً عظيماً. وخرج عبدالله القدَّاح إلى سواد الكوفة ومعه المال، وبثَّ الدعاة، ومات. وقام ابنه أحمد مقامه وبثَّ الدعاة، واستدعى رجلاً من أهل الكوفة يقال له رستم أبو الحسين بن الكرخين بن حوشب ابن زادان النجار، وكان

---

(28) الزَّرَقُ مفرده: زَرْقة وهي «خرزة يُؤخَّذُ بها الرجال. والتأخيذ: حبسُ السواحرِ أزواجهُنَّ عن غيرهنَّ من النساء» (اللسان: زرق وأخذ). وفي الكامل، 126/6: والزور عوض: والزرق.
أمَّا النارنجات أو النيرنجات كما في الفهرست لابن النديم، ص 373 فهي أعمال السحر والطلاسم. وفي اللسان (نرج): «النِّيرَجُ: أُخَذٌ تُشبهُ السِّحر، وليست بحقيقتِهِ. والأخذَةُ: رقيةٌ أو خرزة توخّذ بها النساءُ الرجالَ».

(29) في الأصل: الكرخ. والصحيح: الكَرَج بفتحتين والجيم التحتيّة، وهي، حسب ياقوت، مدينة بين أصبهان وهمذان. وهي قراءة فانيان والشيّال.

(30) في المخطوط: جهان بحبار، بدون تنقيط. وأخذنا بقراءة برنارد لويس: أصول. . . 158 حيث قال إنَّه اسم فارسي غريب عن المؤلِّفين العرب، وأنَّه اسم الرجل الذي مَوَّلَ الحركة الباطنيَّة.

(31) «قدَح الطبيبُ العينَ: لخرج منها الماء المنصبُّ إليها من الداخل». وهذا التفسير الحرفيّ لصفة «قداح» يخالف التفسير «الباطني» الذي يدلي به المعزّ في المجالس والمسايرات، 411: «هُوَ الميمون المبارك السعيد، قادح زناد الحقِّ، موري نور الحكمة». وقد قالوا أيضاً: القدّاح هو باري القِداح، أي السهام.

هذا الرجل من الإماميَّة يقول بإمامة موسى الكاظم بن جعفر الصادق، فنقله إلى القول بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق. وكانوا يرصدون مَن يرد المشاهد بالعراق وكربلاء، فمن كان لهم فيه طمع استدعَوه. وورد عليهم أبو الحسن محمد بن الفضل[32] من أهل جيشان من أرض اليمن فدخل، وهو يبكي، على الحسين بن علي رضي الله عنه، فصبَروا عليه حتَّى خرج من زيارته، وأخذ الداعي بيده فقال له: قد رأيتُ ما كان منك من البكاء والقلق على صاحب هذا القبر. فَلَوْ أدركتَه ما كنت تصنع؟

قال: كنت أجاهد بين يديه وأبذل مالي ودمي دونه.

فقال: أتظنّ أنَّه ما بقي لله حجَّة[32م] بعد صاحب هَذا القبر؟

قال: بلى، ولكن لا أعرفه بعينه.

قال: فتريده؟

قال: أي والله.

فسكت عنه الداعي. فقال له: ما قلتَ لي هذا القول إلَّا وأنت عارفٌ به.

فسكت / الداعي، فقوي ظنّ ابن الفضل بأنَّ الرجل يعرف الإمام والحجَّة، فألحَّ عليه، فقال له: دعني أفكِّر، واطلبْ واصبِر ولا تعجل، وأَقِم، فإن هذا الأمر لا يتمُّ بالعجلة، ولا بدَّ له من صبر. [214 ب]

(قال) فمضى الداعي إلى ابن القدَّاح وعرَّفه حال ابن الفضل فأخذه وجمع بينه وبين أحمد ابن القدَّاح. وكان أحمد أبداً يقول للحسن بن حوشب[33]: «هل لك في غربة في الله؟» فيقول: «الأمر إليك يا سيِّدي».

---

(32) هو علي بن الفضل الجيشاني الذي مرَّ ذكره في كلام النعمان، ص، وكنية «أبو الحسن» ـ أو أبو الحسين كما في المخطوط ـ أوفق لعليّ منها لمحمَّد.

(32 م) الحجَّة: مصطلح إسماعيلي آخر بمعنى: الخليفة والنائب والوصيّ.

(33) في المخطوط: للحسين، وهو الحسن بن فرح بن حوشب كما مرَّ.

فلمَّا اجتمع بابن الفضل، قال له: «قد جاء [ما] كنت تريد يا أبا القاسم: هذا رجل من أهل اليمن، وهو عظيم الشأن كثير المال ومن الشيعة، وقد أمكنك ما تريد، وثمَّة خلق من الشيعة فاخرج وعرِّفهم أنَّك رسول المهديّ، وأنَّه في هذا الزمان يخرج من اليمن، واجمع المال والرجال، والزم الصوم والصلاة والتقشُّف». وجمع بينه وبين ابن الفضل وأخرجه معه وقال: «يا أبا القاسم، الزم الباطن وقل: لكلِّ شيءٍ باطن. وإن ورد عليك شيء لا تعلَمُه فقل: لهذا من يعلَمُه وليس هذا وقت ذكره».

وخرجا إلى أرض اليمن، ونزل ابن حوشب بعدن، وفيها قوم يُعرفون ببني موسى، وخبرهم عند ابن القدَّاح. فلمَّا قدِم ابن حوشب اجتمعوا به وقالوا له: أنت رسول المهديّ ونحن إخوانُك.

ولم يزل ابن حوشب يقوى وأخباره تردُ على مَن بالكوفة من الإماميَّة فيبادرون إليه ويقول بعضهم لبعض: دار الهجرة. فكثر عددهم واشتدَّ بأسهم. وكانوا قد نفَّذوا إلى المغرب رجلين أحدهما يعرف بالحلوانيّ والآخر يعرف بأبي سفيان. وتقدَّموا إليهما بالوصول إلى أقاصي المغرب والبعد عن المدُنِ والمنابر، وقالوا لهما: ينزل كل واحدٍ منكما بعيداً عن صاحبه وقُولا: قد قيل لنا: اذهبا فالمغرب أرضٌ بور فاحرُثاها واكرُباها[34] حتى يجيء صاحب البذر. فنزل أحدهما بأرض كتامة بمدينة تسمَّى مرمجنّة، والآخر بسوجمـار[35]، فمالت قلوب أهل تلك النواحي إليهما. وماتَا على قرب بينَهُما.

فقال ابن حوشب لأبي عبدالله الحسين بن أحمد بن زكريا الشيعيّ - وقد كان هاجر إلى ابن حوشب - : «يا أبا عبدالله، أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلوانيّ وأبو سفيان، وقد ماتا، وليس لها غيرك. فبادِرْ فإنَّها موطَّأةٌ ممهَّدة لك!» فخرج أبو عبدالله.

---

(34) كرب الأرض (باب نصر): حفرها وقلبها.

(35) سوق حمار في المخطوط. وقد عرَّفنا بسوجمار في عيون الأخبار، 85.

فذكر[36] قدومَه إلى أرض المغرب مع كتامة وإقامة دعوة عبيدالله بها.

(قال) وكان ولد عبدالله بن ميمون القدَّاح لمَّا قويَ أمره وكثرت أمواله ومات عبد الله/ ادَّعَوا أنَّهم من ولد عَقيلِ بن أبي طالب وهم مع هذا يستتِرون [215 أ] ويُخفون أشخاصهم ويغيّرون أماكنهم وأسماءَهم وأسماء دُعَاتِهم. وكان لعبدالله القدَّاح جماعة من الولد فَخَلَفَه منهم أحمد. ومات أحمد فخلفه محمَّد. وكان لمحمَّد ولدان: أحمد والحسين. فمات أحمد، وهو الذي نفَّذ ابن حوشب وابن الفضل إلى اليمن. وصار الحسين إلى سلميّة من أرض حمص وله بها أموال من ودائع جدّه عبدالله القدّاح ووكلاءُ وغلمان وأتباع. وبقي ببغداد من أولاد القدَّاح أبو الشلعلع وكان مؤدَّباً بآداب الملوك. وكان الذي بسلميّة يدَّعي أنَّه الوصيّ وصاحب الأمر دون بني القدّاح ويكاتب الدعاة.

واتَّفق أنَّه جرى بحضرته حديث النساء بسلميّة. فوصفوا امرأةَ رجل يهوديّ حدَّاد، مات عنها زوجُها، وهي في غاية الجمال. فقال لبعض وكلائه: زوّجني بها.

فقال: يا سيِّدي، هذه فقيرة ولها ولد.

فقال: ما علينا من الفقر! زوِّجني بها وأرغِبها وابذل لها ما شاءت.

فتزوّجها وأحبّها وحسُن موقعُها منه. وكان ابنُها يماثلها في الجمال فأحبّه وأدَّبه وعلَّمه وأقام له الخدم والأصحاب. فمِن العلماء من أهل هذه الدعوة من يقول إنَّ الإمام الذي كان بسلميّة من ولد القدّاح مات ولم يكن له ولد، فعهد إلى ابن اليهوديّ الحدَّاد وهو عبيدالله وعرَّفه أسرار الدعوة وأين الدعاة وأعطاه الأموال والعلامات، وتولّى[37] على الأعمال وتقدّم إلى وكلائه بطاعتِه وأنّه

(36) أي: ابن شدَّاد.

(37) هكذا في المخطوط. ولعلَّها: «وولاّه» كما ترجم فانيان. وقد سقطت الجملة من ابن الأثير، 128/6.

الإمام وزوّجه ابنة عمّه أبي الشلعلع محمد بن أحمد[38]. وهذا قول أبي القاسم الأبيض العلويّ[39] وغيرِه من العلماء بهذه الدعوة ورواةِ أهلها. وبعض الناس ـ وهو قليل ـ يقولون: لا، ولكن عبيد الله هذا من ولد القدّاح.

[تبرّؤ المقريزي ممّا ينقله]

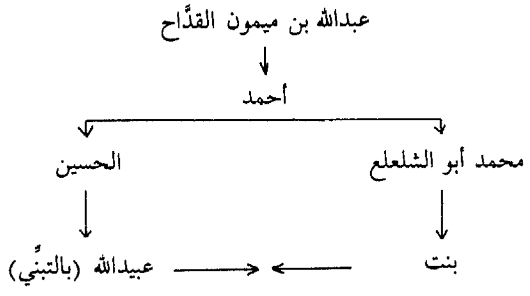
قال كاتبه[40]: أنا أستغفر الله ممّا سطّرتُه، وما زادنا هذا الأمير عز الدِّين على أن جمع إلى قول الشريف العابد أخي محسّن قولَ القاضي أبي حنيفة النعمان سوى التشنيع وإيراد هذا الزور والإفك الصريح الذي يكفي من الردِّ عليه حكايته.

[قول ابن الأثير]

وقال الإمام عز الدِّين أبو الحسن علي بن أبي بكر محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد بن الأثير الشيبانيّ الجزريّ في كتاب الكامل في التاريخ[41]: أبو محمد عبيدالله، قيل: هو ابن محمد بن عبدالله بن ميمون

---

(38) الشجرة هنا تتمثل على هذه الصورة:



فالبنت هي ابنة عمّه فعلاً.

(39) أبو القاسم الأبيض العلويّ: ذكره ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة، 75/4 وقال إنّه من أهل الدعوة.

(40) كاتبه، أي المقريزي، وهي العبارة نفسها التي يستأنف بها كلامه في الاتّعاظ.

(41) الكامل، 124/6 (سنة 296).

[بن] محمد بن إسماعيل بن جعفر، يعني الصادق، ومَن ينسبه هذا النسب يجعل عبدالله هو عبدالله بن ميمون القدَّاح الذي تنسب إليه القدَّاحيّة.
/ وقيل: هو عبيد الله بن أحمد بن إسماعيل الثاني بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق. وقد اختلف العلماء في صحَّة نسبه. فقال هو وأصحابُه القائلون بإمامتِه إنَّ نسبه صحيح على ما ذكرناه، ولم يرتابوا فيه. وذهب كثير من العلماء بالأنساب إلى موافقتهم أيضاً. ويشهد بصحَّة هذا القول ما قاله الشريف الرضيّ: ما مقامي على الهوان... الأبيات (وذكر القصَّة). [215 ب]

قال كاتبُه: ذكر أبو الحسين الصابي وابنُه غرس الدولة محمد[42] في تاريخهما ما ذكره ابن الأثير ممَّا نقله عنهُما، فَأَحْبَبْتُ أن أنقلَه من الأصل الذي أخذ منه ابن الأثير، فإنَّه أتمُّ وأبسطُ، ثمَّ أرجع إلى تمام قول ابن الأثير.

[قول الصابي وابنه]

قال الصابي: إنَّ القادر بالله عقد مجلساً أحضر فيه الشريف الطاهر أبا أحمد الحسين بن موسى[43] بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر، يعني الصادق، وابنَه أبا القاسم علي المرتضى، وجماعة من القضاة والشهود والفقهاء، وأبرز إليهم أبيات الشريف الرضيّ أبي الحسين محمد بن أبي أحمد الحسين التي أوَّلها (خفيف):

ما مقامي على الهوان وعندي   مِقْوَل صارم وأنفٌ حمِيّ

---

(42) الصابي: هو هلال بن المحسِّن الصابي (ت 448)، مؤرِّخ له: تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، وذيل تاريخ ثابت بن سنان.
وابنه: هو غرس النعمة ـ لا الدولة ـ محمد بن هلال (ت 480) له كتاب عيون التواريخ، وهو يواصل تاريخ أبيه، على الصورة التي واصل بها أبوه تاريخ ثابت بن سنان، وواصل بها ثابت تاريخ الطبري، فيكون التسلسل: الطبري حتى سنة 302، ثابت حتى 360 وهلال الصابي حتى 448 وغرس النعمة حتى 479 (انظر الزركلي 357/7 و 94/9).
(43) هو نقيب العلويّين ببغداد ووالد الشريفين الرضي والمرتضى ـ ت 1010/400.

وإبـاءٌ محلِّقٌ بي عن الضيـ   ـم كما راغ طـائـر وحشيّ
أيُّ عذر له إلى المجد إن ذَ   لَّ غلام في غمده المشرفيّ
أحمل الضيمَ في بلاد الأعادي   وبمصـر الخليفـةُ العلَويّ
من أبـوه أبي ومـولاه مـولا   يَ، إذا ضامني البعيد القصيُّ
لفّ عِرقي بعرقـه سيّدا النا   سِ جميعـاً: محمـد وعليّ
إنّ جوعي بذلك الرَّبع شبع   وأُوامي بـذلـك الـظلّ ريّ
مثل من يركب الظلام وقـد أقْـ   ـمَرَ من خلفه هلال مضيّ(44)

وقال الحاجب للنقيب أبي أحمد: قل لولدك محمد: أيّ ذلّ أصابه في مملكتنا؟ وما الذي يعمل معه صاحب مصر لو مضى إليه؟ أكان يصنع إليه أكثرَ من صنيعِنَا؟ ألم نُولِهِ النِّقابةَ؟ ألم نستخلِفْهُ على الحرَمين والحجاز، وجعلناه أميرَ الحجيج؟ فهل كان يحصل له من صاحب مصر أكثرُ من هذا؟ ما نظنُّه كان يكون لو حَصل عنده إلاَّ واحداً من أفناءِ الطالبيّين بمصر.

فقال النقيب أبو أحمد: أمَّا هذا الشعر، فممَّا لم نسمَعْه منه ولا رأيناه بخطِّه، ولا يبعد أن يكون بعض أعدائه / نحله إيّاه وعزاه إليه. [216 أ]

فقال القادر: إن كان كذلك فليُكْتَب الآن محضر يتضمَّن القدحَ في أنساب ولاة مصر ويكتب محمد خَطَّه فيه.

فكُتب محضر بذلك شهد فيه جميع من حضر المجلس، منهم النقيب أبو أحمد، وابنُه المرتضىَ. وحُمِل المحضر إلى الشريف الرضيّ ليكتبَ فيه

(44) ديوان الشريف الرضي، طبعة صادر 576/2. وفي البيت الثاني: ذا إباء، والتصويب من الديوان، وفي البيت السابع، رواية الديوان: إن ذلّي بذلك الجوّ عزّ، والنقع عوض الظلّ، وفي البيت الأخير، في المخطوط: وقد أثرى ومن خلفه.. فأخذنا بقراءة الديوان. هـذا وقد نقل المقريزي في الاتعاظ، 43 وابن الأثير في الكامل 124/6 الأبيات 1، 4 - 7.
وفي الديوان ثلاثة أبيات زائدة على رواية المقفى، بين البيت السابع والبيت الحادي عشر:
قـد يـذلّ العـزيـز مـا لم يشمِّـرْ   لانـطلاقٍ، وقـد يـضـام الأبـيُّ
إنَّ شـرّاً عـليَّ إسـراعُ عـزمـي   في طـلابِ العلى، وحظّي بـطيُّ
أرتـضي بـالأذى، ولـم يقـف العـز   مُ قـصـوراً، ولـم تـعـزَّ الـمطي

خطّه، حملَه أبوه وأخوه. فامتنع وقال: «لا أكتب، وأخاف دعاة صاحب مصر». وأنكر الشعر وكتب خطّه أنّه ليس بشعره ولا يعرفُه. فأجبره أبوه على أن يسطّر خطَّه في المحضـر، فلم يفعل وقـال: أخافُ دعـاةَ المصريّين وغيلَتُهم، فإنهم معروفون بذلك.

فقال أبوه: يا عجباهُ! تخاف مَن بينك وبينه ستّمائة فرسخ، ولا تخاف مَن بينك وبينه مائة ذراع!

وحلف ألاَّ يكلِّمه، وكذلك المرتضى، فَعَلا ذلك تقيّةً وخوفاً من القادر، وتسكيناً له، وبعد ذَلك صرفَه عن النِّقابة وولاَّها محمد بنَ عمر النهرسابسي.

[عود إلى ابن الأثير]

قال ابن الأثير عن أبيات الرضيّ التي ذكرت: «وإنَّما لم يودعها في ديوانه خوفاً؛ ولا حجَّةَ فيما كُتب في المحضر المتضمِّن القدح في أنسابهم، فإنَّ الخوف يحمل على أكثر من هذا. على أنَّه قد ورد ما يصدِّق ما ذكرته[45]». فذكر معنى ما تقدَّم عن الصابي وقال: «ففي امتناع الرضيّ من الاعتذار ومن أن يكتب خطّه بالطعن في نسبهم مع الخوف دليل قويّ على صحَّة نسبهم. (قال) وسألت جماعة من أعيَان العلويّين عن صحَّة نسبِه فلم يرتابوا في صحَّته. وذهب غيرهم إلى أنَّ نسبه مدخول ليس بصحيح وتعدَّت طائفة منهم فجعلوا نسبه يهوديّاً. وقد كتب في أيّام القادر محضر يتضمَّن القدح في نسبه ونسب أولاده، فكتب فيه جماعة من العلويّين وغيرهم أنَّ نسبه إلى علي بن أبي طالب غير صحيح. (قال) وجعل القائلون بصحَّة نسبه أنَّ العلماء ممَّن كتب المحضر إنَّما كتبوا خوفاً وتقيّة، ومن لا علمَ عنده بالأنساب فلا احتجاجَ بقوله. وذكر معنى ما قاله الأمير عز الدين بن عبد العزيز في تاريخ القيروان على ما تقدَّم ذكره إلى أن قال حكاية نكاح امرأة الحدَّاد اليهوديَّة وأنَّ عبيدالله

(45) الكامل، 125/6.

ابنُ الحدَّاد اليهوديّ: فقال ابن الأثير[46]: «وهذه الأقوال فيها ما فيها. فيا ليت شعري، ما الذي حمل أبا عبد الله الشيعيّ / وغيره ممَّن قام في [216ب] إظهار هذه الدعوة، حتى يُخرجوا الأمر من أنفسهم ويُسلموه إلى ولدِ يهوديّ؟ وهل يسامح نفسَه بهذا إلاَّ مَن يعتقده ديناً يُثاب عليه؟».

[قول القاضي عبد الجبَّار]

وقال القاضي عبد الجبَّار البصري[47] في أواخر كتاب تثبيت نبوَّة رسول الله (صلعم): إنَّ أوَّل من قام بدعوة الفاطميِّين بالغرب المهديّ، وكان اسمه سعيداً، وأبوه يهوديّ حدَّاد من أهل سلميّة من أرض الشام. وذكر عنه أنَّ دعاتَه في البلاد يأخذون على الناس أنَّه رسول الله وحجَّة الله. ومنهم من يلقي إليه أنَّه الله الخالق الرازق. وكان إذا ضجَّ الناس من هذا وظهر منهم الإنكار يأخذ الدعاة فمرَّة يحبس بعضهم، ومرَّة يقتلهم ويقول: ما أمرتُ بهذا، ويقول الدعاة: هو أمرنا[48].

[قول الباقِلاّني]

وقال القاضي أبو بكر محمد بن الباقلاَّني[49] في كتاب «الأسرار الباطنيَّة»: إنَّ أوَّل من وضع هذه الدعوةَ طائفة من الفرق المخالفة لملَّة

(46) الكامل، 129/6.

(47) القاضي عبد الجبَّار (ت 1025/415) الفقيه الشافعيّ والمتكلِّم المعتزليّ، صاحب كتاب «تثبيت دلائل نبوَّة سيدنا محمد» الذي يناقش فيه آراء الفرق الأخرى ولا سيَّما الشيعة (دائرة المعارف الإسلامية والأعلام، واسمه فيهما: عبد الجبَّار بن أحمد).

(48) فهم فانيان أنَّ الدعاة يقتلون من أنكر دعواهم. والمنقول عن القاضي هنا يختلف عمَّا نقله عنه ابن تغري بردي في النجوم، 75/4.

(49) الباقلاني (ت 1013/403) هو المتكلِّم الأشعري المعروف والفقيه المالكي صاحب «إعجاز القرآن» و«التمهيد» في الجدل والكلام. قال في الديباج المذهب، 267: «لقّب بشيخ السنَّة ولسان الأمَّة... وإليه انتهت رئاسة المالكيّين في وقته». وكتابه «كشف أسرار الباطنيَّة» سمَّاه الشيَّال، اتعاظ 43 هامش 2: «كشف الأسرار وهتك الأستار» وقال إنَّه لم يصلنا.

الإسلام من المجوس وأبناءِ الأكاسرة وأصحاب الممالك من الفرس، والباعث لهم على ذلك سلب ملكهم والقدح في دينهم وقمع باطلهم بثبوت الإسلام، فلمَّا خافوا من تطاول ذلك أعمَلُوا رأيهم واتَّفقوا على وضع دعوة تُدخل الشبهة على عوَّام الناس ومن لا علمَ عنده. فيقال إنَّ أوَّلَ مَن وضَع ذلك، الهرمزان الذي واضع أبا لؤلؤة على قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه. ثمَّ ظهر أمرها في زمن أبي مسلم الخراسانيّ، ثمَّ ما كان في زمن المعتصم من الأفشين وقتله[50]. وكان من رأي الأوائل منهم أنَّهم اتَّفقوا على تقديم رجلٍ منهم وضمنوا له النصرة والإمداد بالمال. فجعلوه في رجل يعرَف بعبد الله بن ميمون بن عمرو القدَّاح الأهوازي، وذلك في سنة عشرٍ ومائتَين، وكان حاذقاً مشعوذاً فأظهر الورع والزهد، وكان يتَّخذ رجالاً يشبهون خلقته ويأمرهم بالحجِّ وإظهار أنفسهم لمن يعرفونه، ويستتر هو مدَّة أيَّام الحجِّ، ثم يظهر ويخبر أنَّه حجَّ مع الناس، فإذا رجع المشاهدون لأمثاله اعتقدوا صدقَه وأنَّه حجَّ وعاد إلى وطنه وطُوي له البعيد.

واختلف في جدِّ القدّاح فقيل: هو ديصان أحد الثنويّة. وقيل: إنَّ الطائفة الميمونيّة، وهم غلاة من الرافضة، يُنسَبون إلى والد هذا عبد الله ابن ميمون. وقد اتَّفق الكلُّ على أنَّ / القدَّاح ليس من ولد علي بن أبي [217 أ]
طالب رضي الله عنه وأنَّه دعيّ. وكان من دعواهم الكاذبة أن قالوا إنَّ جعفر ابن محمد الصادق لمَّا انقلَب روحانياً استخلف لتميم، يعني المعزّ لدين الله، دورة سبعة[51] وهم: عبدالله بن ميمون القدّاح.

(50) فهم فانيان أنَّ المقتول هو بابك الخرَّمي. ومعلوم أنَّ الأفشين قائد المعتصم العبَّاسي اتُّهم بالزندقة وقتل سنة 841/226.

(51) هذه الجملة غامضة. وقد فهمها فانيان على هذا النحو: «جعفر الصادق انقلب روحانياً ثمَّ وصل إلى تميم، أي المعزّ لدين الله، بعد أن مرَّ بسبعة أشخاص على التوالي، وهو...» ولاحظ أن السبعة ينقصهم واحد، ولكنَّه وهم في عبارة «ظهور السابع» فظنَّ أنه الإمام السابع واسمه عبد الظهور. وفي خصوص هذا التسلسل السباعي في دور الستر، انظر ما كتبه برنارد لويس: أصول... 160 وما يليها.
والسلسلة عند الباقلّاني تختلف عنها عند ابن شدَّاد (انظر أعلاه: هامش 38):

وابنه محمد بن عبدالله بن ميمون.

وابن ابنِه أحمد بن محمد بن عبدالله.

وسعيد بن الحسين بن أحمد وهو الذي يقال له عبيدالله صاحب برقة والقيروان، وهو سعيد بن الحسين بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن ميمون القدَّاح، استخلفه أحمد بن محمد عند وفاته.

ثمَّ أبو القاسم عبد الرحمان.

وعند ظهور السابع تقوم القيامة.

ولمَّا شرع القدَّاح في إقامة الدعوة كان ببغداد ثمَّ هرب إلى البصرة فطُلب، فهرب إلى الشام واستقرَّ بسلميّة ومات بها، وخلف ابنه محمد فخرج يريد العراق فاكترى بقرة من بقَّار اسمه قرمط بن الأشعث فدعاه إلى رأيه فأجابه وصار داعيةً لهم ودعا أهل قريته فسُمُّوا قرامطة.

وقال[52] بعض من لا يتَّقي الله إنَّ أبا عبدالله الشيعيّ لمَّا زحف بعساكره على مدينة سجلماسة ليُنقذ المهديّ من سِجن اليَسَع بن مدرار، قتل اليسعُ

= عبدالله بن ميمون
↓
محمد
↓
أحمد
↓
[الحسين]
↓
سعيد
↓
عبد الرحمان القائم

بجعل محمد بين عبدالله وأحمد أوّلاً، وبإسقاط الحسين من الإمامة ثانياً، فيكون السبعة المقصودون في كلام الباقلاني هم الخمسة المذكورون هنا ـ بإسقاط الحسين ـ وينضاف إليهم جعفر الصادق رأس السبعة والمعزّ خاتمهم.

(52) هذا كلام المقريزي حسب الظاهر، فإنَّه يستقبح القول الآتي.

المهديَّ في السجن وهرب من سجلماسة، فدخل أبو عبدالله الشيعي فوجد المهديّ مقتولاً، وعنده رجل من أصحابه كان يخدمه، وخاف أبو عبدالله أن ينتقض عليه ما دبَّره من الأمر إن ظهر أنَّ المهديّ قد قُتل، فأخرج الرجلَ الذي كان يخدم المهديَّ وقال: هذا هو المهديُّ.

قال كاتبه: قد جمع قائل هذه الكذبة مع قلَّة الدين عدمَ المبالاة بالانتقاد عليه: فإنَّ من قول كل أحدٍ أنَّ المهديَّ لمَّا سجن بسجلماسة كان ابنُه أبو القاسم معه. فما الذي حمل أبا عبدالله على العدول عن ابن المهديّ، الذي استباح سفكَ دماء عددٍ من الخلق لا يحصيهم إلاَّ خالقهم تقرُّباً إلى الله تعالى في نصرته، وإلى[53] أن يترك ابنَه، وقد قُتل أبوه، ويُسلم أمرَ الملك العظيم إلى رجلٍ دعيٍّ؟ فلو أنصف قائل هذا الإفك نفسَه لما قال قولاً يظهر فسادُه من غير تأمُّل.

[قول ابن خلدون]

والذي يَظهر، أنَّ هذه الأقوال موضوعة لم يَقُلها أحد بل افتراها أعداء القوم ونشروها في الناس لينفِّروهم عنهم. وقد قال شيخنا العلاَّمة أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن خلدون رحمه الله في كتابِه الذي سمَّاه «العِبَر وديوان المبتدإ والخَبر»: ومن الأخبار[54] الواهية ما يذهب إليه الكثير من المؤرخين / في العبيديّين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة، من [217 ب] نفيهم عن أهل البيت والطعن في نسبهم إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، يعتمدون في ذلك على أحاديث لُفِّقت للمستضعفين من خلفاء بني العبَّاس، تزلُّفاً لهم بالقدح فيمن ناصبهم، وتفنُّناً في الشمات بعدوِّهم حسب ما نَذكر [من] بعض هذه الأحاديث في أخبارهم، ويغفلون عن التفطُّن لشواهد الواقعات وأدلَّة الأحوال التي اقتضت خلاف ذلك من تكذيب دعواهم والردِّ

(53) في الأصل: في نصرة المهدي إلى أن يترك... وآثرنا تقويم التركيب بالضمير العائد في الجملة الموصولة إلى المهديّ، وبالعطف على: حمل على العدول...

(54) مقدِّمة ابن خلدون: المقدِّمة في فضل علم التاريخ، ص 22.

عليهم. فإنَّهم متَّفقون في حديثهم عن مبدإ دولة الشيعة أنَّ أبا عبدالله المحتسب لمَّا دعا بكتامة للرضيّ من آل محمد (صلعم) واشتَهَرَ خبرُه وعُلِم تحويمه على عبيدالله المهديّ وابنه أبي القاسم، خشِيا على أنفسهما فهربا من المشرق محلّ الخلافة واجتازا بمصر، وأنَّهما خرجا من الإسكندرية في زيٍّ التجَّار، ونمى خبرُهما إلى عيسى النوشريّ عامل مصر والإسكندريّة، فسرَّح في طلبهما الخيالة، حتى إذا أدركا خفِي حالُهما على تابعِهما بما لبّسوا به من الثياب[55] والزيّ فأقبلوا إلى المغرب، وأنَّ المعتضد أوعز إلى الأغالبة أمراء إفريقيّة بالقيروان وبني مدرار أمراء سجلماسة بأخذ الآفاق عليهما وإذكاء العيون في طلبهما، فعثر اليسع صاحب سجلماسة على خفيّ مكانهما ببلده واعتقلهما مرضاةً للخليفة. هذا قبلَ أن تظهر الشيعة على الأغالبة بالقيروان. ثم كان بعد ذلك ما كان من ظهور دعوتهم بإفريقية والمغرب ثمَّ بمصر والشام والحجاز، وقاسموا بني العبَّاس في ممالك الإسلام وكادوا يلجون عليهم مواطنهم ويديلون[56] من أمرهم. ولقد أظهر دعوتهم ببغداد وعراقِها الأميرُ البساسيري من موالي الديلم المتغلِّبين على خلفاء بني العبَّاس في مغاضبة جرت بينه وبين أمراء العجم، وخطب لهم على منابرها حولاً كَريتاً[57]. وما زال بنو العبَّاس يغصُّون بمكانهم ودولتهم، وملوك بني أميَّة وراء البحر ينادون بالويل والحَرَب منهم. وكيف يقع هذا كلُّه لدعيّ في النسب مكذَّب في انتحال الأمر؟ واعتبرْ حال القرمطيّ إذ كان دعيّاً في انتسابه كيف تلاشت دعوتُه وتفرَّق أتباعه فظُهر سريعاً على خُبثهم ومَكرهم فساءت عاقبتهم وذاقوا وبال أمرهم. ولو كان أمر العبيديّين كذلك لعُرِف، ولو بعد مهلةٍ (طويل):

فمهما يكن عند امرىء من خليقة وإن خالها تخفى على الناس، تُعْلَم[58]

(55) في المقدِّمة: من الشارة والزيّ.

(56) في المقدِّمة: ويزالون.

(57) حولاً كريتاً: أي سنة كاملة العدد. وفي المقدِّمة: حولاً كاملاً. وتغلَّب البساسيري على بغداد وأمصار العراق من ذي القعدة 450 إلى أواخر 451 (انظر دائرة المعارف الإسلامية، فصل: البساسيري).

(58) البيت من معلَّقة زهير.

فقد اتَّصلت دولتهم نحواً من مائتين وسبعين سنة، وملكوا مقام إبراهيم عليه السلام ومصلَّاه ومواطن الرسول (صلعم) ومدفَنَه، ومـوقف الحجيج ومهبط الملائكة، ثمَّ انقرض أمرهم، وشيعتهم في ذلك كلّه على أتمِّ ما كانوا عليـه من الصاغيـة[59] إليهم والحبِّ فيهم واعتقادهم بنسب الإمـام إسماعيل بن جعفر الصادق. ولقد خرجوا مراراً بعد ذهاب الدولة ودروس أثرها داعين إلى بدعتهم هاتفين بأسماء صبيان من أعقابهم يزعمون استحقاقهم للخلافة ويذهبون إلى تعيينهم بالوصيَّة ممَّن سلف قبلهم من الأئمَّة. ولو ارتابوا في نسبِهِم لما ركبوا أعناق الأخطار في الانتصار لهم. فصاحب البدعة لا يلبِّس في أمره ولا يشبِّه في بدعته ولا يَكذِبُ نفسه فيما ينتحله[60]. والعجب من القاضي أبي بكر الباقلّاني[61] يجنح إلى هذه المقالة المرجوحة ويرى هذا الرأي الضعيف. فإن كان ذلك لما كانوا عليه من الإلحاد في الدين، والتعمُّق في الرفض، فليس ذلك بدافع في صدر بدعتهم، وليس إثبات منتَسَبهم بالذي يغني عنهم من الله شيئاً في كفرهم. وقد قال تعالى لنوح عليه السلام في شأن ابنه: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (هود، 46). وقال (صلعم) لفاطمة يعظُها: «يا فاطمة، اعملي، فلن أغنِيَ عنكِ من الله شيئاً»[62]. ومتى عرف امرؤٌ قضيَّةً أو استيقن أمراً وجب عليه أن يصدع به ﴿وَالله يَقُولُ الحَقَّ، وَهْوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ (الأحزاب، 4).

والقوم كانوا في مجالٍ لظنون الدول بهم وتحت رِقْبةٍ من الطغاة بتوفُّر شيعتهم وانتشارهِمْ في القاصية بدعوتهم، وتكرُّر خروجهم مرَّة بعد أخرى فلاذت رجالاتهم بالاختفاء ولم يكادوا يُعرفون كما قيل (طويل):

---

(59) صاغيةُ الرجل: أنصاره وأقرباؤه. وفي المقدِّمة، 23: من الطاعة لهم.

(60) هذه الفقرة ملتبسة، والذي ذهب إليه فانيان بعد دي سلان: أنَّ صاحب النحلة الجديدة ينبغي له أن لا يكذب ولا يحتجّ إلاَّ لما لا شبهة فيه حتى يصدِّقه الناس.

(61) في المقدِّمة، بعد اسم القاضي: شيخ النظّار من المتكلِّمين، كأنَّه ينعى عليه قصر النظر.

(62) في الجامع الصغير للسيوطي، 48/1: اعملي ولا تتَّكلي [على شفاعتي]. وورد بلفظ مغاير في العقد الفريد 162/3 على لسان الأوزاعي يعظ المنصور العبَّاسي.

فَلَوْ تَسْأَلُ الأَيَّامَ: مَا اسْمِيَ؟ مَا دَرَتْ وَأَيْنَ مَكَانِي؟ مَا عَـرَفْنَ مَكَانِيَـا[63]

حتى لقد سُمِّيَ محمد بن إسماعيل الإمام جدّ عبيدالله المهديّ بالمكتوم، سمَّته بذلك شيعتهم لما اتَّفقُوا عليه من إخفائِه حذراً من المتغلِّبين عليهم. فتوصَّل شيعة آل العبَّاس بذلك عند ظهورهم إلى الطعن في نسبهم وازدلفُوا بهذا الرأي الفائل إلى المستضعفين من خلفائهم وأُعجِب به أولياؤهم وأمراء دولتهم المتولُّون لحروبهم مع الأعداء يدفعون به عن أنفسهم وسلطانهم معـرَّة العجز عن المقاومة والمدافعة لمن غلَّبهم على الشام ومصر / [218 ب] والحجاز من البربر الكتاميِّين شيعة العبيديّين وأهل دعوتهم حتى لقد أسجل[64] القضاة ببغداد بنفيهم من هذا النسب، وشهد بذلك من أعلام الناس جماعة ببغداد في يوم مشهود، وذلك سنة ثنتَين وأربعمائة في أيّام القادر. وكانت شهادتهم في ذلك على السماع لما اشتهَرَ وعُرف بين الناس ببغداد، وغالبها شيعة بني العبَّاس الطاعنون في هذا النسب، فنقله الإخباريّون كما سمعوه، ورَوَوه حسبَ ما وعوْه، والحقُّ من ورائِه. وفي كتاب المعتضد في شأن عبيدالله إلى ابن الأغلب بالقيروان وابن مدرار بسجلماسة أصدقُ شاهدٍ وأوضح دليل على صِحَّةَ نسبهم: فالمعتَضِد أقعد[65] بنسب أهل البيت من كلِّ أحد، والدولة والسلطان سوقٌ للعالَم تُجلب إليه بضائع العلوم والصنائع وتلتمس فيه ضوالُّ الحكَم وتُحدى إليه ركائب الروايات والأخبار، وما نَفق فيها نَفَق عند الكافَّة. فإن تنزَّهت الدولة عن التعسُّف والميل والأَفَن[66] والشقشقة، وسلكت النهج الأَمَم ولم تَجُرْ عن قصد السبيل، نفقَ في سوقها الإبريزُ الخالصُ واللجَينُ المُصفَّى. وإن ذهبَت مع الأغراض والحقود وماجت بسماسرة البغي

(63) في مُعجم البلدان (المقدِّمة): فلو تسأل الأيام عنّي لما دَرَتْ... والبيتُ غير منسوب.

(64) أسجل له: كتب له. وأسجَلَ الكلام: أطلقه مسترسلاً.

(65) الأقعدُ النسب: القريبُ الآباء من الجدِّ الأعلى. وفي اللسان: فلانٌ أقعدُ من فلان: أي أقرب منه إلى جدِّه الأكبر. فالمعتضد أقرب إلى آل البيت من كلِّ أحد، أي ألصقُ بنسبهم فلا يفوتُه الزائف منه إلخ...

(66) الأَفَنُ: ضعفُ العقل.

والباطل، نفَق البهرجُ والزائفُ. والناقد البصير قسطاسُ نظره وميزانُ بحثه ومُلتَمَسِه[67]، والله الموفِّق.

[رجوع إلى المهديّ]

وكانت ولادة المهدي بسلميّة في ربيع الأوّل سنة ستّين ومائتين. وقيل: ولد ببغداد في سنة تسع وخمسين. وقيل: ولد بالكوفة فيها[68]. ويقال إنّ الحسين لمّا صرف عهدَه إليه قال له: «إنّك ستهاجر بعدي هجرةً بعيدة، وتلقى محناً شديدةً». وقيل إنّه أخرجه لخاصّة ولده سنة ثمان وستّين ومائتين، وعمره تسعة أعوام، وأظهر لهم العلامات التي فيه، وأعلَمَهم أن عبيدالله هذا ولدُه، وهو المهديّ وأنّه العاشر من ولد الحسين بن علي والثاني عشر من أبي طالب كما وجد في ملحمة[68م] علي بن أبي طالب. ثمّ دفع إلى ولده عبيدالله المهدي الملحمة وأعلمه أنّه هو العاشر من ولد الحسين. وأنّ في العاشر من ولد عُبيدالله ستقطع دولتهم كما قامت في العاشر من ولد الحسين.

فقام بعد وفاته بالأمر وانتشرت دعوتُه وظهر أمره ببلاد المغرب على يد أبي عبدالله الحسين بن أحمد الشيعيّ وأطاعته كتامة. فلمّا استقام أمر أبي عبدالله ببلاد المغرب أنفذ رجالاً من كتامة يثق بهم إلى عبيدالله المهدي ليخبروه بما فتح الله وأنهم ينتظرونه. وكان خبر عبيدالله قد شاع عند الدولة العباسيّة فطُلب، وذلك في أيّام المكتفي بالله. فخاف عبيدالله على نفسه فخرج من سلميّة ومعه ابنُـه أبو القاسم محمد نزار ـ ويقال: عبد الرحمان ـ وهو يومئذ غلام حَدث، والمهديّ شابّ عند كماله، وخرج معه خاصّتُه ومواليه، يريد الهجرة إلى أرض المغرب، وذلـك في أيّام زيـادة الله بن

(67) هكذا في المقدِّمة، وفي المنقول منها في الاتّعاظ. 66. ولعلّ الجملة تمّت بالخبر: قسطاس وميزان.

(68) أي في سنة 259.

(68 م) الملحمة هنا: كتاب فيه تنبؤات بما سيحدُث لهم.

الأغلب. فقدم مصر في زيّ التجّار[69].

وذكر الأمير المختار عزّ الملك محمد بن عبيدالله بن أحمد المسبّحي[70] في / تاريخه من حوادث سنة إحدى وتسعين ومائتين: فيها قدم الإمام المهديّ ومعه ابنُه القائم إلى مصر وأمل أن يقصد اليمن، وكان قد تقدَّم بعض دعاته إلى اليمن وفسد أمره، فكره دخولها على هذه الحال فأقام بمصر مستتراً في زيّ التجّار. فأتت الكتب من بغداد إلى صاحب مصر بالقبض عليه والأمر بطلبه إلى العامل بها. وكان بعض خاصّة ذلك العامل وليّاً مؤمناً فأسرع إلى المهديّ بالخبر، فخرج ومعه ابنه القائم وبعض عبيده، ومعه أموال كثيرة، فاشترى بضائع وجعل الأموال في الأحمال وسار في رفقة في زيّ التجّار. [219 أ]

وأخبرني حسن بن محمد بن أبي علي الداعي[71] أنَّ الإمام المهدي صلّى يوماً في الجامع العتيق بمصر الصبح تحت اللوْح الأخضر [71م] ومعه أبو علي الداعي، فلمّا خرجا من الباب الأوّل ضرب رجلٌ بيده على كُمِّ الإمام وقال: قد حصلت لي عشرة آلاف دينار.

قال له: وكيف ذاك؟

قال: لأنَّك الرجل المطلوب.

(69) في خروج المهديّ من سلميّة إلى المغرب وأحداث الرحلة، انظر رسالتَي «استتار الإمام» و«سيرة جعفر الحاجب» اللتين نشرهُما إيفانوف بمجلّة كلية الآداب بمصر مجلد 2/4 ديسمبر 1936. وانظر طبعتنا لكتاب عيون الأخبار، ابتداءً من ص 143.

(70) المسبِّحي المؤرِّخ (ت 1029/420): له ترجمة في الوفيات (رقم 653) وينقل ابن خلكان كثيراً عن «تاريخه الكبير»، المسمَّى تارة تاريخ مصر، وتارة «تاريخ المغاربة ومصر». ويظهر أنَّ هذا الكتاب مفقود مثل بقيَّة مؤلفاته.

(71) أبو علي الداعي «باب الأبواب»: هو داعي المهديّ بمصر، الحسن بن أحمد. . . بن عقيل بن أبي طالب (انظر عيون الأخبار، 237). توفّي بإفريقية سنة 321 فخلفه ابنه أبو الحسن في منصب داعي الدعاة. فالحسن بن محمد الذي ينقل عنهُ المسبّحي هو حفيد باب الأبواب أبي علي، وهو بدون شكٍّ معاصر للمؤرخ.

وفي سيرة جعفر الحاجب، 114، ذِكر «لمحمد بن الحسين داعي الدعاة الذي بلغ مع الأئمَّة المهديّ والقائم والمنصور والمعزّ المحلَّ الجليل العظيم».

(71 م) اللوح الأخضر: يبدو أنه ركن من الجامع العتيق مغلّف أو مسقّف بلوح أخضر. انظر الخطط، 10/3، 11، 16.

فضحك المهديّ وقال لأبي علي الداعي: قدِّرَ هذا الرجل يا أبا علي أنّني ذلك الرجل الذي أريتك إيّاه السّاعة.

ثمَّ ضرب بيده على يدِ ذلك الرجل الذي ضرب بيده إلى كمِّه ودخل معه إلى صدر الجامع وقال له: عليك عهدُ الله وغليظ ميثاقه أنّني إذا جمعتُ بينك وبينَ الرجل الذي تطلبُه، كان لي عليك ولصديقي خمسة آلاف دينار؟

ثمَّ أخذ بيدِه وأتى به إلى حلقة قد اجتمع الناس فيها وأدخله من جانبها وفارقه فخرج من الجانب الآخر ولم يلتقوا إلى هذه الغاية.

(قال) وكنت[72] يوماً قائماً على الجسر بمصر مع الإمام المهديّ إلى أن سمعت الجرس والنداء عليه: «ألا برئت الذمَّة من أحد آوى رجلاً من صفته كذا ومن نعته كذا ـ ووصف صفةَ المهديّ ـ ومن أتى به فله عشَرة آلاف دينار حلالاً طيِّباً». فقال لي: «يا أبا عليّ، المقام بعد هذا عجز» ثمَّ ركب الجسر وسرت معه. وسألته أن أسير معه إلى المغرب. فقال: «على مَن أدَعُ مَن لي هٰهُنَا؟» فبكيتُ، فأنشدني شعر امرىء القيس (طويل):

بكى صاحبي لمَّا رأى الدرب دونَه وأيقن أنَّا لاحقان بقيصرا
فقلت له: لا تبك عينك إنما نحاول ملكاً أو نموتَ فنُعْذَرا

ثمَّ قبّلتُ يده وفارقتُه.

وقال غيره: لمَّا وصل المهدي ومعه ولده القائم نزلا بدار ابن طلحة بعقبة بني فليح في سنة تسع وثمانين ومائتين /. [219 ب]

وقال مؤرِّخ القيروان[73]: فلما وصل المهدي إلى مصر في زيّ التجَّار كان عامل مصر عيسى النوْشري. فأتت الكتب إلى عيسى بأن يقبض عليه ـ وفيها حليته ـ من جهة الخليفة، وأنَّه ممَّن يطلب الأمر لنفسه. وكان المهدي

(72) المتكلِّم هنا هو أبو علي الداعي باب الأبواب. وراوي حديثه هو حفيدُه الحسن بن محمَّد الذي يتحدَّث إلى المسبِّحي المؤرِّخ. وهذا الخبر ملخَّص في عيون الأخبار، 151.
(73) ابن شدَّاد.

قد خرج من مصر. فلمَّا وصل الكتاب إلى النوشري فرَّق الرسل في طلبه وخرج بنفسه فلحقه، فلمَّا رآه لم يشكّ فيه فقبض عليه وأنزلَهُ في بستان وأحضر طعاماً وسأله أن يأكل معه. فاعتذر بأنَّه صائم. فرقّ له ودعاه في خلوة وقال له: اصدقني على أمرك، فإنِّي أتلطَّف في خلاصك.

فخوَّفه المهديّ من الله وقال له: اتَّق الله، فإنَّما أنا رجل تاجر ولست أعرف شيئاً ممَّا تقولونه.

فخلَّى سبيله. ويقال إنَّه أعطاه مالاً أقرَّ عينه. وأراد أن يرسل مع المهديّ من يوصله إلى رفقته، فقال: «لا حاجة لي إلى ذلك»، ودعا له. فرجع بعض أصحاب النوشري عليه باللوم، فندم على إطلاقه وأراد إرْسال الجيس ليردُّوه.

وكان المهديّ لمَّا لحق أصحابه رأى ابنه أبا القاسم قد ضيَّع كلباً كان يصيد به، وهويبكي عليه. فعرَّفه عبيدُه أنَّهم تركوه في البستان الذي كانوا فيه، فرجع المهديّ بسبب الكلب حتى وصل البستان ومعه عبيده. فرآهم النوشريّ فقال: ما هؤلاء؟

فقيل له: التاجر رجع.

فبعث فسألهم ما الذي ردَّهم، فقالوا: فَقَدَ ولَدُ سيِّدنا كلبه، وهو عزيز على أبيه فرجع في طلبه. فقال النوشري لأصحابه: قبَّحكم الله! أردتم [أن] تحملوني على مثل هذا الرجل حتى آخذه. فلو كان يطلب ما يقال، أو كان مريباً لكان يطوي المراحل ويخفي نفسه، ولا كان رجع في طلب كلبه!

ثم سار المهدي فلحقه لصوص في الطريق في موضع يسمَّى الطاحونة فسلبوه متاعه وكُتُباً لآبائه فيها روايات وملاحم، فعظم أمر الكتب عليه، فيقال إنه لمَّا خرج ابنه أبو القاسم القائم في السفرة الأولى إلى مصر أخذها من أهل ذلك المكان بأعيانها بعد سنين.

وانتهى المهدي وولده إلى مدينة طرابلس، وتفرَّق مَن كان صحبتَه من

التجّار. وكان في صحبته أبو العبَّاس محمد أخو أبي عبدالله الشيعيّ، فقدَّمه المهديّ أمامه إلى القيروان وأمره أن يلحق بكتامة. فلمَّا وصل أبو العبَّاس إلى القيروان، وجد الخبر قد سبقه، ووصلت الكتب من الخليفة إلى زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب في أمر المهدي. فسأل عنه رفقته فأخبر أنَّه تخلَّف بطرابلس وأنَّ صاحبه أبا العبَّاس بالقيروان. فأخذ أبو العبَّاس وقُرِّر، فأنكر وقال: «أنا رجل تاجر صحبتُ رجلاً في / القَفَل[74]»، فحبسه. [220 أ]

وسمع المهديّ فسار إلى قسطيلية. ووصل كتاب زيادة الله إلى عامل طرابلس بصفته وطلبه، فسار المهديّ إلى سجلماسة بعدما اجتمع بعامل طرابلس وأهدى إليه. فكتب العامل إلى زيادة الله بأنَّه قد سار ولم يدركْه.

فأقام المهديّ بسجلماسة وقد أقيمت عليه الأرصاد في الطريق حتى عرفوا دخوله إلى سجلماسة. فأهدى إلى صاحبها اليسع بن مدرار هدايا وواصله. فقرَّبه اليسع وأحبَّه إلى أن ورد عليه كتاب زيادة الله يقول: «هذا الرجل هو الذي يدعو إلى طاعته أبو عبدالله الشيعي». فقبض عليه حينئذ وحبسه[75].

فأخذ أبو عبدالله رقّادة كما ذكر في ترجمته وتوجَّه إلى سجلماسة لينقذ المهديّ من سجن اليسع، حتى قرب منها. فأرسل اليسع إلى المهديّ فسأله عن نسبه وحاله، وهل إليه قصْدُ أبي عبدالله؟ فحلف له المهديّ أنَّه ما رأى أبا عبدالله ولا عرفه، «وإنَّما أنا رجل تاجر».

فأغلظ له في القول فلم يحل عن كلامه فأمر به أن يعادَ إلى الاعتقال وأُفرد في دار وحده، وكذلك فَعل بابنه أبي القاسم، وجَعل عليهما الحرس. وقرَّر أبا القاسم أيضاً فما حال عن كلام أبيه. وقرَّر[76] رجالاً كانُوا معه وضربَهم فلم يقرُّوا بشيءٍ.

(74) القفل بفتحتين اسم جمع بمعنى القافلة.
(75) انتهى هنا النقل عن ابن شدَّاد، وعنه نقل أيضاً ابن الأثير، والمقريزي في الاتعاظ، 84.
(76) قرَّره: حمله على الاعتراف.

وسمع أبو عبدالله ذلك فشقّ عليه وأرسل إلى اليسع كتاباً يتلطّف به ويؤمّنه، وأنّه إنّما قدم إلى جهته بسبب حاجة مهمّة، ولم يقدم لحرب، ووعده من نفسه بالجميل. فرمى الكتاب وقتل الرسول. فعاوده في الملاطفة خوفاً على المهديّ وأعرض عن ذكره له أوّلاً وآخراً، فقتل الرسول ثانياً وتمادى على حاله، فأسرع أبو عبدالله في السير ونزل عليه وقاتله حتى الليل. فهرب اليسع ومن معه، وبات أبو عبدالله ومَن معه في غمّ عظيم لا يدرون ما صُنع بالمهديّ وولده. فلمّا أصبح خرج إليهم أهل البلد وأعلموهم بهرب اليسع، فدخل بأصحابه البلد وأتوا المكان الذي فيه المهديّ فاستخرجه منه وأخرج ولده. فلمّا رآهما الناس كانَتْ فيهم مسرّة عظيمة كادت تطيش عقولهم. فقرَّب أبو عبدالله إلى المهديّ وولده حِصَانَين فركبا، وحفَّت العساكر بهما، ومشى أبو عبدالله ووجوه القبائل بين يدي المهدي، وأبو عبدالله يقول للنّاس: «هذا مولاكم ومولاي!» وهو يبكي من شدّة الفرح، حتى وصل إلى فسطاط قد ضرب له فدخله / وأمر بطلب اليسع فخرجت العساكر مسرعةً إليه. [22ب]
فأقام إلى العشاء، ثمّ أمر أن يفرش قدّام الفسطاط وخرج إلى الناس وأحاطوا به يسمعون كلامه ويبكون، وهو في ذلك يثني عليهم ويذكر فضلهم. وأدركت العساكر اليسع فأخذوه ومن كان معه. فأمر بضرب اليسع فضُرب بالسياط وطيف به العسكر، ثمّ قتل هو وأصحابه. وكان اليسع قد قطع عنه الطعام أيّاماً حين سجنه(77).

وكتب بفتح سجلماسة إلى إفريقية، وكان الناس لمّا خرج منها أبو عبدالله وغاب عنهم ظنّوا به الظّنون وشنّعوا الإشاعات. فعندما ورد كتاب الفتح وظهور المهديّ سرَّ الناس.

وأقام المهديّ بعد الفتح بسجلماسة أربعين يوماً، وكان ظهوره من

(77) في رواية الداعي إدريس: عيون، 162، أنَّ المهديّ عفا عن اليَسَع ولكنَّ الأميرَ المدراريّ رفض الأكلَ والشربَ حتى مات.

سجلماسة يوم الأحد لسبع خلون من ذي الحجّة سنة ستّ وتسعين ومائتين [27 أوت 909].

قال مؤرِّخ القيروان: «وكانوا يزعمون في قديم الزمان أنَّ الثاني عشر من أبي طالب والد أمير المؤمنين عليّ كرَّم الله وجهَه هو الذي يصير إليه أمر المسلمين فيكون إماماً، وذلك إذا دخلت سنة ستّ وتسعين ومائتين. فكان كذلك».

فلمَّا تمَّ له من يوم الفتح أربعون يوماً نهض يريد إفريقيّة. وأمر بإحضار الأموال التي على أيدي الدعاة، فلمَّا حضرت قبضها. وسار إلى رقّادة فوصل يوم الخميس لعشر بقين من شهر ربيع الآخر سنة سبعٍ وتسعين ومائتين [5 جانفي 910]. وحضرت إليه الأموال من إيكجان فدخل بها معه إلى رقادة.

وزالت بالمهديّ دولة بني الأغلب وملك بني مدرار الذين آخرهم اليسع وكان لهم في الملك ثلاثون ومائة سنة تفرَّدوا بسجلماسة وما حولها من أيّام الخليفة أبي جعفر المنصور. وزال أيضاً ملك بني رستم من تاهرت وله ستّون ومائة سنة تفرَّدوا بتاهرت وما حَوْلها من أيّام الخليفة عبد الملك بن مروان. وملك المهدي جميع ذلك في هذه السنة.

ونزل بقصر من قصور رقّادة بعدما خرج إليه أهلها وأهل القيروان، وأبو عبدالله ورؤساء القبائل مشاة بين يديه وولده خلفه فسلَّموا عليه فردَّ عليهم ردّاً جميلاً وأمرهم بالانصراف.

فلمَّا أصبح يوم الجمعة أمر الخطيبَ أن يذكره في الخطبة فيقول: «أبو محمد عبدالله الإمام المهديّ بالله أمير المؤمنين». فلمَّا صعد الخطيب المنبر وانتهى إلى ذكر المهديّ قام جبلة بن حمُّود الصدفيّ قائماً وكشف رأسه حتى رآه الناس ومشى من المنبر إلى آخر الجامع وهو يقول: «قطُعوها قطعهم الله!» - يعني الخطبة لبني العبَّاس - ويكرِّرها. وقام الفقهاء ووجوه البلد معه فما حضر أحدٌ من الأمثال[78]. وجلس بعد الجمعة / رجل يعرفُ [221]

(78) الحادثة مرويَّة في رياض النفوس للمالكي، 43/2: ترجمة جبلة بن حمود.

بالشريف ومعه الدعاة وأحضروا الناس بالعنف والشدَّة ودعَوْهم إلى مذهبهم، فأجابوا إلى ذلك إلَّا القليل. فأمر بهم فضربوا وحبسوا.

ونابذ طائفة من الفقهاء المهدي حتى إنَّه أدخل برجل على الوالي فقال له الوالي: قل: لا إلاه إلَّا الله!

فقال له: أمَّا من قولك، فلا. إنِّي لا أدري ما تقول لي بعدها.

ودُخل إليه بآخر وبين يديه مصحف فقال له: أليس هو القرآن؟

فقال له: ما أعرف ما هو.

ووجد رجل من أصحاب المهديّ المشارقة مقتولاً فأتوا إليه وقالوا: قتل رجل من الأولياء.

قال: وأين هو؟

قالوا له: أكلوه ولم يبق إلَّا عظام ساقيه.

فقال المهدي: هذا بلد لا يحلُّ أن يقام فيه.

وأمر بقتل المحْبُوسين إن لم يرجعوا عمَّا هم عليه، فقتل منهم على ما قيل أربعة آلاف رجُل في العذاب ما بين عابدٍ ورجل صالح، ولذلك قال سهل في قصيدته (كامل):

وأحـلَّ دار البحـر في أغـلالـه   من كـان ذا تقوى وذا صلوات(79)

واستقامت الدولة للمهدي. وعرض عليه أبو عبدالله جواري زيادة الله بن الأغلب اللاتي كان أبو عبدالله أخذهنّ فيما أخذ من أموال ابن الأغلب عند فِراره. فاختار المهديّ كثيراً منهنَّ لنفسه ولولده أبي القاسم، وصرف ما بقي على وجوه كتامة. وقسم عليهم الأعمال ودوَّن الـدواوين وجبى الأموال، واستقرَّت قدمه ودان له أهل البلاد واستبدَّ بالأمر وحده وانفرد بالتدبير دون كلّ أحد.

---

(79) البيت لسهل الوراق من قصيدة في هجو بني عبيد، انظر: رياض النفوس 496/2.

[مقتل أبي عبدالله]

فدخل قلبَ أبي العبَّاس فسادُ نيَّة وحسد كبير، فإنَّه كان قد استخلفه أخوه أبو عبدالله على القيروان، وكان إليه الأمر والنهي حتى وصل المهدي وباشر الأمور بنفسه، فشقَّ عليه الفطام، وأقبل يزري على المهديّ في مجلس أخيه ويتكلَّم فيه، ويعنِّفه على تسليم الأمر إلى المهديّ، حتَّى أثَّر كلامه في قلب أخيه وتغيَّر. ثمَّ أقبل[80] على الشيوخ وأغراهم بالمهديّ وحرَّضهم على قتله، إلى أن اتَّفقوا على الفتك به، وقصدوا ذلك مراراً، والأقدار تحول بينهم وبين ذلك. ثمَّ أخذ يغضُّ من المهديّ ويقول: إنَّ هذا ليس بالذي كنَّا نعتقد طاعته، ولقد كان ظنُّنا فيه فاسداً، لأنَّ المهـديّ الحقيقيّ يأتي بـالآيات والمعجزات حتى إنَّه يختم بخاتمه على البلاد. وأمَّا هذا فقد أخطأنا فيه.

فأثَّر ذلك في قلوبهم، وواجه المهديَّ أبو موسى هارون بن يونس الذي يقال له «شيخ المشايخ» من كتامة، وقال له: «إن كنت / المهديَّ فأظهر لنا آية، فقد شككْنا فيك». فغضب المهدي وأمر بضرب عنقه. [221 ب]

وفي جميع هذه الأمور، والمهدي يغضي عند سماعها ويلاطف أبا عبدالله. ثمَّ عَتَبَه عَتْباً رفيقاً كما تقدَّم في ترجمتِهِ[81]. فعلم أبو عبدالله أنَّ عورتَه قد ظهرت للمهديّ، وانصرف فأخبر أصحابه فخافوا وتخلَّفوا كلّهم عن الحضور إلى مجلس المهديّ. فانتدب رجل يقال له ابن القديم قد كان في جملة المخالفين وقال: يا مولاي، إن شئتَ أتيتُك بهم.

قال: أَوَتقـدِر على ذلك؟

قال: نعم.

فأحضرهم إلى المهديّ فلاطفهم وما زال حتَّى فرَّقهم في البلاد. فبعث أبا زاكي تمَّام بن معارك ـ وكانوا يجتمعون في داره ـ إلى طرابلس، وكتب إلى

(80) أسند المترجم الضمير إلى أبي عبدالله خطأ.

(81) مرَّت ترجمة أبي عبدالله في هذا الكتاب، وكذلك ترجمة أخيه أبي العبَّاس (رقم 2و3).

واليها أن يقتله إذا قدِم عليه، فقتله وبعث برأسه. وفرَّ ابن القديم فضربَتْ عنقه في طريقه. ورتَّب المهدي غزويه بن يوسف وجبر بن القاسم في رجال وأمرهم بقتل أبي عبدالله وأخيه أبي العبَّاس فقتل غزويه أبا عبدالله وقتل جبر ابن القاسم أبا العبَّاس للنصف من جمادى الآخرة سنة ثمانٍ وتسعين ومائتين[82]. فثارت فتنة بسبب قتلهمَا وجرَّد أصحابهُما السيوف فركب المهديّ وأمَّن الناس فسكنوا. ثمَّ تتبَّع المخالفين بالقتل حتى أفناهم.

ثمَّ ثارت فتنة ثانية بين كتامة وأهل القيروان قُتل فيها خلق كثير. فخرج المهديّ وسكّن الفتنة. وكفَّ الدعاة عن طلب الناس بمذهب التشيُّع.

ثم عهد إلى ولده أبي القاسم محمد نزار بالخلافة من بعده، وكان إذا نظر إليه وأعجبه يُنشِد متمثِّلاً (سريع):

مبارك الطلعة ميمونها يصلح للدنيا وللدين

وجهَّزه إلى بلاد كتامة وقد أقاموا طفلاً وزعموا أنَّه نبيّ يُوحى إليه وأقاموهُ بمدينة ميلة، فسار إليها وحَصَرَها حتى أخذها وقتل الطفل الذي أقاموه وأفنى منهم أمماً عظيمةً وجلاهم إلى البحر وعاد.

فورد الخبر بخلاف أهل صقلِّية فأنفذ إليها أسطولاً قاتلها حتى فتحها.

وخالف أيضاً أهل تاهرت فبعث إليها وغزاها وقتل أهل الخلاف.

وتتبَّع بني الأغلب برقَّادة وكانوا قد عادوا بعد موت زيادة الله إليها، حتى قتلهم عن آخرهم.

ثم بعث ابنه أبا القاسم على جيش إلى مصر في سنة إحدى وثلاثمائة وملك الإسكندريَّة والفيُّوم وعاد. فبعث في سنة اثنتين وثلاثمائة حباسة أحد قوَّاده على جيش آخر، وعاد مهزوماً.

---

(82) انظر خبر مقتل أبي عبدالله في عيون الأخبار، 180 وما يليها. وانظر في المجالس والمسايرات، 183 تبرير المعزّ لقتل الأخوَين.

[تأسيس المهديّة]

فلما كانت / سنة ثلاثمائة خرج بنفسه إلى تونس يرتاد لنفسه موضعاً على ساحل البحر يتّخذ فيه مدينة وكان عنده علم بخروج رجل شديد البأس على دولته، وهو أبو يزيد النكّاري الخارجيّ، ومن أجله بنى المهديّة وهي جزيرة متّصلة بالبرّ كهيئة كفّ متّصل بزند فتأمّلها، ووجد فيها راهباً في مغارة فقال له: بمَ يعرف هذا الموضع؟ [222 أ]

فقال: يسمّى جزيرة الخلفاء، والذي يليها من البرّ يسمّى أرض جمّة.

فقال المهديّ: الله أكبر! هذه التي نجدها، وهي والله جزيرة الخلفاء!

فبناها وجعلها دار ملكه وحصّنها بالسور العجيب وأبواب(83) الحديد المُصْمَتِ المحكم، وجعل في كل مصراع مائة قنطار. وهما بابان بأربعة مصارع لكل بابٍ دهليز يسع خمسمائة فارس. وكان ابتداء بنائها يوم السبت الخامس من ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثمائة [11 ماي 916]. وكان أوّل ما ابتدأ به من سورها ما على الجانب الغربي الذي فيه أبوابها. فلمّا مُدّ الحائط على أساس السور ووُضع أوّل حجر منه، أمر المهديّ رامياً بالقوس أن يرميَ سهماً من حدِّ الحجر الذي في أساس السور إلى ناحية الغرب، فرمى الرامي سهمه فانتهى إلى الموضع الذي عُمِل فيه المصلّى، ووقع السهم قائماً على نصله، فقال المهدي: «إلى هذا السهم يصل صاحب الحمار»، يعني أبا يزيد الخارجيّ. فخرج على الدولة وكذا كان، كما سيرد خبره إن شاء الله في ترجمة أبي القاسم محمد بن المهديّ إن شاء الله(84). ثمّ أمر المهديّ أن تقاس مساحةُ موضع الرميّة بالذراع فبلغ مائتَيْ ذراع وثلاثة وثلاثين ذراعاً، فقال المهدي: هذا عدد ما تقيم المهديّة في أيدينا من السنين، فكان كذلك(85).

---

(83) والأبواب في المخطوط.

(84) الترجمة 15 في كتابنا هذا.

(85) لم يتوقّع صاحب التنبؤ خروج بني زيري عن الولاء الفاطميّ.

وأمّا الأبواب الحديد فإنّها عُمِلت صفائح مفرغةً بثلاث طبقات وطرِقت بالمسامير فبقِيت تتحرّك، فقال المهديّ: ما عندكم في هذا؟

فقالوا: لا ندري.

فأمر بالحطب الكثير فجُعل فوقَها وتحتَها وأطلقت النيرانُ العظيمة وطرقت المسامير فصارت الأبواب قطعةً واحدة، ولمّا ركّبت صعب فتحُها وإغلاقُها، ولم يكن يغلق الباب الواحد إلاّ جماعةٌ من الرجال / فأمر المهديّ أن يجعل خرزها زجاجاً فدار الباب في الوقت وسهل فتحُه وغلقُه وصار الرجل الواحد يفتحه ويغلقه. ثمّ قال: كم يكون وزن كلّ باب؟ [222 ب]

فقال القوم: هذا لا يعلمُه إلاّ الله إذ ليس في الأرض ميزان يحمل بعضه.

فأمر بمصراع منه فحمل على الصواري حتى ألقي على ظهر مركب في الماء إلى حدٍّ بعينه، وعُلّم ما نزل من المركب في الماء، ثُمَّ أُنزل المصراع وجُعل في المركب من الصخر والحجر حتى بلغ الماءُ إلى الحدِّ الذي علّم فيه، ثم وُزِن جميع ما وضع في المركب من الصخر والحجارة، فعُلم ما فيه من رطل، فجاءت زنة الأربَعَة مصارع أربعمائة قنطار.

ثمّ أمر أن تقطع في داخل المدينة صناعة تنقر في الجبل تحمل مائتَيْ شيني[86] وعليها باب.

ثمّ نقروا في أرضها أيضاً أهْراءً برسم الغلال في الحجر الصلب تسع من الطعام ما لا يحصى، ودمَسَهَا. وبنى قصوراً عالية، وجعل فيها من المصانع للماء ما لا يحصى وختم عليها وأمر بحفظها. فلمّا فرغ من بناء السور والقصور والدور قال: اليوم أمنت على الفاطميّات، يعني بناته.

وارتحل إليها في شهر صفر سنة ثمان وثلاثمائة، وكان طالعها برج

(86) الشونة والشيني: مركب للجهاد في البحر. والصناعة قبله تعني الترسخانة.

الأسد. ولمَّا رأى المهديّ إعجابَ الناس بالمهديَّة وبحصانتِها قال: هذه بنيتُها لتعتصمَ بها الفواطم ساعةً من نهار.

وكذلك كان، لأنَّ أبا يزيد وصل إلى موضع السهم ووقف فيه ساعةً ولم يظفر.

وما زال المهديّ بالله على إمامته حتى قبضه الله إليه بمدينة المهديَّة يوم الاثنين الرابع عشر من ربيع الأوَّل سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، وعمره اثنتان وستون سنة وشهر واحد ويوم واحد، ومدَّة دولته خمسٌ وعشرون سنة وثلاثة أشهر وسبعة أيَّام(87). فأخفى ابنه أبو القاسم موته لتدبير كان له.

قال النعمان بن محمَّد: نُعي المهديّ صبيحة يوم الثلاثاء لعشر ليالٍ خلَون من جمادى الأخرى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وكانت مدَّة ظهور إمامته من يوم وصل إلى رقَّادة إلى يوم نعي فيه أربعاً وعشرين سنة وشهراً واحداً وعشرين يوماً. ويقال إنَّ القمر انخسف في الساعة التي توفِّيَ فيها خسوفاً شنيعاً.

وخلَّف من الأولاد: أبا القاسم محمد ـ ويقال عبد الرحمان ـ القائم، وقام بالأمر بعده.

وأبا عليّ أحمد(88).

(87) يوافق تاريخ وفاة المهدي يوم 4 مارس 934. ومدَّة خلافته في حساب المقريزي تنطلق من يوم «ظهوره من سجلماسة» (7 ذي الحجة 296).

أمَّا في حساب النعمان (افتتاح الدعوة ص 290 من طبعة وداد القاضي و329 من طبعة الدشراوي) فإنَّ مدَّة الخلافة ـ بين 20 ربيع الثاني 297 تاريخ الوصول إلى رقادة و20 جمادى الثانية 322 تاريخ النَّعْي ـ تنقص بسنة وشهرين، ولعلَّ نصَّ الافتتاح تحرَّف من «خمس وعشرين سنة» إلى أربع وعشرين (ص 330). وواضح أنَّه لم يعتبر فارق السنة الكاملة التي زعمُوا أنَّ القائم كتم فيها وفاة المهديّ، ولو فعل، لرفع مدَّة الخلافة إلى ستٍّ وعشرين سنة. على أنَّه ذكر سنة الوفاة بوضوح: 322.

(88) في النجوم الزاهرة لابن سعيد، 45: أبو طالب أحمد. وعقد له المقريزي في المقفَّى (السليميَّة 112) ترجمة وجيزة: أبو علي أحمد ابن المهديّ. قدم مع ابن ابن أخيه المعزّ فأقام بالقصر إلى أن مات في ذي القعدة سنة 382.

وأبا طالب موسى.

وأبا الحسن عيسى، مات برقّادة سنة اثنتين وستّين وثلاثمائة.

وأبا عبدالله الحسين، مات بالمغرب.

[223 أ] وأبا سليمان داود، مات/بالمغرب سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة.

وخلّف ثماني بنات: آمنة، وزينب، وفاطمة، وأمّ الحسَن، وقد ذكرن في هذا الكتاب(89).

وأمّ الحسين وسكينة وأمّ عليّ ورشيدة، متن ببلاد المغرب.

وترك من السراريّ ستّاً، أمّهات أولاد.

وقضاته: أبو جعفر محمد بن عمّار المرورذي، مات بعد أن عُزل في سنة ثلاث وثلاثمائة. ثمّ إسحاق بن [أبي] المنهال. ثمّ محمد بن محفوظ القمّوديّ، مات في محرّم سنة تسع وثلاثمائة. ثمّ محمد بن عمران، مات سنة عشر. ثمّ إسحاق بن [أبي] المنهال ثانياً.

وحاجبه جعفر بن عليّ.

وحامل مظلّته مسعود الصقلبيّ، ثمّ غرس الصقلبيّ.

وكان نقش خاتَمه: بنصر الإلـه الممجّد ينتصر الإمام أبو محمّد.

وكان يشبّه في خلفاء بني العبّاس بالسفّاح: فإنّ السفّاح خرج من الحميمة بالشام يطلب الخلافة والسيف يقطر دماً، والطلب عليه بكلّ مرصد، وأبو سلمة الخلّال يُؤسّس له الأمر ويثبّت دعوته. وهكذا المهديّ: فإنّه خرج

---

(89) لا توجد تراجمهنّ في ما لدينا من مخطوطات المقفّى. ولعلّ المقريزي، على غرار كثيرٍ من المترجمين، أفردَ ـ أو كان ينوي أن يفردَ ـ قِسماً من قاموسه للنسوة، فضاع أو لم ينجزه، على أن عبارة «قد ذكرن» تشعر بأنّ الأمر تمّ فعلاً.

وذكر هؤلاء دون الأربع الأخر يشعر بأمرين:

1 ـ أنّ هؤلاء الأربع بنات قدِمن إلى مصر مع المعزّ.

2 ـ أن الأربع اللائي مِتن بالمغرب لم تُحمَل توابيتهُنّ إلى مصر كما فُعِل برفات المنصور مثلاً.

من سلميّة بالشام، وقد أخذت عليه الطرق ونصبت له المراصد، وأبو عبدالله الشيعيّ قد مهّد لهُ الأمر. وكلاهما تمَّ له الأمر وقتلَ القائم بدعوته.

وأوَّل مَن مدح المهديّ من شعراء إفريقيّة سعدون الورجيلي، وكان من شعراء بني الأغلب، فأنشده [كامل]:

قِف بالمطيّ على مرابع دور ... لبِست معالمُهُنَّ ثوبَ دثور
لعبت بها حتى محَت آثارها ... رِيحان: ريح صباً وريح دبور

فلمَّا انتهى إلى قوله:

وسفيهة هبَّت تصدّ عن النوى ... ويد النوى ملكت عِنان مسيري
خافت عليّ من الخطوب لأنّني ... من قبلُ غِبتُ فأُبتُ بعد دهور
ثمَّ اجتمعنا بعد ذاك فيا لها ... مأسورة جمعت على مأسورا!

فلمَّا قال هذا استعبر المهديّ وتلقّى عبرته بكُمِّه، فسكت سعدون فأومأ إليه: أنْ قُلْ، فمرَّ فيها حتى قال:

أعن ابن فاطمةٍ تصدّينَ امرأً ... بنتِ النبيّ وعِترة التطهير؟!
كُفِّي عن التثبيط إنِّي زائرٌ ... من أهل بيت الوحي خير مزور
هذا أمير المؤمنين تضعضعت ... لقدومه أركان كلّ أمير
هذا الإمام الفاطميّ، ومَن به ... أمِنت مغاربُها من المحذور
والشرقُ ليس لشامه وعراقه ... مِن مهربٍ من جيشه المنصور / [223 ب
حتَّى يفوز من الخلافة بالمنى ... ويفاز منه بعدله المنشور

فقال المهدي: ما شاء الله!

ومرَّ فيها إلى أن ذكر أبا عبدالله الشيعيّ فقال:

يا مَن تخيَّر مِن خيار دُعاتِهِ ... أرجاهُم للعسر والميسور
حتى استمال إليه كلّ قبيلةٍ ... ورُمي إليه قياد كلّ عثور
أشبهتَ موسى، وهو حيَّتُك التي ... تُلقى، فتلقِفُ إفكَ كلّ سحور

فنظر المهدي إلى أبي عبدالله وتبسَّم. فقبَّل أبو عبدالله الأرض وقال للورجيلي: «أنا دون ذلك بِبُعْد ما بين السماء والتراب». وأمر المهدي للشاعر بصلة جزيلة، وكانت تجري عليه لكلِّ عام، ووصله أبو عبدالله أيضاً.

ولم يمت المهدي عبيدالله حتى وصلت دُعَاتُه إلى بلاد المشرق، وبعث إليه نصر بن أحمد أمير خراسان[90] يقول: أنا في خمسين ألف مملوك يُطيعونني، وليس على المهديّ لهم كلفة ولا مؤونة، فإن أمرني بالمسير سرتُ إليه ووقفتُ بسيفي ومنطقي بين يديه وامتثلْتُ أمره، وإن أمرَني أن أُدخل أهلَ الأرض في طاعته.

وكتب إليه أيضاً مرداويج الجبلي بمثل ذلك، وكتب إليه يوسف بن أبي الساج، وأحمد بن صعلوك[91] بمثل ذلك، وأنفذوا رسُلَهم مع الأموال إليه. فوقَّع على ظهر كتبهم: الزموا مراكزكم! لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (الرعد، 38).

ومن أخباره أنَّه لمَّا كان مقيماً بسجلماسة سمع بغزويه بن يوسف فتطلَّعت نفسه إلى رؤيته. فلما وصل أبو عبدالله إلى سجلماسة وفرَّ اليسع بأهله وولَده وخرج المهديّ، أمر أبا عبدالله بطلبه فلم يقدر عليه ولا علِم أين توجَّه. فأمر المهدي بإحضار غزويه فحضر بين يديه فأعجب به. وكان فيما قال له غزويه: يا مولانا، وقَعَتْ في أيدينا من هذا البلد نعم عظيمة، وليس معنا من الظَهر ما نحملها عليه، فإن رحل مولانا بقِي كلّ ما أفدناه ولم نحصل منه على طائل، وإن أقام أيّاماً أرسلْنا إلى من يقرب منّا من القبائل فأمَّنّاهم واشترينا منهم الجمال وكسبنا من الظهر ما نتَّسع به في حمل ما صار إلينا،

---

(90) نصر بن أحمد بن إسماعيل: وليَ خراسان سنة 301 للمقتدر العبَّاسيّ وبقيَ عليها حتى وفاته سنة 330.

(91) مرداويج الجبلي بن زياد بن وردانشاه: قائد ديلميّ استقلَّ بأذربيدجان وسجستان في سنة 320، وقتله خَدَمُه الأتراك سنة 323 (انظر: العيون والحدائق، 538).

ويوسف بن أبي الساج: من قوَّاد العبَّاسيِّين، كلَّفه المقتدر بحرب القرامطة فلقيهم بظاهر الكوفة سنة 315 فغلبوه وقتلوه (العيون والحدائق، 240).

ولا نعرف أحمد بن صعلوك.

ونصرف بما أنعم الله علينا، ويرى مَن وراءَنا ما أعطاه الله ببركة أيَّامك ويمن دولتك.

فأجابه المهدي إلى أن يقيم أيّاماً. فقال: يا مولانا، إنَّ هَا هُنا رجلاً رئيساً له كرم وفيه تشيُّع ومحبَّة، فلو أذن لي مولانا لكاتبتُه في / شراء ما أُحتاجُ [224 أ] إليه من الظَهر، وعقدت بيني وبينه مودَّة.

قال: ومن هو؟

قال: فلان، مقدّم قومه.

فقال: افعل وائتِني بمن ترسلـ[ـه] إليه لأوصيَه.

وكان المهدي قد بلغه أنَّ اليسع بن مدرار صار إلى هذا الرجل ورفعه إلى قلعة له. فكتب إليه كتاباً عن غزويه من غير علمه يرغِّبه في المودَّة وعقد الأخوَّة، ويحضُّه في أن يجعَل لنفسه من أمير المؤمنين موضعاً بالقبض على اليسع وتوجيهه، وأنه، إن لم يفعل ذلك، خرجت العساكر فأهلكَته واستأصلت عشيرتَه. ووجَّه غزويه إلى المهديّ رسوله فوصَّاه بما أحبَّ ودفع إليه الكتاب، وغزويه لا يعلم. فوصل الرسول بالكتابين جميعاً: كتاب غزويه بشراء الجِمال وما أحبَّه من أحواله، والكتاب الثاني الذي دسَّه المهديّ. فلما وقف الرجل على ذلك قال: «هذه بليَّة قد وقعتُ فيها وامتُحِنتُ بها». وكان في ظنِّه أنَّ أحداً لا يعلم بوصول اليسع إليه. فجمع أهله وشاورَهم فقالوا: «لا تُكسِبْنَا عداوةَ المشارقة(92)، فإنَّه لا طاقةَ لنا بهم». فردَّ الجوابَ بأن يصل من يتسلَّم اليسع وأهلَه وولدَه. فدعا المهديّ بأبي عبدالله فقال له: ما تجعل لمن دلَّك على اليسع؟

فقال: كلّ ما عندي يا مولانا، وما أملِكُ إلَّا نفسي، فإن ملّكني مولاي نفسي جعلتُها لمَن دلَّني عليه وأَوقَعَه في يدي.

---

(92) المشارقة: هو الاسم الذي يطلقه أهل إفريقية والمغرب - وهم سنّة مالكيُون - على الشيعة الفاطميِّين.

فأطلعه على الكتاب فسجد بين يديه شكراً لله تعالى. فأمره أن يبعث من يختاره فبعث أبا مديني ولهيصة.

قال المهديّ: «تَبَيَّنتُ في أبي عبدالله من غير أن يظهر به قولاً ولا فعلاً، كراهية لأمر غزويه، وإن يكن بلغ منّا هذه المنزلة». وبيَّن ذلك أنَّ أبا العبَّاس جعل يقول: «هذا جزاؤنا، فعلنا وصنعنا»، وأكثر مثلَ هذا بحضرة المهديّ حتى أغضبه وقال له: «اخرج، فلا أقام الله دولةً تُقيمُها أنت وأخوك!».

فقال أبو عبدالله: وقد بلغت منه حتى أحوجته إلى هذا الكلام ﴿إنَّا لله وَإنَّا إلَيْهِ راجِعُوْنَ﴾ (البقرة، 156).

وحضر المائدة من ذلك اليوم وقد تغيَّر وجهُه ولونه، وظهر عليه ما حرَّكه به أبو العباس.

وذكر القرطيّ[93] في تاريخه أنَّ المهديّ كتب إلى القرامطة: «وأنا أحلف، أيُّها المؤمنون، بأجلّ ما يحلف به، أنَّ فيما تلقَّيتُه ممَّا أطلعَنَا الله عليه من غَيبه الذي استأثر به وآثر بعلمه أولياءه الذين ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة، 38)، أنَّه لا بدَّ أن تحلَّ ولايتُنا بخضراء بني أُميَّة بالشام وزوْراء بني العبَّاس بالعراق، ويكون لنا من الخلفاء مثل ما كان لبني أميَّة في العدد». (قال) فقد والله كان جميعُ ما ذكره.

ووقَّع المهدي لقاضي قضاته [ابن] أبي المنهال، وقد أعادهُ إلى القضاء بعد عزله: إنَّما عزلتُك لِلينك ومهانتِك، ورددتُك لدينك وأمانتك.

وكتب عبيدالله إلى سعيد بن صالح بن سعيد بن إدريس بن صالح بن

---

(93) القُرْطيّ (ت 567): «نسبة إلى القرط الذي تأكله الدوابّ» أبو عبد الله محمد بن سعد. مؤرخ مصري عاش في زمن العاضد الفاطميّ. وألَّف «تاريخ مصر» بين سنتي 558 و 564. انظر: ابن سعيد المغربي: المغرب (قسم مصر، 267) والنجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، 22 هامش 2.

منصور صاحب مدينتَي نكور وتمسيامان من بلاد المغرب يدعوهُ لطاعته، وكتب في أسفل كتابه [طويل]:

فـإن تستقيمـوا أستقم لصـلاحكم وإن تعـدلـوا عني أر قتلكم عـدلا
وأعلو بسيفي قـاهـراً لسيـوفكـم وأدخلهـا عنْـواً وأملؤُهـا قتـلا[94]

* * *

التعليق: الترجمة من مخطوط باريس، ورقة 211 إلى 224.

وهي ترجمة مطوَّلة، لأنَّ المقريزيّ أثقلها بما خاض فيه من قضيَّة النسب الفاطميّ، وبالنقول الكثيرة من الطاعنين فيه والمصدِّقين له. وهو إلى الشكِّ في صحَّة نسبهم أميل إلاّ أنَّه لم يجسر على التكذيب، تأثُّراً بموقف أستاذه ابن خلدون كما يقول.

غير أنّنا نلتمس هنا وهناك شيئاً من التحفُّظ إزاء الدولة العبيديَّة، وبالخصوص عندما ينقل أخبار الاضطهاد الذي قيل إنهم سلَّطوه على أهل السنة.

وأفادتنا الترجمة ببعض التفاصيل والمعلومات التي سكت عنها بقيَّة المؤرخين: من ذلك وجود «جريدة» للأنساب العلويّة ببغداد هي بمثابة السجلّ الرسميّ الذي يُرجَع إليه في تثبيت نسب الأشراف أو تفنيده.

ومِن ذلك أن الأسرة الفاطميَّة كلُّها، نساءً ورجالاً، أحياءً، وربُّما أمواتاً، قد غادرت إفريقية مع المعزّ.

ومن ذلك أيضاً ما نستشفّه من دهاء المهدي في رفعه من شأن القائد الكتامي غزويه بن يوسف حتى يقابل به نفوذ أبي عبد الله وأخيه تمهيداً للقضاء عليهما.

* * *

(94) البيتان في البيّان المغرب لابن عذاري 178/1 مع جواب أهل نكور.

11 ـ حبشيّ بن أحمد السلميّ
رئيس فرقة المغاربة (ـ 324)

حبشي بن أحمد السلميّ أبو مالك، ترأس على المغاربة الذين كانوا بمصر في أيّام الفتن التي حدثت بها بعد موت الأمير تكين بين أبي بكر محمد بن عليّ الماذرّائيّ وبين أبي بكر محمد بن تكين، وصار حبشيّ بأصحابه في جملة الماذرّائيّ.

فلمّا ولي أحمد بن كيغلغ مصر، نزغ[1] الشيطان بين الجند فافترقوا فرقتين فكان جيكويه[2] على أهل مصر، وحبشيّ على المغاربة نحو الأربعين رجلاً. وفرّ حبشيّ بمن بقي إلى الجيزة وعسكر، ثم سار إلى أسيوط وأقام بها. ثمّ عاد بالمغاربة إلى الجيزة سلخ صفر سنةَ اثنتين وعشرين [وثلاثمائة / 28 فيفري934] فخرج إليهم جند مصر لقتالهم. فوقع الصلح بين الفريقين يومِ الثلاثاء ثامن ربيع الأوّل. ثمّ كره ذلك جيكويه فاستعدَّ حبشيّ، وأقام كلٌّ من الفريقين بالجيزة، والأمير يومئذ بمصر أحمد بن كيغلغ، والقائم بتدبير الأمور أبو بكر محمد بن عليّ الماذرّائيّ.

فبينا هُم في ذلك إذ أتاهم محمد بن تكين يومَ الأحد ثالثَ عشره ونزل الجيزة مع جند مصر وبعث يأمر حبشيّ بطاعتِه فامتنع من ذلك ورجع فيمن

(1) نزغ الشيطان بينهم: أفسد.

(2) قائد المصريين في قراءة رڤن ڤست: حبكويه (الولاة والقضاة، 284) بالحاء المهملة والباء الموحّدة التحتيّة.

معه إلى الصعيد، ولحق به محمد بن عيسى النوشريّ[3]، وهم على الدعاء لأحمد بن كيغلغ. ثمّ عدّى حبشي النيل بأصحابه إلى البرِّ الشرقيّ، ثمّ سارَا إلى الفسطاط، فعسكر محمد بن تكين ببركة المعافر[4] فبيَّتَتْهُ طائفة من المغاربة ليلة السبت لثلاث خلون من ربيع الآخر [22/322 مارس 934] وقتل من الفريقين جماعة. ثمّ التقوا من الغد فانهزمت المغاربة إلى الجيزة ونزلوا بولاق.

فعقد محمد بن تكين لجيكويه وأحمد بن بدر السميساطيّ على آلافٍ من الجند في طلب حبشي حيث كان. فالتقَوا ببلقينة يوم السبت لتسع بقين من جمادي الآخرة [7/322 جوان 934] واقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم جيكويه وأحمد بن بدر وتبعهم المغاربة فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وعدّوا النيل إلى بلبيس، فلحق بهم الفسطاط. وفرَّ محمد بن تكين في سادس رجب [15/322 جوان 934] ثمّ عاد.

فخرج إليه حبشيّ وقاتله فيما بين فاقوس وبلبيس[5] فهزمه ثمّ أسره وبعثه إلى الفسطاط. فقدم الخبر بمسير محمد بن طغْج من دمشق إلى مصر، فبعث أحمد بن كيغلغ بحبشيّ فيمن معه إلى الفَرَمَا ليمنعَ محمد بن طغْج من المسير. فلمّا هَزم صاعدُ بن الكلملم عليَّ بنَ بدر، وكفَّ أحمد بن كيغلغ عن قتال محمد بن طغج وسلَّم إليه مصر، كره حبشي والمغاربة المُقامَ معه، فركبوا طريقَ الشرقيَّةِ، ومعهم بجكم، وعلي بن بدر ونظيف النوشري،

---

(3) هو ابن عيسى النوشري الذي كان أمير مصر عند مرور المهديّ بها قاصداً إفريقية. ومحمد هذا ولّاه أحمد بن كيغلغ شرطة مصر سنة 323 (كتاب الولاة والقضاة، 285).

(4) بركة المعافر أو بركة حِمْيَر أو بركة الحبش. قال ياقوت: هي وَهْدَةٌ من الأرض واسعة مشرفة على النيل خلف القرافة.. وقالْ: وليست ببركة للماء وإنّما شبِّهت بها.
ولكنَّ الكندي (ولاة، 115) قال إنَّ يزيد بن حاتم المهلَّبيّ هو الذي ابتنى هذه الفسقيّة لقومه المعافر، وأجرى إليها الماء.

(5) يضيف الكندي، 285: بموضع يقال له: الطواحين.

وعلي المعدنيّ[6]، ولحقوا بالفيُّوم. فخرج إليهم صاعد فقاتله حبشيّ وقتله، ومضى من الفيُّوم إلى الإسكندرية في جيشٍ فأقام بها، وبعث عليّ بن بدر وبجكم في المراكب التي غنموها من صاعد بن الكلملم، فصبحوا الفسطاط أوّل يوم من ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين [وثلاثمائة / 2 أكتوبر 935] فأرسوا بالجزيرة تجاه الفسطاط، وكانت الصناعة بها إذ ذاك فشعَّثوها. فركب محمَّد ابن طغج في عسكره ووقف بحيالهم من غير أن يستطيع دفعهم لما بينه وبينهم من النيل.

ثم انحدروا من الجزيرة إلى الإسكندرية آخر النهار، ولقُوا حبشيّ وساروا جميعاً إلى برقة، وكتبوا لصاحب إفريقية[7] يستأذنونه في القدوم عليه وأن يُمدَّهم بجيش ليأخذوا له / مصر، فإنَّهم يعلمون وجوهَ الحرب وكيف الوصول [319]
إليها فبينا هم في ذلك مات حبشي في صفر سنة أربع وعشرين وثلاثمائة [/ جانفي 936][8].

* * *

التعليق: الترجمة من مخطوط السليميّة، 318.

أدرجنا ترجمة حبشيّ لسببين: لأنه رئيس فرقة «المغاربة» الذين كانوا صنفاً من المرتزقة في الجيش المصريّ، يستند إليهم الولاة لصرف منافسيهم على الحكم. وهذا الفريق سبق بكثير دخول الفاطميّين إلى مصر، ويظهر أنه بعيد عن التشيّع.

والسبب الثاني أنّ حبشيّ وجماعته من أنصار أحمد بن كيغلغ لمّا ثبتت ولاية الإخشيد على مصر، نزحوا إلى برقة وأخذوا يُغرون القائم العبيدي باحتلال مصر. فجهّز القائم جيشاً في سنة 324 حسب رواية الكندي، 287 فتصدّى له الإخشيد.

* * *

(6) في قراءة ناشر كتاب الولاة والقضاة، 286: نظيف الموسويّ، وعليّ المغربيّ.

(7) صاحب إفريقية هو إذ ذاك القائم بأمر الله.

(8) قال الكندي، 287 إن حبشيّ توفي بالرمادة.

12 ـ محمَّد بن تكين الخاصَّة (ـ بعد 324)

ولي مصر باستخلاف أبيه له في صفر سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة [فيفري 932]. فقام أبو بكر محمد بن علي الماذرَّائي بأمر البلد كلّه، ونظر في أعماله. فشغب الجند عليه في طلب أرزاقهم، وأحرقوا دوره ودور أهله. فخرج محمد بن تكين وعسكر بمنية الأصبغ وسار إلى بلبيس. فبعث إليه محمد بن علي يأمره بالخروج عن أرض مصر وأن يرحل عنها. وعسكر الجند بباب مدينة الفسطاط وأقاموا هناك إلى سلخ ربيع الأوَّل منها. ولحِق محمد بن تكين بدمشق.

ثمَّ أقبل إلى مصر يذكر ولايته من قِبل القاهر. فامتنع محمد بن علي من ذلك، واستجاش بمن معه من المغاربة، ورئيسهم حبشيّ بن أحمد أبو مالك السلميّ(1). وخرج لمنع محمد بن تكين من مسيره إلى مصر، وأقام بجرجير(2).

وَوَرَدَت ولاية محمد بن طغج على مصر يوم السبت لسبع خلون من رمضان، فدعي له بمصر وهو مقيم بدمشق.

ثمَّ قدمت ولاية أحمد بن كيغلغ يوم الخميس لِتِسع خلونَ من شوَّال

(1) حبشيّ رأس فرقة المغاربة: انظر ترجمته في هذا الكتاب (رقم 11).

(2) جرجير: بين مصر الفسطاط والفرما (ياقوت). وهي في خريطة رڤن كست تقع شرقي بُلبيس فالطواحين فالفاقوس في اتجاه الفرما.

[177] [2/321 أكتوبر 933] فكانت فتن إلى أن قدم محمَّد بن تكين من فلسطين / يوم الأربعاء[3] لثلاث عشرة خلت من ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين [وثلاثمائة / 2 مارس 934] فنزل الجيزة مع الجند، وأظهر كتباً لأبيه فأنكر ذلك محمد بن علي الماذرّائي. وبعث محمد بن تكين إلى حبشيّ بن أحمد رئيس طائفة المغاربة في جند مصر يأمره وأصحابه بالدخول في طاعته والانقياد إليه فأبوا ذلك.

ودعي لمحمَّد بن تكين بالإمارة فعزل الحسين بن علي بن معقل عن الشرط وولّى مكانه بجكم الأعور. وسار حبشيّ في أصحابه إلى الصعيد، ولحق به محمد بن عيسى النوشريّ فأمَّروه عليهم، وهم على الدعاء لأحمد بن كيغلغ.

ثمَّ عدّى حبشي النيل إلى الشرقية وأقبل في أصحابه يريد الفسطاط. فعسكر محمد بن تكين من بركة المعافر إلى الفجّ. ثمَّ أتته طائفة من المغاربة فبيَّتت عسكره ليلة السبت لثلاث خلون[4] من ربيع الآخر [22/322 مارس 934] فقتل من الفريقين جماعة. ثمَّ التقوا من الغد فانهزمت المغاربة، ورجع محمد بن تكين فنزل دار الإمارة.

وأقبل أحمد بن كيغلغ، وقامت المغاربة إلى الجيزة فنزلوا بولاق.

وعقد محمد بن تكين لجيكويه وأحمد بن بدر السميساطيّ على الآلاف[5] من الجند لطلب المغاربة حيث كانوا. فالتقوا بشَرْقِيُّون في بُلْقِينَة[6] يوم السبت لتسع بقين من جمادى الآخر فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم جيكويه وأحمد بن بدر وأصحابهما وتبعتهم المغاربة فقتلوا منهم خلقاً كثيراً.

---

(3) في كتاب الولاة، 283: يوم الأحد، وهو أوفق لجداول كاتينوز.

(4) عند الكندي، 283: لستٍ خلون، وحساب المقريزي هنا أصوب، رغم تماثل عبارته مع عبارة الكندي، وكأنَّه ينقل عنه.

(5) الكندي، 284: على ألفٍ.

(6) بلقينة وشرقيون: في جهة المحلَّة الكبرى من أسفل الأرض (كورة بنا).

وعدّى المغاربة النيل فساروا إلى بلبيس، فعسكر محمد بن تكين بباب المدينة، ولحق بجكم بالمغاربة. فجعل محمد بن تكين على الشرط الحسين بن علي بن معقل.

وأقبل أحمد بن كيغلغ فنزل المنية يوم الخميس لثلاث خلون من رجب [19/322 جوان 934] فانضمّت إليه المغاربة ولحق به كثير من أصحاب محمد بن تكين فأمّنهم.

ومضى محمد بن تكين في الليل(7) وترك عسكره، فأصبح أصحابه وهم لا يحسّونه فلحقوا كلّهم بأحمد بن كيغلغ. ودخل الفسطاط لست خلون من رجب سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة. فكان مقام محمد بن تكين في مدينة الفسطاط مائة يوم واثنَيْ عشر يوماً.

ثمّ وردت الأخبار بخلع القاهر وولاية أبي العبّاس الراضي بالله ابن المقتدر، فعاد محمد بن تكين وألقى إلى الناس أنّ أمير المؤمنين الراضي ولّاه مصر. وأقبل في جمع معه.

فخرج إليه حبشيّ بن أحمد في المغاربة فألتقَوا فيما بين فاقوس وبلبيس واقتتلوا فانهزم محمد بن تكين وأسر وبعث به إلى الفسطاط فأخرج إلى الصعيد.

* * *

التعليق: هذه الترجمة من مخطوط ليدن 1، ورقة 174.

والأحداث التي يرويها المقريزي ذكرها الكندي في كتاب الولاة بنفس الترتيب وفي عبارة مماثلة.

وأدرجنا هذه الترجمة في كتابنا لما فيها من ذكر لدور فرقة المغاربة في الفتنة أوّلاً، كما فعلنا في ترجمة حبشيّ رئيسهم. ثمّ لما يستشفُ خلالها من ترصُّد الفاطميِّين بإفريقية للأحداث بمصر حتى ينقضوا عليها.

(7) قراءة رفن كست: في النيل، وقراءتنا أصوب بدليل: فأصبح أصحابُهُ.. وهي عبارة ابن تغري بردي: نجوم 243/3: فرَّ ليلاً من مصر...

13 ـ بجكم الأعور (ـ 328)

ولّاه الأمير أبو منصور تكين الشرط بعد وصيف في يوم السبت لثلاث بقين من رجب سنة سبع عشرة وثلاثمائة [5 سبتمبر 929]. ومات تكين[1] وولي أحمد بن كيغلغ[2] مصر فأقرّه على الشرط. ثمّ صرفه بالحسين بن علي بن معقل في يوم الأحد لأربع بقين من شوّال سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة [18 أكتوبر 933].

وردّه محمد بن علي الماذرّائي إلى الشرط فحارب الجند بالجزيرة فانهزم منهم. وعاد ابن معقل إلى الشرط فكانت فتنة الجند وقيام حبشيّ في المغاربة لمحاربتهم.

فلمّا قدم محمد بن تكين أعاد بجكم وصرف الحسين بن معقل عن الشرط في ثالث ربيع الأوّل، فخالف على محمّد بن تكين ولحق بالمغاربة في العشرين من جمادى الآخرة.

فلمّا تمّ الأمر لأحمد بن كيغلغ أعاد بجكم إلى الشرط وصرف ابن معقل في ثالث رجب [19/322 جوان 934].

---

(1) مات تكين الخاصّة في 16 ربيع الأول 321. وكان ولّى الشرطة لوصيف الكاتب في صفر سنة 313 في ولايته الثالثة لمصر.

(2) سكت المقريزي هنا عن ولاية محمد بن طغج سنة 321، لأنها لم تدم إلّا 32 يوماً، ولم يدخل الإخشيد مصر (الكندي، 281 - 282). وولاية أحمد بن كيغلغ هي الثانية (شوّال 321).

ثم خرج بجكم إلى الحجِّ وقد وليَ مصرَ محمدُ بن طُغْج الإخشيد، وسار إليها فلحق به سعد بن عثمان(3) وهو على الشرط. فجعل أحمد بن كيغلغ بجكم مكانه في رمضان سنة اثنتين وعشرين. فلمَّا تسلَّم محمد بن طغج الفسطاط، وكره حبشيّ والمغاربة المقام معه وخرجوا / إلى الفيُّوم، [242 أ] خرج معهم بجكم، وعلي بن بدر، ونظيف النوشري، وعلي المعدنيّ. وكان من أمر صاعد معهم وقتله ما ذكر في ترجمتِه(4).

فلمَّا صار حبشيّ من الفيُّوم إلى الإسكندريَّة قدم بجكم وعلي بن بدر في مراكب صاعد التي غنموها لمَّا قُتل، حتى قدم الفسطاط أوَّل يوم من ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين [وثلاثمائة / 2 أكتوبر 935]، وأرسوا بجزيرة مصر، وبها حينئذ الصناعة فشعَّثوها.

وخرج إليهم محمَّد بن طغج فلم يمكنه الوصول إليهم وعادوا من آخر يومهم إلى الإسكندرية ولحقوا ببرقة وكاتبوا صاحب إفريقية في إرسال جيشٍ ليأخذوا له مصر.

فمات حبشي(5) وقدم جيش إفريقية، فسار بجكم على مقدِّمتِه حتى ملك الإسكندريَّة في ربيع الآخر سنة أربع وعشرين [وثلاثمائة / مارس 936](6).

فبعث الإخشيد بأخيه الحسن بن طغج، فقاتل المغاربة وأسر عدَّة منهم وقتل كثيراً وهزم باقيَهم، وفيهم بجكم، فلحق ببرقة وأقام بها إلى أن قدِم على الإخشيد ومعه علي المعدنيّ مستأمِنين. وأمَّنَهُمَا، وذلك في جمادى الأولى سنة ثمانٍ وعشرين [وثلاثمائة / فيفري - مارس 940].

* * *

(3) في النجوم الزاهرة 252/3: سعيد بن عثمان، وكذلك عند الكندي، 289 وقال إنَّه توفي في 15 صفر 328.

(4) حرف الصاد في الأجزاء المفقودة من المقفَّى.

(5) مات حبشيّ في صفر 324.

(6) عند الكندي، 288، كانت هذه الوقعة في 22 منه / 18 مارس، وكان على الجيش الفاطميّ يعيش وأبو تازرت الكتاميّان.

التعليق: الترجمة من مخطوط السليميّة، ورقة 241.

وبجكم الأعور هو غير أبي الحسين بجكم الذي خدم محمد بن رائق بالعراق وكانت له جولات مع البريدي.

وخبر الفتنة بين ولاة مصر المعزولين والمثبتين مستفيض في كتاب الكندي، وفي النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، وفي تراجم القوّاد والأمراء المعنيِّين في المقفّى كالإخشيد، وأخيه الحسن بن طغج ومحمد بن تكين وحبشيّ رأس المغاربة وغيرهم.

وهذا التقاتل بينهم على الحكم مهَّد بدون شكّ لاستيلاء جوهر على مصر.

14 ـ أحمد بن كيغلغ (242 ـ 330)

أحمد بن كيغلغ أبو العبَّاس، أمير مذكور، وشاعر أديب من أولاد أمراء الشام. كان أبوه كيغلغ خليفة عبدالله بن بُغا، ثمَّ عمل قائداً برأسه في سرّ من رأى، وزيد في رزقه قيمة ألفَي درهم لأنَّه كان من جملة الذين قتلوا المتوكِّل.

وولي غزو الصائفة فغزا بلاد الروم من طرسوس[1] في أوَّل المحرَّم سنة أربع وتسعين ومائتين [22 أكتوبر 906] فأصاب من الروم أربعة آلاف رأس سبياً، ودوابَّ ومواشِيَ وأمتعةً كثيرة. وسار إليه بطريق من بطارقة الروم في الأمان فأسلم، وغزا به ففتح الله عليه وغنم نحو[ا] من خمسين ألفَ رأسٍ وقتل مقتلة عظيمةً من الروم، وعاد بمن معه سالماً.

فلمَّا سار حباسة بن يوسف من إفريقية بالعساكر إلى مصر، أخرج أمير المؤمنين المقتدر بالله عسكراً من بغداد في جمع من القوَّاد، منهم أحمد بن كيغلغ. فقدم إلى مصر يوم السبت لسبع خلون من ربيع الأوَّل سنة اثنتين وثلاثمائة [30 سبتمبر 914] وشهد مع تكين أمير مصر واقعة حباسة بجيزة مصر.

ثمَّ أقبل مؤنس الخادم من العراق في جيوشه ومعه جمع من الأمراء إلى مصر، فأمر أحمد بنَ كيغلغ بالخروج إلى الشام في شهر رمضان من هذه السنة. فسار إليها وولي دمشق.

---

(1) خبر هذه الغزوة من أحمد بن كيغلغ، عند ابن الأثير تحت السنة 294.

فلمّا صرف مؤنس تكين عن مصر وأخرجه في سابع ذي الحجّة منها، قدم إلى دمشق والياً عليها في المحرَّم سنة ثلاث وثلاثمائة [جويلية ـ أوت 915].

ثمَّ ولي أحمد بن كيغلغ مصر بعد هلال بن بدر من قِبل المقتدر على صلاتها دون خراجها في ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وثلاثمائة [جويلية ـ أوت 923] فاستخلف ابنه العبَّاس(2) إلى أن قدم لأيَّام بقيت من شهر رجب، ومعه محمَّد بن الحسين بن عبد الوهاب الماذرَّائي على خراج مصر. فنزلا المُنية وأحضَرَا الجند ووضعا العطاء وأسقطا كثيراً من الرجّالة، فشغب الرجالة وخرجوا إلى ابن كيغلغ فتنحَّى عنهم إلى فاقوس(3) وقبضوا على محمد بن الحسين وأدخلوه الفسطاط. وبقي أحمد بن كيغلغ بموضعه.

ثمَّ صُرف عن مصر بتكين، فقدم رسوله في ثالث ذي القعدة منها، وأعيد ابن كيغلغ إلى ولاية دمشق فأقام بها إلى أن عُزل في سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة.

ثم أعيد إلى مصر من قِبل القاهر بالله، فقدم رسوله يوم الخميس تاسع شوَّال سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة [2 أكتوبر 933]، واستخلف أبا الفتح [محمد] بن عيسى النوشريّ فشغب الجند في أرزاقهم على محمد بن علي الماذرَّائي، وأحرقوا دوره ودورَ أهله. ثمَّ نزغ الشيطان بين الجند فافترقوا. وكانت وقائع حبشيّ بن أحمد، فقدم أحمد بن كيغلغ في ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين بعد قدوم محمد بن تكين واستيلائه على الفسطاط، ونزل المنية يوم الخميس ثالث رجب من سنة اثنتين وعشرين بعد قدوم محمد بن أبي [منصور تكين] فانضمت إليه المغاربة، ولحق به كثير من أصحاب محمد بن تكين، فأمَّنهم. وفرَّ ابن تكين وترك عسكره فلحق بقيّة أصحابه بأحمد بن كيغلغ. ودخل الفسطاط لستّ خلون من رجب / المذكور. [121 ب]

(2) في المخطوط: الميّاس، والتصويب من الولاة والقضاة، 274.

(3) فاقوس: في آخر ديار مصر من جهة الشام في الحَوف الأقصى (ياقوت).

فلمّا خُلع القاهر، واستخلف أبو العبّاس الراضي بالله ابن المقتدر، عاد محمد بن تكين في جمع، فخرج حبشيّ بن أحمد السلميّ في المغاربة وواقَعه فيما بين بلبيس وفاقوس، وهزمه، وأسره وبعث به إلى أحمد بن كيغلغ، فأنفذ به إلى الصعيد.

فورد الخبر بمسير محمد بن طُغْج إلى مصر. فبعث إليه أحمد بن كيغلغ بحبشيّ بن أحمد في المغاربة إلى الفرما، وأقبلت مراكب محمَّد بن طغْج فدخلت تنيس وسارت مقدّمتُه في البرّ. فعزم ابن كيغلغ على أن يسلِّم [إليه][4] فأبى ذلك محمد بن علي الماذرائيّ وسيَّر لقتاله، فانهزم أصحاب الماذرّائيّ.

وأقبل محمد بن طغج، فعسكر أحمد بن كيغلغ للنصف من شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين. فخرج كثير من الجند إلى محمَّد بن طغج. والتقى محمد بن طغج وأحمد بن كيغلغ يوم الأربعاء لسبع بقين من رمضان [26/323 أوت 935] فكفَّ ابن كيغلغ عن القتال وسلّم إلى محمد بن طغج، وتكافّا جميعاً.

وسار إلى العراق، وما زال يتقلَّب في الأمور إلى أن قتله الروم سنة ثلاثين وثلاثمائة.

وكان أديباً. فمن شعره (رمل مجزوء):

لَا يَكُنْ للكأسِ في كـ ـفّكَ يومَ الغَيْمِ لَبْثُ
أَوَ مَا تَعْلَمُ أنَّ الـ ـغَيْمَ ساقٍ مُسْتَحِثُّ؟

ومن شعره (مجزوء الوافر):

بَدَتْ فِي ذلك الحَجْبِ كمثل اللؤلؤِ الرَّطبِ
فِأَدْمَى خدُّها لَحْظي وأدمَى لحظُها قلبي

(4) في المخطوط: يسلِّمه، والتصويب من صيغة الولاة والقضاة، 285.

ومنه (سريع):

واعطَشي إلى فمٍ يمجُّ خمراً من بَرَدْ
إن قسم الناس فحسـ ـبي بك من كلّ أحَدْ

* * *

التعليق: الترجمة في مخطوط السليميّة، ورقة 121 أ.

ترجم الكندي (الولاة والقضاة، 282) ترجمة ضافية لأحمد بن كيغلغ، في عبارة مماثلة لكلام المقريزي، ممّا يدلُّ على أنَّ صاحب المقفّى ينقل عن المؤرخ المصري، أو يشترك معه في مصادر واحدة.

وكذلك ابن عساكر في تاريخ دمشق 440/1 وأورد الأبيات الستة فلعلَّ المقريزي نقلها عنه، كما نقلها ابن خلكان في آخر ترجمة الإخشيد محمد بن طغج (رقم 689).

وترجم له الصفدي في الوافي (رقم 3287) فقال: إنَّ «الراضي ولاّه مصر وعمره ثمانون سنة». والراضي ولي الخلافة سنة 322، فيكون مولد المترجم سنة 242، وعمره عند وفاته سنة 330 قرابة التسعين.

واستعرض ابن تغري بردي (النجوم الزاهرة، 242/3) هذه الأحداث بصورة أكثر وضوحاً ممّا هنا: فالتهافت على ولاية مصر، بين ابن تكين، وابن كيغلغ، والإخشيد ابن طغج، صدًى لما كان يدورُ ببغداد من خلع للخلفاء وتولية وعزل.

ومشاركة أحمد بن كيغلغ في ردِّ الحملة الفاطميَّة متواضعة، ورغم ذلك أدرجناه في المترجمين هنا عملاً بمبدئنا: ذكر كلّ من اتصل بالفاطميِّين، سلباً أو إيجاباً، أي مناصرةً أو مناهضةً، وأحمد بن كيغلغ لاقى حباسة بن يوسف في الحملة الأولى على مصر.

15 ـ القائم بأمر الله (280 ـ 334)

/محمد بن عبيد الله بن محمـد بن جعفر بن محمـد بن إسمـاعيـل بن [81 أ]
جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين أبو القاسم، وقيل أبو العبّاس.

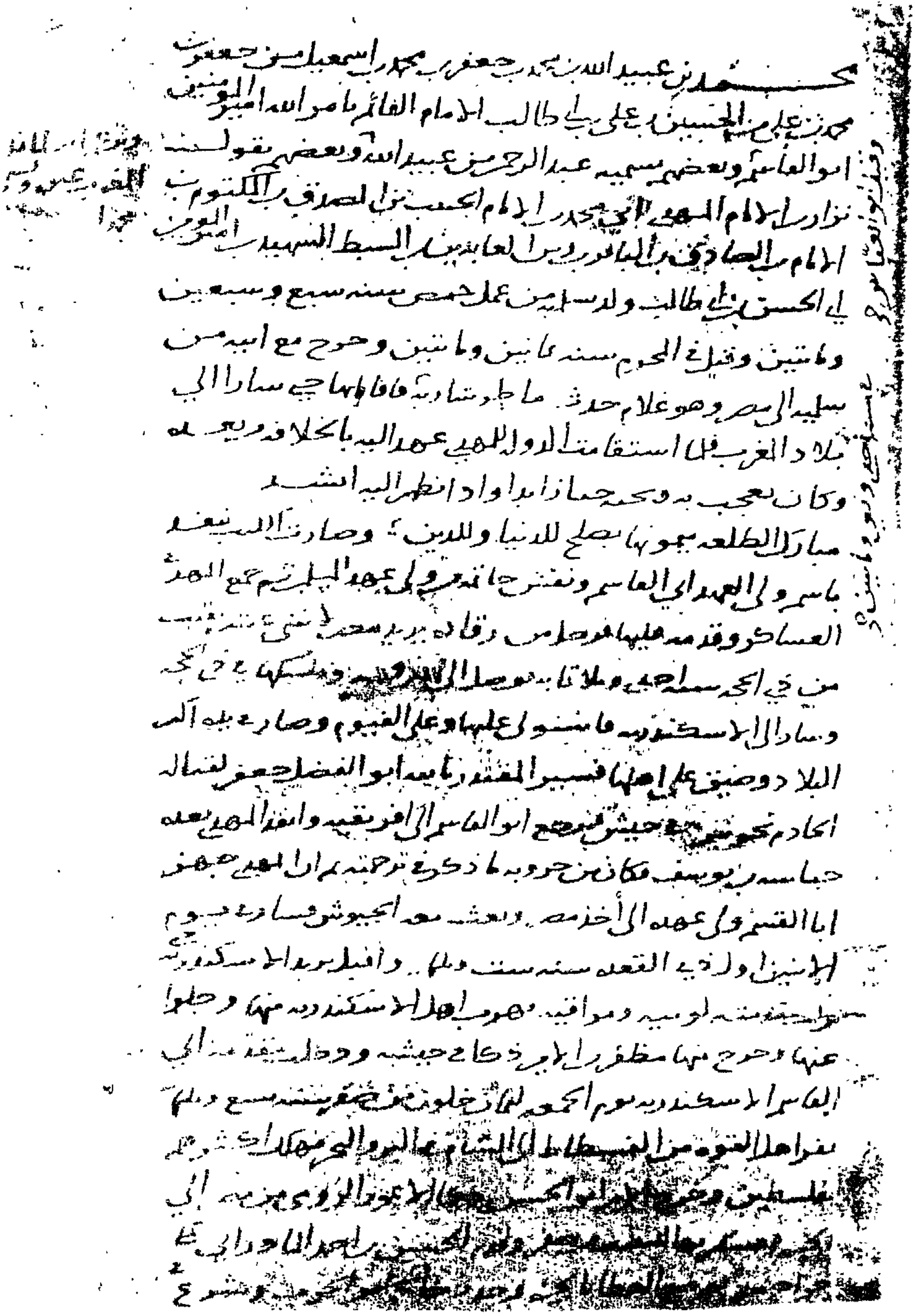
وبعضهم يسمّيه عبد الرحمان بن عبيدالله، ويزعمُ أنّه لمّا ملك المغرب غيّره وتسمّى محمّداً.

وبعضهم يقـول: نـزار بن الإمـام المهـديّ أبي محمّـد بن الإمـام الحبيب بن الصـادق بن المكتوم بن الإمـام بن الصـادق بن البـاقـر بن زين العابدين بن السِّبط الشهيد ابن أمير المؤمنين أبي الحسن [عليّ] بن أبي طالب.

ولد بسلميّة من عمل حمص سنة سبع وسبعين ومائتين. وقيل: في المحرَّم سنة ثمانين ومائتين [893 - 894].

وخرج مع أبيه من سلميَّة إلى مصر وهو غلام حدث ما طرَّ شاربه في سنة إحدى وتسعين ومائتين. فأقاما بها حتى سارا إلى بلاد المغرب. فلمَّا استقامت الدولة للمهديّ عهد إليه بالخلافة بعده، وكان يُعجَبُ به ويحبُّه حبّاً زائداً، وإذا نظر إليه أنشد (سريع):

مبـارك الـطلعـة ميمـونُهـا ... يـصلح لـلدنـيـا ولـلديـن


محمد بن عبيد الله بن محمد بن جعفر بن محمد بن اسمعيل بن جعفر بن
محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب الامام القائم بامر الله امير المؤمنين
ابو القاسم وبعضهم يسميه عبد الرحمن بن عبيد الله وبعضهم يقول
نزار بن الامام المهدي ابي محمد بن الامام [illegible] المكتوم بن
الامام [illegible] الصادق بن الباقر بن زين العابدين السبط الشهيد بن امير المؤمنين
علي بن ابي طالب ولد بسلمية من عمل حمص سنة سبع وسبعين
ومائتين وقيل في المحرم سنة ثمانين ومائتين وخرج مع ابيه من
سلمية الى مصر وهو غلام حدث [illegible] سارا الى
بلاد المغرب فلما استقامت الدولة للمهدي عهد اليه بالخلافة [illegible]
وكان يعجب به ويحبه حبا زائدا واذا نظر اليه انشد
مبارك الطلعة ميمونها يصلح للدنيا وللدين وصارت الدعوة تعقد
باسمه [illegible]
[illegible]

مخطوط ليدن، ورقة 81

وصارت الكتب تنفذ باسم وليّ العهد أبي القاسم، ونقش خاتَمه: من وليّ عهد المسلمين.

ثم جمع المهدي العساكر وقدَّمه عليها فرحل من رقَّادة يريد مصر لاثنتَي عشرة بقيت من ذي الحجَّة سنة إحدى وثلاثمائة[1]، فوصل إلى برقة وملكها في ذي الحجَّة، وسار إلى الإسكندرية فاستولى عليها وعلى الفيُّوم وصار في يده أكثر البلاد وضيَّق على أهلها. فسيَّر المقتدر بالله أبو الفضل لقتاله الخادم نحرير[2] في جيش. فرجع أبو القاسم إلى إفريقية. وأنفذ المهديّ بعده حباسة بن يوسف فكان من حروبه ما ذُكر في ترجمتِه[3].

* * *

ثمَّ إنَّ المهديّ جهَّز أبا القاسم وليَّ عهده لأخذ مصر وبعث معه الجيوش، فسار في يوم الاثنين أوَّل ذي القعدة سنة ستٍّ وثلاثمائة [5 إفريل 919][4]، وأقبل يريد الإسكندرية حتى نزلت مقدِّمتُه لِوبِيَةَ وَمَرَاقِيَةَ[5]، فهرب أهل الإسكندرية منها وجلَوا عنها. وخرج منها مظفَّر[6] بن الأمير ذكاء في

(1) في اتِّعاظ الحنفاء، 98 أيضاً، أرِّخت الحملة الأولى بذي الحجة 301 / يوليه 914. وفي عيون الأخبار للداعي إدريس، 194، أرِّخت بيوم الخميس 14 ذي الحجَّة، ولا يوافق نصف الشهر يوم خميس. والصواب ما جاء في المقفى هنا: يوم الخميس 17 ذي الحجة 14/301 يوليه 914.

(2) مؤنس الخادم هو الذي تصدَّى للقائم، كما في الكامل، 147/6 وعند المقريزي نفسه في الاتعاظ، 98. ولعلَّ الوهم ناتج عمَّا ورد عند الكندي (كتاب الولاة، 269) في قدوم نحرير الخادم من العراق. إلَّا أن قدومه كان لغرض آخر، ثم هو كان في ربيع الأوَّل 301، أي قبل رحيل القائم من رقَّادة بكثير.

(3) انظر الترجمة رقم 4 من هذا الكتاب. وفي خصوص حملة حباسة ينظر ك. الولاة والقضاة، 269 - 273 حيث فصَّل الكندي أحداثها ونقل الشعر الذي قيل فيها.

(4) حملة القائم الثانية على مصر: في الكامل، 161/6، وفي الاتعاظ، 103، كان وصول القائم إلى الإسكندرية في ربيع الآخر سنة 306، أي قبل التاريخ المذكور هنا بنحو ستَّة أشهر.

(5) لوبية ومراقية: كورتان من إقليم الإسكندرية تقعان على الساحل (كتاب البلدان لليعقوبي، ضمن الأعلاق النفيسة، 331). وتأتي لوبية قبل مراقية في طريق الإسكندرية من إفريقية.

(6) مظفَّر بن ذكا، «جعله أبوه ذكا الأعور على الإسكندرية في ربيع الأوَّل سنة 304» (ك. الولاة، 274) والمقريزي بوجه عامّ ينقل رواية الكندي مع اختلاف طفيف.

جيشه، ودخلت مقدِّمة أبي القاسم الإسكندرية يوم الجمعة لثمانٍ خلون من صفر سنة سبع وثلاثمائة [10 جويلية 919]، ففرَّ أهل القوَّة من الفسطاط إلى الشام في البرّ والبحر، فهلك أكثرهم بفلسطين، وخرج الأمير أبو الحسن ذكاء الأعور الروميّ[7] من مصر إلى الجيزة فعسكر بها للنصف من صفر، وقدّم الحسين بن أحمد الماذرَّائي[8] على خراج مصر فوضع العطايا بالجيزة، وجدَّ ذكاء في أمر الحرب وشرع في / بناء حصن بالجيزة وخندق على عسكره بها [81 ب] فمات في حادي عشر ربيع الأول. ووليَ مصر بعده أبو منصور تكين[9] مرَّة ثانية. ونزل العسكر بالجيزة.

وتقدَّم أبو القاسم إلى الإسكندريَّة في شهر ربيع الثاني، ومعه من طوائف العسكر عدد كثير. فكتب إلى أهل مكّة يدعوهم إلى طاعته فلم يقبلوا منه.

ووَرَدَتْ بذلك الأخبار إلى بغداد فبعث المقتدر بالله العساكر إلى مصر.

وأقبلت مراكب المهدي عبيدالله إلى الإسكندرية، عليها سليمان الخادم[10]، فقاتله ثمل الخادم[11] بمراكب طرسوس وأسره ومَن معه. وقدم

---

(7) ذكا الأعور: ولاَّه المقتدر على مصر في صفر سنة 303، وقد عوَّض تكين الخاصة الذي عزله مؤنس في ذي القعدة 302.

(8) الماذرَّائي: أبو علي الحسين بن أحمد، المعروف بأبي زنبور. تولَّى خراج مصر مدَّة طويلة ابتداء من سنة 293 (ك. الولاة، 258). وانظر ترجمته رقم 7 في هذا الكتاب.

(9) تكين الخاصة أبو منصور: ولي مصر ثلاث مرَّات، وكانت حملتا القائم في مدَّته. وتوفِّي في ربيع الأوَّل سنة 321 (انظر العيون والحدائق، 267 والهامش 5، وكذلك ك. الولاة، 267 وترجمته رقم 9 من هذا الكتاب).

(10) سليمان الصقلي «من عبيد الإمام المهديّ» (عيون الأخبار، 234) وأضاف الداعي إدريس أنه حمل إلى بغداد بعد أسره وضربت عنقه هناك بأمر من المقتدر. وفي العيون والحدائق، 207 أنّه مات بمصر، وكذلك في الكامل ـ 161/6.

(11) ثمال في عيون الأخبار، 206. وثمل في العيون والحدائق، 206. وخبر الحرب بين الأسطولين مستفيض في العيون والحدائق، 205 - 207. وفي التنبيه والإشراف للمسعودي، ص 331: ثمل الخادم الدلفي، صاحب أنطاكية والثغور الشاميّة.

مؤنس المظفَّر من بغداد على عدَّة من العسكر مَدداً لتكين. وسار أبو القاسم من الإسكندرية إلى الفيُّوم ونزلها واستولى على جزيرة الأشمونين كلّها. فقدم جنّيّ الصفواني[12] الخادم من بغداد سلخ ذي الحجَّة، وبعث مؤنس بأبي قابوس محمود بـن حمك[13] إلى جهة الفيُّوم بطائفة من العسكر فقتل نفراً من البربر وغنم غنائم كثيرة وعاد إلى المعسكر بالجيزة في سنة تسع.

ومضى ثمل في المراكب فأخرج من الإسكندرية أصحاب أبي القاسم وعاد إلى الجيزة فمضى منها إلى اللاهـون[14]. وسار مؤنس وتكين في عسكرهما وعلى مقدِّمتهما جنّي الصفواني، فدخلوا مدينة الفيُّوم.

وسار أبو القاسم إلى تَنْهَمَت[15] وتوجَّه إلى برقة ولم يكن بينَهُما لقاء[16]

---

(12) جنّي الصفواني: أحد القوَّاد العبَّاسيِّين، شارك بمصر في الحرب ضدَّ الفاطميِّين، وكان له أيضاً حروب مع القرامطة بالعراق (التنبيه والإشراف للمسعودي، 331 وفيه أنَّه «مولى ابن صفوان العقيلي»، فلعلَّ ذلك مصدر تلقيبه بالصفوانيّ)، وأسره أبو طاهر القرمطي في وقعة الكوفة سنة 312 (العيون والحدائق، 228).

وقد خصَّص له المقريزي في المقفَّى (السليميَّة، ورقة 304 ب) الترجمة التالية:

ودخل بلاد الروم في سنة ست وثلاثمائة فخرَّب ونهب وأحرق وفتح، وعاد. فقرئت الكتب على المنابر ببغداد. وقدم إلى مصر مدداً لتكين على قتال أبي القاسم ابن المهديّ عبيدالله صاحب إفريقية سلخ ذي الحجَّة سنة ثمانٍ وثلاثمائة، ومعه عسكر من بغداد، فعسكر بالجيزة.

وجعله مؤنس المظفَّر على مقدّمته عند مسيره إلى الفيُّوم.

فلمَّا مضى مؤنس إلى العراق خرج جنّي أيضاً من مصر في ثامن عشر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثمائة.

(13) أبو قابوس محمود بن حمك: ولاَّه مؤنس على مصر أيَّاماً (الكندي، 278)، وبعثه إلى «ذات الصفا من الفيُّوم فقتل نفراً من البربر وغنم غنائم ثم انصرف إلى الجيزة سنة تسع وثلاثمائة» (الكندي، 277). وترك مصر مع مؤنس وثمل في أوَّل ولاية هلال بن بدر.

(14) اللاهون اليوم: بلدة على عشرين ميلاً من مدينة الفيُّوم بينها وبين النيل. وتقع على خليج المنها أو بحر يوسف، الذي كان يحمل ماء النيل إلى بحيرة الفيُّوم أو بركة قارون. وفي كتاب الولاة، 272: «فمضى ثمل في مراكبه إلى اللاهون». أمَّا مؤنس وتكين فقد سارا إلى الفيُّوم على طريق البرِّ.

(15) تنهَمَت وأقنى: قريتان غربيّ مدينة الفيُّوم (انظر خريطة رفن كست ناشر كتاب الولاة ص 6 من القسم الإنجليزي).

(16) عبارة الكندي، 278: ولم يكن بينهُم، أي بين المغاربة والمصريِّين.

فرجع العسكر إلى المهديَّة في رجب منها[17] بعدما وقع في عسكره وباء وغلاء، فمات أكثرُ خيلِه ورجالِه.

* * *

ثمَّ بعثه المهدي في صفر سنة خمس عشرة وثلاثمائة [أفريل 927] على جيش كبير لقتال محمد بن خزر الزناتي، وقد قام بالمغرب واجتمع عليه خلق كثير. فسار حتى بلغ ما وراء تاهرت، وتفرَّق الأعداء. وعاد فخطَّ برمحِه مدينة في الأرض سمَّاها المحمَّدية ـ وهي المسيلة ـ وكانت خِطَّةً[18] لبني كملان فأخرجهم منها ونَقَلَهُم إلى فحص القيروان، كأنَّه توقَّع منهم أمراً فأحبَّ أن يكونوا قريباً منه. ولم يدر الناس معنى ذلك حتى ظهر أبو يزيد فكانوا أصحابه.

ولمَّا تمَّ بناء المحمدِيَّة سكنها كثير من الناس، وتقدَّم أن يُخزن بها كثير من الطعام ويُحتفَظ به، ففعل ذلك، فلم يزل مخزوناً حتى خرج أبو يزيد، فكان المنصور إسماعيل بن محمد القائم هذا يمتار منه ولا يجد غيره.

ولمَّا مات والده المهدي عبيدالله كتم موته سنةً[19] لتدبير كان له: فإنه كان يخاف من اختلاف الناس عليه إذا علموا بموته. فلمَّا تمكَّن وفرغ من

(17) أي من سنة 309.

(18) خِطَّة بالكسر، أي منزل ومسكن.

(19) عند ابن حمَّاد، 18: «وبويع يومَ مات أبوه عبيدالله» فلا ذكر لكتمان الخبر طيلة سنة، وكذلك عند القاضي النعمان: افتتاح (بيروت) 276، «فنُعِي [المهدي] صبيحة الثلاثاء لعشر خلون من ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين»... فالاختلاف هنا لا يتجاوز شهراً وخمسة أيَّام.

ولعلَّ المقريزي خلط بين موت المهديّ وموت القائم: فالمنصور كتم موت القائم سنة وثلاثة أشهر كما سيأتي في ص 122 من هذه الترجمة وفي ص 172 في ترجمة المنصور. وكتَمَ موت القائم لأنه كان في حرب مع أبي يزيد. أما إخفاء موت المهديّ فلا مبرِّر له. والمقريزي نفسه لم يذكر هذه المهلة في الاتعاظ وفي الخطط، بل اكتفى بعبارة مماثلة لما في المقفى: «فلما فرغ من جميع ما يريده وتمكَّن، أظهر موت أبيه...». ثم إن تاريخ المبايعة الذي سيذكره بعد قليل هو تاريخ وفاة المهدي: 15 ربيع الأول 322.

وفي العيون والحدائق، 280: «أخفى القائم موت أبيه لتدبير وسياسة» ولكن بدون ذكر مدَّة الكتم.

جميع ما يريد أظهر مَوت أبيه وبويع له في النصف من ربيع الأوَّل سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وله من العمر نحو من سبع وأربعين سنة. فقام مقام [أبيه] وأجمع [أمره] وأظهر [من الحزم] ما لم يسمع بمثله[20].

ولم يَرْقَ سريراً ولا ركب دابَّة لصيدٍ منذ أفضى إليه الأمر حتى مات.

وصلَّى على الجنازة مرَّة. وصلَّى بالناس صلاة العيد مرَّة واحدة لكثرة ما هو فيه.

وذلك أنَّه خرج عليه أبو طالوت القرشي بِناحية طرابلس فظفر به وحُملت رأسه إليها[21].

/ وسيَّر جيشاً في البحر إلى بلاد الروم فسبى وغنم. [82 أ]

وبعث خادمه زيدان إلى الإسكندرية فقاتَلته عساكر الأمير أبي بكر محمد بن طغج الإخشيد، وهزمته، فعاد مفلولاً[22].

* * *

وفي سنة ثلاث وثلاثين [وثلاثمائة / 944 - 945] اشتدت شوكة أبي يزيد مخلد بن كيداد النكاريّ الخارجيّ بإفريقيّة وكثرت أتباعه وهزم الجيوش.

وكان مذهبه تكفير أهل الملَّة واستباحة الأموال والدماء. وكان ابتداء ظهوره من سنة ستّ عشرة[23] وثلاثمائة، فما زال أمره يتزايد حتى أخذ عدَّة

(20) ما بين مربّعين إضافات يقتضِيها السياق تعويضاً لما انطمس من نصّ المخطوط.

(21) خبر أبي طالوت في البيان المغرب، 209 مؤرَّخاً بسنة 322. وفي العيون والحدائق، 339، تأخَّرت ثورتُه إلى سنة 328.

(22) هذه الحملة الجديدة على مصر أرّخها ابن عذاري 209/1 وصاحب العيون والحدائق، 295 بسنة 323، وذكرها ابن الأثير في حوادث سنة 322.
أمَّا الداعي إدريس فقد سكت عنها تماماً.

(23) يساير المقريزي في هذا التاريخ شيخه ابن خلدون، 41/4. أمَّا غيرهما من المؤرِّخين، فيختلفون في تحديد بداية الثورة: من سنة 296 (ابن الأثير) إلى سنة 332 (ابن حمَّاد). والملاحظ أنَّ المقريزي نفسه في الاتِّعاظ، 109 عيَّن سنة 303. وانظر خبر أبي يزيد مفصَّلاً في عيون الأخبار، ابتداءً من ص 264.

مدنٍ في هذه السنة، وصار يركب حماراً أشهب ويلبس جبَّة صوف قصيرة. وكان قبيح الصورة قصيرَ القامة أعرجَ. فاجتمع أهلِ المهديَّة إلى القائم وقالوا: قد أخذ أبو يزيد الأربس وهو بَابُ إفريقية، ولمَّا أُخِذ من بني الأغلب زالت دولتهم.

فقال لهم: لا بدَّ أن يبلغ أبو يزيد إلى المصلَّى كما قال المهديّ، وهو أقصى غايته.

ثم إنَّه أخرج الجيوش لضبط البلاد وجمع العساكر. وكانت لأبي يزيد مع جيوش القائم حروب. ونزل على رقّاده في مائة ألف مقاتل، وملك القيروان وهزَم العساكر. فخاف الناس بالمهديَّة. وقد امتدت سرايا أبي يزيد في كلٍّ ناحية. فارتحل عامَّة الناس من الأرباض بعيالهم إلى المهديّة يريدون التحصُّن بها، فأمر القائم بأمر الله حسَّان[24] البوَّاب بمنعهم من دخولها وأن يرجعوا بعيالاتهم إلى مواضعهم وأمرَه أن يقول لهم عنه: لا خوف عليكم فارجعوا فإنَّ هذا زَبَدٌ يذهب ويُديل الله من القوم، فإنَّ لكلِّ أجل كتاباً[25] ولكلٍّ أمر مدَّة. فلما قال لهم حسان ذلك ماج الناس ولم يسكن إليه إلَّا القليل، ثمَّ عاد بعضهم وسكن بعضهم.

ولمَّا وصل أبو يزيد إلى المصلَّى قال للقائم جماعة: لو خرج أمير المؤمنين بنفسه ورآه الناس، لرجَوْنا أن يكشف الله هذا الأمر بطلعتِه المباركة.

وعظَّموا الأمر ولم يشكُّوا أن أبا يزيد قد غلب على الأرباض وأن المهدية تحت[26] يديه، والقائم في ذلك مسرور، فلمَّا أكثروا عليه قال: والذي نفسي بيده ليُنجزَنَّ الله لنا وعده وإن كره المشركون!

ثمَّ قال لبعض الخدم: «امضِ إلى السور فإذا رأيتَ اللعين انصرف

---

(24) البوَّاب اسمه حيّان في عيون الأخبار، 298.

(25) تضمين للآية 11 من سورة الأحزاب.

(26) قراءة ظنيَّة، فالكلمة مطموسة. وعبارة الداعي إدريس تقف عند كلمة الأرباض.

عـن موضعه فلوِّح لنا بالسيف» ففعل ذلك. فلما انصرف أبو يزيد لوَّح بسيفه فقال القائم: «ابشروا، فقد بلغ الفاسقُ أقصى غايته وقد انصرف عنكُم ولستُم ترَوْنه عائداً إلى هذا المكان أبداً». وكان كذلك.

فأمر القائم بحفر الخنادق حول المهديَّة في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين، واستدعى كتامة فأتَوه. فنزل أبو يزيد على المهديَّة وصار على خمسة عشر ميلاً منها، وبثَّ سراياه ينهب ويقتل. فخرج إليه أصحاب القائم لثمانٍ بقين من جمادى الأولى وقاتلوه، فهزمهم وقتل كثيراً منهم وأشرف على المهديَّة ثمَّ رجع إلى منزله.

وتقدَّم إلى المهديَّة في جمادى الأخرى، ووقفَ على الخندق المُحْدَثِ وقاتل مَن عليه حتى وصل إلى عند المصلّى حيث الموضع الذي قال المهديّ إنَّه ينتهي إليه. وتفرَّق أصحابه ينهبون ويقتلون فحمل عليهم أصحاب القائم وهزموهم وقتلوا منهم. فاتَّفق وصول زيري بـن مناد. فخاف أبو يزيد وقام ليأتيَ كتامة وزيري من ورائهم، فظنَّه أهل الأرباض القائم قد خرج من المهديَّة فكرّوا وقويت نفوسهم واشتدَّ قتالهم، فتحيَّر أبو يزيد ونجا بنفسه إلى منزله بعد المغرب. واجتمع الناس عليه وحاصر المهديَّة عدَّة أشهر[27] حتى كثر الجوع والغلاء بها. ففتح القائم الأهراءَ التي عملها المهديّ وملأها طعاماً، وفرَّق ما فيها على رجاله. وبلغ بلاء الناس من شدَّة الجوع فخرجوا من المهديَّة ولم يبق بها سوى الجند.

ودخلت / سنـة أربـع وثـلاثين، والقتـال مستمـرّ بين القـائم وبين [82 ب] أبي يزيد فكانت بينهما حروب آلت إلى رحيله عن المهديّة في سادس صفر[28]. ونزل على القيروان. فتنفَّس خناق أهل المهديَّة، وقوي القائم، وبعث إلى البلاد العمَّال وطردوا أصحاب أبي يزيد وأخذوهم، فتفرَّق الناس عن أبي يزيد.

---

(27) من جمادى الثانية سنة 333 إلى صفر 334.

(28) من سنة 17/334 سبتمبر 945.

ثم جمع الناس وبعث العساكر تنهب وتقتل، وكان من ذلك ومن التخْريب والإحراق بالنار ما لا يوصف. وكثرت الحروب بين أصحاب القائم وأبي يزيد إلى أن فوَّض القائم العهد لابنه إسماعيل المنصور في شهر رمضان سنة أربع وثلاثين[29].

* * *

وتوفِّي بالمهديَّة يوم الأحد لثلاث عشرة خلت من شوَّال[30] [سنة 334] وله من العمر ثمانٍ وخمسون سنة ـ وقيل: أربع وخمسون ـ وتسعة أشهر وستة أيام. وكانت ولايته اثنتي عشرة سنة وستة أشهر ـ وقيل: سبعة أشهر ـ واثنَي عشر يوماً. وكتم ابنُه المنصور إسماعيل موته سنة وثلاثة أشهر خوفاً أن يتَّصل ذلك بأبي يزيد فيقوى عزمه.

وخلف من الولد سبعة، وهـم:

1 ـ أبو الطاهر إسماعيل، وولي الخلافة بعده.
2 ـ وأبو عبدالله جعفر[31].
3 ـ وحمزة.
4 ـ وعدنان.
5 ـ وأبو كنانة[32].
6 ـ وأبو الفرات عبد الجبَّار.
7 ـ ويوسف[33].

فأمَّا جعفر فمات بمصر، وحمزة وعدنان وأبو كنانة ماتوا بالمغـرب وعبد الجبار مات بمصر[34].

(29) كان تعيين المنصور في 8 رمضان 13/334 أبريل 946.

(30) 19 مايو 946.

(31) في الاتعاظ، 127: «مات [بمصر] في أيَّام المعزّ»، أي بعد سنة 362.

(32) ابن حمَّاد، 39: مات سنة 340 (أي في خلافة المنصور).

(33) في الاتعاظ أيضاً: «مات يوسف ببرقة سنة 362»، أي إبَّان انتقال المعزّ إلى عاصمته الجديدة.

(34) في الاتِّعاظ: توفي بمصر سنة 337 وهو وهمٌ، إذ يقول الداعي إدريس، 718: «وهاجر مع المعزّ =

وترك أيضاً أربع بنات:

أمّ عيسى، ماتت بمصر.

وأمّ عبدالله،

وأمّ الحسين،

وأمّ سليمان، مِتن بمصر.

وكان له سبع سراريّ.

وكان نقش خاتمه: بنصر الدائم، ينتصر الإمام أبو القاسم. وقضاته: إسحاق بن أبي المنهال[35]. ثمَّ أحمد بن بحر[36] ثمَّ أحمد بن الوليد[37].

وحاجبه جعفر بن عليّ.

* * *

وكان القائم بأمر الله أديباً شاعراً: كتب إلى المظفَّر مؤنس الخادم جواباً عن كتابه إليه لمَّا قدم إلى أرض مصر في المرة الثانية:

من عبد الرحمان[38] بن أمير المؤمنين ووليّ عهده صلوات الله عليه،

= من أولاد القائم: جعفر وعبد الجبار». فلعلَّ عبد الجبار مات سنة 367.

هذا، وذكر المقريزي في ترجمة المنصور (ص 144 هامش 2) ابناً للقائم اسمه «قاسم» وقال إنَّ القائم ولاَّه عهده، ولكنَّه مات فانتقلت ولاية العهد إلى إسماعيل. فقاسم هذا لا يكون أبا كنانة الذي مات في خلافة المنصور.

(35) إسحاق بن أبي المنهال كان أوّلَ قاضٍ للمهدي على صقلّية (اتعاظ الحنفاء، 93) ثمَّ ولي قضاء إفريقيّة إلى أن مات فخلفه أحمدُ بن بحر. وفي طبقات أبي العرب، 240 أن إسحاق وليَ قضاء القيروان مرَّتين.

(36) أحمد بن بحر: كان قاضياً على طرابلس (أبو العرب، 240) وسيبقى قاضياً على القيروان إلى أن يقتله أبو يزيد مع خليل بن إسحاق في صفر سنة 333 (انظر عيون الأخبار، 288).

(37) أحمد بن الوليد: كان على الصلاة والخطبة بالقيروان وتوفِّي سنة 345 (رياض النفوس، 306/2 هامش 3).

(38) قال المقريزي في أوَّل الترجمة إنَّ بعضهم يسمِّيه عبد الرحمان وأنَّه غيَّر اسمَه إلى محمد أبي القاسم حين استولى على المغرب.

فإني أحمد الله الذي لا إلاه إلاَّ هو. وصل كتابك [و] ترجمته بديّاً[39]: من مؤنس مولى أمير المؤمنين.

ولعمري لقد أعظمت الفرية على الله عزَّ وجلَّ بتجرّئك على الكذب: فإن أمير المؤمنين صلوات الله عليه قد خلفتُه بالقيروان.

وتذكر أنك تسكّن الدهماء وتحقن الدماء وتلمّ الشَّعث، فإن ذلك لعمري لواجب على ذوي العقول المُسَارَعةُ إليه والمُتَابَعة لهُ.

غير أنَّك بدأت في أوَّل كتابك بشيءٍ[40] تذكر أنَّ الله خصَّ ولد العبَّاس بالخلافة من دون آل الرسول عليهم السلام، والقيام بأمر الأمَّة، ولعمري لقد قلتَ، يا جاهل، قولاً يجب عليك الاستغفار منه إذ كنت/كاذباً في مقالتك غيرَ [83 أ] صادق بما لفظت به. بل الله عزَّ وجلَّ اختصَّ عليّاً صلوات الله عليه، وَوَلَدَه من بعده خاصَّة دون غيره من آله[41].

وكتبتَ إليَّ [أنك] إن لم أُجبْك إلى ما سألتَ فإنك مجلب[42] علينا بخيلك ورَجلك، والله ناصر الحق ومعينه، وأنت يا معضوض[43] كما قال الله سبحانه: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ، أُولَائِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾ ﴿كَتَبَ الله لأَغلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ الله قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (المجادلة، 19، 21). افعل ما بدا لك تجدْني لك صابراً وبه معتصماً، وأرجو أن يكون الأخذ بعضُدِك والقبضُ عليك، وأخذُ ما جمعته ووعيتَه من فَيْءِ المسلمين، واستباحة حريمك وحريم مَن معك ومَن وراءك، قريبـ[ـا] على أيدي أنصارنا وأعواننا إن شـاء الله.

---

(39) بديّاً، أي بديئاً مثلما في قول سعد بن أبي وقّاص: «الحمدُ لله بديّاً» (اللسان: بدأ وبدا).

(40) هكذا في المخطوط، وقراءتنا ظنيَّة.

(41) هذا التدقيق من القائم يُخرج سائر الطالبيّين عن استحقاق الإمامة.

(42) أجلب عليه القومَ: جمعهم عليه لحربٍ.

(43) في المخطوط: معصوص بدون إعجام: والمعصوص في اللسان: الذاهبُ اللحم. والعَصُّ هو الأصل الكريم. وليس في هٰذا سُبّة. لذلك فضّلنا قراءة معضوض: من عضّه الدهرُ.

وأمَّا ما ذكرت أنَّك مُعطٍ إيَّايّ، وتحمل إليَّ من الأموال كذا وكذا فلعمري لقد قلتَ قولاً يجب لأمثالك فيه الرغبة. وأمَّا المؤمنون أنصار المهديّ بالله فنهضوا لنصره بأنفس غنيَّة معزوفة(44) عن حطام الدنيا يبغون ما عند الله ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (القصص، 60) و﴿ما آتانِيَ الله خَيرٌ مِمَّا آتاكُم، بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ. ارجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً، وَهُمْ صَاغِرُوْنَ﴾ (النمل، 36-37). فافعل يا خصيّ(45) ما بدا لك فإنَّك تجدني إن شاء الله من الصابرين. وقد شرحت لأهل الفهم والتمييز ما أردت إن كنت ممَّن يجيب ويسرع الإجابة ﴿والسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى﴾ (طه، 47)، والهوان لمن طغى وبغى واعتدى. فإن عزمتُم أن يكون لقاؤكم لنا بجموعكم وقتاً معلوماً فافعلوا ذلك اختياراً لأنفسكم. والجواب لك ولمن أُصْبَحُوا مغترّين بصاحبك المعتوه، فإنا لا نبدأ بالقتال أو نُبدَأ به إن شاء الله»(46).

ومن شعره (بسيط):

من كان يرضى بحصنٍ يستجير به	وقلعة ذات أجراس وأحراس
فإنني رجل لم ترضَ همَّتُه	إلاَّ ببيضٍ وأرماح وأفراس
مسوّمات جعلناها معاقلَنا	دونَ المعاقِلِ في الضرَّاء والبأس
ترى الغبار عليها في سنابكها	مثل الذُرَيْرة فوق النحر والرأس(47)
وقائلٍ قال لي، والسيفُ في يده	لا تقعُدنَّ قعودَ الطاعم الكاسي
لَعِزُّ يوم، ومَأتى الموتِ في غدِهِ	خيرٌ من العيش في ذلّ وأنكاس

/ وقال أيضاً وهو مُقيم بأرض مصر من أبيات [طويل]: [83 ب]

(44) عزف نفسَه عن الدنيا (باب نصر وضرب): مَنَعَها وظَلَفَها وكفَّها.

(45) قد هدَّده منذ قليل باستباحة حريمه، وما للخصيّ من حريمٍ بمعنى الزوجة.

(46) هذه الرسالة وردت في عيون الأخبار، 206 بلهجةٍ أكثر اتِّزاناً، فلا شتمَ فيها ولا تهديد. وفيها احتجاج طويل لأحقيّة أبناء عليّ بالخلافة دون سواهم، واستعراضٌ لاغتصاب بني أميَّة وبني العبَّاس لها.

(47) قراءتنا ظنيَّة، نظراً لرداءة الخطّ.

ألا إنَّ حدَّ السيف أشفى لذي الوصَبْ   وأبلغُ من رجع الرسائل والكتُبْ
وأقضى لحاج النفس في كلِّ موطن   وأحرى بردّ الحقِّ يوماً لذي الطلَبْ
ألم ترَني بعتُ الرفاهة بالسُّرى   وقمتُ بدين الله حقاً كما يجِبْ؟
وحالفتُ جنَّانَ الفَلاة تبرُّؤاً   إلى الله منكم، دائبَ الفكر والنصَبْ
أفكّرُ في أفعالكم وأموركم   وفي دُونِ مَا عاينتُه أعجبُ العَجَب
أَبَعْدَ نبيٍّ الله ثمَّ ابن عمِّه   وسبطيّه والهادين والسادةِ النُجُبْ
يكون إمامَ المسلمين ورأسَهم   وقيّمَ دين الله في أرضه شغَبْ[48]
صبَرت، وفي الصبر النجاحُ، وربمّا   تعجّل ذو أمر فأخطا ولم يُصِبْ
إلى أن أراد الله إعْزَازَ دينه   فقمتُ بدين الله قومة محتسِبْ
وناديتُ أهل الغرب دعوةَ واثقٍ   كريمِ العطايا، من تولّاه لم يَخِبْ
فجاؤوا سراعاً نحو أُصْيَدَ ماجدٍ   ينادونني بالسمع طوراً وبالرحَبْ
فلمَّا أتى الأمرُ الذي كنت مُوعِداً   به جاء نصرُ الله بالفتح عن كثَب

وكتب إلى المهدي بالله في وقت عودته إلى المغرب سنة اثنتين وثلاثمائة (سريع):

الله لي ثمَّ إمام الهدى   ما ضاع من كان له الله
الله جلَّ الله لي صاحب   سقيا لمَن صاحَبَه الله
الله لي في وجهتي ناصر   قد عزَّ من ينصره الله
الله لي في شقوتي حافظ   طوبى لمن يحفظه الله
الله فتَّاح لنا شرقَهُ   والغربَ طرّاً فتح الله[49]
الله أعطانا الذي قد ترى   عطيَّة منّ بها الله
الله قد أرسل خير الورى   محمداً أرسله الله
الله قد أخرج مهديّه   وحجَّةً أظهرها الله

(48) شغب هي أمّ المقتدر الخليفة العبّاسيّ. واتّهامها هنا بالعبث في شؤون الخلافة لا يخلو من إفراط. ولقد لقيت العذاب والعنت بعد مقتل ابنها. انظر خبرها في الكامل 8/74 - 78.

(49) هذا البيت يُعلن عزم العبيديّين على امتلاك الشرق أيضاً، وهو يخرج عن الصبغة الابتهاليّة الصوفيّة الظاهرة في سائر الأبيات.

الله لي في كل حال كما   كان لآبائي كذا الله
الله ربّي وإلاهي، ومَن   مثلي إذا قلتُ: ليَ الله؟
الله حسبي بعد ذا كله   يا حبَّذا مَن حسبُه الله!

وهذا كان من جواب كتاب كتبه إليه المهدي وكتب فيه (وافر):

أتصبح في كتامة ذا انفراد   تقابلها قياماً في قيام
/ إذا ما وقعةٌ دارت رَحاها   بجزم معاصم وفِلاق هام [84 أ]
أَتَتْ أخرى تطمُّ وتَعْتَليها   يَشيب لهولها رأس الغلام
وألتذُّ الحياة بخفض عَيْشٍ   معاذَ الله! والشهرِ الحرام!
ولكنَّ التجلُّد لي خَدينٌ   وسنّي ضاحك والقلب دام
عسى الرحمانُ يجمعنا وشيكا   وقد تَمَّتْ لنا رُتَب الكرام
فأنقع غلّتي بك واشتياقي   إليك بحمدِ ذي المِنن الجسام(50)

وقال يفخر بنفسه وآبائه، ويذكر ما فتح من البلاد، ويهجو خلفاء بني العبَّاس، ويذكر شغَب أمِّ المقتدر (طويل):

طَرِبتُ ولم أطرَب إلى الخُرَّدِ العُرُبْ   ومَا الهزلُ من شأني، ولا اللهوُ لي أَرَبْ(51)

/ فأجابه عنها جماعة من رؤساء الشعراء منهم أبو الحسن أحمد بن [85 أ]
يحيى المنجِّم(52) فقال من أبيات نقتري منها:

(50) هذه الأبيات للمهدي، أوردها الداعي إدريس في عيون الأخبار، 191 ونقلها كذلك صاحب كتاب العيون والحدائق، 162.

(51) هذا البيت قد يكون مطلع القصيدة البائيّة الماضية بالرغم من وجود مطلع آخر ممكن وهو البيت الأوَّل منها الذي نقله المقريزي. فالمعاني التي لخَصها المقريزي في توطئته له هي المعاني المطروقة في القصيدة، والرويّ ساكن مقيَّد مثل رويّها، والبيت بعد أوفق للنسيب التقليدي الذي تُستهَل به المدائح والمفَاخِر، وهو يلمّح إلى مطلع قصيدة الكميت المعروفة:

طربت، وما شوقاً إلى الغيد أطرب

وإنَّما ذكرهُ المقريزي هنا تمهيداً للردود التي سينقلها من شعر شعراء بني العبَّاس.

(52) أحمد بن المنجِّم: ذكره ابن خلّكان في ترجمة أبيه يحيى بن علي (رقم 802) وقال: فقيه متكلِّم على مذهب ابن جرير الطبريّ.

ألست قريباً كنت تدعو إلى امرئٍ   سـواك، إمامـاً كان عنـدك مرتقَبْ
فصرت الذي قـد كنت تزعم أنـه   إمامُك يا مخذول، ذا أعجب العجب
متى صـار مولى البَـاهِليِّينَ ملحقـاً   بـآل رسول الله يـومـاً إذا انتسَبْ؟
وإنَّـك فـي دعـواك أنَّـك منـهُمُ   كمن يدَّعي أنَّ النحاس من الذهب

وقال أبو بكر الصولي من أبيات:

ولو كنت منهم ما انتهكتَ محارماً   يـذبُّـونَ عنهـا بـالأسنَّـة كـالشهُبْ
ولم تقتُـلِ الأطفـال في كـلّ بلدةٍ   وتـركَبُ مِنْ أمّـاتهم شـرَّ مـرتكَب
فكم مُصْحَفٍ حـرَّقتَـه فـرمـادُهُ   مقدّمة للريح من حيث ما تهبّ[53]
وعمُّـك يُكْنى بـالشلعلعِ سـاقط   وجدُّك مولى باهل اللؤم فـاتّئب[54]

ومنها:

فلو كـانت الـدنيـا مثـالاً لـطائرٍ   لكانَ لكُمْ منها بمـا حُزتمُ الـذنَبْ

فحرّك هذا البيت همَّة القائم وقال: لا أزال حتى أملك صدرَ الطائر ورأسَهُ، وإلاَّ هلكتُ دونَهُ. فسار إلى ديار مصر كما تقدَّم ذكرُه.

وقال أبو بكر بن دريد من أبيات[55]:

تساميتَ من غمض الوهادِ إلى الذرى   وأين الأنوفُ الشمُّ من علقة الذنب؟
خـلافـة ربّ العـرش أمنـعُ جـانبـاً   وأصعب أن يحْتازها مُلْصَقُ الحسب

* * *

(53) في صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد (حوادث سنة 308): مثاره مسفى الريح... وقد نقل عريب 18 بيتاً من القصيدة، وهي طويلة في قوله، إلاَّ أنَّه أسقط البيتين الرابع والخامس المنقولين هنا.

(54) مولى الباهليّين ومولى باهل اللؤم: الشاعرانِ يعنيان قبيلة باهلة القيسيّة، وباهلة وغنيّ ابنا أعصُر كانتا تُحقّرَان في الجاهليّة وتدعيان «ابنا دخان». وقال الجاحظ (البيان والتبيين، 268/1): وقد هجيتا بأكل لحوم الناس. وروى المسعودي (مروج، 118/4) هٰذين البيتين لمجهول (وافر):

إذا آزدحم الكـرام على المعـالي   تنحّى البـاهـليُّ عـن الـزحـام
وعِـرض البـاهـليّ ولـو تـوقّى   عليـه، مثل منـديـل الـطعـام

هٰذا ولا نفهم هذا الاتهام للقائم بالولاء لباهلة، ولم نجد صدى لهٰذه التهمة عند خصومهم في كتب التاريخ.

(55) لم نجد البيتين في ديوان ابن دريد، نشر عمر بن سالم، تونس.

وصنّف أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد المعروف بابن الجزّار للقائم بأمر الله كتاب «زاد المسافر»[56] في الطبّ، وهو سبع مقالات في علاج الأدواءِ التي تعرض في جميع البدن، وكتاب «نصائح الأبرار» في الأدوية التي يجب أن تتخذها الملوك في خزائنها.

* * *

التعليق: الترجمة من مخطوط ليدن 1366 ب الورقة 81 أ ـ 85 أ.

وهي ترجمة مقتضبة بالمقارنة مع ترجمَتي المهدي والمنصور، فالمقريزي اختصر الأحداث، ولا سيّما وقائع ثورة أبي يزيد، وكأنّه يستغني عن الإطالة بما جاء في ترجمة المنصور.

وقد قابلنا روايته بما جاء عند المؤرّخين السابقين له مثل الكندي صاحب كتاب ولاة مصر، وابن الأثير في الكامل. وقارنّا كلامه في المقفّى بكلامه في اتعاظ الحنفاء، وراجعنا أيضاً كتاب عيون الأخبار للداعي إدريس.

والترجمة لا تأتي بجديد في خصوص حياة القائم وأحداث خلافته، فابن الأثير والداعي إدريس أفادَا وفصّلاَ أكثر من المقريزي.

ولكن أهميّة هذه الترجمة تكمن في القسم الأدبيّ منها: فقد نقلت إلينا جانباً من شعر القائم لم نعثر عليه في مصدر آخر، كما نقلت إلينا ردود شعراء البلاط العبّاسيّ على قصيدته البائيّة التي يذكر فيها شغب أمّ المقتدر، ومن بينها ردّ أبي بكر بن دريد، وهكذا نكتشف أنّ صاحب الجمهرة والمقصورة قد شارك في الصراع المذهبيّ بين العبّاسيّين والفاطميّين.

(56) زاد المسافر: حقق الأستاذ إبراهيم بن مراد مقدّمته في مجلّة «الحياة الثقافية» عدد 1980/8. ومقالاتُه السبعُ بصدد النشر بتونس. أمّا «نصائح الأبرار» فهو مُذكور في كتب الطبقات، ولكنه لا يزال مفقوداً.

16 ـ محمَّد بن طغْج (268 ـ 334)

[286 أ] / محمد بن طغْج بن جفّ بن يلتكينَ بنِ فوران بن فوري بن خاقان، الأمير أبو بكر ابن الأمير أبي محمد، صاحب سرير الذهب[1]، المنعوت بالإخشيد ـ ومعنى الإخشيد: ملك الملوك، وأصل هذه الكلمة: أخ شيد، ومعنى ذلك: الشمس البيضاء ـ الفرغاني، من أبناء ملوك فرغانة [الذين] أقدمـ[ـهم] المعتصم بالله من فرغانة وأكرمهم وأعطاهم قطائع كبيرة.

ولد ببغداد للنصف من رجب سنة ثمان وستين ومائتين [8 فيفري 882].

وتنقلت به الأحوال إلى أن ولي طرسوس من قبل أمير المؤمنين المعتضد بالله[2] فغزا في سنة خمس وثمانين ومائتين [898/] وقدم مع أبيه إلى مصر في الأيَّام الطولونيَّة، وخرج معه إلى دمشق لمَّا وليها[3]. ثمَّ عاد مع

(1) سرير الذهب: يستفاد من فصل «سرير» في معجم البلدان أنَّ بعض ملوك الفرس اتَّخذ سريراً من ذهب فلمَّا زال ملكه انتقل السرير إلى أولاد بهرام جور. فسمِّيت مملكتهم بـ «سرير الذهب». وانظر ابن سعيد: المغرب (قسم مصر) 149/1 هامش 4. ومروج الذهب، 228/1.

(2) يُفهم من السياق أنَّ محمد بن طغج هو الذي ولي طرسوس. وكتب التاريخ لا تذكر له هذه الولاية، وإنما ذكر ابن الأثير في حوادث سنة 281 أنَّ أباه طغج دخل طرسوس لغزو الصائفة. ومدَّة المعتضد: 279 إلى 892/289 - 902.

(3) ولي طغج دمشق سنة 285 (الكامل في السنة والصفدي: أمراء دمشق، 46 و 131) ولكنَّ زامباور، 44 أرَّخ ولايته بسنة 283.

أبيه إلى مصر لمَّا قدم محمد بن سليمان الكاتب[4] بجيوش بغداد لأخذ مصر. فشهِد زوال دولة بني طولون في سنة اثنتين وتسعين [ومائتين / 905].

ثم أخرجه محمد بن سليمان مع أبيه إلى العراق في جملة مَن أخرج من الطولونية. فأقام ببغداد حتّى مات أبوه في سنة عشر وثلاثمائة [922 - 923/].

ثمَّ ولَّاه المقتدر بالله[5] دمشق في سنة ثماني عشرة وثلاثمائة [ولم يزل بها إلى أن][6] ولَّاه القاهر بالله محمد بن المعتضد مصر بعد الأمير تكين[7]، وورد كتاب ولايته إلى مصر يوم السبت لسبع خلون من رمضان سنة إحدى وعشرين [وثلاثمائة / 31 أوت 933]، فدعي له بها، وهو إذ ذاك بدمشق، مدَّة اثنين وثلاثين يوماً ولم يدخلها.

ثمَّ وليها أحمد بن كيغلغ ثانياً، فقدِم الرسول بولايته يوم الخميس لتسع خلون من شوَّال [2/321 أكتوبر 933].

ثمَّ أعيد [إليها] محمد بن طغج ثانياً من قِبَل الراضي بالله[8] محمد بن المقتدر على الصلاة والخراج عوضاً عن أحمد بن كيغلغ. وهو الذي لقَّبه «الإخشيد».

فسار إلى مصر، وبعث المراكب في البحر، وعليها صاعد بن كلملم[9] فدخلت تنيس وملكـ[ـتـ]ـها وتقدَّمت إلى دمياط. فقاتل صاعد عليّ بنَ بدر

---

(4) محمد بن سليمان «كاتب الجيش». انظر خبر انقراض الدولة الطولونية على يده في الكامل، سنة 292.

(5) المقتدر: 295 - 320، ثمَّ القاهر إلى سنة 322.

(6) كلام مكرَّر في المخطوط، والإصلاح من ترجمة الوفيات (رقم 689).

(7) تكين الخاصَّة: ولي مصر ثلاث مرَّات. انظر ترجمته (رقم 9) في هذا الكتاب.

(8) مدَّة الراضي العبَّاسي: 322 - 328.

(9) صاعد بن كلملم، قائد أسطول الإخشيد: كبسه خصوم ابن طغج في خليج الفيُّوم وقتلوه، فاستراح الإخشيد من اعتداده عليه (ابن سعيد، 160/1) ويضيف صاحب المغرب: وكان ابن كلملم كاتباً خبريّاً. وقتله كان لتسع بقين من شوَّال 323 (الكندي، 287).

رئيس المراكب التي بعث بها محمد بن علي الماذرَّائي لقتاله، وهزمه بأرض سمنُود في تاسع عشر شعبان سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة [24 جويلية 935]. وأقبل [صاعد] في مراكبه إلى الفسطاط وأقام على الجزيرة(10).

[286 ب] وأقبل محمد بن طغج فسلَّم إليه / أحمد بن كيغلغ. ودخل إلى الفسطاط يوم الخميس لستّ بقين من رمضان منها [27/323 أوت 932]. ثمَّ قدم عليه الوزير أبو الفتح الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات مكشفاً، ومعه الخِلَع فخلَع عليه.

ثمَّ قدمت جيوش القائم بأمر الله محمد ابن المهدي عبيدالله صاحب إفريقية تريد مصر. فأمر محمد بن طغْج بإخراج العساكر إلى الإسكندرية والصعيد في ربيع الأول سنة أربع وعشرين [وثلاثمائة / فيفري 935] مع أخيه الحسن، فأوقع بهم وعاد وقد هزم المغاربة، بعدَّة من الأسرى(11).

ووردت عليه ولاية دمشق والزيادة في اسمه بلقب «الإخشيد» لكونه من أولاد ملوك فرغانة. وهذا اللقب وضع لكلّ من ملك تلك الجهة، كما قيل لملك الترك «خاقان»، وملك فارس «كسرى»، وملك الروم «قيصر»، وملك الشام «هرقل»، وملك القبط «فرعون»، وملك اليمن «تبع»، وملك الحبشة «نجاشي»، ونحو ذلك.

فدعي له بهذا اللقب على المنبر في شهر رمضان سنة سبع وعشرين [وثلاثمائة / أوت 935].

---

(10) المخطوط هنا متآكل والقراءة عسيرة فنقلنا كلام الكندي، 285 - 287 ملخّصاً وهو موافق لكلام المقريزي في الخطط 127/2: «فبعث ابن كيغلغ بجيش ليمنع محمد بن طغج من دخول الفرما، وقد قصد مصر بولاية الراضي له. فأقبلت مراكب ابن طغج إلى تنيس، وسارت مقدِّمته في البرّ، وكانت بينهما حروب في 19 شعبان سنة 323 كانت لأصحاب ابن طغج».

(11) في المغرب، 161/1 وفي كتاب الولاة والقضاة، 287 أنَّ إنفاذ الجيش من القائم كان استجابة لطلبٍ من خصوم ابن طغج.

ووردت الأخبار بمسير محمد بن رائق إلى الشام. ففرض الفروض[12]، وبعث بمراكبه إلى الشام وقدَّم جيشاً بين يديه ثمَّ سار إلى الشام في أوَّل المحرَّم سنة ثمان وعشرين [وثلاثمائة / 18 أكتوبر 939]، وقد ملك ابن رائق دمشق ووصل إلى الرملة. فنزل الفرما، فأتاه الحسن بن طاهر بن يحيى العلوي يسأله الصلح، فبعث بعليّ بن محمد بن كلا[13] ليوافق ابن رائق على ذلك. [فـ]ـتمَّ الصلح بينهما على أن يسلّم ابن رائق الرملة ويخرج عنها. وعاد الأمير الإخشيد إلى مصر من الفرما، فدخل الفسطاط يوم الخميس مستهلَّ جمادى الأولى [13/328 فيفري 940].

ثمَّ إنَّ ابن رائق نقض الصلح، وسار من دمشق إلى الرملة في شعبان منها، فبعث الإخشيد الجيوش إلى الرملة وخرج يوم الأربعاء لست عشرة خلت من شعبان المذكور [27 ماي 940] فالتقى مع ابن رائق يوم الأربعاء للنصف من رمضان [24 جوان 940] بالعريش، فكانت بينهما وقعة عظيمة واضطربت ميسرة الإخشيد وانهزم مَن فيها. ثمَّ كرَّ عليهم الإخشيد بنفسه في خاصَّته فهزمهم وأسر كثيراً منهم وأثخنهم قتلاً وأسراً.

ومضى ابن رائق منهزماً، والإخشيد يتبعُه، إلى الرملة، فدخلها وبعث بالأسرى إلى الفسطاط فطيف بهم، وهم خمسمائة رجلٍ في ثاني شوَّال [11/328 جويلية 940].

وسار الحسن بن طغج من الرملة فكان بـاللَّجّون[14] فـأسرى عليـه محمد بن رائق فقتله في حادي عشر ذي القعدة [18/328 أوت 940]. فبعث ابن رائق ابنه مزاحم بن محمد بن رائق إلى الإخشيد فداءً لأخيه الحسن،

---

(12) فرض الفروض: أي انتدب الجند وجيّش الجيوش (انظر دوزي في المادَّة).

(13) علي بن محمد بن كلا: «كاتب محمد بن طغج ورسوله وثقتُهُ»، إلى أن غَضِب عليه وصادره في سنة، اثنتين وثلاثين وثلاثمائة (ابن سعيد، 165).

(14) اللجّون: بلدة بالأردن، على عشرين ميلاً من طبريّة (ياقوت). والحسن بن طغج أحد إخوة الإخشيد الستة، وهو غير الحسين.

وبعث يعتذر إليه. فخلع عليه الإخشيد وأعاده إلى أبيه، ووقع الصلح بينهما. فمضى ابن رائق إلى دمشق وعاد الإخشيد إلى مصر فدخلها يوم الخميس ثالث المحرَّم سنة تسع وعشرين [وثلاثمائة/ 8 أكتوبر 940].

ومات الراضي بالله، وبويع إبراهيم بن المقتدر ولقِّب «المتَّقي لله»[15]
[287 أ] فورد كتابه على الإخشيد بإقراره / على مصر، وضمَّ إليه الشام والحجاز، وذلك في يوم الخميس لستّ بقين من شوَّال سنة تسع وعشرين [وثلاثمائة / 21 جويلية 941] فاتَّسعت مملكتُه وعظُمَ شأنه.

وقُتل محمد بن رائق في حروب بني حمدان بالموصل في شعبان سنة ثلاثين وثلاثمائة [ماي 942] فاتَّسعت مملكة الإخشيد وعظم شأنه. وبعث بالجيوش إلى الشام مع علي بن محمد بن كلا. ثمَّ عسكر وسار إلى الشام لستٍ خلون من شوَّال [24/330 جوان 942]. ثمَّ قدم يوم الأحد لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين [/ 23 جانفي 943] وأخذ على جميع القوَّاد البيعة لابنه أبي القاسم أونوجور في يوم الخميس الثامن والعشرين من ذي القعدة منها [3 أوت 943].

وقدم الخبر بورود المتقي لله إلى الشام، ومعه بنو حمدان. فأخرج الإخشيد مضاربه، وسار إلى لقائه يوم الأربعاء سادس رمضان سنة ثنتَين وثلاثين [وثلاثمائة / 31 أفريل 944]. فبلغ الرقّة ولقيَ أمير المؤمنين المتَّقي بالله في منتصف المحرَّم سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة [/ 7 سبتمبر 944]، وحمل إليه من حلب مائة ألف دينار سوى الآلات والثياب. وحمل إلى الوزير أبي الحسين علي بن محمد بن مقلة[16] ثلاثين ألف دينار، وإلى الحاجب أبي

(15) المتّقي لله: 329 - 940/333 - 944.

(16) علي بن محمد بن مقلة: هو ابن الوزير محمد بن مقلة المشهور الذي وزر للمقتدر والقاهر والراضي (انظر فصل محمد بن مقلة في دائرة المعارف الإسلامية). وعلي بن مقلة وزر للمتّقي سنة وخمسة أشهر (زامباور، 9).

العبّاس أحمد بن خاقان عشرين ألف دينار، وإلى القاضي الفرقي وسائر الحجّاب والخدم.

وكان قدوم الإخشيد عليه بكتابه إليه[17] وهو يشكو فيه حاله ويستقدمه، فلمّا قدم عليه بالرقّة وقف بين يديه ومشى عند ركوبه فأمره المتقي بالركوب فلم يفعل، فألحَّ عليه المتّقي وأكرمه وكنّاه وكنّى ابنه وجعله خليفة له. واجتهد بالمتّقي أن يسير معه إلى مصر [فلم يفعل] فأشار عليه بالمقام مكانه ولا يرجع إلى بغداد. وأشار على ابن مقلة أن يسير معه إلى مصر ليحكّمه في جميع البلاد، فلم يجبه. فخوّفه من طوزون فلم يوافقه، وبعث رسلاً إلى طوزون في الصلح فحلّفوا طوزون للمتّقي وللوزير ابن مقلة، وكتبوا إليهما بذلك. فانحدر المتّقي من الرقة في الفرات إلى بغداد لأربع بقين من المحرّم [18/333 سبتمبر 944]. وعاد الإخشيد إلى مصر فدخل الفسطاط يوم الاثنين لأربع خلون من جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين.

وأتى الخبر أنّ المتقي لمّا وصل إلى هيت[18] تلقاه طوزون، وقبّل الأرض وقال: ها قد وفيت بيميني والطاعة لك. ثمَّ وكّل به وبابن مقلة وبالجماعة، وأنزلهم بمضرب بنفسه. ثمَّ كحّل المتّقي وأذهب عينيه[19] ومضى به إلى بغداد. وأحضر عبدالله بن المكتفي ولقّبه المستكفي بالله[20] فكان ابن مقلة يقول: نصحني الإخشيد فلم أقبل نصيحته. وكان ورود الخبر ببيعة المستكفي إلى مصر يوم الجمعة سادس جمادى الأخرى [24/333 جانفي 945]، وورد الكتاب مع البيعة بإقرار الإخشيد على ما بيده.

وسار سيف الدولة علي بن حمدان إلى حلب، وبها أحمد[21] بن سعيد

---

(17) الخليفة هو الذي كاتب الإخشيد (انظر الكامل تحت سنة 333).

(18) هَيت: بلدة على الفرات قريبة من بغداد. وتوقف المتقي بهَيت وخرج طوزون من بغداد فالتقى بالخليفة بالسنديّة (الكامل، سنة 333)، والسنديّة باب بغداد (ابن سعيد، 193/1).

(19) في المخطوط: وعمي، وهو حشو.

(20) المستكفي بالله: 333 - 334.

(21) الاسم مطموس وفي الكامل (سنة 333) أنَّ والي حلب هو يانس المؤنسي.

الكلابي من قِبل الإخشيد فملكها. وبلغ ذلك الإخشيد فبعث فاتك وكافور بالجيوش إلى الشام. ثمّ خرج يوم السبت لخمس خلون / من شعبان [287 ب] [24/333 مارس 945] يريد محاربة سيف الدولة، وقد سار إلى حمص وحارب كافوراً وهزمه وأخذ حمص وسار إلى دمشق فحصرها فلم يقدر عليها ورجع. فأدركه الإخشيد بأرض قنّسرين وقاتله فلم يظفر أحدهما بالآخر، ورجع سيف الدولة إلى الجزيرة وعاد الإخشيد إلى دمشق، فسار سيف الدولة إلى حلب وملكها، وبعث إلى الإخشيد وهو في دمشق، فاصطلحا على مال يحمله للإخشيد في كلّ سنة، وزوّجه الإخشيد بابنة أخيه. فاستقرّت حمص وما وراءها لابن حمدان، ودمشق وما بين يديها للإخشيد.

وقدم الخبر بخلع المستكفي ومبايعة المطيع لله[22] الفضل بن جعفر المقتدر في يوم الجمعة ثالث شوّال سنة أربع وثلاثين [وثلاثمائة / 8 ماي 946].

ومات الإخشيد بدمشق يوم الجمعة لثمانٍ بقين من ذي الحجّة سنة أربع وثلاثين [وثلاثمائة / 24 جويلية 946] بفعلة القولنج[23]. وقيل: مات بمصر، وهو خطأ. وكانت سنّهُ يومئذ ستّاً وستّين سنة وخمسة أشهر. فثارت العبيد ونهبت دوابّه وخزائنه. واشتغل كافور بضبط الأمور وترك الإخشيد بغير غسل ولا كفن ثلاثة أيّام، وهو يداري الناس[24] ويعدهم حتى سكنت الأمور فتفرّغ للإخشيد فإذا الفأر قد أكل أطراف أصابعه وأكل الذرّ عينيه، فغُسّل وكفّن. ولم يوجد له كافور يحنّط به فاشتُرِيَ له كافور مغشوش من السوق، وصُلّي عليه على عجل، وجُعل في تابوت، ولم يوجد له بغلٌ يُحملُ صندوقه عليه حتى حُمل على بَغلٍ أعور. وصار الذين يسيرون به من دمشق يتأذون لنتن ريحه فكانوا إذا نزلوا منزلاً طرحوا التابوت وابتعدوا عنه حتى دخلوا به إلى بيت المقدس ودفنوه هناك.

(22) المطيع العبّاسي: 334 - 363.
(23) القولنج: داء في الأمعاء أو في الكلى.
(24) في المخطوط: في الناس.

وكان حازماً شديد التيقُّظ في حروبه حسن التدبير مكرماً للأجناد شديدَ القوَّة لا يكاد يجرُّ قوسَه غيرُه. وكانت عدّة جيوشه أربعمائة ألف رجل. وكان له ثمانية آلاف مملوك يحرسه في كلّ ليلة منهم ألف مملوك. ويوكل بجانبه الخدم إذا سافر، ثمَّ لا يثق حتى يمضي إلى خيمة الفرَّاشين فينام فيها.

وترك بمصر لمَّا رحل إلى الرقَّة سبع مطامير في كلّ مطمورة ألف ألف دينار من سكَّة واحدة.

وذكر صالح بن نافع. . .[25].

وفرغانة في خراسان على ثلاثة وخمسين فرسخاً من سمرقند، بناها أنوشروان، وحمل إليها من كلّ بيت قوماً وسمَّاها أزهى خانة، أي: من كل بيت. . .[26].

* * *

التعليق: الترجمة من مخطوط ليدن 1 ورقة 286 أ.

تراجم الإخشيد محمد بن طغج كثيرة، وأكثرها تفصيلاً الترجمة التي نقلها ابن سعيد في القسم المصري من مغربه، وقد ألحَّ خاصَّة على قساوة هذا الأمير وجشعِه وبخله. ولكنَّه من جهة أخرى تعرَّض إلى حنكته السياسية وطموحه الذي جعله يرضى بأن يكون بازيار أمير مصر، أي مربّي بزاته والقائم على شؤون الصيد، حتى لا يبتعد عن مراكز النفوذ.

واهتمَمْنا نحن بالإخشيد لمشاركته في دفع الجيوش الفاطميَّة عن مصر، حتى وإن كانت مشاركة قصيرة المدى قليلة الأهميَّة، وذلك عملاً بمبدئنا في هذا الكتاب: أن نجمع تراجم الأعلام الذين اتَّصلوا بالفاطميِّين الأوَّلين، سواء بخدمتهم أو بمناهضتهم.

---

(25) هنا تآكل في المصوَّرة بقدر ثلاثة أسطر. ولم يمكن استخراجها من المصادر الأخرى كالوفيات والمغرب والولاة إلخ. . . .

(26) وقفت هنا ترجمة الإخشيد بانتهاء الصفحة. والصفحة الموالية تبدأ بترجمة شخص آخر. ولا ندري هل هناك بقيّة، وفي مخطوط ليدن ـ وهو مسوَّدة بخط المقريزي ـ كثيراً ما يقفز المؤلف من ورقة إلى أخرى بعيدة، ويخلف بياضاً بينهما أو يعمّره بتراجم أخرى. على أنَّ الصفحات الموالية لا ذكر فيها لمُحمد بن طغج.

17 ـ محمد بن يحيى ابن السرّاج (ـ بعد 325)

محمد بن يحيى بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، المعروف بابن السرَّاج.

خرج على الأمير أبي بكر محمد بن طغج الإخشيد، ومضى إلى الصعيد وثار بشرونة[1]، وسار إلى غربيّ النيل فنهب سُمُسْطَا[2] في ذي القعدة سنة ثلاثين وثلاثمائة. ومضى على وجهه فلحق بطريق المغرب، وصار في سلطان صاحب إفريقية[3].

ثمَّ عاد إلى مصر في إمارة أبي القاسم أونوجور الإخشيدي في سنة خمس وثلاثين[4].

* * *

التعليق: الترجمة من مخطوط ليدن 3، ورقة 218.

وقد ذكر هذا الطالبي الثائر في كتاب الولاة والقضاة، 291. ويبدو أن انضمامه إلى القائم بإفريقية لم يدم كثيراً، وقد غادرها في خلافة المنصور إبّان ثورة أبي يزيد.

---

(1) شرونة: قرية بالصعيد الأدنى شرقيّ النيل (ياقوت).

(2) سُمُسْطاً: قرية من عمل البهنسى في غربيّ النيل (ياقوت).

(3) وهو القائم (322 - 334).

(4) في يوم الاثنين 18 ربيع الثاني 335 في كتاب الولاة والقضاة، 295. وأضاف الكندي أن أونوجور أمره باللحاق بعسكر الشام فسار إلى الرملة وتوفّي بها.

18 ـ الحسن بن طغج (ـ 340)

/الحسن بن طغج بن جف بن يلتكين بن فوران بن فوري بن خاقان أبو المظفَّر ابن الأمير أبي محمد الفرغاني. [355 أ]

بعثه أخوه الأمير محمد بن طغج الإخشيد على الجيوش إلى الإسكندرية لثمان بقين من ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وثلاثمائة [18 مارس 936] فالتقى هو وصالح بن نافع مع أهل المغرب، وعليهم رجل يقال له يعيش من كتامة، وآخر يقال له أبو تازرت كتاميّ، فاقتتلُوا قريباً من تروجة في خامس جمادى الأوَّل [31 مارس 936] وهزموا المغاربة وقتلوا منهم عِدَّةً كبيرةً وأسروا جمعاً عظيماً، وقتل أميرهم يعيش، ودخل الحسن الإسكندريّة، وقتلوا مَن كان بِها من أصحاب سلطان إفريقية[1].

ثمَّ قفَل ومعه صالح بن نافع حتى نزل الجيزة بالأسارى. وعبر إلى الفسطاط أوَّل يوم من جمادى الآخرة [26 أفريل 936]، وطيف بالأسرى، وهم مائة وثمانية رجال.

ثم استخلفه أخوه على الفسطاط لمَّا توجَّه لقتال الأمير أبي بكر

---

(1) خبر هذه الحملة الفاطميَّة الثالثة على مصر واردٌ عند ابن عذاري، 209/1 وابن الأثير 238/6 وابن خلدون، 40/4. ويتّفقون على أن قائد الحملة هو زيدان الخادم، ويضيف ابن عذاري: «ومعه عامر المجنون وأبو زرارة». فلعلَّه أبو تازرت المذكور هنا.

ولا ذكر ليعيش الكتاميّ. أمَّا صالح بن نافع فقد ذكره الكندي (الولاة، 287) دون أن يعرّف به.

محمد بن رائق(2) في المحرَّم سنة ثمان وعشرين [وثلاثمائة / أكتوبر نوفمبر 939].

ثمَّ استخلفه أيضاً لمَّا سار إلى الشام بعد قتل ابن رائق في شوَّال سنة ثلاثين [وثلاثمائة / جوان 942](3) إلى أن قدِم لثلاث عشرة من جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين [23 جانفي 943].

[355 ب] ثمَّ استخلفه بعد ذلك لمَّا سار إلى لقاء المتَّقي / لله في سادس رمضان سنة ثنتين وثلاثين [وثلاثمائة / 2 ماي 944] فخلفه حتى عاد في ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين [نوفمبر 944](4).

ثمَّ استخلفَه لمَّا خرج إلى الشام في شعبان منها [مارس - أفريل 945](5) لقتال سيف الدولة علي بن عبدالله بن حمدان. فلمَّا مات الإخشيد بدمشق(6) أُقرّ ابنُه أبو القاسم أونوجور الإخشيد في إمارة مصر، وجُعِل عمّه أبو المظفَّر خليفةً له. فأقام معه إلى أن أخذ سيف الدولة علي بن حمدان دمشق وطبريّة والرملة. فسار على العساكر من مصر، هو وكافور الإخشيدي، وصارت الطبول تضرب على مضرب كلّ منهما وقتَ كُلِّ صلاة. فسارا إلى الرملة وأخرجا منها أصحاب ابن حمدان، وسارا إلى طبريّة وقاتلا ابن حمدان وملكاها، ومضيا إلى دمشق في جمادى الآخرة [سنة 335 / جانفي 947]

---

(2) في المخطوط: أبو بكر بن محمد . . . وابن رائق هو أمير الأمراء الذي حارب الإخشيديين بمصر والخلفاء ببغداد والحمدانيِّين بالجزيرة (انظر ترجمته في دائرة المعارف الإسلامية وفي رسالة ماريوس كانار عن الدولة الحمدانية 411 - 412).

(3) قتل ابن رائق بالموصل في رجب 330 / أفريل 942 (دائرة المعارف الإسلامية: ابن رائق). ومسير محمد بن طغج إلى الشام كان في 6 شوال 24/330 جوان 942 (الكندي: ولاة، 291).

(4) يدقّق الكندي: ولاة، 292: «فنزل البستان يوم الخميس سلخ ربيع الآخر» (21 نوفمبر 944).

(5) «لخمس خلون من شعبان [23/333 مارس 945] عند الكندي، 292، ويوم 25 شعبان في أطروحة ماريوس كانار، 581.

(6) توفي الإخشيد في آخر ذي الحجَّة 334 / جويليه 946، أو لثمان بقين منه (الكندي، 293، كانار، 585).

واقتتلا مع ابن حمدان فانهزم على مرج عذراء[7].

واستقرَّ أبو المظفَّر بالرملة أميراً عليها، وأضيفت إليه دمياط، فأقام بها إلى أن مات في ربيع الآخر سنة أربعين وثلاثمائة [سبتمبر أكتوبر 951].

وكان، وهو بالرملة، إذا شكا الناس إليه يقول: صيروا إلى مصر فإن أخي الإخشيد بها وقد مُسِخَ أسودَ - يعني كافور الإخشيدي - فإنَّه كان يلِي تدبيرَ أمر مصر لأُونوجور بن الإخشيد.

* * *

التعليق: هذه الترجمة من مخطوط السليميّة ورقة 355 أ - ب.

والحسن بن طغج ليس له أهميَّة كبيرة في تاريخ الفترة التي نهتمّ بها، فهو خليفة دائم متجدِّد لأخيه الإخشيد.

ولكنَّا ضمَمناه إلى مجموعتنا لأنَّه قاتل الجيوش العبيديّة في حملتها الثالثة وردّها عن الأراضي المصريَّة.

والترجمة بعد مفيدة بذكرها لقائدين كتاميّين لا نعرفهما: أبو تازرت ويعيش.

---

(7) مرج عذراء في غوطة دمشق، وهو قريب من مرج راهط.

19 ـ أمير المؤمنين المنصور بالله أبو الطاهر
(301 ـ 341)

[189 أ] / إسماعيل بن محمد بن عبدالله بن محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، الإمام المنصور بالله أبو الطاهر أمير المؤمنين ابن الإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين أبي القاسم، ابن الإمام المهدي بالله أبي محمد.

ولد برقّادة سنة إحدى وثلاثمائة، وهو الصحيح. وقيل: ولد بالمهديّة في أوّل ليلة من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثمائة. وقيل: ولد بالعراق، وهو خطأ. وقيل: ولد سنة اثنتين وثلاثمائة.

وأقام إلى أن أظهر القائم بأمر الله أمره وفوَّض إليه عهده في يوم الاثنين لسبع خلون من شهر رمضان سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة (/13 أفريل 946)، وكانت سنُّهُ إذ ذاك ثلاثاً وثلاثين سنة. فقال محمد بن قاسم التونسيّ(1) من قصيدة [طويل]:

شهِدْتُ بأنَّ الله بالغيب عالِمُ ... وأنَّ أميرَ المؤمنين مُوَفَّقُ
لقد كانت الأيّامُ خُرْساً فأصبَحَتْ ... لها أَلْسُنٌ بالشكر لله تَنطِق
أميرٌ تمنَّتْهُ الإمامةُ مُذْ نَشَا ... وتصبو إلى أخلاقه وتَشَوَّقُ
وكانت عيونُ الأمر من شفَقٍ على ... رِقْبَةٍ ترنو إليه فتَطرِق

(1) نقلنا شعر هذا الشاعر المجهول في كتابنا: الأدب بإفريقية في العهد الفاطميّ وحاولنا أن نعرِّف به. وانظر: عيون الأخبار للداعي إدريس، 342.



على ابي الخير سلامة بن عبد الباقي النحوي والشريف النسابة محمد بن اسعد الجواني ورحل الى بغداد
وسمع بها وكتب على ابن البرقطي وتوفي بقرافة مصر في العشر الاوسط من ذي القعدة سنة خمس
واثنتين وستمائة وبها دفن ه اسمعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد بن جعفر بن محمد بن اسمعيل
ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه الامام المنصور بالله ابو الطاهر
امير المومنين بن الامام القايم بامر الله امير المومنين ابي القسم بن الامام المهدي بالله ابي محمد ولد
برقادة سنة احدى وثلثمايه وهو الصحيح وقيل ولد بالمهدية في اول ليلة من جمادى الاخرة سنة
ثلاث وثلثمايه وقيل ولد بالعراق وهو خطا وقيل ولد سنة اثنتين وثلثمايه واقام الى ان
[illegible] القايم بامر الله امره وفوض اليه عهده في يوم الاثنين لتسع خلون من شهر رمضان سنة
اربع وثلثين وثلثمايه وكانت سنه اذ ذاك ثلاثا وثلثين سنه فقال محمد بن قاسم التونسي من
قصيدة . شهدت بان الله بالغيب عالم ﻫ وان امير المومنين موفق
لقد كانت الايام [illegible] فاصبحت ﻫ فها انت [illegible] تنطق
امير كنت الامامة مذ نشا ﻫ وتصبوا الى اخلاقه وتشوق
وكانت عيون الامر من [illegible] ﻫ [illegible] ترنوا اليه فتطرق
[illegible]

الصفحة الأولى من ترجمة المنصور
(مخطوط السليميّة ورقة 189 أ)

وقالت فيه الشعراء فأكثرت.

ثمَّ كان يوم الفطر من هذه السنة، فخرج، وهو وليّ العهد، من قصره، وقد حفَّ به بنوه وإخوتُه وعمومتُه وجنده وعبيده وعامَّة الناس يدعون له ويزدحمون عليه، فصلَّى بالناس وصعِد المنبر وخطب خطبة بليغة.

وتوفِّي القائم بأمر الله لثلاث عشرة خلت من شوَّال هذا [سنة 334 الأحد 19 ماي 946]. فكتم المنصور بالله موته ولم يظهر عليه حزناً، خوفاً أن يتَّصل ذلك بأبي يزيد مخلد بن كيداد النكَّاري، وهوَ بالقرب منه، فيستأسد وتقوى عزيمته. فأبقى الأمور على حالها وأكثر العطايا والصلات، ولم يتسمّ بأمير المؤمنين فكانت كتبُه تنفذ: من الأمير إسماعيل وليّ عهد المسلمين إلى أمير المؤمنين.

واستفتح أموره بإطلاق المحبوسين الذين حبسهم القائم بسبب القدح في الدولة، وقتل الرجال الذين كانوا يسعَـوْن في فساد الـدولة وخـراب المملكة. ووصل الفقراءَ والمساكين، ووجَّه مراكب كثيرة مشحونةً بالطعام إلى فقراء مدينة سوسة المستورين بها ففُرِّقت فيهم، لِمَا قاسَوه من حصار أبي يزيد، فاتَّسع ببركة أيّامه الحاضر والبادي، والشاسع والداني. وأقرَّ الأمور على حالها ولم يُغيِّر السكَّةَ ولا البنود. وأقام على ذلك بقيَّة سنة أربع وسنة خمس وثلاثين.

وكان القائم بأمر الله قد عقد الأمر في حياته لابنه قاسم[2] فمَاتَ قاسم، ورجع الأمر إلى إسماعيل في الوقت المقدّم ذكره، دون عمومته وإخوته[3]. فلمَّا كانت سنة ستٍّ وثلاثين أظهر إسماعيل موت أبيه بعد أن أمكنه الله من

(2) لم يرد اسم قاسم هذا في أبناء القائم كما عدَّدهم المقريزي في ترجمته للخليفة الثاني (ترجمة القائم ص 122).

(3) الوراثة لا تنتقل إلى الإخوة في تقاليد الإسماعيلية، فلا وجه لهذا التوضيح من المقريزي، إلاَّ إذا أراد أن يلمِّح إلى المنافسات التي انجرّت عن تعيين المنصور والتي نجد صداها في المجالس والمسايرات وفي سيرة جوذر.

أبي يزيد، فتسمَّى حينئذ بأمير المؤمنين.

ولمَّا أفضى الأمر إليه أخذ في أهبة السفر وأعدَّ السلاح وآلة الحرب وألقى المراكب في الماء وشحنها بالرجال والسلاح والعُدَّة، ووجَّه بعضها إلى مدينة سوسة وقوَّدَ عليها رشيقاً الكاتب، فوصل إليها لإحدى عشرة خلت من شوَّال. ثمَّ ركب لعشرٍ بقين منه إلى دار الصناعة، وأمر يعقوب بن إسحاق أن يشحن ستَّة مراكب بالرجال من ساعته ففعل. فأمره أن يركب فيها فعظم ذلك عليه، وسأله أن يمضي إلى داره لوداع أهله فمنعه من ذلك، وأمره أن يمضِي / بالمراكب إلى سوسة ويلتقي مع رشيق وقال: «لا تقاتلوا أحداً حتى يأتيكم رسولي، وإنْ طلب أبو يزيد والبربر قتالكم فلا تقاتلوهم». فتوجَّه يعقوب لا يدري أحد ما أسرَّ إليه. [189 أ]

ثم قال لجماعة كتامة والعبيد: «وافوني بالغداة في قرية «بكَّة» بسلاحكم وعدَّتكم، فإني أريد أن أتنزَّه وأرى آثار العدوّ» - يعني أبا يزيد - وقرية بكَّة على ميلين من المهديَّة. فبكَّر من قصره في شرذمة من عبيده وخدمه قبل الصبح من يوم الاثنين لتسع بقين من شوَّال [25/334 ماي |946]. ووافته العساكر فتوجَّه بهم مع الساحل يريد مدينة سوسة، وهم لا يدرون إلى أين يقصد ومع ذلك يخافون من أبي يزيد لما يعلمون من قوَّته وكثرة عدده. فبلغ قرية «لمطة»، وهي نصف الطريق من المهديَّة إلى سوسة. فاجتمع الناس إليه وسألوه عن مراده وأن لا يخاطر بنفسه وبهم. وكانت عِدَّتهم ستمائة فارس. فقال لهم: «قد عزمتُ على التمادي إلى هذا العدوّ بنفسي». فسألوه وتضرَّعوا إليه في الرجوع حتى أذعن. فدعا كبون بن تصولا وقدَّمه إلى سوسة ووصَّاه، فتوجَّه، وقد حار من قوَّة العدوِّ وشدَّة شوكته لأنَّه كان في زيادة على مائة ألف وكبّون في أربعمائة فارس. وقدم المنصور بمَن معه إلى المهديَّة فوافاها صلاة المغرب.

فلمَّا كان صباح يوم الثلاثاء قرَّب يعقوب مراكبه إلى البرِّ وأنزل رجاله في هدوء وسكون بالقرب من الباب. فجلسوا تحت دَرَقِهم، ووقف راكباً في

وسطهم فخرج إليه رشيق بمن معه، والرماة يحمونه من أعلى السور. فلمّا رآهم أبو يزيد وتأمّل سكونهم قال: «هؤلاء قوم ينتظرون غيرهم». وقرب كبّون من أبي يزيد، فركب أبو يزيد بجموعه، وخرج أهل سوسة مع رجال المنصور، فاقتتلوا قتالاً شديداً فانكسر أبو يزيد وانهزم إلى القيروان ثمّ توجّه إلى ناحية سبيبة. وغنم أصحاب المنصور أثقالَه، وقتلوا من أصحابه خلقاً كثيراً.

فخرج المنصور لمّا بلغه فتح سوسة في يوم الأربعاء لسبع بقين منه [27 ماي 946] فوصل إلى سوسة ونزل ظاهرها، وأتاه خبر رحيل أبي يزيد عن القيروان فسرَّه ذلك، وكتب كتاباً يؤمّن فيه أهل القيروان. وأصبح راحلاً إلى مدينة القيروان فخيّم خارج المدينة يوم الخميس لستٍّ[4] بقين منه [22 شوّال 28/334 ماي 946]، وهو في قلّة من العسكر مع ضعف الدوابّ. فخرج إليه الناس فأمّنهم ووعدهم خيراً.

ووجد بالقيروان جماعة من حرم أبي يزيد ونسائه وأولاده فجمعم وكساهم وحملهم إلى المهديّة وأجرى عليهم الأرزاق.

وولّى قضاء القيروان محمد بن أبي المنظور[5]. وكتب إلى القبائل التي بجبال إفريقية يأمرهم بالقدوم، فتثاقلُوا عنه. وجمع أبو يزيد قبائل البربر حتى صار في خلق كثير وكان على يومين من مدينة القيروان، فأوقع أصحابه بكبون بن تصولا وقتلوه[6] بعد حروب شديدة وقتلوا معه عدداً كبيراً. فعزم المنصور على حفر خندقٍ على معسكره وشاور في ذلك وجوه رجاله، فكلُّهم كَرِه حفرَه وقالوا: «هٰذه ذلَّة». فقال لهم: إنَّ النبيّ (صلعم) قد حفر خندقاً

(4) في عيون الأخبار، 358: لخمسٍ...

(5) سيبقى ابن أبي المنظور قاضياً على القيروان إلى وفاته سنة 337. وانظر ترجمته في رياض النفوس، 357/2.

(6) عند الداعي إدريس، 359، أنّه قتل في كمين نصبه فضل بن أبي يزيد. وكان كبون والياً على طبنة في بداية الثورة المخلديّة.

وتحصَّن به، ونحن أولى أن نفعل فعله ونتأدَّب بأدبه ونقتفِي أثره». وأمر بحفر الخندق فبُدىء فيه يوم الأربعاء غرّة ذي القعدة [3/334 جوان 946]، وأخذ فيه الناس بالجدِّ.

وأقبل أبو يزيد إلى القيروان ونزل قريباً منها. وزحف ليلة الجمعة لثلاث خلون منه [3 ذي القعدة 5/334 جوان 946] مخفّاً ليبيّت العسكر. وكانت ليلة مظلمة فأخطأ الطريق فلم يصل إلاّ عند الفجر. فقامت الحرب على ساق، وركب المنصور وعبّأ الصفوف، والقتال يشتدُّ وهو يكرّ على العدوّ يميناً وشمالاً، وهو في قلَّة من أصحابه، والمظلَّة على رأسه فصارت كالعَلَم يعرف بها. ونزل على موضعه وحوله نحو خمسمائة فارس، وأبو يزيد في زائد على ثلاثين ألف فارس. فهَزم البربرُ أصحاب المنصور حتى أدخلوهم الخندق / [190 أ]
وهرب جماعة منهم إلى داخل القيروان ونهبت فازات كثيرة حتى بقي المنصور في تقدير عشرين فارساً من خدمه الذين لا يعرفون القتال. فأقبل أبو يزيد في جماعة يريد المنصور. فحمل عليهم المنصور مشهّراً سيفه ذا الفقار[7]. وأراد الصقلبيّ أن يُلقِيَ المظلَّة عن رأسه ليخفِيَ موضعَه فزجره ونهره وقال: «لا تجزع فإنَّ لله وعداً لا يُخلِفُه». وأقبل نحو أبي يزيد حتى كاد أن يضع سيفه في رأسه، فألقى الله الرعبَ في قلب أبي يزيد فولّى هارباً مع أصحابه، فقتل من أدرك منهم وثبت مكانه ومسح الغبار عن وجهه بكمّه وقال لمن حوله من النجّابين[8]، ولم يبق منهم غير أربعة: «اذهبوا فردُّوا الناس!» وقد أخذ كثير منهم طريق المهديَّة وطريق سوسة، فرجع من كان قريباً منه وأتوه من كلّ جهة فقال لهم وهو يبتسم: «آدخُلُوا في [كمِّي!]». فاستحيى القوم منه. وكثر العجب من ثباته هذا الثباتَ مع أنه لم يحضر قتالاً قبله. وكان نساء أهل

(7) السيف ذو الفقار: انظر في شأنه المجالس والمسايرات للنعمان، 114، ووقعة صفِّين لنصر بن مزاحم، 546، وعيون الأخبار، 732.

(8) النجّاب: الساعي الذي ينقل البريد وطلباتِ الأمير من مكان إلى مكان راكباً على نجيب، أي فرس أو جمل.

القيروان فوق الأسطحة يصرخن ويبكين ويرمين المنهزمين بالحجارة ويقلن: «يا كلاب، تركتم مولاكُم، أخرجتموه من حصنه وأسلمتُمُوه!» وماج أهل البلد خوفاً[9] من البربر، وعاود الفريقان القتال وتمادى بينهم إلى بعد الظهر فقتل بينهم خلق كثير، وكان يوماً شديدَ الحرِّ، فانصرف البربر إلى معسكرهم. فكان هذا اليوم من الأيَّام المشهودة، وقد وصفه جماعة من الشعراء. وقال أبو يزيد لمَّا رجع إلى مناخه: «ما رأيت قطّ أثبت من إسماعيل ولا أشجع. هذا يصلح أن يكون ملكاً». وفي ذلك يقول محمَّد بن الحرث[10] الأبروطي من قصيدة طويلة [طويل]:

ولم أر كالمنصور بالله ناصراً   لدينٍ، ولا أحمى لملكٍ وأمنعَا
ألم تر يومَ القيروانِ وقوفَه   وقد همَّت الأكباد أن تتصدَّعا؟
وأبرز عن وجهٍ من الصبر أبيضٍ   يقابل وجهاً للكريهةِ أسفَعَا[11]

ثمَّ زحف أبو يزيد في يوم الاثنين إلى الخندق فعبًّا له المنصور ووقف ووقعت الحرب فنادى مناديه: «من أتاني برأس أبي يزيد فله عشرة آلاف دينار». وكانت في هذا اليوم أعجوبة وقفَ عليها جميع أهل العسكر: وذلك أن رجلاً من البربر حمل بدابَّته إلى أن وقف بالقرب من المنصور فجعل يشتِمُه ويؤنّبه، فهمَّ الأولياء به من كلِّ وجهٍ، فزجرهم عنه، فلمَّا استوفى مقالته رفع المنصور يديه إلى السماء وقال: «اللهمَّ، خذ لي بحقِّي منه!» فما هو إلاَّ أن ردَّ فرسَه البربريُّ حتى انقلب عليه الفرسُ فوقع قَربوس[12] سرجه على صدره فمات من حينه وحمل الأولياء عليه فجزّوا رأسَه، فخرَّ المنصور ساجداً على مَعْرَفة[13] فرسه. ووقعت الحرب وكانت للبربر. ثمَّ اشتدَّ القتال وعظم الحرّ

(9) في المخطوط: جموعاً. وأخذنا بقراءة عيون الأخبار، 362.
(10) في عيون الأخبار، 364: محمد بن سعيد. وكذلك فيما سيأتي (ص 173).
(11) سيأتي (ص 173 وهامش 42) نقل أطول لهذه القصيدة، مع شيء من الاختلاف: «أن تتقطَّعا». وأيضاً «وجه للحفيظة أبيض».
(12) قَربوس السرج: حِنوه، أي القسم الأمامي المرتفع.
(13) المعرفة (وزن مدرسة): موضع العُرف من الفرس، أي شعر العنق.

وطلب المنصورُ الحشود وحثَّ في ذلك، فَتَوَقَّفَ كثير من الناس عنه مخافة أن تكون الغلبة لأبي يزيد. وقدم عليه طوائف فأنزل كلَّ طائفة بموضع وخندقوا عليهم. فكانت الحرب كلَّ يوم مرَّة لهم ومرَّةً عليهم، وغلب على ظنون أكثر الناس أن أبا يزيد سيَظْهر لِمَا رأوا من قوَّته وكثرته. وأخذ أصحابه الناس في الطرقات إلى أن كان يوم الاثنين لعشر بقين منه [20 ذي القعدة 22/334 جوان 946]، فزحف أبو يزيد بنفسه وأطلق النار في بقية الأنادر(14)، ونشب القتال ووقف المنصور على باب الخندق يمدّ العسكر بالخيل والرماة، وأبو يزيد ثابت. فوجَّه المنصور خيلاً ورجالاً ومعهم بندانٍ وركب في أثرهم. فلمَّا رآهم أبو يزيد ترك القتال وتوجَّه نَحْوَ أخبيته فاشتَدتْ الهزيمةُ عليه وعلى أصحابه وأثخنتهم الجراح فمات منهم في هذه الليلة خلق عظيم وبعض خيولهم بالنشّاب. / وعاد المنصور إلى معسكره. [190 ب

فلما أصبح أبو يزيد جمع أصحابه وأشار عليهم بترك القتال وبثَّ أصحابه ينهبون ومنع الميرة عن القيروان إلى أن اشتدَّ بهم الأمر. ثمَّ زحف في نصف ذي الحجَّة [18/334 جويلية 946] وقاتل قتالاً شديداً، وخرج المنصور وقاتل بنفسه حتى هزمهم. ونزل فجلس على كرسيّ والقتال مشتدّ فسأله الأولياء أن يركب، لخوفهم عليه فقال: «لا تخافوا فإنَّ النصر قريب». ثمَّ أمر الرُقَّاصَ(15) أن ينزعوا لجام فرسه ويَسقُوه من بئر هناك، ففعلوا. وقصد بذلك أن يريَهم قلّةَ اكتراثه بالعدوّ. ثمَّ افترق القتال. فكتب إليه أبو يزيد يسأله في ردّ عياله وأولاده ونسائِه ونساء رجاله وأولادهم الذين أُخذوا من القيروان، وحلف وأكَّد الأَيْمان أنَّه إن ردَّهم رجع إلى الطاعة، على أن يُعطيَه الأمانَ في نفسه ووَلَدِه وأهلِه ويُخلِّيَ بينه وبين السكنى في منزله بتقيوس. فأجابه إلى ذلك ووجَّه المنصور في رفعهم من المهديّة. فلمَّا علمَ أبو يزيد ذلك عزم على

---

(14) الأنادر مفرده الأندر، وهو الكوم من القمح، وأيضاً البيدر.

(15) الرُقَّاص: ج رَقّاصَ، وهو مثل النجّاب، خادم موكّل بحمل الرسائل. وهو هنا مكلَّف بشؤون الأمير الخاصَّة مثل مركوبه. وفي ملحق دوزي أنَّ الكلمة خاصَّة بالمغرب.

إخراج عسكر ليقطع عليهم الطريقَ ويخلِّصَهم، فبلغ ذلك المنصورَ فبادره بالزحف، وَبَرَزَ إليه أبو يزيد فالتحم القتال وقتل جماعة. فبعث أبو يزيد يقول: قد كان بيننا أمر في وصول العيالات ونتمّ ما عقدناه.

فردَّ عليه المنصور: قد اتصل بنا أنكم أخرجتم خيلاً تقطَعُ على العيالات الطريق.

فقال أبو يزيد: كنّا على أن نفعل ذلك، وما فَعَلْنا.

فأمسك عن قتالهم. وقدمت العيالات فأبرّهم المنصور وبعث بنجّابٍ إلى أبي يزيد يخبره بقدومهم ليُوجِّه من يستلمُهم، وأمرَ بفازة فنُصبت خارج المدينة وفُرشت. فقدم رجلان من ناحية أبي يزيد فأنزلَهُمَا وحمل الطعام إليهما وكسا سائر عيالات أبي يزيد الديباجَ والخزَّ، وأعطى كل نسمَة عشرة دنانير وبعث إلى الرسول بمائة دينار، ووجَّه بهم ليلاً، ومعهم عدَّة أحمال من حلوى، والمشاعل بين أيديهم وجماعة تحفّ بهم حتى حلُّوا بمعسكر أبي يزيد فبعث بهم إلى جبل أوراس. ونكث ما عقده وحرَّض أصحابه على الجهاد.

فلمَّا بلغ ذلك المنصورَ خرج قبل صلاة الفجر من يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجَّة [29/334 جويلية946]. وقد تقلَّد سيفه وبيده رمح، وتمادى بعساكره إلى ناحية أبي يزيد فلم يخرج إليه أحد. فأمر بالهجوم عليهم فهابوا ذلك فعاد وقد غضب ولم يخرج من مضربه أيّاماً كثيرة ولا دخل عليه أحد. ووجد على كتامة فإنَّ بعضهم كان قد قال له: «يا مولانا لا نقاتلهم في هذا اليوم فإنَّه يوم الأربعاء»[16]. فأكثر البربر في تلك الأيَّام من أخذ الناس في الطرقات. ثمَّ زحفوا في يوم الأربعاء لخمس خلون من المحرَّم سنة خمس وثلاثين [5 أوت 946] فركب المنصور فكانت حرب عظيمة قتل فيها من

(16) هذا التحذير من كتامة يحتاج إلى تفسير فلعلَّه من ترّهات المنجّمين. وقد أكَّد القاضي النعمان في المجالس والمسايرات، 132 أنَّ المنصور، على درايته بعلم النجوم، لم يكن يؤمن بتأثيرها في حظوظ الناس ولا في سير الحوادث.

أصحاب المنصور جماعة كثيرة. وهمَّ بعضُ البربر، وقد اقتحموا عليه، أن يطعنه برمحه فحمل عليهم وهزمهم، وقُتل منهم خلق كثير.

ثم عاد القتال في يوم الخميس لثلاث عشرة خلت منه [13/335 أوت 946] واشتدَّ وعظم بحيث لم يكن قبلَه مثلُه. وحمل أبو يزيد على المَيْمَنة فهَزَمَها ثمَّ قصد القلبَ فبادر إليه المنصور بنفسه فخافت عليه كتامةُ وضَرَعُوا إليه أن يرجع وقالوا: «نحن أحقُّ بهذا منك». فزجرهم وقال: «إلى متى هذا التجنّب عن هذا الكلب؟ وحقّ جدّي لا تركتُه ولا أمهلتُه، ثقةً منّي بوعدِ الله لرسوله!». ورفع ثيابه على عاتِقِه وقال للعبيد والرجال بين يديه: فأجمعوا على بركة الله وعونه، فهذا يوم الفتح إن شاء الله، وبه أستعين وعليه أتوكّل.

فلمّا قرب أبو يزيد منه وعا[ين] صورتَه نكص على عقبيه / وولّى [191 أ] منهزماً، وأخذته السيوفُ وأصحابه فأسلموا عسكرهم وأخبيَتَهم، فقتل أصحاب المنصور من كان فيها وغنموها. فسجد المنصور على مَعرَفة فرسه شكراً لله ورجع إلى قصره. ونادى مناديه: من أتى برأسٍ فله رُبع دينار، فأتِي بزائدٍ على عشرة آلاف رأس.

وأصبح المنصورُ يومَ الجمعة فأخرج أحمالاً كثيرةً من دنانير ودراهم وتصدَّق بها على الفقراء والمساكين والمستورين[17].

وأمر جعفر بن عليّ الحاجب بالسير إلى الجامع فصلّى الجمعةَ، ثمَّ صعِد المنبر فحمِد الله وأثنى عليه وشكره على ما رزق من النصر والظفر، وما كشف غمّتَه[18] بالأمير عن الخاصِّ والعامِّ، والحاضر والبادي، من البلاءِ، وما رزقهم من الأمن والسلامة، ثمَّ قال:

«معاشر الناس، مولانا وسيِّدنا الأمير إسماعيل ـ أطال الله بقاءه وأدام عزّه وخلَّد ملكه ـ يقرأ عليكم السلام ويقول لكم: قد علم الله حسنَ نِيَّتِي لكم

(17) المستورون: ضعفاءُ الحال المتعفّفون عن المسألة.

(18) قراءة تقريبيّة، ففي المخطوط: عليه بدون إعجام. وسايرنا عيون الأخبار، 378.

وما[19] نَوَيتُه من الخير فيكم وما أُحِبُّه من صلاح أموركم. وإنَّ لي آمالاً حسنة فيكم منع من إظهارها ما كان من وقائع بيني وبين هذا الفاسق. فلو كنَّا أظهَرْنا ما نؤمِّلُه من الإحسان قبل الظفر لقال الجاهل: إنَّما فعل ذلك استمالةً لقلوب الرعيَّة وخوفاً من العدوّ.

«فلمَّا كان من فضل الله علينا ما علِمتُموه، ومن نَصره لنا ما رأيتموهُ، أردنا أن نقابِل منّة الله علينا بالشكر له (عج) والإحسان إلى عباده، والرفق بخلقه، وأردنا أن نظهر بعض ما نويناه فيكم، إذ كان إظهارُه بعد الفتح أولى وأشبه.

«فقد ترك لكم الأمير، أعزَّه الله، ما يجب عليكم من العشُر والصدقات وجميع اللوازم، وفعل ذلك بجميع الناس، مسلمِيهم وذِمِّيِّيهم، رفقاً بهم، وعَوْناً لهم على عمارة أرضهم. فليبلّغ الشاهد الغائب!

«ثمَّ لا يؤخذ منكم في استقبال السنين إلاَّ العشر والصدقة: فالطعام من الطعام، والشاة من الغنم، والثورُ والبقر من السائمَة، على فرائض الله (عج) وسنَّة جدِّي رسول الله ﷺ.

«ثمَّ بعد ذلك يساق إليكم من الإحسان والعدل، وإحياء الحقِّ، وإماتة الباطل، ما تعظم به منَّة الله عليكم، وتعرفو[ن] به بركة أيّامي ويُمنَ دولتِي إن شاء الله».

فكبَّر الناس في الجامع ومن حوله وارتفعت أصواتهم بالبكاء والدُّعاء.

وأخذ المنصور في السفر لطلبِ أبي يزيد، فأقام بالمنصوريَّة[20] باقي محرَّم، وصفر، وأكثر ربيع الأوَّل.

ورحل يوم الأحد لأربع بقين من شهر ربيع الأوَّل [26/335 أكتوبر 946]

(19) في المخطوط: ولما.

(20) هذا سبق للأحداث: فالمنصور لم يسكن المنصوريَّة إلاَّ ابتداء من سنة 337. وإنَّما أمر في هذه الآونة بالشروع في بنائها. انظر عيون الأخبار، 386.

واستخلف على البلاد مداماً الصقلبيّ(21). ونادى مناديه بعدما رحل: مَن عزم على صُحْبَتنا للجهاد فلْيَنْهَضْ معنا! ومَن كان ذا جُبنٍ عند اللقاء، وفَشلٍ عند مصادمة الأعداء، فليرجع إلى موضعه ووطنه، وهو في حلّ وسعة.

وقدم عسكر برقة. وقدم رسول ملك الروم، فوصله بألف دينار وكُسىً نفيسة، وردَّه غرّة ربيع الآخر [30/335 أكتوبر 946].

وأعاد النداء في العسكر بمثل ما تقدَّم، وأتته القبائل شيئاً بعد شيءٍ. ونزل إليه أهل تلك القلاع فأمَّنَهم وعفا عنهم، وأمر الناس بالتهيُّؤ للحرب. وركب نجيباً وسار على مقدّمة العسكر يريد لقاء أبي يزيد على باغاية. فلمَّا علم به أبو يزيد ترك حصارها وفرَّ. فتولَّـ[ـى] المنصور عليها وفرَّق مالاً كثيراً في ضعفائها.

ثمَّ رحل عنها يوم الأربعاء لعشر بقين من ربيع الآخر [18/335 نوفمبر 946] وسار حتى وصل إلى نقاوس.

ورحل عنها وقد لبس درعاً ومغفراً. وأمر الناس أن يسيروا على تعبئة الحرب، وكان أبو يزيد على طبنة يحاصرها. فلمَّا سمع طبول المنصور فرَّ إلى جهة الرمال. فنزل المنصور على طبنة. وقدم إليه جماعة من قبائل كتامة. ثمَّ رحل لليلتين / خلتا من جمادى الأولى [29/335 نوفمبر 946] يريد بَسكرة [191 ب]
فنز[ل] بقسطيلية(22). ووافاه جعفر بن علي بن حمدون عامل المسيلة بهدايا من خيل وإبل ومال. وقدم معه بثائر قام بجبل الأوراس ادَّعى أنَّه من آل البيت ودعا إلى نفسه، فاجتمع عليه البربر وتلقَّب «بعبدالله الناصر لـدين الله المحتسب في سبيل الله» فشهِّر على جمل وسُلخ حيّاً(23) وصُلب.

(21) في حاشية الصفحة كتب الناسخ هذه الإضافة: مات مدام الصقلبيّ سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة.

(22) هي قسطيلية الزاب، بين بسكرة وطبنة، لا قسطيلية الجريد التونسيّ. وفي المخطوط: سبيطلة وهو خطأ من النسَّاخ.

(23) في رواية ابن حمَّاد، 26 أنَّ هذا الثائر ابن صائغ قيروانيّ كان ينظر في كتب التصوُّف. ويضيف أنَّ المنصور تعوَّد أن يسلخ المتمرِّدين عليه حتّى سُمِّيَ «السلاّخ».

ثمَّ رحل فنزل على بَسكرة وقد فرَّ أبو يزيد عنها إلى جبل سالاّت على جهة الرمال حيث لا تسلك العساكر لعدم الماء. فمضى المنصور إلى المسيلة وقد جمع أبو يزيد النكّار من جبل سالاّت ونزل إلى جبل كيانة[24] في خلائق كثيرة، وقصد أن يبيِّت المنصور بمدينة مقرة، فكمَن في تلك الأوعار والجبال. فلمّا طلعت الخيل التي له على العسكر تصايحوا: «العدوّ! العدوّ!». فخرج المنصور وقد لبس درعاً وشدَّ وسطه بمنطقة وأرخى لعمامته ذؤابة، وهزَّ رمحاً وكسره واخترط سيفَه ذا الفقار وقال: «ليس هذا يومَ رمح ولكنه يوم جلاد بالسيوف!». وعبّأ عساكره ميمنةً وميسرةً وقلباً، وجعل خلف كلّ طائفة من هذه ردءاً من عبيده، وفرَّق السلاح في العسكر، فالتَحَم القتال. وأقبل أبو يزيد فقاتلوا قتالاً كبيراً فانهزمت ميمنة المنصور إلى أن صارت إلى الردء الذي خلفَها فثبتوا بمراكزهم، وأردفها المنصور بكتيبة من قِبله فقويَت الميمنة. ومال أصحاب أبي يزيد على الميسرة فهزموها وقُتل جماعةٌ. فغضب المنصور وقصد أبا يزيد بالكتيبة التي معه فانهزم أبو يزيد بمن معه، وتمادى المنصور في طلبهم فقتلوا قتلاً ذريعاً. وانحاز أبو يزيد إلى قلعة عقار ثمَّ فرَّ ليلاً إلى جبل سالاّت. فغنِم أصحاب المنصور جميعَ ما كان له، ورجع المنصور إلى مضربه بعد العشاء بالمشاعل بين يديه.

ورحل من الغد وهو يوم الخميس لأربع عشرة خلت من جمادى الأولى [10/335 ديسمبر 946] فنزل المسيلة فأقام بها خمسة عشر يوماً، وقد كثر الإرجاف بالقيروان بعد هذه الوقعة. فكتب مُدام بذلك إلى المنصور، فوقَّع إليه بخطِّه: «ذكرتَ ما كان المرجفون أشاعوه، وخاضُوا فيه وأذاعوه، وأنَّ ذلك أقلقك وأغمَّك. وقد كنتُ تقدَّمتُ إليك قبل خروجي وأمرتُك بالإعراض عمَّا تسمعُه والإقبال على ما تَعْتَقِدُه، وعرَّفتُك أنِّي لم أركَب الغرَرَ وأتجشَّمْ الخطرَ،

(24) نتوقَّع أنَّ جبل كيانة أكثرُ علوّاً من جبل سالاّت، فلذلك نستغرب فعل «نزل» هنا. وسيقول المقريزي بعد قليل: «فارتفَع إلى جبال كيانة» (ص 155). فلعلَّ جهلَه بجغرافية إفريقية والمغرب هو الذي أوقعه في هذا الاضطراب في التعبير.

وإنَّما خرجتُ منتجزاً لوعدٍ قديمٍ، من ربٍّ عزيزٍ حكيمٍ، لا تبديل لكلماتِه، ولا رادَّ لأمرِه، ولا خلفَ لوعده. فثِقْ بربِّك واتَّقِه ترشُدْ وتسعَدْ. واقرأْ هذا الفصل على المنبر إن شاء الله». فقرأ ذلك مُدامُ فسكنَ الإرجافُ.

ورحل المنصور من المسيلة لليلتين بقيتا من جمادى الأولى [27/335 ديسمبر 946] في طلب أبي يزيد وأمر الناس بالزحف فساروا على تعبئة الحرب قبائل وعرائف[25]، وركب المنصور على نجيب ولبس جوشناً مذهباً عليه خفتان أحمر مُثْقَلٌ وعلى رأسِه عِمامةُ خزٍّ صفراء حتى نزل في وسط جبل سالّات على ماءٍ جارٍ. ففرَّ أبو يزيد يريد الرمال فرحل في طلبه. واجتمع إليه الأدلَّاء وعرَّفوه أنَّه موضع ما سلكه عسكرٌ قطُّ. واشتدَّ الأمر على العسكر وعدموا الشَعِيرَ وغيرَه فبلغ علف الدابَّة ديناراً ونصفاً وقربةُ الماء ديناراً. وعُلِّف أكثر الدوابِّ الحلفاءَ. فعاد إلى بلد صنهاجة. فلقي الناس من الوُعُورِ والثلج ما يئسُوا معه من أنفسهم ومات منهم كثير. فأناخ المنصور ستَّة أيّام حتى تلاحق به الناس.

ووافاه البريد من المهديَّة بمَوْلِدِ وَلدٍ له اسمُه هاشم.

وقدم عليه زيري بن مناد بعساكر صنهاجة فحمَلَه وخلع عليه وقلَّده سيفاً ووصله بصلة جزيلة وعقد له على قبائل صنهاجة والبربر. وفي مُناخه هذا اعتلَّ.

ورحل في نصف جمادي الآخرة ثمَّ نزل بوسط بلد صنهاجة ليُشَتِّيَ هنالك فاشتدَّت به العلَّة ثلاثة عشر يوماً ثمَّ نقه. ورحل إلى / المسيلة يوم [192 أ]
الأربعاء لليلتين خلتا من رجب [26/335 جانفي 947]، وقد سبقه أبو يزيد إليها فارتفع إلى جبال كيانة. فاستدعى المنصور كتامة وعجيسة وزواوة وغيرهم فأتوه وأخذ على أبي يزيد الطرق فانحصر أبو يزيد في تلك الجبال.

---

(25) هكذا في المَخْطوط، ولعلَّها عرائق بالقاف، جمع عرقاة على غير قياس، بمعنى الأرومة والأصل.

ثمَّ ركب المنصور يوم السبت لعشر خلون من شعبان [6/335 مارس 947] متنزِّهاً في أربعة آلاف فارس ومعه زيري في خمسمائة من صنهاجة، وكان النكّار قد كمَنوا له. فلمَّا سار ركبوا ساقته فعطف عليهم وقاتلهم. فأقبل أبو يزيد في خلقٍ عظيم، فاستدعى المنصور بقيَّة عساكره فأتته، وجرَّد سيفه وقصد أبا يزيد فلم يثبت له وولَّى على وجهه وأسلم أولادَه، فركب السيفُ أقفيةَ أصحابه فقُتلوا أبرح قتلٍ واتّبِعُوا في الجبال وبطون الأودية. ونجا أبو يزيد إلى الوعر فخلص، والعسكر في طلبهم أربعين ميلاً حتى كلَّت الخيول وتكسَّرت السيوف. وحُزَّ مِنْهم ألفٌ وسبعون رأساً وجَّه بها إلى القيروان[26]. وكانت القتلى يومئذ يزيدون على عشرة آلاف. ولم يُقتل من الأولياء فارسٌ واحدٌ. وغنموا ما لا يدخل تحت حصرٍ.

ورأى الناس في ذلك اليوم أعجوبةً: وذلك أن الفريقين لمَّا برزا للقتال أقبلت النسور والغربان من وراء النكّار قبل الهزيمة فوقفت كالمنتظرة للحومهم ودمائهم. فلما كان من قتلهم ما كان نزلت على أجسادهم.

وأقام المنصور بعد الظفر، والعساكر توافيه من كلِّ جهةٍ، وقد اعتصم أبو يزيد بجبل كيانة ومعه بنو كملان. ورحل المنصور من المسيلة في يوم الجمعة غرّة شهر رمضان [26/335 مارس 947] حتى نزل على ستة أميال من أبي يزيد. وركب في يوم السبت بعساكره فسلك طريقاً صعبة في جبال شامخة وأودية ضيِّقة. وترجَّل عن دابَّته في بعض تلك الأوعار ومشى راجلاً نحو ثلاثمائة خطوةٍ. ثمَّ ركب وسار حتى أشرف على أخبية أبي يزيد وخصوصه، وهو يرتب الناس للقتال في ذلك الوعر ويأمرهم بتقوى الله والإمضاء على أعداء الله ويَنهاهُم عن النهب.

وانتشب القتال فكانت بينهم حرب شديدة. وقصد المنصور أبا يزيد بنفسِه، فلمَّا رآه ولَّى منهزماً على عادتِه وأسلم أخبيتَه وخُصوصَه، فأمر

(26) في عيون الأخبار، 409: إلى المهديَّة.

المنصور بإلقاء النار فيها. وانتهب العسكر ما لا يوصفُ، فوكّل المنصور قوماً من الصقالبة بقتل من وجدوا معه شيئاً من النهب لأنّهم اشتغلوا عنه به وتفرّقوا حتى لم يبق معه إلاّ اليسير، فطمع أصحاب أبي يزيد وكسروا أجفان سيوفهم واستحرَّ القتال وعلا بعضُهم على تلك الجبال يقاتلون من أعلاها بالحجارة. وأحاط القتال بالمنصور من كلّ جهةٍ فكان الأولياءُ إذا اشتدَّ عليهم القتال وأرادوا الفِرار صدَّهم ما وراءهم من ضيقِ المسالك فيرجعون إليه ويلوذون حول مظلَّته، فكلَّما أقبل العدوّ من جهة حمل عليهم بنفسه فانهزموا بين يديه ولم يحتملوا رؤيتَه. فقُتل من الفريقين خلق عظيم، وكان يوماً لم يُسمع قط بمثله. وانطبقت[27] الحربُ ودامت إلى اصفرار الشمس، وكلّت الخيل وفنِي السلاح، وتعجَّب البربر من صبره وشجاعته. وانصرف راجعاً من طريقه فتسابَقَ البربر إلى الجبال التي في طريقه ليرسلوا الصخور عليهم فأنذره رجل بذلك فسلك طريقاً غيرها فتخلّص الجيش بأسره إلى مُعسكره بعد أن مضى صدرٌ من الليل. فلم يكن في تلك الحروب كلّها أعظم من هذا اليوم ولا أشدُّ. ونادى في الناس أن يردُّوا كلّ ما انتهبوه لعصيانهم إيَّاه ومخالفةِ أمره. فأحرق ذلك كلَّه بالنار.

وأوى / أبو يزيد إلى قلعة كيانة وهي منيعة لا ترام. ثمَّ وصل في سابعه [192 ب] [7 رمضان 1/335 أفريل 947] خفيف الخادم ومعه ثائر ثار بأرض كتامة وادَّعى الربوبيَّة فقُتل.

وأمر في هذا اليوم المنصور بعمل قفص من خشب على بكراتٍ وقال: «لا بدَّ أن أُدخل الفاسق - يعني أبا يزيد - في هذا القفص مع قردين». وكان الناس يمرُّون به ويتعجَّبون منه.

وأقبلت هوارة وسائر القبائل يطلبون الأمان فأمّنهم وأحسن إليهم وخلع

(27) لا يوجد «انطبق» في المعاجم. ولعلّه يعني: عمَّت وانتشرت كما في قولهم: طبّق الماءُ الأرضَ إذا غشّاها.

عليهم. وبعث بنو كملان ومزاته الذين مع أبي يزيد في القلعة يطلبون العفو إلى أن يأتوا بأبي يزيد أسيراً فأجابهم وكفَّ عن قتالهم، وانتظرهم شهراً حتى تبيَّن له كذبهم.

ثمَّ ركب يوم الأحد غرَّة شوَّال [25/335 أفريل 947] إلى مصلّى بناه فصلَّى بالناس صلاة العيد وخطب خطبة بليغة [28] ثمَّ انصرف إلى مضاربه فأمر بإطعام الناس على مراتبهم.

ونادى من الغد بالرحيل وسار إلى قلعة كيانة فنزل تحتها، وأبو يزيد ومن معه قيام ينظرون إليه. وجاءت السماءُ بمطر عظيم ورعد هائل وبرق ملحّ لم ير مثله. وركب عند غروب الشمس بجميع العسكر وأقام المحرس حول العسكر خشية أن يبيِّتهم النكّار وأقام على ذلك ثلاث ليالٍ ثم جعل ذلك نوباً على العسكر في الليل والنهار. وقطع الميرة عن القلعة من جميع الطرق.

وفي اليوم الرابع من نزوله أمر بحفر الخندق على معسكره في سفح القلعة وأخذ بيده مِعْوَلاً فحفر به أوَّلَ الناس، فتسارُعوا بأجمعهم في الحفر وجدُّوا فيه. وأمر بقطع شجر الزيتون والثمار التي في سفح الجبل. وأخذت الرُماةُ في الرمي فقتلوا جماعة من أصحاب أبي يزيد بـالنشّاب. وصلَّى المنصور بالناس المغرب تحت القلعة وانصرف إلى مضاربه. فبلغه أن النكَّار على عزم بيات العسكر، فأمر الكافَّة بالخروج عن العسكر بالخيل والرَّجل وأمرهم بالصمت. فأقبل القوم فـي أوَّل الليل فألفـوا العسكـر مستعدِّين فانصرفوا. ثمَّ عادوا فلم يجدوا فرصة فانصرفوا. ثمَّ لمَّا كان يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من شوَّال [11/335 ماي 947] زحف المنصور إلى القلعة وترجَّل أكثر الناس، وصعد المنصور بنفسه إلى القلعة وجلس على بساط، والناس في القتال. ثمَّ ركب يحرِّضهم حتى غربت الشمس [فـ] ـانصرف بهم، وقد أثخنوا في العدوّ. وبعث طائفة إلى غربيّ القلعة وشمالها حيث كان النكَّار

(28) نقل الداعي إدريس خطبتَي العيد في عيون الأخبار، 417.

يرعَون دوابَّهم، فحصروا القلعة من تلك الجهة حتى ضاق أهلها ضيقاً شديداً.

وزحف يوم الجمعة لعشر بقين منه [14 ماي 947]، وصعد بنفسه إلى سفح القلعة وكان قتالاً شديداً إلى المساء، وكان يومَ السبت [21 شوَّال 15/335 ماي 947] مثلُ ذلك إلى الليل. وكان قد بعث طائفة من العسكر إلى قلعة شاكر وبها قبائل هوارة ومن انضمَّ إليهم فحصروها حتى استأمنوا وملكها. فلمَّا علم بذلك أبو يزيد ومن معه طارت قلوبهم رُعباً وخوفاً.

ثمَّ زحف أبو يزيد يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من ذي القعدة [4/335 جوان 247] إلى الخندق فقاتل ورجع خاسئاً.

وفي غرَّة ذي الحجَّة نزل جماعة من كيانة بحرمهم مستأمنين فأمنّهم المنصور وأحسن إليهم.

وجاء عيد الأضحى يوم الجمعة [10 ذي الحجة 2/335 جويلية 947] فركب المنصور إلى المصلَّى على فرس وردٍ بتجافيف[29] مذهب[ـة] وعليه ثوب أصفر وعمامة صفراء، والمطارد[29] والبنود والطبول في نواحي العسكر، فصلَّى بالناس ثمَّ رقي المنبر فخطب[30]:

«باسم الله الرحمان الرحيم.
«الله أكبر! الله أكبر! لا إلاه إلاَّ الله.
«والله أكبر! الله أكبر! ولله الحمد.

«الحمد لله المتوحّد بالربوبيَّة، المتفرِّد بالوحدانيَّة، المتعزّز بالقدرة والبقاء، المتجبّر بالعظمة والكبرياء، الأوَّل بلا غاية، والآخرِ بلا نهاية، المتعالي عن تشبيه الجاهلين وتحديد الواصفين وتكييف الناعتين.

(29) المطرد: الرمح القصير. والتجفاف بالكسر والفتح: ضرب من الدرع للرجل والفرَس.
(30) الخطبتان في عيون الأخبار، 428.

[193 أ] «وأشهد أن لا إلَهَ إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ/ محمداً عبده ورسوله، أكرمه بالنبوَّة، واصطفاه بالرسالة، وحباه بالفضيلة وابتعثه بالنـور ساطعاً، وبالحقِّ صادعاً، وبالهدى آمراً، وعن الكفر زاجراً، وعلى الأنبياء مهيمناً، ولما جاؤوا به مصدِّقاً. فبلَّغ الرسالة، وهدى من الضلالة، وأنقذ من الهلكة، وأنهج معالم الدين وفرائضه، وبيَّن حدودَه وشرائعه، وجاهد في سبيل الله حقَّ جهاده حتى أتاه اليقين، صلَّى الله عليه في الأوَّلين والآخرين، وعلى آله الطيِّبين، الأئمة المهديِّين، وسلَّم، ورحم وكرَّم.

«أوصيكم عبادَ الله بما أوصيتُ به نفسِي، من تقوى الله ومراقبته، والعمل بما يرضيه ويقرِّبنا وإيَّاكم إليه، ففي تقواه ورضاه الفوزُ بالجنَّة والنجاة من النار ﴿وَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ (آل عمران، 185) ﴿وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ﴾ (الحديد، 20).

«ألا وَإنَّ يومَكم هذا يومٌ حرام في شهرٍ حرام، معظَّم على الأيَّام: يوم الحجِّ الأكبر، افترض فيه على كافَّة الإسلام الحجَّ إلى بيتِه الحرام الذي جعله مثابةً للناس. فتقرَّبوا فيه إلى الله بما أمركم: فانحروا إناثَ الإبل والبقر وفحولَ الضأنِ، واجتنبوا ذوات العيوب والمشوَّهة بالزيادة والنقصان، فبذلك جرت سنَّة نبيِّكم، ﷺ، وعلى الأئمة من ولده الأطهار الكرام الأبرار عليهم السلام. ﴿لَنْ تَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا، وَلكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ (الحج، 37).

«تقبَّل الله منَّا ومنكم، وكتب لنا ولكم حجَّ بيته الحرام، والوصول إلى مشاهده العظام، بإعزاز ملكنا، وإتمام أمرنا، وإنجاز متقدِّم وعده لنا، إنَّه لا يخلف الميعاد، ولا يعجزه إذا أراد».

والخطبة الثانية بعد الجلوس:

«الحمد لله المبدىء المعيد، الكريم المجيد، الفعَّال لما يريد، خالق الخلق، وباسط الرزق، منزل القطر، ومدبِّر الأمر.

«وأشهد أن لا إلاه إلاَّ الله وحدَه لا شريك له. وأشهد أنَّ محمَّداً عبدُه

ورسوله المرتضى، وأمينُه على ما أوحى، المنقذ من الضلالة والردى، ﷺ، وعلى آل بيته الكرام المهديِّين، الأئمَّة الراشدين الطاهرين، وعلى عليّ أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء سيِّدة نساء العالمين، وعلى الحسن والحسين سيِّدي شباب أهل الجنَّة، جبال الدين وسادات العالمين، وعلى الإمام المرتضى، والوليّ المصطفى، عبدالله أبي محمد الإمام المهدي بالله أمير المؤمنين، ووارث فضل الأئمَّة المهديِّين من آبائه الخلفاء الراشدين، وصفو الصفوة من الأوَّلين والآخِرين، الذي قامت به دولة المؤمنين، وبسيفه ذلَّت رقاب المنافقين، فأعاد الإسلامَ غضّاً ناضراً، والدينَ مُشرقاً زاهراً، والحقَّ مضيئاً باهراً، فأحيى الله به من الدين ما اندرس، ومن الحقِّ ما التبس، وجمع له شرف الدنيا وفخرَها، وفضلَ الآخرة وذخرها، صلوات الله عليه ورضوانُه، ورحمتُه وحنانُه.

«وصلَّى الله على وليّ عهده، ووارث مجده، وخليفته من بعده، المتقلِّد الإمامة، المتوَّج بالكرامة، عبدالله أبي القاسم الإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين، سليل النبيِّين، وبقيَّة الأئمَّة المهديِّين، صلاة يزيده بها كرامة وعَلاءً، وشرفاً وسناءً، ساميةَ القدر، عاليةَ الفخر، باقيةَ الدهر.

«اللهمَّ، وكما قلَّدتني خلافتك التي كرَّمتَها وشرَّفتها، ولعنتَ مدّعِيهَا، وأخزيتَ مناوئَها، واخترت [لها] الواحدَ بعد الواحد من آبائي الكرام المصطفين، الخلفاء الراشدين، ثمَّ ألبَستَني ثوبَ مجدهم، وتوَّجْتَني تاجَ عِزّهم، وطوَّقتنِي إمامَتَهُم، وقلَّدتنِي خلافتَهم، وأورَثْتَني مقامهم، وأحييتَ / [193 ب] بي ذكرهُم، وتمّمْت بي أمرهم، ونصبتَني لما نصبتَهم من الاحتجاج على خلقك، والقيام بحقِّك، ونَصر دينك، وإعزاز ملَّة رسولك، ثمَّ أيّدتَني ونصرتَني وأظهرتني، وأعززتَ بي الأمَّة بعد الذلَّة، وكثَّرتَهم بعد القلَّة، وجمعتَهم بعد الفرقة، وكشفتَ عنهم مدلهمّ الفتنة، ودياجي المحنة، فأصبح الحقّ مشرقاً، والباطل زاهقاً، فضلاً منك عليّ، ونعمة جدَّدتها لديّ، اللهمَّ، فألهمني شكرَ نعمتِكَ، ووفِّقني للعمل بما يرضيك، ويزلفني لديك، ويقرِّبني

إليكَ، فإنَّه لا حول ولا قوَّة إلاّ بك، عليك توكّلت وإليك أنيب.

«اللهمَّ اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنَّك رؤوف رحيم».

ونزل ونحر ناقته بيده. وانصرف الناس، وقد علموا أنَّه الإمام، وأنَّ القائم بأمر الله قد توفِّي، ففرحوا بخلافته. وكتب أهل العسكر بذلك إلى القيروان والمهديَّة، فسرَّ الخاصّ والعامّ سروراً عظيماً.

ووصلت عساكر كتامة في ثاني يوم النحر، فأعرض عنهم وقال: «لا حاجة ليَ اليومَ بكم». فتضرَّعوا إليه وسألوه الرضى عنهم، وضمنوا له أنَّهم يوافونه بعشرين ألفَ فارس وراجلٍ. فرضي عنهم وبعث معهم مسرور(31) الخادم، وأجّل لهم عشرين يوماً. فبلغ ذلك أبا يزيد فأيقن بالهلكة، وكتب إلى معبد بن خزر مع ابنه فضل ابن أبي يزيد يسأله النصر، وكان معبد يرى رأي النكّار، فأجابه وحشد الحشود وزحف على بَسكرة وطبنة فانصرف مفلولاً.

ودخلت سنة ستّ وثلاثين وثلاثمائة [23 جويلية 947]. فوصل مسرور بعساكر كتامة في يوم الثلاثاء لعشر خلون من المحرَّم. وكان المنصور يقول في سفره هذا كلّه: «إن لم آخذ أبا يزيد في هذا القفص فلست بابن رسول الله، ولقد ندمت إذ لم أصعد منبر القيروان وأذكرْ هذا لسائر الناس». وكان يقول هذا، وأبو يزيد في سِتَّه وثمانين ألفَ خُصٍّ، في كلِّ خصّ جماعة أقلُّهم ثلاثة، وكلّ الناس قد يئسوا من بقاء الدولة.

ثمَّ لمَّا كان قبل أخذ أبي يزيد بثلاث ليال قال المنصور لطبيبه موسى بن العزار(32): يا موسى، رأيت البارحة في النوم كأنَّ القائمَ بأمر الله، نضّر الله

---

(31) في المخطوط: منشور، ولا يعرف خادم بهذا الاسم. ومسرور هو المذكور في عيون الأخبار، 494.

(32) أو ابن العازار كما في اتعاظ الحنفاء، 196 أو ابن العيزار كما عند القفطيّ. وهو معروف =

وجهه، قد جاء من خلفي فضرب بيده على كتِفي، فحوّلت وجهي إليه مظهراً إجلاله وإعظامه، فقال لي: يا إسماعيل لك البشرى! فأخرج من كمِّه كتفَ شاةٍ وقال: انظر في هذه الكتف فإنَّ فيها قبرَ عدوِّك، وأنت تأخذه وتظفَر به سريعاً ـ وأراني موضعاً من الكتف فيه القبرُ الذي أومأ إليه ـ .

فقال له موسى: يا مولاي، هذه بشرى ألقاها الله إليك!

و[بينا] هم في الكلام إذ أتى الطبَّاخ بالمائدة، فأكل المنصور ومدَّ يده إلى كتفٍ فجرَّدها وأمر بمسحها ثمَّ أخذها ونظر فيها وقال: «والله لكأنَّ هذه الكتف التي رأيتُ في منامي، وهذا القبرُ في المكان الذي أرانيه!». فكان أخذه بعد ذلك بثلاثة أيَّام. وذلك أنَّه لمَّا كان يوم الخميس النصف من المحرَّم زحف إلى القلعة عند طلوع الشمس بجميع عساكره فكان قتال شديد في يوم شديد الحرِّ. ونزل المنصور على تلّ مشرف ليرى منه القتال، وأمر بالروايا والقرب، فنقل فيها الماء على البغال إلى المقاتلة. وقُتل من البربر خلق عظيم، ثمَّ انصرف إلى معسكره.

وصابحهم يومَ الجمعة فكان القتال أشدَّ من اليوم الذي قبله. وأصعد المنصور ثلاثمائة عبد إلى القلعة فألقَوا بها النار فاحترق كثير ممَّا فيها وعادوا، فأنعم على كلّ عبد بمائة درهم وخلعة.

[194 أ] ثمَّ صبَّحهم يوم السبت / ولبس ثوباً أخضر موشَّحاً بذهب وعمامة حمراء مُعْلَمة(33)، فقويت نفوس الناس وأيقنوا بالفتح لأنَّه لم يلبس هذا اللباس في جميع حروبه. وقامت الحرب على ساق، فكان يوماً لم يُشهَد قطّ مثلُه، وعلا البربر على تلك القلاع والأوعار وألقَوا الصخور العظيمةَ فطحنت من الرجال والدوابّ ما شاء الله. فلمَّا كان نصف النهار كَلَّ جميع الناس وملُّوا

= بخدمته للمعزّ عند مقدمه من المغرب إلى مصر. وسيذكر المقريزي طبيباً «رسميّاً» للمنصور يسمِّيه إسحاق بن سليمان.

(33) أي لها علامةٌ خاصة من طرازٍ ونحوِه.

وعطِشوا من شدَّة الحرب والحرِّ وأثخنوا بالحجارة والجراح، فغضب المنصور وتقدَّم بنفسه في ثلاثة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل فتوغَّل وعراً شديداً لا مسلك فيه للفارس ولا للراجل. فظنَّ النكَّار أنَّهم قد ظفِروا به فحمل جميعُهم عليه حملةً منكرةً منحدرين كالسيل في الليل، فتفرَّق عنه أصحابُه وأسلموه حتى بقيَ وحده، فقصدوه وتعاوَرَتْه السيوفُ والرماح والحجارة، وثار عجاج مظلم طبَّق الأرضَ، فرماه في تلك الحالة أحدهم برمح فاتَّقاه بالدرقة فأنفذها إلى صدره، وكانت الحجارة تمرُّ على فرسه يميناً وشمالاً حتى كاد يسقط. ثمَّ تجلَّى الغبار، وقد ظنَّ النكَّار أنَّهم أتَوا عليه، فرأوه قائماً فانهزموا بين يديه، واتَّبعهم وحدَه في وعر لا مسلك فيه، فرآه أصحابُه سالماً وقد كانوا يئسوا منه فعطفوا من كلِّ ناحيةٍ إليه وقتلوا البربر قتلاً ذريعاً. ولجأ أبو يزيد وأصحابه إلى قصر في ذروة القلعة وقاتلوا مِن أعلاه، فضربت فازة صغيرة بالقرب من القصر وجلس المنصور فيها، والجيوش محيطة بالقصر من كلِّ ناحية، ثمَّ ألقَوا النار في أبوابه. وكتب المنصور كتاباً بأمان مَن في القصر إن هُم خرجوا وأسلموا أبا يزيد، ورفعه على قناة إليهم فمزَّقوه ورمَوا به وقاتلوا قتال أهل البصائر[34] حتى هجم الظلام وقد ملَّ الفريقان وأعيَوْا. فأمر المنصور بإيقاد المشاعل حول القصر، ودارت الجيوش عليه، وخرج من الفازة إلى بساط جلس عليه قريباً من القصر، وأطلق النار في الشعاري فصار الليل كالنهار المُشرِق، وهو جالس، والطبول تضرب بين يديه والأعلام منشورة. فلما كان في آخر الليل فتحوا باب القصر وخَرجوا وهم يحملون أبا يزيد وأبا عمَّار على أيديهم، فحملوا على مَن يليهم حملةً شديدةً حتى اختلط الناس، وقُتل من النكَّار مَن قُتل ونجا من نجا. وكان فيمَن قُتل أبو عمَّار وجماعة. وأسر منهم رجل فأخبر المنصور عن أبي يزيد أنَّه خرج محمولاً على أيدي ثقاته، فأمر بطلبه فلم يُوجَدْ. فشقَّ ذلك عليه وغمَّه ووقعت فترة في العسكر[35].

---

(34) البصيرة: عقيدة القلب.

(35) الفَترة هنا: الخيبة والانكسار.

وجاء المؤذّنون فأذّنوا بصلاة الصبح فقام وصلّى على وضوءِه بالأمس. فلمّا سلّم من صلاته قال: «لو علم الفاسق أنّ في الأرض أحصنَ من هذه القلعة لصار إليها، وما أحسبه زال عن هذا المكان، ولو كان في السماء لسقط في يدي». فهو في الكلام حتى أتوه به أسيراً، فحمد الله وأثنى عليه وشكره وسجد شكراً لله، وأمر للّذي بشّر به بألف دينار. وأمر بأبي يزيد فَحمل إلى المضرب وهو لما به من الضعف والجراح، والناس يكبِّرون ويهلِّلون ويحمدون الله ويشكرونه. وركب المنصور فرسه وقد ظهر السرور في وجهه، وهو يحمد الله ويشكره حتى انتهى إلى فسطاطه، والناس يهنئونَه بما فتح الله له ونصره وأعزّه. فأمر الناس بالانصراف ودخل، فوجد أبا يزيد مُلقىً ورأسه في حجر جعفر بن علي الحاجب، فأعرض عنه ودخل إلى مضربه وأمر بمعالجة أبي يزيد من جراحاته ووكّل به من يحفظه.

وكتب بالفتح إلى الآفاق فكانت نسخة الكتابِ إلى مُدام من إملائه بنفسه بعد الصدر:

«أمّا بعد، فالشكر والحمد لله ربِّ العالمين الذي نصر عبدَه وأنجز له وعدَه، وتفرَّد بالمنن عليه وحده فَأَظْهَرَنِي جلّ ثناؤه متوَّجاً بعزَّته / ، رافلاً في [194 ب] حلل كرامته، مبوَّأً من الشرف ذراه، ومن المجد أعلاه، بعد أن ﴿زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ﴾ (الأحزاب، 15)، وظنَّ العبادُ بالله الظنون، فجلّى بيَ الظلام، وأنقذ الأنام، وأثبت الإسلام، وجمع الأمم بعد الفرقة، وأمّنهم بعد المخافة، وأعزَّهم بعد الذلّة، فحقن بي الدماء، وسكّن الدهماء، وأيّدني بنصره وإعزازه، فاعترف لي به المؤمنُ المساعدُ، والكافر المعاندُ، لقصر طاقة المخلوقين عن بلوغ ما أملوه، وإدراك ما حاولوه، فضلاً من هذه النعمة الجليلة، والمنن الجزيلة التي حققت الآمال وقطعت أطماع الدجّال، فأصارها الله إليَّ كلّها، ورآني أهلَها.

«فلم أزل، منذ انتصبتُ للجهاد في سبيله، وأهدفتُ نحري دون دينه، باذلاً نفسِي، متعباً جسمِي، مستصغراً لكل عظيم، راكباً لكلّ هول، متعرِّفاً

من الله أجمل الصنع، وأحسنَ التوفيق في كلِّ شيءٍ أمّمته، ورأي ارتأيتُه، وموقفِ حربٍ وقفتُه، إلى أن أتمَّ الله عليَّ النعمة، وأكمل المنَّة، بالإمكان من عدوّ الله الخائن أبي يزيد، أسيراً ذليلاً، بعد حربٍ شديد كان بيننا وبينه ثلاثة أيّام متتابعة لم يكن قبلها مثلها.

«بدأنا إليه بالزحف يوم الخميس لثمانٍ بقينَ من المحرّم، طلوعَ الشمس، فقاتلناه قتالاً شديداً إلى بعض العصر. ثمّ عاودناه القتال يوم الجمعة بأصعب من القتال الأوّل إلى بعد العصر. ثمّ عاودناه القتال صبيحة السبت، وأيقنوا بالهلاك، واشتدّ القتال في وعر شديد، فجعلوا يلقون علينا الصخور العظيمة لا تمرّ بفارس ولا راجلٍ إلّا صيّرته رميماً، والله يدفع ذلك عنّا بمنّه ويكلؤنا بعينه. فلم نزل من أوّل النهار حتى كلّ الناسُ وملّوا من حرٍّ يسقط طيور الجوّ منه، وتقطّع الأولياء جراحاً، وأثخنوا بالحجارة، وهابوا الإقدام فأغضبني ذلك فزجرتهم وتوعّدتهم وتقدّمت بنفسي واثقاً بالله ربّي، ومعي مُطَحِّيَة[36] فيها أكثر من ثلاثة آلاف فارس ونيف على عشرة آلاف راجل. ورأى العدوّ إقدامي إليهم فأيقنوا بالهلكة، وانهزموا بين يديّ حتى توسّطتُ الوعر الشديد الهائلَ إليهم، فظنّوا أنّهم قد ظفروا بما دبّروه، فحملوا علينا حملة رجلٍ واحدٍ ردَّت كلَّ مَن كان معي. وأسلموني فقصدني الفسَقةُ وتعاوروني بالسيوف والحجارة والرماح. وثار عجاج مظلم طبّق الأرض فوصلوا [إليّ حتى تجاذبوا ردائي فمزّقوه، وقُبضَت ركابي، ورُميتُ في تلك الحملةِ برُمحٍ][37] أخذتُه في درقتي فنفذ إلى صدري، وأثخنوا فرسي بالحجارة فكاد يسقط عنّي، فوثقت بالله وطبت بالشهادة في سبيله نفساً، وقلت: يا نفس، حبّذا والله موقف عشت بعده عزيزاً أو رحت منه شهيداً إلى لقاء جدّي رسول الله ﷺ، فوالله ما ثنيت عنهم عناناً، وإنّي لواقف في غلالة ورداء ودرقة، فما هو إلّا أن تجلّى الغبار ورأوني قائماً في وجوههم فانهزموا وولّوا الأدبار. واتّبعتهم

(36) طحّى بالتشديد: مدّ ونشر، وأيضاً أهلك. فالمطحّيّة هي القاضية المهلكة. ولعلّها مِطحنة: اسم آلة من طحنتهم الحرب، أي أبادتهم.

(37) ما بين مربّعين سقط من المخطوطة، فأخذناه من عيون الأخبار، 441.

وحدي في وعرٍ لا مسلك للخيول فيه، ورآني الأولياء واستيقنوا بسلامتي فعطفوا عليهم عطفة واحدة، فصحت بهم وحرّضتُهم فاستأسدوا وتفرّقوا يميناً وشمالاً في طلبهم وقتلهم، وملكت القلعة بالسيف قسـراً.

«وانجحر اللعين أبو يزيد وأهله وكماته ورجالُه وغزاتُه في قصر أوّليّ بذروة القلعة، وأحاطت الجيوش به من كلّ ناحية فرمياً بالحجارة والرماح ورشقاً بالسهام. وأشعلنا النار في أبواب القصر، والكفرةُ مصرّون على كفرهم وغيّهم. فكتبتُ لهم في ذلك المقام كتاباً منشوراً بأمانهم إن هم خرجوا إليّ وأسلموا اللعين، وأردتُ بذلك الاستظهار بالحجّة عند الله عزّ وجلّ. فأخذوا الكتاب فمزّقوه، فأوّل مَن / مدّ يدَه إلى تمزيقِه أصابه سهمٌ فمات وصيّر الله [195 أ] روحه إلى عذابه. وتمادَوا على إصرارهم، وأمرتُ بإيقاد المشاعل، وبتُّ ليلتي كلّها ساهرّها، ورجالنا على خيولهم، وسيوفهم على أعناقهم. فلمّا كان آخر الليل حمل اللعين وأصحابه من الحصن حملةً واحدة فاختلط الناس، وقتل في تلك المعركة من الفسَقة من قتل ونجا من نجا. وكان ممّن قتل أبو عمّار اللعين الأعمى، ويدرس المزاتي، وجعفر الناظر[38] وجماعة منهم، ونجا من نجا منهم مترامياً بنفسه من أعلى القلعة هارباً. فلم أصرفهم، وأمرت الأولياء بالثبات على مصافّهم وتعبئتهم حول ذلك [القصر. ولم أزل قائماً حتى لاح ضياءُ الفجر، وإذا اللعينُ][38] قد جُرح في تلك الحملة فحمله [ثلاثة من أصحابه حتّى][38] خلّصوه من المعركة ثم ولّوْا وأسلموه فذهب لينزل من القلعة فسقط، ثم قام ليلحق بأصحابه فسقط سقطة أخرى أوهت جسمه فلم يستطع حراكاً فبقيَ ملقىً على ضفّة الوادي، فأُتينا به أسيراً بحمد الله ومنّه وصنعه وعونه عند صلاة الفجر يوم الأحد لخمسٍ بقين من المحرّم. ورأيت من سوء حاله وما أصاره الله إليه من الذلّ وأحلّه به من النقمة ما في بعضه شفاء للغيظ. فحمدت الله وشكرته، وأمرتُ بمداواة اللعين والرفق به إلى أن أصل به إلى المهديّة إن شاء الله.

(38) في الأصل: الناطق، والتصويب من عيون الأخبار، 442. وكذلك الإضافات.

«فاحمد الله أنت ومن قِبَلك من رعايانا، وأكثروا معاشرَ العباد من الشكر، وتقرّبوا إليه بالصدقات وعتق الرقاب من طيّب أموالكم، واذكروا ما كنتم فيه وما أصبحتم فيه اليوم من العزّ بعد الذلّة، والأمن بعد الخوف، والطمأنينة بعد الروع، والاجتماع بعد الفرقة، والدعة بعد المحنة. واحمدوا الله على ما وهبكم وصرف عنكم. فقد تحمّلت ما لم يتحمّله ملك قط قبلي، لم أُرِدْ بذلك من المخلوقين جزاءً ولا شكوراً إلاّ القربة إلى الله عز وجل، والزلفى لديه والرغبة في ما عنده. فالحمد لله على إنجاح سعيي وتبليغي أملي، وإليه أرغب في العون على أداء شكره وتوفيقي لمرضاته، وهو حسبي ونعم الوكيل».

وذكر المنصور أنّه لمّا وقف في المضيق صعد رجل على صخرة يرميه بالحجارة ويَقلب الصخور عليه، وهو لا يستطيع أن يتحرّك لضيق الموضع، وإذا برجل قد جاء إلى ذاك الرجل من ورائِه فرماه برمح فقتله وحزّ رأسه. فأمرَهُ أن يحمل الرأس إلى المضرب وينتظرَه ليكافئَه. فلمّا تراجع إليه الناس وعاد إلى المعسكر وجد الرأس بين يدي المضرب فعرفه. وطلب قاتله فلم يجده، فعلِم أنّ ذلك من نصر الله له.

وأحضر المنصور أبا يزيد بعد أخذه بيوم فقال: «أي عدوَّ الله وعدوَّ دينه، كيف رأيت صنعَ الله؟ ألم ينصر الله الحقَّ على قلّة أنصاره ويخذل الباطلَ على كثرة أعوانه؟». وقرأ قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ: لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ، وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ. فَلَمَّا تَرَاءَتِ الفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ ﴾ (الأنفال، 48).

فرفع أبو يزيد رأسه وقال: قد أقدرك الله، وَالعفو أولى بك.

فقال له: تكلّم آمِناً مطمئنّاً: ما الذي اعتددت على أمير المؤمنين - يعني القائم بأمر الله - حين خرجتَ عليه؟

فقال: كان أبو القاسم كريماً حوله قوم سوءٍ أحدثوا هذه القبالات التي

فيها الجور على المسلمين، فقمت لذلك منكِراً أريد إصلاح أمور الناس.

قال: فهل علمتَ أن ذلك من رأي أمير المؤمنين وأمره؟

قال: لا أعلم.

قال: فهلاّ رفعت ذلك إليه وأطلعتَه عليه؟ فإن غيّر المنكر، كان الذي أردتَ، وإن هو لم يفعل اتّخذت ذلك / حجّةً عليه؟ [195 ب]

فسكت. قال: كأنك إنّما قمت محتسباً؟

قال: نعم.

قال: وهل غيّر الإسلام ونقض شريعة محمد عليه السلام غيرُك؟

قال: كيف؟

قال: بما ارتكبت من المحارم واحتقبت من العظائم، وسفكتَ من الدماء، وهتكت من الحرمات.

قال: فعل ذلك قوم سوء تبعوني.

قال: عن معرفة منك بهم أم عن جهل؟

قال: عن جهل.

قال: فإذا كنت لا ترى الحجّة عليك بفعل أصحابك، فمِن أين رأيتَ الحجّة واجبةً على أمير المؤمنين من فعل عبيده في أقاصي البلدان، وملكه بحمد الله كالبحر الذي فيه الجواهر والغثاء؟

فسكت. قال المنصور: ما تقول في بني كملان هؤلاء خاصّة؟

قال: قوم سوء ملاعين.

قال: قد نقضت قولك وأكذبك الله على لسانك إذ زعمتَ أنّك جاهل بأهل الشرّ من أصحابك. ثمّ هذا قولك في بني كملان، وهم عُمدتُك وأصحابُك، فالويل لك من الله!

قال: فإني أتوب إلى الله عزّ وجلّ على يديك.

قال: وأيّ توبةٍ تقبل منك، وقد خرجتَ عن مذهبك؟

قال: بماذا؟

قال: بالفرار من الزحف، وهو من الكبائر عند أولياء الله، وعندكم أعداء الله كفر، وأنت القائل لأصحابك بأنك لا تهزم أبداً.

قال: ومتى انهزمتُ؟

قال: من سوسة، ثمّ من القيروان، ثمّ من تماديت، ثمّ من باغاية.

قال: بل أردتُ دخولَ المغرب فرحلت عن القيروان.

قال: بل أخرجك منها ابن رسول الله بسيف جدّه صاغراً مهزوماً ذليلاً خازياً طريداً.

فسكت. فقال له المنصور: ثمّ استعملتَ الكذب.

قال: ومتى كذبت؟

قال: في كتابك إلى الأمويّ الشقيّ تزعم فيه أنّك حصرتني وقتلتَ رجالي وأخذتَ فازتي.

قال: ما كتبت هٰذا.

قال: يا غلام، أحضرْ كُتبَه التي أخذناها مع رسوله!

قال: العفو!

قال: وأيضاً تصف نفسَك بالدهاء وتراها أهلاً بتدبير الحروب وسياسة الأمور، وإنّ أمَةً من سِفلة الناس كانت أعقلَ منك.

قال: ومَن هِي؟

قال: امرأتُك التي حذّرتْك سوءَ العاقبة وأمرتك بالاعتراف بذنبك، والتوبة إلى الله عزّ وجلّ ربّك، فلو أطعتَها لأصبتَ رشدك.

قال: لقد قالت ذلك.

قال: أتدري بما بلغتَ ما بلغتَ على خساستك وخمولك وسوء حالك؟

قال: بالقيام لله.

قال: معاذ الله! من قام لله نصره الله. ولن يقوم لله إلاّ الأولياء.

قال: فبماذا؟

قال: بهوانك على أمير المؤمنين، واحتقاره إيّاك، واستصغاره لشأنك. ولقد كان يقول: لو أخذ عدوّ الله بحلقتي هٰذا الباب ما خرجتُ إليه، ليبلُوَ الله المؤمنين ويمحق الكافرين. والذي نفسِي بيده، لينجزنَّ الله لنا وعده ولو كره المشركون!

فسكت. فقال له: عندنا أن نُحسن إليك ونتفضّل عليك، ولن ينالك من عقوبتنا أكثر من سَجنك في دار واسعةٍ ورزق جارٍ لتعلم أنِّي ابن رسول الله وأنّ الله فضّل أخلاقنا كما طهّر أعراقنا. فوالله ما في قتلك درك ثأرٍ ولا شِفاء غيظ. لا أبقى الله دولةً لا يُحييها إلاّ موتُك!

ثم أمر بحمله فحُمِل وهو يقول: جزاك الله خيراً! فقد فعلت ما يُشبهُك.

وأقام إلى ليلة الخميس آخر المحرّم فمات من الجراح التي أصابته. ولمّا أصبَحَ أمرَ بإدخاله القفصَ الذي كان أعدّه له، وجعل معه قِردَيْن يلعبان عليه، وأخرجه إلى الخندق تحت قلعة كيانة ليراه أصحابه وأحضر الجزّارين وأمرهم بسلخه فسلخ بصورة جميع أعضائه ووجهه ورأسه وأخرجوا أحشاءه وعولج بما يحفظ لحوم الموتى، وحُشِيَ جلدُه بالتبن حتى ظهرت صورتُه كأنّها ناطقة. وجعل ذلك في صندوقين طويلين، وأهـل القلعة مُشـرِفون عليـه ينظرون / ما قد عُمل به، فهالهم ذلك وملأ نفوسَهم رعباً. [196 أ]

ولمّا فرِغ من فعله بأبي يزيد، وحضرت صلاة الظهر، تقدّم المؤذّنون، فأذّنوا. ثمّ قالوا: السلام عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمة الله وبركاته. صلاة الظهر رحمك الله!

فسرّ الناسُ بذلك وفرحوا وتباشروا. وجلس للناس بعد صلاة الظهر فدخلوا عليه وسلّموا عليه بالخلافة وهنّؤوه بها. فَبسط آمالهم ووعدهم بالفضل والإحسان والعدل. وأمر بإنشاء الكتب إلى الآفاق بأنه أمير المؤمنين. وإنّما

ستر ذلك وكتَمَه من أجل الحرب ودوام الفتنة ولئلاّ يسرّ عدوّ الله بموت أبيه القائم بأمر الله. وتقدّم بإثبات اسمه بالسّكّة ودار الضرب[39].

ووافى في هذا اليوم معبد بن خزر النكاري بجموعه حتى نزل تحت قلعة شاكر فملكها. ثمّ زحف من الغد إلى الخندق فنزل عليه ولحق به من بقي بقلعة كيانة من أصحاب أبي يزيد. فندب المنصور لقتاله واقتتلوا قتالاً شديداً وقتل من الفريقين خلق كثير. ثمّ انهزم معبد إلى كيانة فامتنع بها وقاتل منها. وكان زيري بن مناد وقيصر وشفيع بالمسيلة فأمر بإحضارهم مخفّين بغير أثقال.

ورحل يوم السبت غرّة صفر [336 / 21 أوت 947]، فأخذ معبد يضرب ساقة العسكر، فبعث المنصور بشرى الصقلبيّ بعساكره إلى زيري وقيصر لمحاربة معبد فحاربوه وقتلوا منه عدداً كبيراً حتّى انهزم.

ووصل المنصور إلى المسيلة فأقام بها سبعة عشر يوماً. فأتته عساكر كتامة مع خفيف ومسرور الصقلبيّين. وأتاهُ قوم من بني كملان فعفا عنهم وخلع عليهم.

ورحل ليلة الثلاثاء لاثنتي عشرة بقيت من صفر [336 / 7 سبتمبر 947]، وأمر زيري بحشد صنهاجة.

ثمّ نزل تاهرت يوم الاثنين غرّة ربيع الأوّل [336 / 20 سبتمبر 947] فطيف بأبي يزيد فيها.

ونزلت بالمنصور علّة شديدة مدّة عشرين يوماً حتى يئس منهُ. ثمّ برىء. وقلّد مسروراً الخادم عمل تاهرت.

ورحل عنها لتسع خلون من ربيع الآخر [336 / 29 أكتوبر 947] فمرّ بقبائل لواتة ومضى يريد إفريقية. وخلع على زيري بن مناد أربع خلع كاملة

(39) الإعلان عن وفاة القائم كان بعد عام وثلاثة أشهر (انظر ترجمة القائم، ص 122).

فيها ثوب مثقل بدارات[40] قيمتُه أكثر من ألف دينار، وخلع على أولاده وأصحابه، وحمله على فرس من مراكبه بسرج ثقيل وقلّده سيفاً وأعطاه ثلاثة أحمال مالاً وأعاده إلى موضعه.

ونزل مدينة سطيف من بلد كتامة فأقام بها شهراً، وفرض على كتامة أربعة عشر ألفَ بيتٍ يوافونه بها [بـ] المنصوريّة للسكنى بها. ثمّ رحل منها فوافته في مسيره حشود كتامة وعيالاتهم، فأنفذهم إلى المنصوريّة. فلمّا نزل تبسّة خلع فيها على جميع الأولياء خلعاً نفيسة، وتلقّاه كثير من أهل المهديّة بها.

ثمّ سار والناس يتلقّونه شيئاً بعد شيءٍ ركباناً ومشاة حتى أشرف على المنصوريّة، فخرج إليه أهلُها بأجمعهم يكبّرون الله ويهلّلونه ويدعون له، فسجد على فرسه شكراً لله (تع)، ونزل قصره بالمنصوريّة، وقد بناه له مدام الصقلبيّ في غيبته. وكان وصوله صلاة العصر يوم الخميس لليلةٍ بقيت من جمادى الآخرة [336 / 13 جانفي 948] فبات بها. وأخرج من الغد أبا يزيد وطوّف به على جمل وعليه طرطور وقِردانٍ على كتفَيه مدّة ثلاثة أيّام. ثمّ حُمل إلى المهديّة فطيف به هنالك، ثمّ جُعل على خشبة طويلة فوق سور المهديّة، فأقام حتّى مزّقته الرياح.

وقالت الشعراء في ذلك فأكثرت. فمن ذلك قول محمد بن سعيد[41] الأبروطي من قصيدة (طويل):

تقلّدها من هاشم خير هاشم	وأشرفها بنيانَ مجدٍ وأرفَعَا
/تحمَّلَ منها ما لَوَ انَّ أقلَّه	على كاهل الدهر انكفا وتضعضعا [196 ب]
أطلَّ على الدنيا فلم يبق جانب	من الأرض إلاّ اخضرّ نبتاً وأمرعا
رمى الخائنَ الدجّالَ إذ حُمَّ حَيْنه	فما رام حتّى عاد شِلْوًا موزّعا

(40) هكذا في الأصل، ولم نفهم المقصود منها.

(41) سبق أن سمّاه محمد بن الحرث. وسيسمّيه من جديد محمد بن الحرث (ص 191).

وجاء في معجم البلدان (باحة) اسم محمد بن سعيد الأبروطي، وهو رجل من أهل اللغة والتدريس، وهو غير هذا الشاعر حسبَ ما يبدو.

سل الغربَ كم أبقى به من وقائعٍ حقيقٍ لهـا بـالشـرق أن تُتَـوَقّعـا
ولم أرَ كـالمنصـور بـالله نـاصـراً لـدينٍ، ولا أحمى لمُلكٍ وأمنَعـا
هو الملكُ المخصوصُ بالنّصرِ مُلكُه وحافظٌ ما قد كان ضَاعَ وضُيِّعَـا(41م)
ألم تـر يـومَ القيـروان وقـوفَـهُ وقـد كادت الأكبـاد أن تتصـدَّعَـا؟
فـأبـرز وجهـاً للحفيـظة أبيضـاً يقـابـل وجهـاً للكـريهـةِ أسفعـا(42)
إذا استقبل الأبصار، وهي طوامِحٌ، ثنـاها ولم تستكمِـل اللحظ خُشّعا
إمامَ الهدى، أقبلتَ، والدهرُ مقبلٌ وقـد عاد عُـودُ الدهـر رطباً فـأينَعَا
ومـا أحـدٌ يَسْعَى ليـدرك غـايـةً من الفخر إلا كنتَ بالفخـرِ أشفَعَا

وقال آخر من قصيدة [كامل]:

انـظر إلى الأيّام كيف تـرى لهـا وجـهـاً تـألّـقَ نُـورُه وتَـهَـلّلا
كشف الغـطا لمنصِّـرٍ عن حُجّةٍ نـطقت دلائلُها فكـانت فيصـلا
الله جـرّد لـلإمـامـةِ فـضـلهـا مُـذ قلّدَ الأمـرَ الإمـامَ الأفْضَـلاَ
قصـدَ التي ليست تُـرامُ، بنفسِـه فـأقـام بـالتـدبيـر منهـا الأمْيَـلاَ
سـل كيف كان، وقـد رأيتَ ثباتَـه إذ كـادت الألبـابُ أن تتـزيّـلا
وسعى الضـلالُ فسـاقَ كـلّ قبيلةٍ وأتى اللعينُ يقـود جيشـاً جحفَـلاَ
ظنّ القـلاعَ تَـرُدُّ بـأسَـك دونَهـا فقَصَـدْتَـه من حيثُ لم يـكُ أمَّـلا
ولجـأ إلى تلك الـوعـور، وخلفـه نَكِـرٌ إذا ما حـلّ وعـراً أسهـلا(43)
أتبعـتَـه حـزمـاً أحـاط بكيـدِه ورميتَ عَـقـد ضـلالـه فتـحَلّلا
لم ينـج منك، وأين [كـان] لمثله مَنجًى، ولو سكن السِماكَ الأعزلا؟
جـازيتَـه أوفى الجـزاءِ، ولم تكُن فيمـا عهـدتُ تقـولُ حتّى تفعَـلا
نَعتـدُّ ذكـرَك عنـدَ كـلِّ شـديـدةٍ وَزراً نلوذُ بـه وسيـفَـك مَعْـقِـلا

(41 م) هذا البيت غير موجود في المخطوط، ونقلناه عن عيون الأخبار، 364.

(42) مرّت بنا (ص 148 وهامش 11) رواية مغايرة، وستتكرّر في ص 191: . . . وأبرز عن وجهٍ من الصّبر أبيض. . .
والحفيظة: الحَميّةُ والغضبُ والغيرة.

(43) النكر (وزن فطن ولبق): الذكيُّ النبيهُ الداهية.

أقبلتَ تقدُمُك السعادةُ مثلَما وافَى بجِدَّته الربيعُ فأقبلا
فاسلَمْ أمينَ الله للدنيا التي أعززتَ، والدين الذي بِك أُكْمِلا

* * *

ثم بلغ المنصور أنّ فضل آبن أبي يزيد مضى إلى جبل أوراس وجمع عدداً كبيراً وسار إلى قسطيلية وقفصة. فرحل في حينه من المنصورية يوم الاثنين غرّة شعبان [336 / 15 فيفري 948]، ومعه الأمير أبو تميم معدّ وليّ عهد المسلمين، وسار حتى نزل مدينة سبيطلة ثم أتى قفصة فأقام بها أربعة أيّام وقد فرّ عنها فضل إلى عمل بَسكرة فرحل في طلبه لثلاث بقين منه وبعث الأمير أبا تميم إلى حصن منيع به جماعة من أصحاب فضل آبن أبي يزيد ففتحه وعاد غانماً بالأسرى، فاستقبلَه قائماً فقبّل ما بين عينيه وضمّه إلى صدره وقال: «أنت ابني حقًّا!». وحزّت رؤوس الأسرى فزادت على ثلاثمائة رأس بعث بها إلى المهديّة والمنصوريّة / وأمر بقطع نخلهم وأشجارهم وهدم [197 أ] حصنهم وعاد، وقد توغّل فضل في الرمال، لثلاث خلون من شهر رمضان [336 / 16 مارس 948]. ونزل بقصره بالمنصوريّة يوم الثلاثاء النصف منه [28 مارس 948] ثمّ رحل منه إلى المهديّة لخمس بقين منه [8 إبريل 948].

وركب منها يوم الفطر، والأمير أبو تميم ولي عهده خلف ظهره والأولاد والإخوة والعمومة من ورائهما والأعلام والمَطارِدُ بين أيديهما، والطبول تُضرب في نواحي العسكر، وهو سائر بوقارٍ حتى وصل إلى المصلّى فنزل وصلّى بالناس ثم صعد المنبر فقال:

«بسم الله الرحمان الرحيم،

«الحمد لله، شكراً لأنعمه التي لا تجحد، وتعرّضاً للمزيد من فضله الذي لا ينفد.

«ولا إلٓه إلاّ الله، إخلاصاً للتوحيد.

«والله أكبر، إجلالاً لذكر العليّ المجيد، له الكبرياء والقوّة، والجلال والقدرة، والسناء والعظمة، له ما في السماوات العلى، والأرضين السفلى،

وما بينهما وما تحت الثرى، كلٌّ خاضع لعظمته، متذلّل لعزّته، متصرّف بمشيئته، واقع تحت قدرته.

«وأشهد أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله، اختاره وانتخبه وارتضاه، وكرّمه واصطفاه، وبعثه بالهدى ودين الحقّ الذي تعبّد به مَن في السماوات من الملائكة المقرّبين، ومن في الأرض من الثقلين[44] أجمعين، فقام عليه السلام بما حمّل، وبلّغ ما به أرسل، صادعاً بأمر ربّه، صابراً على البأساء والضرّاء، إلى أن أظهر الله دينَه على الأديان، وأزهق بحقّه أباطيل الأوثان، صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم، وشرّف وكرّم.

«عبادَ الله، أوصيكم بتقوى الله وطاعته، وخشية الله ومراقبته، والتقرّب إليه بما يرضيه، فإنّه بما في قلوبكم خبير، وبأعمالكم بصير، لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرّة في السماوات والأرض ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (الأحزاب، 71).

«ألا وإنّ الله عزّ وجلّ جعل يومكم هٰذا عيداً لتمام صومِكم، فاقتدُوا فيه بسنّة نبيّكم، وَلْيُخرِجْ كلٌّ منكم عن كلّ واحدٍ من أهله، إناثهم وذكورهم، وصغيرهم وكبيرهم، نصفَ صاع من برٍّ أو صاعاً من شعير أو صاعاً من تمرٍ من طعامكم الـذي تأكلون. وأكثروا الدعاء والاستغفار، والحذر من النار. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ، وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (الحشر، 18).

«إنَّ الله عزّ وجلّ لم يُهمِلكم إهمالَ الهمج، ولم يجعل عليكم في الدين مِن حرج. وفّقنا الله وإيّاكم لما يرضيه، ويقرّبنا إليه، ويزلفنا لديه. وصلوات الله أوّلاً وآخراً على محمد خاتم النبيّين وسيّد المرسلين، وعلى أهله الطيّبين المهديّين السادة الأكرَمين الذين قضوا بالحقّ وبه كانوا يعدلون».

---

(44) في المخطوط: المعمس بدون إعجام، وأخذنا بقراءة الداعي إدريس، 480.

الخطبة الثانية:

«الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتّقين. والصلوات الغاديات الرائحات الزاكيات الناميات على محمّد وآله الطيّبين الأئمّة المهديّين السادة الأكرمين الأبرّين.

«حمداً حمداً! شكراً شكراً! أنجزتَ وعدَك، ونصرتَ عبدَك، على كَره الكافرين، وصغارِ المارقين الأخسرين، أحزاب الدجّال اللعين، المغضوب عليهم الضالّين، الأنجاس الأرجاس، أُولي الذلّ والإتعاس، الأشقياء الأخزياء، الملعونين في الأرض والسماء.

«حمداً حمداً! وشكراً لله شكراً!

«سلام الله وصلواته، ورحمتُه وبركاتُه عليكما يا أميرَيْ المؤمنين، وخليفتَيْ ربِّ العالمين، يا ابنيْ الهُداة المهديّين، يا أبتاه! يا جدّاه! يا ابنيْ محمد رسول الله، سلامَ مسلّم لله فيما قضاه عليّ من فقدكما، صابرٍ على ما امتحنني به مِن بعدكما. فيا طول الحسرة، وفيض العبرة عليك يا أبتَاه! يا محمّداه! يا أبا القاسماه! يا خليلاه! / واشوَقاه! وَاألماه! والذي خلق الأرضَ [197 ب]
والسماء، باعث الموتى، ومميت الأحياء، ما أنا في ريب من اختيار الله لك، ونُقلتِك إلى دار كرامته، ومستقرّ رحمته التي بوّأها محمّداً رسولَه جدَّك صلّى الله عليه، وأميرَ المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وفاطمة الزهراء البتول أمّك. [وآباءَك] الأطهار المهديّين، الأبرار الأكرمين. لكنّ لوعة المحزون باعثة للشجون، مبكية للعيون، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، وله مسلّمون، وعلى كلّ حال تصرّف بنا حامدون، ولنعمائه شاكرون.

«فقد أعظم الله عزّ وجلّ المِنّة، وضاعف النِّعْمَة، بما ربطه على قلبي من الصبر، ثمّ [بـ]ـما أكرمني به من العزّ والنصر الذي ثبّت به قواعدَ الإسلام، ونوّر به قلوب المؤمنين بعد الإظلام، وبعد انقطاع الرجاء، لتطاول شدّة البلاء، بالفتنة العظمى وأهوالها، وبلبالها وزلزالها، بدجّال النفاق،

وأحزابه المرّاق، أعداء الدين، وأنصار إبليس اللعين. أمهلهم الله استدراجاً، وأملى لهم فازدادُوا في الغيّ لجاجاً، ليميّز الله الخبيث من الطيّب، وليُري أولي الألباب تصديقَ وعدِ الكتاب. ﴿ آلم. أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا، وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ؟ وَلَقَدْ فَتَنَّا الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ ﴾ (العنكبوت، 1-2)، وعداً من الله [لا يخلفه]، وحكماً لا يبدّلُه، في الأوّلين من عباده والآخِرين، إلى يوم الدين. فكانت بحمد الله ونعمته على أعدائنا فتنة أصَمَّتْهم وأعمتهم، وأضلّتهم وأردَتهم، ولنا ولأوليائنا محنة أكسبتنا أجراً، وأعقبتنا عزًّا وفخراً، كان وجهُها شتيماً، وعقباها كريماً، لما أراده الله عزّ وجلّ من تجديد دولتنا وإعزاز أمرنا، وتكفّله بنصرنا، وتثبيت أوليائنا، ومحق أعدائنا، حتى انتهت منتهاها، وبلغت أقصى مداها، فجلّى الله ظُلَمَها، ونوّر بُهُمَها[45] وكشف غمّاءها، وصرف لأواءها، على يديَّ، كرامةً من الله خصّني بها، وفضيلةً حباني بشرفها، ونعمةً منه عليّ وعلى آبائي الطاهرين، الأئمّة المهديّين.

«تَظَافَرَتْ عليَّ جيوش المنافقين، الكفَرة المارقين فخذلها، وطمحت العيون نحوي فطمسها، ورُفعت الرؤوس إليّ فطأطأها، وشَمخت الأنوف فأرغمها، وصُعِّرت الخدود فأضرعها، وأبى جلّ جلالُه إلاّ إتمامَ أمري، وإعزاز نصري، وإنجاز وعده محمداً رسوله عليه السلام، بإعزاز ملّته، وإظهار حجّته، ونصر الأئمّة من ذرّيّته.

«يا أهل دعوتنا، وأنصارَ دولتنا، يا كتامة! احمدوا الله واشكروه على ما خصّكم به وفضّلكم على كافّة الخلق، في غربٍ وشرق. بدأكم بالنعمة العظمى، ثمّ شفعكم بالمنّة الكبرى، ووالى بينهما عليكم من نِعمهِ ما لا يحصى: علّمكم، والناسُ جُهّال، وهداكم، والعباد ضلاّل، إلى نصرة حقّه وطاعة وليّه، علَم الهدى، وسراج الدجى، قطب الدين وحبله المتيـن، فأرقاكم بالسبق إلى نصرته، والسعي في طاعته، حتى إذا قضى الله بزلزال

(45) البُهُم بضمّتين: جمع البهيم، وهو الحالك الأسود المظلم.

البلاد، واختبار العباد، وزلزلت الأقدام، وجلّل الأرض الظلام، وعظمت الخطوب، واشتدّت الكروب، عصمكم الله وهداكُم، وثبَّت أقدامكم، وجَلّاها عنكم خاصّة، وعن العباد كافّة، بنا وبأيدينا، فكانت على العباد حُجّةً، وعليكم نِعمة، لتزدادوا إيماناً فيزيدَكم إحساناً، فٱنجلت والله عنكم وأنتم بيض الوجوه، موفون بعهد الله، معتصمون بحبل الله، مجاهدون في سبيل الله، أحياؤكم سعداء، وأمواتكم شهداء ﴿عِنْدَ / رَبِّهِم يُرْزَقُونَ﴾ (آل [198 أ] عمران، 169) فهنِيئاً لكم هنيئاً!

«اللهمّ إنّي عبدك، اخترتني وارتضيتني، وشرفتني بما أورثتني من مقام أصفيائك وخلافة أوليائك، وأغنيتني وأفقرت الخلق في دينهم ودنياهم إليّ، وأنعَمْتَ بي، ولم تجعل لأحد عليَّ مِنّةً سواك، وأقمتني لإحياءِ حقّك، والشهادة على خلقك، فإنّي لا أقول إلّا حقّاً، ولا أنطق إلّا صدقاً. وقد بلغني عن آبائي عن جدّنا محمد رسول الله ﷺ، أنّه قال: «ما من خطيب يخطب إلّا وقَفَه الله يوم القيامة فيسأله عن كلّ كلمة وما أراد بها». فوعزّتك وجلالـ[ـتـ]ـك، وعلوّ مكانك وعظمتك ما هبت عدوًّا، ولا مَلَقْتُ[46] وَليًّا ولا شكرت على النعماءِ أحداً سواك.

«وقد أصبحت راضياً عن كتامة لاعتصامهم بحبلك، وصبرهم على البأساء والضرّاء في جنبك. اللهم فارضَ عنهم، وضاعف حسناتهم، وٱمحُ عنهم سيّئاتهم، وأبقِ نعمتك عليهم في أعقابهم، إنّك مجيب سميع قريب».

ونزل فانصرف إلى قصره، وأمر بإطعام العوامّ، وبصدقاتٍ فرّقت في الفقراء والمساكين.

وفي يوم الأربعاء لعشر بقين من ذي القعدة [336 / 31 ماي 948] وصل رأس فضل ٱبن أبي يزيد، وكان زحف من جبل أوراس إلى مدينة باغاية فحاصرها إلى أن خدعه رجل يقال له باطيط بن يعلى وقتله.

(46) ملقه (وزن نصر) ومِلِق (وزن فرح) ومَالَقَهُ: تملّقه.

وركب المنصور من قصره بالمهديّة لصلاة عيد النحر [10 ذي الحجة 336 / 21 جوان 948] على الرسم الذي تقدّم في يوم الفطر، فصلّى بالناس ثمّ صعد المنبر فقال:

«بسم الله الرحمان الرحيم. الله أكبر! الله أكبر! لا إلّه إلا الله.

«والله أكبر! الله أكبر! ولله الحمد والملك والخلق. تبارك الله ربّ العالمين. مدبّر الأمور، وباعث مَن في القبور. وأشهد أن لا إلّه إلا الله وحدَه لا شريك له، الذي لبس العزّة، وارتدى العظمة، وانفرد بالجبروت والأزليّة، وتوحّد بالملكوت والربوبيّة، العزيز الغفّار، المتكبّر الجبّار، المتعالي عن الصفات، المعروف بالآيات البيّنات، المعبود في الأرضين والسماوات.

«وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله، خاتم أنبيائه، وسيّد أصفيائه، وأكرم أوليائه، بعثه بالهدى، مُبصِّراً من العمى، منقِذاً من الضلالة والرّدى، وأكمل به على العباد نعمته وإحسانه، وأبان به سخطه ورضوانه، فبلّغ عليه السلام الرسالة، وصرّح بالبشارة، وأعلنَ النِّذارة، وكشف الله به الظلماء، وأبطل الجاهليّة الجهلاء، حتى تآلف النّافِر، وآمن الكافر، وعَبَد الجاحد، وأذعن المعاندُ، وأصبح الحقّ واضحاً بعد دروسه، مضيئاً بعد طموسه بـأصنام معبودة، وقلوب كافرة، وأيْدٍ عليه متظافرة، إلى أن أذن الله بإظهار دينه على الدين كلّه.

«صلوات الله على محمّد سيّد الأنبياء، المضطلع بالأعباء، الصابر على البأساء والضرّاء، الباذل لله نفسه أعزّ الأنفس قدراً، وأجلّها عند الله خطراً، وأرفعها في الملإ الأعلى ذكراً، لا يسأل العباد على ذلك أجراً إلا المودّة في القربى، كما أمره ربّه ليكون الودّ لأئمّة الهدى من ذرّيّته سبباً لشفاعته والحشر في زمرته.

«الله أكبر! الله أكبر! لا إلّه إلّا الله! والله أكبر! الله أكبر! ولله الحمد والعظمة والمجد!

«عباد الله، إنّ يومكم هذا يوم عيد أوجب الله تعظيمه وتكريمه، افتتح به الأيام المعدودات، وختم به الأيام المعلومات، وجعله علم الميقات لحجّ بيته الحرام المعظّم، العتيق المكرّم، تفتح فيه أبواب السماء، لقبول الدعاء. فادعوا الله مخلصين، وابتهلوا إليه راغبين، تقرّباً بما أمركم [و] وَزَعَكُم[47]، من بهيمة الأنعام /، وأفضلُها إناث الإبل، وإناث البقر، وفحول الضأن. ومن ضحّى [198 ب]
بجذع من المعز لم يجز عنه، وجذع الضأن يجزي، وكلّ ذبيح قبل الصلاة لحمٌ مُحلّلٌ، وبعد الصلاة قربان متَقَبَّلٌ. وتمام الأضاحي سلامة الأعين والآذان، فاجتنبوا مرضاها ومشوّهاتها، بزيادة الأعضاء ونقصانها، وَأَحِدُّوا الشِّفَارَ[48] لها، وارفقوا عند الذبح بها. ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ (الحج، 36)، وادَّخِروا واحمدوا الله ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ (الحج، 37)، ﴿كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (الحج، 36).

«تقبّل الله منا ومنكم قربانَنا، وأجاب دعاءَنا، وزكّى أعمالَنا، إنّه المنّانُ الكريمُ، الجواد الرّحيم».

الخطبة الثانية:

«الله أكبر! الله أكبر! لا إله إلاّ الله.

«والله أكبر! الله أكبر! الله أكبر! ولله الحمد دائماً، والملك باقياً، والعزّ قاهراً، والدين واصباً[49]. فسبحان من تفرّد بالبقاء، وتوحّد بالبهاء، وتَمجّد بالسّناء، وقهر الخلق بالفناء، ومَنّ بالنعم والآلاء، ابتدأ بجوده وجزى بعدله، شهد الله وشهد من مجّده أنّه لا إله إلا هو، والملائكة المقرّبون وأولو العلم المؤمنون، قائماً بالقسط، منفرداً بالملك، متوحِّداً بالربوبيّة، لا إله إلا هو

(47) وزعه يزعه وأوزعه الأمرَ: ألهمَه إيّاه وكلّفه به.

(48) الشفرة: السكين العظيمة.

(49) وصب (وزن وقف): دام وثبت.

العزيز الحكيم، وأنّ محمّداً عبده ورسوله خاتم النبيّين وسيّد المرسلين، وأكرم المصطفين، وأفضل المنتخبين، صلوات الله عليه وعلى من تقدّمه من الأنبياء والمرسلين، وخلفه من الأئمة المهديّين من ذرّيّته الكرام الطاهرين، ألسن الصدق وأعلام الحقّ، وهداة الخلق، ودعاة الرشد، وأدلّة القصد.

«اللهمّ، صلّ منهم على من بدا ضياؤه، ساطعاً سناؤه، بحرَ علومٍ زاخر الغوارب، وبدرَ سماء زاهرَ الكواكب، منوِّر الظُّلَم، وكاشف البُهَم[50]، مُحيِي السّنن، ومميت الفتن: ذلك عبدُ الله ووليُّه وخيرتُه وصفيُّه، أبو محمد الإمام المهدي بالله أمير المؤمنين، المرتضى للدين، والهادي على الحقّ المبين، وسيف الله المنتضى على الكافرين. اللهمّ صلّ عليه أتمّ صلواتك، وواصل لدَيْه تحيّاتِك، وجدّد له كرامتك، وزده في نعمائك، وفواضل آلائك، وجزيل عطائك.

«اللهمّ، وصلّ على وارث مقامه، وواصل أيّامه، العلَم الأزهر، والسراج الأنور محمد أبي القاسم القائم بأمر الله أمير المؤمنين الذي اصطفيتَه وكرّمته، واخترته وارتضيتَه، وامتحنتَه وابتليْتَه، فكان لأنعمك شاكراً، وعلى البلاءِ صابراً مسلّماً تسليمَ أنبيائك الأكرمين، وأوليائك المنتخبين، لرفع شأنهم وكرامتهم، لا لهوانهم. لقد كان المبتلى بأعظم فتنة، وأشدّ محنة، مِن أحقّ الأمم بالخزيِ واللعنة، لافترائهم عليك، وارتكابهم معاصيك، وجحدهم تنزيلك، وتكذيبهم رسولك، وتألُّبهم على إطفاءِ نورك، وتظافرهم على هدم دينك، ولم يكن إلى سواك ضارعاً، ولا إلى غيرك خاضعاً، ولا في نصرك شاكّاً، فنطق به مُفصِحاً، وبيّنه موضّحاً، تثبيتاً للمؤمنين، واحتجاجاً على الكافرين، ثمّ صرمتَ أيّامهُ، وقضيت حمامَه، قبل شفاء غيظه ودرك ثأره، وبلوغ أمله، فخرج من الدنيا راضياً بك، ضاحكاً مسروراً بلقائك، واثقاً بجزائِك. اللهمّ، فصلّ عليه صلاة لا تبلغها الآمال، ولا تنتهي إليها الأعمال، تخصُّه منها بأكرم فضيلة، وأقرب وسيلة، وزده إحساناً ورضواناً، ورأفة

(50) البُهَم (وزن أمم): مشكلات الأمور.

وحناناً، من فضلك الذي لا ينقصه الإعْطاءُ /، وَجُودك الذي لا مَنَّ فيه ولا [199 أ]
أذى. وإنا لقضائك عليه لمُسلّمون، وباختيارك له راضُون، وبثوابك له موقنون، ودعاؤنا له وصلواتنا عليه فرض منك نؤدّيه، وحقّ أَوْجَبتَه علينا نقضّيه.

«اللهمّ لك الحمد من قبل ومن بعد على نعمتك عليّ، بإفضائك إليّ إمامة الآباء المهديّين، وخلافة الأئمّة الراشدين، ونصبك إيّاي لإحياءِ الدين، بإقامة سُنن سيّد المرسلين وإعزاز المؤمنين، وإذلال الكافرين، أوانَ طغيان الشيطان، وحين أناخ الباطلُ على الحقّ بكَلْكَلٍ وجِرانٍ، فأتممتَ أمري وأعززت نصري، وأسبغتَ نعمتك عليّ، ورادفتَ مِنَّتك إليّ، ولم تجعَل للمخلوقين عليّ فيها يداً، ولا مَنْكَداً(51).

«وإليك أرفع رغبتي، وأوجّه طلبتي، في إيزاع شكر نعمتك وقضاء حقّك، وأداء فرضك، والتوفيق لما أرضاك، وقرّب إليك، وأزلف لديك.

«اللهمّ، إنّي عبدك ووليّك، فضّلتَني ففضلت، وعزّزتني فعززت، فأنا العزيز بك، الذليل لك، الكريم بإكرامك، المتواضع لإعظامك، إجلالاً لعزّتك، وخضوعاً لقدرتك، وإشفاقاً من خشيتك، لا راغباً ولا راهباً إلا إليك ومِنك. وَأتمِم عليّ نعمتَك بالتوفيق فيما أمتري به إحسانك، وأستوجب رحمتك ورضوانك.

«اللهمّ، اغفر للمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، الذين أنعمتَ عليهم بنا فشكروا، وجاهدوا عن دولتنا فصبروا، مستبصرين في دينهم، موفين بعهدهم، مسلّمين لوليّ أمرهم، مصدّقين بالحقّ لمّا جاءهم، مسارعين إلى الخيرات، متنافسين في الصالحات، اللهمّ، ضاعف أجرهم، وأعزز نصرهم، وآكبت بهم قلوب أعدائك، وَجُحَّادِ حقِّ أوليائك.

«وصلّ اللهمّ، على محمد نبيّك المصطفى، ورسولك المرتضى،

---

(51) نكده حاجته وأنكده إيّاها نكداً (ومنكداً): منعه إيّاها.

وعلى آله الطيّبين، والأئمّة المهديّين، والحمد لله ربّ العالمين، أولاً وآخراً، باطناً وظاهراً». ثمّ نزل.

وأقام إلى منسلخ صفر سنة سبع وثلاثين (7 سبتمبر 948) ورحل من المهديّة يوم الخميس عشرة ربيع الأوّل فوصل إلى قصره بالمنصوريّة من الغد، وقد عُمل سورٌ على المنصوريّة في العام الماضي.

وفي هذه السنة ولّى المنصور بالله الحسن بن علي بن أبي الحسين على صقليّة، وهو أوّل من وليها من بني أبي الحسين[52]، واستمرّ عليها حتى وفاته سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة. وكانت صقليّة تحت يدِ خليل بن إسحاق إلى أن قدِم منها في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، واستخلف عليها. فلما وصل إليها الحسن صرف عمّالَها، وبقيت بها مملكتُه ومملكةُ عقِبِهِ من بعده.

وفيها ولّى المنصور عبد الله بن هاشم قضاء القيروان في ربيع الأوّل بعد وفاة محمد بن أبي المنظور، وولّى علي بن أبي شعيب قضاء المنصوريّة[53].

وفي سنة ثمان وثلاثين قطعت السبيل وكثر المفسدون فأخرج المنصور في طلبهم عسكراً فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وأسروا مائة وأربعة عشر، فقطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، وسملت أعينهم.

---

(52) خَدَمَتْ أسرة الكلبيّين الدولة الفاطميّة إلى ما بعد انتقالها إلى مصر. والنسبة ترجّح أنّهم من أصل عربيّ. لكنّ المقريزي، في ترجمة أحد أحفادهم (الترجمة رقم 60 ص 371) يقول: وهو أحد شيوخ كتامة. وفي رواية إدريس عماد الدين لأحداث ثورة أبي يزيد، يقترن اسم الحسن بن علي بقبائل كتامة في موضعٍ واحد لا غير (عيون الأخبار، 384)، على أنّ بلاء هذا القائد في الحرب كان عظيماً. فلعلّ عبارة «أحد شيوخ كتامة» تعني: أحد القوّاد الذين تأمّروا على كتامة.

وانظر أيضاً: سيرة الأستاذ جوذر، التعليق 132، وترجمتها الفرنسيّة، التعليق 184 و 422.

(53) توفّي ابن أبي المنظور في 20 محرّم 337. وتروي المصادر السنّيّة تعرُّضه بالعقاب لإحدى جواري «قضيب» حظيّة المنصور. انظر: رياض النفوس، 2/360، ومعالم الإيمان، 57/3.

وتوفّي عبد الله بن هاشم بن مسرور قاضياً على القيروان في 25 شعبان 363 (معالم الإيمان، 3/100).

أمّا علي بن أبي شعيب ـ بن أبي سفيان في الاتّعاظ، 133 ـ فلم نعرفْهُ.

وفي يوم الاثنين لإحدى عشرة خلت من صفر سنة تسع وثلاثين [وثلاثمائة / 29 جويلية 950] عزل علي بن أبي شعيب عن قضاء المنصوريّة بزرارة بن أحمد، وعمره تسعون سنة، فخافه الخاصّة فعزله في آخر شهر رمضان [339 / 12 مارس 951] وولّاه قضاء المهديّة. واستدعى أبا حنيفة النعمان بن محمّد قاضي طرابلس فولّاه قضاء المنصوريّة في أوّل سنة أربعين وثلاثمائة [/9 جوان 951] وخلع عليه. وولّى حسن بن أحمد بن أبي الدبس قضاء طرابلس(54).

وفي المحرّم منها [سنة 340/مارس 951] أخرج المنصور أسطولاً عظيماً إلى صقليّة لغزو بلاد الروم. وأخرج فرج الصقلبيّ في عسكر عظيم إلى صقليّة، فسار معه الحسن بن عليّ إلى قلوريّة، ولقيا ملجان(55) الروميّ، ومعه ثلاثون ألفاً، وكان بينهم قتال شديد نصرَ الله فيه المسلمين، وعاد فرج إلى المهديّة / بالغنائم والسبي في صفر. [199 ب]

وفيها أمر المنصور بكتابة أولاد القوّاد ووجوه الدولة والجند وضعفاء الناس من أهل القيروان وغيرها، ليُخْتَنُوا، وأعدّ لهم الكُسَى والصلات، فبلغوا أكثر من عشرة آلاف(56). فابتدروا لختانهم يومَ السبت لستّ بقين من ذي الحجّة [340 /22 ماي 952]، ودام إلى سابع محرّم سنة إحدى وأربعين [وثلاثمائة/ 4 جوان 952]، وعمل ولائم فأطعم خاصّة الناس وعامّتهم، وأعطى الصبيان على قدر مراتبهم ما بين مائة دينار وكسوة رفيعة إلى مائة درهم

---

(54) في المخطوط: زرارة بن محمد. وسيأتي اسمُه في آخر الترجمة: زرارة بن أحمد. وقال أبو العرب المتوفّى سنة 333: تشرّق زرارة بن أحمد فولّاه عبيد الله قضاء المهديّة وهو في مذهب الشيعة من الغالين، وهو قاضيها إلى اليوم (طبقات 241) فلا مانع من أن يكون تولّى القضاء بالمهديّة على فترتين، بينهما ستّة أشهر في قضاء المنصوريّة.

وفي خصوص قدوم النعمان من قضاء طرابلس إلى قضاء المنصوريّة، ينبغي إصلاح ما أثبتناه في طبعتنا للمجالس والمسايرات، 57، حيث قلنا إنّه تولّى قضاء المنصوريّة سنة 337.

هذا، ولا نعرف ابن أبي الدبس، القاضي المذكور على طرابلس.

(55) حاولنا في طبعتنا لعيون الأخبار، 487 أن نضبط هذا الاسم.

(56) عند ابن حمّاد (أخبار، 39): كانوا ألف صبيّ لا غير، ولكنه يميل إلى انتقاصهم.

وكسوة. وتسامع الناس بذلك من كلّ ناحية فكثروا حتى كان يختن في كلّ يوم ألف وخمسمائة وأكثر وأقلّ. وأقام على ذلك سبعة عشر يوماً بلغت عدّتُهم مائةَ ألفٍ. فبلغ ما أنفقه في هذا الختان مائتي ألف دينار. وفي نسخة: ويقال إنه أنفق نحو ألف ألف دينار في هذه الأيّام. وحدث في البلد عند ذلك أفراح عظيمة لم ير أحدٌ قبلها مثلَها.

وفي يوم الثلاثاء، النصف من ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين [وثلاثمائة/7 سبتمبر 952] وصل رسول من القسطنطينيّة في طلب الموادعة والهدنة، ومعه هديّة عظيمة. فأظهر المنصور من عزّة الإسلام وقوّة أهله أمراً عظيماً وأنزل الرسول.

وفيها أُخذ معبد بن خزر الزناتي صاحب أبي يزيد النكاريّ أسيراً مع ابنه، فقدما لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة [341 / 19 نوفمبر 952] فقتُلا بعدما شهّرا[57].

وخرج المنصور على الساحل فانتهى إلى قابس، ودخل أهل جزيرة جربة في طاعته، وقدم لعشر خلون من جمادى الآخرة [2/341 نوفمبر 952] بعدما غاب ثلاثين يوماً [من 10 جمادى الأولى / 3 أكتوبر 952].

وأمر القاضي النعمان بن محمد بجمع العلماء المالكيّة والشافعية والحنفيّة والشيعة، فاجتمعُوا يوم الخميس النصف من صفر [12/341 جويلية 952] للنظر في هدنة صاحب القسطنطينيّة وموادعته، وهل يجتمع رأيُهم على قبول المال منه وترك محاربتِه، أو محاربته وترك موادعتِهِ؟ فقالوا: «ما رآه أمير المؤمنين فهو الرأي». وكان رأيه قبول المال وتمام الموادعة. فانصرفوا من عند النعمان فوافَوا خروج الأمير أبي تميم، ابن المنصور، فسلَّموا عليه واجتمعوا عنده فسألهم عمَّا جرى فأخبروه بما كان فأمرهم فانصرفوا.

(57) هذا الثائر هو في الحقيقة ابن للزعيم الزناتي محمد بن خزر. انظر عيون الأخبار، 396 هامش 94 و 432، هامش 145.

ورُفع إلى المنصور أنَّ قاضيَ برقة[58] تقدم إليه خصمان، فحكم على أحدهما، فقال له المحكوم عليه: لقد حكمتَ بغير مذاهب أهل البيت عليهم السلام.

فقال له: والله لا أحكم بمذاهبهم ولو عُلّقتُ بيدي!

فأحضروه إلى القيروان وعلّق بيده على خشبة غرزت في غربيّ الجامع حتى مات. وكان يتَضَرَّع في شربة ماءٍ فلم يُسقَ. وكان معه صهره فأغلي الرصاص وصبَّ في دبره فمات.

وفيها أكَّد المنصور لابنه أبي تميم معدّ أنَّه وليّ عهده وخليفته ووصيُّه والقائم بالخلافة من بعده.

وخرج في شهر رمضان [341/ جانفي ـ فيفري 953] متنزّهـاً إلى جلولاء، وهو موضع كثير الثمار فيه من الأترجّ ما لا يحمل الجمل منه سوى أربع أترجّات لعظمه. وكان قد ورد عليه منه شيء إلى قصره فأعجبت به حظيّتُه قضيب ـ وكان محبّاً لها ـ وسألته أن ترى ذلك على أغصانه. فسار بها وخرج معه جميع عسكره، فأخذه بجلولاء مطر عظيم وريح بها شديد. فخرج منها راكباً على فرسه، وقضيب في عمَّاريّة[59]، يريد المنصوريَّة، فدام عليه ذلك المطر والريح، وقد وَحِل في الطريق، فلم يمكنه إلاَّ التمادي لما أراده الله. فكان يوجد العبيد السودان على الطريق قعوداً، فإذا حرّكوا إذا هم موتى قد جفّوا من البرد لأنَّه كان أمراً عظيماً. وكان بين يدي المنصور حسنون الرقَّاص فقال له: «يا حسنون، احتَلْ في شيءٍ تجعله بين رجلَيَّ والركاب،

---

(58) قاضي برقة: في معالم الإيمان، 60/3 قصَّة مماثلة جرت على محمد بن إسحاق الجبلي، وكانت الوشاية، لا بسبب موقفه من أحكام المواريث كما يبدو هنا، ولكن بسبب رفضه لتقدير هلال العيد بالحساب، وترك الرؤية. وقد سبق المالكي: رياض 404/2 إلى ذكر الحادثة بأكثر تفصيلاً وتهويلاً، إلاَّ أنَّه دون تهويل المقريزي هنا: فهو الوحيد الذي يذكر القتل بالرصاص المذاب.

(59) العمّاريّة: هودج يحمل على جمل للسفر.

فإنّي أحسّ برد الحديد». فقطع شيئاً من ثيابه وجعله بين رجليه والركاب.

ووصل المنصور إلى قصره بالمنصوريّة آخر النهار، وقد مرَّ عليه برد شديد. فأمر / في الوقت بإحماءِ الحمّام فأحمِيَ، ودخل فاعتلَّ من وقته. [200 أ]

ووافى عيد الفطر [19/341 فيفري 953] فصلّى بالناس وهو متغيِّر اللون ضعيف. فاستحكمت علّته في شوّال. فأوصى ابنه أبا تميم أن يكفّنه في ثلاثة أثوابٍ بيض، وأن يمنع من النّوح عليه والبكاء، وأن يباشر بخدِّه الأرضَ ـ مع ما أوصاه به من حسن السيرة والعدل في الرعيّة ـ .

فلمّا كان يوم الجمعة آخر يوم من شوّال سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة [19 مارس 953] توفّي بالمنصوريّة، فغسّله جعفر بن عليّ الحاجب، وصلّى عليه ابنه أبو تميم معدّ مع من حضر من الخاصّة، ودُفِن في قصره ليلاً.

ويقال إنّه أراد عبور الحمّام في مرضه فنهاه طبيبه إسحاق بن سليمان الإسرائيلي(60) عن ذلك، فلم ينتهِ. ودخل الحمّام ففنِيت الحرارة الغريزيّة منه ولزمه السهر. فأخذ طبيبُه يعالج المرضَ دون السهر. فاشتدَّ عليه ذلك فقال لخاصّته: أما في القيروان طبيبٌ سوى إسحاق؟

فأتوه بشابٍ يقال له أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد بن الجزّار(61) فجمع له مخدّراتٍ عدّةً وكلّفهُ بشمِّها حتى نام. ثمَّ خرج وهو مسرور بما كان منه. فجاء إسحاق ليدخل على المنصور فقيل له: هو نائم.

(60) في طبقات ابن جلجل، 87: مصريّ سكن القيروان، تتلمذ لإسحاق بن عمران وخدم المهديّ عبيدالله. وقال الأستاذ إبراهيم بن مراد في ترجمته لابن الجزّار (الحوليّات 1983/22) إنّ إسحاق بن سليمان توفي بعد 341 وأنّه كان استُقدِم من زيادة الله الثالث سنة 293. وأضاف أن ابن الجزّار تتلمذ عليه.

(61) في ترجمة ابن جلجل له، 88 أنّه عاش نيفاً وثمانين سنة وأنّه كان صديقاً قديماً لأبي طالب موسى، ابن المهديّ. فإذا كان ترباً لابن المهديّ ـ والمهدي ولد سنة 260 ـ فمن المقبول أن يكون مولده سنة 285 كما كتب الأستاذ إبراهيم بن مراد في فصله عن ابن الجزار بالحوليّات 1983/22. وبهذا يكون عمره عند وفاة المنصور، نحو 55 سنة، وليس هذا العمر من الشباب في شيء.

فقال: إن كان صُنِع له شيءٌ منوِّمٌ فقد مات!

فدخلوا فإذا به [قد] مات. فأرادوا قتل ابن الجزّار فمَنَعَهُم إسحاق من قتله وقال: لا ذنب له. إنَّما داواه بما قد ذكره الأطبَّاء. غيرَ أنَّه جهل أصلَ المرض ولم تُعرِّفوه أنتم به. وذلك أني عالجتُه أريد تقوية الحارّ الغريزيّ، وبه يكون النوم. فلمَّا عالجه هو بما يطفىءُ الحارّ الغريزيّ، علمتُ أنَّه قد مات.

وتوفيَ وهو ابن أربعين سنةً كاملةً. وكانت خلافتُه سبع سنين وثمانية عشر يوماً. وكان حسن السيرة في الناس. وكان فصيحاً خطيباً، يخترع الخطبة لوقته. وكان حادّ الذهن حاضر الجواب بعيد الغور جيِّد الحدس شجاعاً عاقلاً. وكان كثيرَ القتال لأهل الفساد، وبذلك استقام الأمر لولده من بعده.

وكان يشبّه بأبي جعفر المنصور ثاني خلائفِ بني العبَّاس: وذلك أنَّ كلّ واحدٍ منهما اختلّت الدولة عليه، وكاد أن يُسلَّ من الخلافة فهبّت له رياح النصر حتى تراجع أمره ولم يبق له منازع.

وكان للمنصور من الأولاد: أبو تميم معدّ، ووليَ الخلافة من بعده. وحيدرة، وهاشم، وطاهر، وأبو عبدالله الحسين[62].

وخمس بنات هنَّ: هبة، وأسماء، وأروى، وأمّ سلمة ومنصورة[63].

وكان له ثلاث أمَّهات أولاد.

وكان نقش خاتَمه: بنصر الباطن الظاهر ينتصر الإمام أبو الطاهر.

---

(62) أولاد المنصور: في الاتّعاظ، 133، أنَّ حيدرة مات بمصر سنة 372. ومات أبو عبدالله الحسين بالمغرب، ولم يذكر له تاريخاً. ومات طاهر بالمغرب سنة 359.
وهاشم هو الذي ولد في أيّام فتنة أبي يزيد (انظر أعلاه ص155).

(63) لم يذكر المقريزي في الاتّعاظ، 133 تواريخ وفياتهنّ، واكتفى بأن قال: هبة وأسماء وأروى متن بمصر في مدَّة المعزّ، وأم سلمة في مدَّة العزيز. أمَّا منصورة ـ وقد قرأها المرحوم الشيَّال: سمّورة ـ فماتت بالمغرب.

وكان قضاته: أحمد بن أبي الوليد(64)، ثمَّ محمد بن أبي المنظور، ثمَّ عبدالله بن هاشم، ثم عليّ بن أبي شعيب، ثمَّ أبو محمد زرارة بن أحمد، ثم أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي.

وكان حاجبه جعفر بن عليّ.

ولمَّا قدم المعزّ لدين الله أبو تميم معدّ إلى القاهرة، كان معه توابيت آبائه:

المنصور إسماعيل هذا،

والقائم أبي القاسم محمد،

والمهدي عبيدالله،

فدفنهم بتربة القصر من القاهرة. فلذلك ذكرتُهُ(65) في كتابي هذا.

وحكى أبو جعفر أحمد بن محمد المروروذي قال: «كنت مع المنصور في اليوم الذي أظهره الله فيه على أبي يزيد وهزمه. فتقدَّمت إليه وسلّمتُ عليه وقبّلت يده ودعوت له بالنصر والظفر، فأمرني أن أركب، وقد جمع عليه سلاحه وآلة حربه، وتقلّد سيف جدِّه ذا الفقار، وأخذ بيده رمحَين. فحدّثتُه ساعةً، فجال به الفرسُ، فردَّ أحد الرمحَينِ إلى يده اليسرى، فسقط من يده إلى الأرض، فتفاءلت له بالظفر، ونزلت مسرعاً، فرفعت الرمحَ من الأرض، ومسحتُه بكمِّي وَرَفَعْتُهُ إليه وقبّلتُ يده وقلت [طويل]:

[200 ب] فألقت عصاها واستقرَّ بها النوى كما قرَّ عيناً بالإياب المسافِرُ /

فأخذ الرمح من يدي وقال: هلاَّ قلت ما هو خير من هذا وأصدق؟

قلت: وما هو؟

قال: قولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ، فإذا هِيَ

(64) أحمد بن محمد بن أبي الوليد في المعالم، 75/3. كان مناهضاً للعبيديّين، محرِّضاً لفقهاء القيروان على الانضمام إلى أبي يزيد. ففي استقضاء المنصور له دليل على تسامح الخليفة الفاطميّ.

(65) الضمير يعود على المنصور. فالمقريزي لم يقتصر على ذكر من دخل مصر حيّاً.

تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُوْنَ، فَوَقَعَ الحَقُّ وَبَطَلَ ما كَانُوا يَعْمَلُوْنَ، فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ (الأعراف، 117 - 119).

فقلت: يا مولانا، أنت ابنُ رسول الله وإمامُ الأمَّة، عليكم نزل القرآن، ومن بيتكم درجت الحكمةُ، فقلتَ أنتَ بما عندك من نور النبوَّة، وقال عبدُك بما بلغَهُ من علمه ومعرفتِه من كلام العرب وأهل الشعر».

وكان الأمر كما قال: فما هو إلَّا أن أشرف على عسكر أبي يزيد [حتَّى] ضرب الله في وجوههم، فقُتلوا وأُحرق معسكرهم وخيامهم بالنار، وولَّى أبو يزيد في بقيَّة أصحابه خائبين إلى داخل المغرب.

ولم يُر كصبره يومَ القيروان، وهو يقاتل أبا يزيد. وقد ذكر حسن موقفه شاعره محمد بن الحرث فقال:

ولم أر كالمنصور بالله، ناصراً لدينٍ، وأحْمَى مِنهُ مُلكاً وأمنَعَا[66]
ألم تر يومَ القيروان وقوفَه وقد كادت الأكباد أن تتقطَّعَا؟[67]
وأبرز عن وجه من الصبر أبيضٍ يقاتل وجهاً للكريهة أسفَعَا
إذا استقبل الأبصار، وهي طوامحٌ ثناها، ولم تستكمل اللَّحظ، خُشَّعَا

* * *

التعليق: هذه الترجمة من مخطوط السليميَّة: 189 أ ـ 200ب.

وهي أكثرُ إفادةً لدارس التاريخ من ترجمة الخليفتين السابقين المهدي والقائم. فبقدر ما اختصر المقريزي عرض الأحداث في ترجمة القائم ولا سيما ثورة أبي يزيد، أطال هنا في ذكر تفاصيل تلك الفتنة، وإن بقي عرضُه دون عرض الداعي إدريس في التفصيل. ولا شك عندنا أنَّ كلًّا من المقريزي والداعي

(66) في الروايتين: ص 148 هامش 11 وص 174 هامش 42: ولا أحمى لملك.
(66) أن تتصدَّعا، في الروايتين الماضيَتين.

إدريس ـ وابن الأثير قبلهما ـ قد كرعُوا من مَعين مغربيّ إفريقيّ لعلّه تاريخ الرقيق أو تاريخ ابن الجزّار أو تاريخ ابن شدّاد.

ورواية المقريزي أكثر اعتدالاً من رواية الداعي إدريس: فليس فيها التمجيد المطلق التلقائيّ للخلفاء العبيديّين، ولا التحامل الدائم المملّ على المذهب الشيعيّ، وإنّما هي رواية أمينة لا تسكت عن قساوة المنصور إزاء المتمرّدين والمخالفين وسوء معاملته للفقهاء المتحفّظين تجاه الطقوس الجديدة، ولكنها في المقابل لا تسكت عن الحالات التي يظهر فيها تسامح الخليفة مع المعارضين ورفقُه بالرعايا واستدراجُهم شيئاً فشيئاً إلى مؤازرته.

ولهذه الترجمة ميزة أخرى، وهي اهتمامُها بالجانب الأدبيّ من حياة المنصور: فالمقريزي ينقل لنا، علاوة على خطبه البليغة المؤثّرة، شعرَ المادحين، ممّن لم تذكرهم المصادر الأدبيّة ولا كتب التاريخ الواصلة إلينا (عدا عيون الأخبار).

ولعلّ الذي يبرّر حجمَ هذه الترجمة وطولها، هو ثَراءُ شخصيّة المنصور في حزمه وشجاعته، واعتداله وحكمته، وبيانه وفصاحته، وصبره على الشدائد، وحلمه مع الأعداء الممزوج بالقسوة كصفحه عن أبي يزيد وتهيئة قفص العرض لجثّته، ورقّة عاطفته نحو ابنه المعزّ، وخضوعه لرغبة حظيّته قضيب.

ولئن خصّص الباحثون دراساتٍ للمهدي مؤسّس الدولة وللمعزّ باني القاهرة، فإنّ المنصور الذي ضمِن بعزمه الدوام للدولة الفاطميّة، لم يحظ بالدرس، وإنّه به لجدير.

20 ـ محمد بن علي الماذرَّائي (258 ـ 345)

محمد بن علي بن أحمد بن إبراهيم بن الحسين، أبو بكر بن أبي الحسن بن أبي بكر الماذرَّائي الكاتب، متولّي خراج مصر.

أوَّل من تولَّى بمصر من الماذرَّائيّين جدُّه أبو بكر أحمد بن إبراهيم الأطروش في أيَّام أحمد بن طولون كما قد ذكر في ترجمته[1].

وولد محمد بن علي بنصيبين في ثالث عشر ربيع الأوَّل سنة ثمان وخمسين ومائتين [/ جانفي 872]. وقيل: بل ولد لعشر خلون من شوَّال. وقدم مصر في سنة اثنتين وسبعين هو وأخوه أبو الطيب أحمد بن عليّ، وسنّه خمسَ عشرةَ سنةً، وأبوه عليّ بن أحمد يملك النظرَ في جميع أمور مصر خلافة لأبي الجيش خُمارَوَيه بن أحمد بن طولون ووزارة. فاستخلفه أبوه على الخراج ثمَّ استخلفه أيضاً على ديوان الترسُّل في سنة ثمانين ومائتين / 893 - 894] بعد الحسين بن محمَّد كاتب ابن أبي الساج.

فلمَّا قتل أبوه وزر لهارون بن خُمارَويه، ولم يزل بمصر إلى أن زالت دولة بني طولون[2] فحمل هو وسائر الماذرَّائيين فيمن حمل من مصر مِن الطولونيَّة، إلى العراق. وأقام هناك من سنة اثنتين وتسعين إلى سنة إحدى وثلاثمائة [/905 - 914].

(1) ترجمة الأطروش وأحمد بن طولون في مخطوط السليميّة (و 69 و 86).

(2) زالت الدولة الطولونية في ربيع الأوَّل 292 على يد محمد بن سليمان الكاتب.

فلمَّا سار مؤنس بالعساكر من العراق لقتال حباسة بمصر، قدم معه بأهله وولده يومَ السبت لتسع خلون من ربيع الأوَّل سنة اثنتين وثلاثمائة [1/ أكتوبر 914] ودبَّر أمر البلد وأمر ونهى، وأمرُ الخراج يومئذ إلى أخيه أبي الطيِّب أحمد بـن عليّ.

فلمَّا مات أبو الطيِّب في سنة ثلاثٍ وثلاثمائة [916/] تقلَّد أبو بكر الخراجَ بعده وأقام إلى آخر سنة أربع وثلاثمائة. فولي عمُّه أبو زنبور[3] عوضَه وأقام بمصر. وسار مع عمِّه إلى العراق غيرَ مرَّة.

وواصل الحجَّ من سنة إحدى وثلاثمائة إلى سنة اثنتين وعشرين تمام اثنتين وعشرين حجَّةً، أنفق في كلِّ حجَّة مائةَ ألفِ دينار وخمسين ألفَ دينار. وكان يخرج إلى الحجِّ بتسعين ناقةً [بـ] ـأَقْتبة وأربعمائة جمل لجهازه وميرته، ومعه المحامل فيها أحواض البقول وأحواض الريحان بأنواعه، ومحامِل فيها كلاب الصيد. فإذا وصل إلى الحجاز أنعم على بني الحسن والحسين، عليهما السلام، وعلى أبناء الصحابة رضي الله عنهم. وكان لهم عنده ديوان فيه أسماؤهم فينفق فيهم صرراً مختومة بأسمائهم. وبلغت نفقتُه في عشر حجَّات ألفَيْ ألفِ دينار ومائتي ألفِ دينار. وكانت الوفود ترد إليه وتَسيرُ معه وتتلقَّاه. وكان يبرز إلى أرض الجبّ[4] من الفسطاط إذا بقي من شوَّال ثلاثة أيَّام، فإذا استهلَّ هلالُ ذي القعدة رفع من أرض الجبّ وسار إلى المدينة فصلَّى بها جمُعتَين ثمَّ يخرج إلى مكة فيقيم بها / إلى أن يستهلّ المحرّم. ثمَّ يعود إلى [106 ب]
المدينة فيصلِّي بها جمعتين أيضاً ويرحل إلى مصر.

وكان تكين أمير مصر يُشيِّعُه إذا خرج ويتلقَّاه إذا رجع. وكان يحمل إلى الحجاز في كلِّ سنة جميع ما يحتاج إلى تفرقته هناك من الدنانير والدراهم والثياب والحلوى والطيب والحبوب، ولا يترك من الأصنـاف صنفاً حتى

---

(3) أبو زنبور الحسين بن أحمد: توفي سنة 314 أو 317. (ترجمة رقم 7 ص 47).

(4) بركة الجبّ أو بركة الحجّاج: على نحو بريدٍ شرقيّ القاهرة، وهي منزل واجب للحجّاج عند مسيرهم من القاهرة أو عودهم إليها (تعليق المرحوم الشيَّال ص 273 من الاتِّعاظ).

يحمله، بحيث إنَّه لا ينصرف من الحجاز إلَّا وجميعُ مَن فيه أغنياءُ.

ولقد قيل له مرَّةً وهو بالمدينة النبويّة: «ما بات في هذه الليلة أحدٌ بمكة والمدينة وأعمالهما إلَّا وهو شبعان من طعامك»! فبكى وخرَّ ساجداً.

ووافى مرَّة الوزير علي بن عيسى وهو بالمدينة النبويَّة، فمشى في خدمته، وصاح أهل المدينة من الأشراف وغيرهم، ودعَوا له وقالوا: أنْتَ أبو الدنانير، وأبو الدراهم، وأبو القمح، وأبو الثياب، وأبو الحلوى، وأبو الخيرات، أحياك الله وكبت عدوَّك!

وهو يقول: ادعوا لسيِّدنا الوزير، أيَّدَه الله!

فصاحوا: لا، أنت! أنت! ما نعرف سواك!

فضجر عليّ بن عيسى وقال: قد أغرَيْتَهم بي!

فقال: سبحان الله! إنَّما الدعاء لسيِّدنا الوزير، أيّده الله!

وكان طول السنة يرسل إلى الحجاز في البحر. فلم يزل مواصلاً للحجّ إلى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة [934/]. فلمَّا دخل أبو بكر محمد بن طغج الإخشيد إلى مصر انقطع حجُّه واستتر منه، فإنَّه كان قد منعه من الدخول إلى مصر ونصب العساكر لقتاله وكانت عدَّة العساكر التي جمعها لقتال الإخشيد ثلاثين ألفاً، قام بتدبيرهم منذ مات تكين أمير مصر في ربيع الأوَّل سنة إحدى وعشرين [وثلاثمائة / 16 مارس 933]. فلمَّا مات تكين استوحش وخاف أن يحضر جنازتَه فأتاه عبدالله بن أحمد بن طباطبا[5] وقال له: رأيت فيما يرى النائم أنَّ تكين يموت في يوم كذا، وأنَّ محمَّد بن عليّ الماذرَّائيّ لا يصيبه شيءٌ، إلَّا أنَّه يعيش حياة نكدة.

فمات تكين في ذلك اليوم بعينه، وما زال به حتى ركب وحضر الجنازة. فلمَّا وُضعَت، وتقدَّم القاسم بن عبدالله الشبيبي ليصلِّي، وكبَّر أبو

(5) عبدالله ابن طباطبا: له ترجمة في المقفى (الموالية لهذه رقم 21)، وكانت وفاته سنة 348.

بكر من ورائه تكبيرتين، قرأ أبو جعفر بن المتّفق وزير تكين، وهو إلى جانبه: ﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ (القصص، 20). فقطع أبو بكر الصلاة ومضى. ولمَّا شيَّع النّاسُ محمَّد بنَ تكين وقد مضى بتابوت أبيه إلى القدس، سعَوْا بينه وبين أبي بكر حتى وقعت فتنٌ عظام، وأحرقُوا دُورَه ودُورَ أهله وكثيرٍ من مجاوريه. واستتر وأُخِذ خليفتُه محمد بن علي الكرخيّ وجماعة من عمَّاله.

[107 أ] /وكتب أبو بكر محمد بن تكين إلى بغداد يسأل في إمارة مصر. وكتب أبو بكر الماذرَّائيّ أيضاً يلتمس أميراً. فعاد إلى ابن تكين سجلٌّ بإمارة مصر. ورجع جواب أبي بكر الماذرَّائيّ بتفويض أمر مصر وردّ تدبيرها إليه، وأن يولّي مَن يختار. وقدم بهذا الجواب أحمد بن كيعلغ، فورد قبل قدوم ولاية ابن تكين. وورد كتاب من الحضرة على كل من ابن تكين وأبي بكر الماذرَّائي بوصيَّة كلّ منهما بصاحبه. فظهر حينئذ أبو بكر الماذرَّائيّ من الاستتار ودبَّر أمرَ البلد، وصار ابن كيغلغ من تحتِ يده، وجميع الجيش يغدون إليه ويروحون. فأنفق في الناس واصطنع قوماً وقتل جماعةً من أصحاب ابن تكين وأبيه. هذا وابن تكين بالقدس.

فلمَّا ورد عليه تقليد إمارة مصر سار إليها. فامتنع محمد بن عليّ من ذلك، واستجاش بالمغاربة، ومَنعه من مصر فأقام بجرجير[6].

ووردت ولاية محمَّد بن طغج في رمضان، وهو بدمشق. ثمَّ قدمت ولاية أحمد بن كيغلغ في تاسع شوَّال. فشغب الجند في أرزاقهم على محمد بن عليّ [الماذرَّائيّ] وحرقُوا دوره ودور أهله. ووقعت فتنة بين الجند فافترقوا فرقتَين، واقتتلوا في خامس ذي الحجَّة وجرت بينهم أمور. فبينا هم فيها إذ قدم عليهم محمد بن تكين في ثالث عشر ربيع الأول سنة اثنتين

(6) خبر الفتن بين المترشحين لولاية مصر مستفيض في تراجمهم في المقفّى: أحمد بن كيغلغ، محمد بن طغج، محمَّد بن تكين إلخ...

وعشرين [وثلاثمائة / 2 مارس 934] وأظهر ولايتَهُ على مصر فأنكر ذلك محمد بن عليّ، وصار في فرقة، وابن تكين في فرقة، وأحمد بن كيغلغ في فرقة. ووقعت حروب آلت إلى انهزام محمد بن تكين بعد مائة يوم واثنَي عشر يوماً.

وأخذ أحمد بن كيغلغ المدينةَ وأسر ابنَ تكين ونفاه إلى الصعيد برأي محمد بن علي.

فوافت عساكر محمد بن طغج إلى تنيس مع صاعد بن الكلملم، وسار من مقدمته في البرّ. فعزم أحمد بن كيغلغ على أن يسلِّم إلى محمد بن طغج، فأبى عليه محمد بن عليّ، وجهَّز جيشاً ليمانعه، فانهزم جيشه في سابع عشر شعبان، وكان قد أخرج محمد بنُ عليّ جميعَ من في مصر من أصحاب ابن تكين وأبيه، ولم يبق بمصر سوى المصريّين وأصحاب أحمد بن كيغلغ والمغاربة.

فلمَّا فرغ من عرض العساكر عليه وضع العطاء، وعسكر خارج المدينة من الجبل إلى البحر، وصار يواصل الركوبَ إلى الجمعة لا يدعُها على حال، وبين يديه وخلفَه جيش مصر، فيهم جميع الأمراء والقوَّاد، وهو بالطيلسان.

فلمَّا قدم محمد بن طغج خرج / إليه أكثر الجند، ولقيَه أحمد بن [107 ب]
كيغلغ في ثالث عشر من شهر رمضان، فلم يقاتله، وسلَّم إليه. فدخل محمد بن طغج إلى الفسطاط في رابع عشر منه واستتر محمد بن عليّ إلى أن قدم الوزير أبو الفتح الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات[7] فدلَّ على موضعه، فركب هو والأمير محمد بن طغج وكبَسا عليه الدار وأخذاه، فأسلمه محمد بن طغج إلى ابن الفرات. فلمَّا دخل عليه قال له: إيش خبرك يا أبا بكر؟

(7) الفضل بن الفرات ابن خنزابة. هو والد الوزير جعفر بن الفرات الذي استقبل جوهراً وعقد معه العهد. وانظر عن الفضل التعليق ص 567 من فهرس كتاب العيون والحدائق.

قال: بخير أيّد الله الوزير!

فقال: إيش هذا الاستيحاش والتستّر؟ أنت تعلم أنَّ الحجَّ قد أطلَّ ونحتاج لإقامة الحجِّ.

فقال: نعمل على هذا إن كان إليّ[8] خمسة عشر ألفَ دينار.

قال: إيش خمسة عشر ألفَ دينار؟

قال: ما عندي غير هذا.

فقال له ابن الفرات: بَهـذا ضربتَ وجه السلطانِ بالسيف ـ يعني الأمير محمد بن طغج ـ ومنعت البلد من الدخول!

ثمَّ صاح: يا شادن[9]، خذه إليك!

فأقامه وأدخله إلى بيت، وانصرف محمد بن طغج.

وكان محمد بن عليّ صائماً فطوى وامتنع من الأكل والشرب لا يزيد على القراءة والصلاة، وبات على ذلك. وأصبح صائماً، وامتنعَ عند العشاء من الأكل، حتّى عُرف أنَّ الوزيرَ ابن الفرات لم يأكل في ليلتِه الماضية شيئاً، وأنَّه قال: لا آكل أبداً حتى يأكل محمد بن عليّ!

فأكل حينئذ وشرب. فأنفذ ابن الفرات بمصادرته على ألف ألف، وقبض ضياعه التي بالشام ومصر، وتتبّع أسبابه، وحمله معه إلى الشام.

ثمَّ عاد به إلى مصر. وخرج به ثانياً، فمات ابن الفرات بالرملة بعدما أقام[10] معتقلاً خمسَ سنين بالرملة وغيرها.

ثمّ عاد إلى مصر، فردّ إليه الأمير أبو بكر محمد بن طغج الإخشيد

---

(8) معناه: إذا كلّفتموني بإمارة الحجّ، بذلتُ هذا المبلغ.

(9) شادن: مولى الفضل بن الفرات، وقد تولّى شرطة مصر بعد سعيد بن عثمان في صفر سنة 328.

(10) الذي بقي معتقلاً هو الماذرّائي. أما الفضل بن الفرات فقد مات سنة 327.

الأمورَ، وخلع على ابنه الحسين بن محمّد، وقلّده السيفَ وألبسه المنطقة، ولزم محمد بن عليّ الدُّرّاعة[11] وسار إلى منزله وخلفه ابنُه بالخلع، فعادت الأمور كلّها إليه.

فلمّا توجّه الإخشيد إلى قتال محمد بن رائق بالشام في المحرّم سنة ثمان وعشرين [وثلاثمائة/ أكتوبر - نوفمبر 939] واستخلفَ أخاه الحسن بن طغج على مصر، أقام محمّد بن عليّ معه، فلم يزل يدبّر الأمور إلى أن قبض عليه الإخشيد في سنة إحدى وثلاثين [وثلاثمائة/ 943] بعدما أعدّ له داراً تناهى في فرشها وملأها بجميع ما يحتاج إليه من ملبوس وطيب وطرائف ومآكل ومشارب، ونزل إليها وطافها، فلمّا أعجبَهُ هيئة ما فيها، أمر بِهِ فاعتقل بها. وقيل له: عملتَ كلّ هذا لمحمّد بن علي؟

فقال: نعم، هذا ملك وأروم أن لا يحتقر شيء لنا ولا يطلب حاجة إلا ويجدها، لأنّه إن عجز[نا] عن شيء[12] أحضره من داره ونسقط من عينه.

فلمّا خرج الإخشيد إلى الشام في رجب سنة اثنتين وثلاثين / حمل محمد بن عليّ معه، وعرض عليه الدخولَ إلى أمير المؤمنين المتقي بالله إبراهيم بن المقتدر فامتنع. وعاد معه إلى مصر. [108 أ]

فلم يزل بها حتى مات الإخشيد بدمشق في ذي الحجّة سنة أربع وثلاثين [وثلاثمائة / جويلية 946] وورد الخبرُ إلى مصر بوفاته.

فاجتمع أبو المظفر الحسن بن طغج ووجوه مصر بدار الإمارة وتفرّقوا عن غير رأي. ثمّ اجتمعوا من الغد وهو يوم الخميس السادس من المحرّم سنة خمس وثلاثين [وثلاثمائة / 7 أوت 946] وأحضروا محمد بن عليّ وشاوروه في أمرهم فقال: أليس المتّقي لله استخلف الأميرَ أبا القاسم ابنه وكنّاه،

---

(11) الدرّاعة: لباس مدني في مقابل القبا والمنطقة والسيف، وهي شارات القيادة العسكرية. انظر: العيون والحدائق، 671.

(12) في المخطوط: إن عجز شيئاً. واللغة في الحوار مختلّة منحطّة بوجه عامّ.

واستخلفه الأمير أبو بكر محمد بن طغج الإخشيد رحمه الله، وكذلك استخلفه أمير المؤمنين المستكفي بالله؟

فكره الحاضرون قوله وأشاروا إلى أنّه صبيٌّ، فقال: هذا هو الرأي عندي، وأنا أجلست هارون بن أبي الجيش [بن] أحمد بن طولون وهو أصغر منه، ونزعت القرطَين من أذنيه. ولقد انضبطت الأمور وطالت المدّة وحصّلت له ما كان لأبيه وجدّه من الرقّة إلى برقة. والأمير أبو القاسم نَصبُه واجب، حفظاً لأبيه، ويخلفه عمّه أبو المظفّر.

ثمّ قال لهم: بادروا فليس في الأمر مهلة، ولا تُطمِعوا في أنفسكم وفي الدولة! وقد بلغكم ما كان بالشام.

وكانت أم أبي القاسم أونوجور تستمع، فأعجبت بقوله وكذلك جميع الحاشية. فبعثَتْ إليه: تكون أنت المدبّر! فامتنع فألزموه ذلك فقال: على أن لا أنزع الطيلسان[13]، ولكن ابني أبو علي ـ يعني الحسين بن محمّد ـ يكون وزيراً وأنا أدبّر الأمرَ.

فأجابوه إلى ذلك. وقبض أبو المظفّر على الوزير محمد بن علي بن مقاتل، وقام محمد بن علي ومعه الوجوه والقوّاد إلى داره فصرف الأمور، وكتب إلى الشام بما فعله، فوردت الأجوبة بشكره.

وسار أبو الفضل جعفر بن الفرات فركب معه وشيّعه إلى داره وإلى المسجد يومَ الجمعة.

وقدم كافور إلى مصر بالعساكر التي كانت بدمشق مع الإخشيد، فاستمرّ أبو بكر محمد بن عليّ يدبّر الأمور إلى أن خرج كافور من مصر بالعساكر لقتال سيف الدولة أبي الحسن عليّ بن حمدان، ومعه أبو علي الحسين بن محمد الماذرائيّ. وأقام أبوه محمد بن عليّ مع أونوجور.

(13) الطيلسان: ثوب فاخر للعلماء والقضاة والفقهاء.

فقدم أبو نصر غلبون بن سعيد المعرّي[14] الثائر بالصعيد إلى الفسطاط، وانهزم منه أونوجور بمَن معه، ومنهم محمد بن عليّ. وتبعهم أصحاب غلبون، فأدركوا محمد بن عليّ، وقد سقط عن بغلتِهِ فأتوا به غلبون فأكرمه وأجلسَه إلى جانبه، ثمّ أمره أن ينصرف إلى داره / ويبكّر لتدبير الأمر، فانصرف. [108 ب]

وغدا إليه في عسكر عظيم بالحجّاب والأتباع حتى جلس في دار الإمارة، وقد خرج غلبون إلى عسكره بباب المدينة. فلم يشعر محمد بن علي إلا وأونوجور قد عاد إلى المدينة في الساعة الثالثة من النهار. فلمّا رآه أونوجور أمر بضربه، فضرب ضرباً عظيماً كان يأتي على نفسِه لولا ما أدركه الله بنجح الخادم حتى طرح نفسه عليه وجرّه برجله إلى بيت الماء وأغلقه عليه، وامتدّت الأيدي إلى داره فنهبوها وسائر دور أهله وأقاربه، فكان يوماً عظيماً.

واستوزر أونوجور عوضاً عنه أبا الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات، وذلك كلّه في يوم الأربعاء لسبع خلون من ذي القعدة سنة خمس وثلاثين [وثلاثمائة / 31 ماي 947]. وقبض على ابنه الحسين بالشام.

فلمّا قدم كافور من الشام في سنة ستّ وثلاثين، وصار إليه تدبير أمور الدولة، أطلق محمد بن عليّ، وأعاده إلى داره مكرّماً في شعبان سنة ستّ وثلاثين وثلاثمائة، وردّ إليه ما بقي من ضياعه وضياع ابنه. فلم يزل إلى سنة أربعين، فماتَت أمّ ولده وحجّ من عامه ذلك، وواصل الحجّ خمسة أعوام فكملت له سبع وعشرون حجّة على ما وصفنا من السعة والإنعام.

ثمّ إنه اعتلّ، فكان كافور يعوده في كلّ يوم ثلاثاء، إلى أن مات ليلة الجمعة لإحدى عشرة خلت من شوّال سنة خمس وأربعين وثلاثمائة [16 جانفي 957] فدُفِنَ في داره، ثمّ نقل إلى المقبرة.

وكانت له فضائل، منها أنّ ديوانه أطبق على ستّين ألفاً تجري عليهم

(14) عن الحرب بين غلبون وشادن، انظر الولاة والقضاة، 295. وقُتل غلبون في 25 ذي الحجّة 336.

أرزاقه بمكّة في كلّ سنة من القمح والدقيق والدراهم. وكان يجري في مصر من الدقيق في كلّ شهر مائة ألف رطل لحاشيته وأهل الستر وذوي الأقدار من أهل البلد، ومن الغرباء، سوى ما يفرّقه عليهم من المال والكسوة وعلف الدوابّ، وكراء منازلهم في مدّة اشتغاله وفي أوقات عطلته عن الخدمة.

وأعتق مائة ألفِ عبدٍ، وأقام نحواً من أربعين سنة يصوم الدهر كلّه. وكانت له تربة فيها أولاده وأهله، وكان لحسن عهده يركب إليها في كلّ يوم مرّتين غدوةً وعشيّةً، ويقف له الموكب حتى يخرج سواء كان متقلّداً للوزارة أو مصروفاً عنها، فيترحّم ويقرأ ما يريد من القرآن ويركب إلى المساجد التي في الصحراء، فيصلّي كلّ يوم بالغداة ويرجعون معه.

وكان معتدل الكتابة ليس له حظّ من البلاغة ولا من العربيّة، إلّا أنه كان إذا كتب إلى الخليفة ومَن دونه كتب على البديهة من غير نسخة فيخرج كتابه سليماً من اللحن.

[109 أ] وكان عجولاً إلى الغاية، لا يراجع فيما يريده، ولو كان ما عسى أن / يكون. ولمّا أراد المقتدر بالله أن يقيم وزيراً، كُتب له أسماء جماعة، وأنفذت الرقعة إلى علي بن عيسى بن الجرّاح ليشير بواحدٍ منهم، وكان فيهم اسم محمد بن عليّ الماذرائيّ. فكتب تحت اسم كلّ واحدٍ منهم ما يستحقّه من الوصف، وكتب تحت محمد بن علي: مُترَف عَجولٌ.

ومن ترفه أنّه حجّ في سنة سبع عشرة وثلاثمائة، وهي سنة أبي سعيد الجنّابيّ القرمطيّ، التي نهب فيها الحاجّ وقتلَهم، فذهب فيها لمحمّد بن عليّ شيء كثير جدّاً، منه مائتا قميص سلف، كل قميص خمسون ديناراً.

وكان تامّ الإقبال في جميع أحواله من ولاياته وعطلته. وقال مرّةً، وهو متعطل: أخذ منّي محمد بن طغج، عيناً وعروضاً، ما[15] يبلغ زيادة على ثمانين ويبةً دنانيرَ.

(15) في الأصل: بما.

فاستعظم ذلك مَن حضر. فقال ابنُه أبو عليّ محمد: الذي أُخَذ منه أكثرُ، وأنا أوقفُه عليه. ثم قال: يا مولاي، أليس نُكبِتَ ثلاثاً؟

قال: نعم.

قال: أليست أُخِذت ضياعُك التي بالشام؟

قال: نعم.

قال: كم ثمنُها؟

قال: ألفُ ألفِ دينارٍ.

قال: وضياعك بمصر والصعيد قريبٌ من هـذا؟ وعروض كـذا، وعروض كذا: يكون جميعـ[ـه] ثلاثة آلاف ألفِ دينار؟

قال: نعم.

فأمر بعض الحسّاب بتحريره، فبلغ زيادةً على ثلاثين إردبّاً دنانير.

وبلغ من إقباله أنّه ما كان يشرب دواءً قطّ، ولكنّه تعرض له في كلّ سنة هيضة تغنيه عن تعاطي المسهل. وكانت عنده اهليلجة[16] تملأ الكفّ، يمسكها بيده في كلّ فصلٍ من فصول السنة فتجيبه الطبيعة ويستغني عن أخذ الدواء، وما زالت عنده إلى أن فقدت في بعض نكباته، فكان بعد فقدها يعمل فيه شمّ الدواء، وتجيبه الطبيعة من غير احتياج إلى تعاطيه شرباً.

وكان يصوم الدهر. فإذا غربت الشمس اشتغـل بالـوضوء، وصلّى المغرب، وتنفّل بعدها، وتناول ماءً يشربه. ثم يركع ركوعاً طويلاً، ويأكل بيده فاكهة رطبة. ثمّ يركع ركوعاً كثيراً إلى أن يصلّيَ العتمة، ويركع بعدها أيضاً. ثمّ توضع المائدة عليها من كلّ حارّ وباردٍ، ولا تخلو قطّ من سمكٍ وحلوى. فيتناول ما يشاء، ثمّ يضطجع وينام حيناً. ثمّ يقوم ويتوضّأ، ويأكل من آخر الليل فاكهة يابسة وخَشكُنان[17] ثمّ ينام حتى ينتبه لصلاة الصبح. فإذا صلّى

---

(16) الهيضة: الإسهال والإهليلج: شجر يحرّكِ الأمعاءَ والطبيعةَ ثمرُه.

(17) في المخطوط: خشكنار. والخَشْكُنَانُ: خبزة من دقيق الحنطة وتحشى بالحلوى وتُقلَى (المعجم الوسيط).

ركب إلى التربة لا يخلُّ بذلك أبداً.

وإذا كان مسافراً للحجّ، وغربت الشمس، عدل عن الطريق في قبّتِه، ومعه جاريتُه ستُّ الناس في قبّتها. وينزلان في مضرب قد أعدّ لذلك. ويتوضّأ ويفعل جميعَ ما تقدّم ذكرُه من الأكل والصلاة. وربّما اغتسل. ثم تدركه / [109 ب] القافلة الثلث الأوّل من الليل، وهو في قبّته، وجاريته في قُبّتِها يتحدّثان، وخلفَهُما ابن فضّال العلويّ على نجيب يقرأ القرآن. فإذا رأى أهل القافلة ضوء المشاعل، قالوا: هذا الشيخ قد جاء.

وكان يصنع الخشكُنان ويلبّس ظاهره بالسكّر، ويحشوه بالسكّر واللوز، ومنه شيء قد حشيَ مع السكّر واللوز بالدنانير، ويفرّق ذلك على الأشراف سرّاً ويقول لهم: احتفظوا بحشوِه! فيفطن الذي يأخذها لما رمز.

وكان من أحسن الناس عشرةً وأرضاهم خلُقاً، وأجودهم حفاظاً لا يُذكر خُمارَوَيه إلّا قال: الأمير أبو الجيش رحمه الله! وإذا ذكر ابنه قال: الأمير أبو موسى رحمه الله! وإذا ذكر العبّاس بن الحسن قال: الوزير أبو أحمد رحمه الله! وربّما قال: الشهيد، ونحو ذلك، في حقّ كل واحد.

وما رُؤيَ أغير منه.

وخرج في سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة إلى ثغر الإسكندريّة بسبب الفداء في جمع كبير، ومعه من الذهب والورق والثياب والطيب والأطعمة ما يجلّ وصفه. وخرج معه عدّة من الأشراف والعلماء والوجوه. فكان يفادي بالمسلم ويحضره إليه ويسأله عن بلده، ثمّ يكسوه ويطعِمه بمُفردِه ويطيّبه ويدفع إليه نفقةً، ثمّ يودّعه وينصرف. فلم يزل على هٰذا حتى فرغ الفداء، فكان فداءً مذكوراً، لم يقع بعدَه فداءٌ مثله.

وكان كثيرَ التلاوة للقرآن الكريم، لا يزال المصحفُ بين يديه، سواءٌ كان متصرّفاً أو متعطّلاً، فلا يقصّر عن تلاوة الختمةِ في كلّ يوم. وكان كثيرَ الصلاة

طويلَ السجود، لا يترك قيامَ الليل في حال من الأحوال، فيقطع أكثر ليله مُصليّاً.

وكان غايةً في الكرم ورقّة القلب، وله فيه أخبار كثيرةٌ.

وكان أوّلاً يشرب، ثمّ ترك الشراب، وواصل الصيام.

وأمر مرّةً بشراءِ نوق للحجّ، فأحضَرَ وكيلُه كيساً وصبّ الدنانير بين يديه فصاح وقال: إيش هذا؟ دنانير تصبّ بين يديّ! ما عرفت قطُّ إلاّ التوقيع! وهذا أمرٌ لا يكون إلاّ في الأسواقِ وعند التجّار.

فاعتذر الوكيل ممّا فعل.

وأقام بمصر يأمرُ وينهى مُدَّة ثلاثٍ وسبعين سنةً تُقَبّلُ يدُه، ويُعاشُ في فضلِه. ونُكبَ مراراً فما زال عن رسمِه ولا غُيِّرَ له حالاً.

وكان لبنيه وهم صغارٌ، عليه لكلّ منهم في كلّ شهرٍ ألفُ دينار. فلمّا كبروا وتصرّفُوا وصارت لهم الضياعُ، لم يقطعْ ذلك عنهم.

ووقع غلاء بمصر، فقيل له: إن جراية الدقيق عظيمة وبين الحواري والخشكار في الجملة / ديناران، فتعطى الجرايات من الخشكار. [110 أ]

فقال: لا والله! لا كانت الجراياتُ إلاّ ممّا آكلُ!

وكان يكثر توقيعاتِه بالبرّ والصلاتِ عند خروجِه للحجّ. فبلغت مرّةً في سنة واحدةٍ نيفاً وستين ألف دينار.

وملك بمصر من الضياع الكبار ما لم يملكْهُ قبله أحدٌ. فبلغ ارتفاعُ ضياعِه أربعمائة ألفِ دينار في كل سنةٍ سوى الخراج.

* * *

التعليق: الترجمة في مخطوط ليدن 2، ورقة 106.

وأدرجناها في الكتاب لِمَا تضمّنته أوّلاً من مشاركة الماذرائي في مدافعة الحملة

الفاطميّة الأولى على مصر مع مؤنس القائد العبّاسيّ.

ولما صوّرته ثانياً من حالة الاضطراب والفتنة بمصر، وعدم الاستقرار الذي يمسّ الأشخاص والجماعات والبلاد معاً.

ولما صوّرته ثالثاً من شخصية الماذرائي الثريّة: سياسيّ داهية، وإداريّ ماهر، وكريم مفرط في الجود، ومتعبّد مفرط في النسك بعد فترة من اللهو والمجون، وثريّ سريّ له جوارٍ وغلمان، ولكنه وفيّ لحظيّة واحدة يحجّ معها كلّ عام ويقرآن القرآن معاً.

ولعلّ المقريزي نقل الترجمة عن ابن زولاق وغيره من المؤرخين المصريّين، كما فعل ابن سعيد في المُغرب (ص 350 من القسم المصريّ).

21 ـ عبد الله بن طبَاطَبا العلويّ (286 ـ 348)

عبد الله بن أحمد بن علي بن الحسن بن إبراهيم طبَاطَبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغَمْر بن الحسن المثنّى بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، الشريف أبو محمد بن. . . .

ولد في سنة ستٍّ وثمانين ومائتين [899 - 900]، وتوفّي بمصر في ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة [جوان 959][1].

وكان عين بني علي كلّهم بمصر، وله ضياع ورياع[2]، ونعمة ظاهره، وعبيد وحاشية وغاشية[3]، لا يركب إلّا في موكب من أهله وخاصّته ومَن في جملتِه ومَن يلقاه.

وكان الإخشيد أبو بكر محمد بن طغج أمير مصر قد اختصّ به. وكان يسايرُه إذا ركب. وكان مع هذا من أهل الستر والصيانة والعفاف والإفضال، مُعدَّلاً عند القُضاةِ متمكّناً عند السلطان يجلس في أرفع مجلس.

وكان ندًّا لأبي محمد الحسن بن طاهر بن يحيى[4] إلى أن مات. فصار

(1) في ترجمته بوفيات الأعيان، 3/81 أنّ وفاتَه كانت في 4 رجب.

(2) الرياع جمع رَيع: الغلّة والمرجوع من فلاحة وغيرها. وفي الوفيات: رباع.

(3) الغاشية: الخدم والزوّار.

(4) أبو محمد الحسن بن طاهر بن يحيى: هو حسينيّ مثل ابن عمّه الشريف مسلم بن عبيد الله بن طاهر. أمّا عبد الله بن طباطبا فحَسَنيّ. وانتساب الحسن بن طاهر إلى ذرّية الحسين لم يثنه=

ندًّا لابن أخيه أبي جعفر مسلم بن عبيد الله بن طاهر لا يلتقي معه إلاّ في مجلس السلطان أو في قضاء حقٍّ لأحدهما.

وكان لعبد الله إنعامٌ كثير، فيرسل إلى كلّ مخالطٍ له أو منقطع إليه القمحَ والضحايا في كلّ سنة. ومنهم مَن يرسل إليه الحطب مع القمح من ضياعه. وكان يرسل إلى أبي القاسم أونوجور بن الإخشيد أمير مصر وإلى أخيه الضحايا: النوق والبقر والكباش. وكان ينفذ إلى كافور الضحايا، وإلى الوزير أبي الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات.

وكان يرسل الحلواء[5] المعمولة في داره فينفذ إلى كافور في كل يوم جامَين، وإلى الوزير أبي الفضل وإلى سائر الرؤساء ومن يختصّ به. فكان منهم من يرسل إليه الحلواءَ في كلّ يوم، ومنهم من يرسل إليه بين يومين، ومنهم من يرسل إليه في كل جمعة. وكان في داره رجل يكسّر اللوز للحلواء بدينار في كلّ شهر[6]. وكان يرسل إلى كافور في كلّ يوم جامَين حلواءَ ورغيفاً في منديل مختوم، فخوطب كافور في الرغيف وقيل له: الحلواءُ أحسن، وأيّ شيءٍ تصنع بالرغيف؟.

فأرسل إليه: يجرينِي الشريفُ على عادته في الحلواء، ويعفيني من الرغيف.

= عن خدمة الإخشيد وحتّى عن ملاقاة المتّقي العبّاسي (ابن سعيد: المغرب ـ قسم مصر، 192).
والمقريزي هنا يسوّي بين الرجلَين في المنزلة، كما فعل ابن سعيد، 166، إذ قال: هذا حسنيّ، وهذا حسينيّ وبينهُما عداوة الرئاسة والاختصاص.

على أنّ اختصاص الحسينيّ بالإخشيد كان أقوى: فقد توسّط بينه وبين ابن رائق، ثمّ بينه وبين سيف الدولة الحمدانيّ فقال ابن سعيد: وأكثر نعمته اكتسبها في هذه الوساطة (المغرب، 189).

(5) الحلواء والحلوى بمعنى.

(6) في الوفيات: بدينارين في الشهر، والعمل من أقل النهار إلى آخره.

وفي رواية الدواداري (الدرّة المضيئة، 146) ـ وهو ينقل عن ابن خلّكان ـ أنّ الأجرة ديناران في كلّ يوم.

فركب إليه وقال: أيّدك الله! إنّا ما نُرسل الرغيفَ تطاولاً ولا تعاطياً[7]، وإنّما هي صبيّة / حسنيّة بكر تعجنه بيدها وتخبزه بيدها، فنرسله على سبيل [83 ب] التبرّك. وإذا كرِهتَه قطعناه.

فقال: لا والله، لا تقطعْه! ولا يكون لي غداء سواه.

وكان عبد الله حسن المعاملة، يوفّي[8] معامليه، حَسَنَ الإفضال عليهم، ملاطفاً لهم، يركب إليهم وإلى سائر أصدقائه، ويقضي حوائجهم، ويطيل الجلوسَ عندهم. وأغنى جماعة[9] وكان حافظاً لمخلّفيهم، وله مع ذلك برّ كثير. قال ابن زولاق[10]: حدّثني قال:

رأيتُ فيما يراه النائمُ، ولي أقلّ من عشرين سنة، كأنّ طاقاً مفتوحاً في السماء، فصعدت منه ومشيتُ حتى انتهيتُ إلى بيت في صدره سرير أسود عليه امرأة أعلم أنها خديجة زوجة رسول الله ﷺ. فسلّمتُ عليها فقالت لي: مَن تكون؟

فقلت: عبد الله بن الحسن بن طباطبا.

فصفّقت بيديها وقالت: يا فاطمة، قد جاءك ولد.

فخرجت فاطمة مِن على يسار خديجة، فقمتُ إليها فقبّلت يدها وجلستُ. ثمّ خرج كهلانِ أعلم أنّهما الحسن والحسين، فقمتُ إليهما فقبّلت يد الواحد فقال لي: «عمّك!»، وأشار إلى الحسين. ثمّ جلسوا، ثم خرج أمير المؤمنين[11]، فقاموا كلّهم له، وجلس. ثمّ رأيتُ خديجة متحفّزة تريد

---

(7) في الوفيات: تعاظماً. والتعاطي: التغالب في العطاء.
(8) في الوفيات: في، عوض: يوفي.
(9) زاد ابن خلّكان: وكان حسنَ المذهب، أي معتدلاً في تشيّعه.
(10) ابن زولاق المؤرّخ (306 - 387) له ترجمة في هذا الكتاب (رقم 57)، ويبدو أنه عرف هذا الطباطبائيّ.
(11) أي علي بن أبي طالب، وهذا اللقب مخصوص به عند الشيعة.

النزول من السرير، ورأيت الجماعة قد اشرأبُّوا، ونزلت خديجة وخرج رسول الله ﷺ فقاموا كلّهم وقمت. فآنكبَبْتُ على قدمَيه أُقَبِّلُهُما فمنعنِي وقال: لا تصنع هذا بأحدٍ!

ثمّ جلسوا يتحدّثون، فما أنسى حديثهم، وهواءٌ يخرج من ذلك البيت يكاد يأخذ روحي، إلى أن قال لي النبي ﷺ: قم!

فقلت: يا رسول الله، إنّي أريدُ المُقام عندكم.

فقال: قم.

فأخذ بيدي وأنزلني من الطاق، ويدي في يده، وهو يقول لي: بلغت؟

فقلت: «لا» إلى أن بلغ إبهامُ رجلي الأرضَ، فقال: بلغت!

فقلت: لا.

فقال: بلى! بلغت ولكنك تتثبّت.

فلمّا حصلت رجلي على الأرض، انتبهتُ بصرع، وأنا لا أعقل. وجاؤوني بالمعزّمين(12)، وعلّقوا عليّ التعاويذ، فأقمتُ لا أعقل نحواً من شهر. ثمّ إنّي أفقتُ وفتحت عينيّ، فآستبشر أهلي وسألوني. فحدّثتُهم بعد أيّام. وبلغ [الحديث] أبا عبد الله الرسّي فركب وجاءني وسألني، فحدّثتُه فبكى وقال: ليت عيني كانت معك! لقد شاهدتَ يا عبد الله مشهداً عظيماً وليكوننَّ لك شأن!

وكان عبد الله جريئاً في المجلس طلق اللسان. فحدّثني عنه أحمد بن أبي عمرو الحكيم قال: حدثني عبد الله بن / أحمد قال: تعرّضنا أبو علي [184 ب] الحسين بن أحمد أبو زنبور عامل الخراج، في ضياعنا، فشكوت أنا وأخي إلى أبي عبد الله الرسّي فركب معنا إليه وقال له: أيّدك الله، هؤلاء وَلَدُ أبي جعفر، وحقّهم واجب، وقد آذاهم عمّالُك في ضياعهم.

---

(12) المعزّمون: الذين يقرؤون العزائم، أي الرُّقى.

فقال له أبو علي: دعني الساعة من هذا المعنى! إنّ عند عجائزهم دعاءً يتوارثونه، فأحبّ أن تطلبَه لي منهم. (قال عبد [الله] بن أحمد): فقلت له، وأنا حدث: الدعاء عندنا وما يساوي شيئاً، فلا تطلبه!

فقال: كيف؟

فقلت: إنّا ندعو به عليك من مدّة فما استجيب!

فصاح أبو عبد الله الرسّي: يا غلمان، أخرِجوهُمْ!

فقمت أنا وأخي، فقال لي أخي: أيّ شيءٍ كان لك في هذا من الفائدة؟

فقلت له: قد كان ما كان.

ووقفنا للرّسّي حتّى خرج إلينا. فخرج رجل وقال: آبشِروا! فإنّ الشريفَ قال له بعد خروجكم: أيّدك الله، لا تسرّ بما علمت لهم. فالدعاء والله عندهم، وما آمن أن يَكونوا قد دَعوا به عليك.

فاضطرب وقال: يا أبا عبد الله، أيّ شيء الرأي؟

قال: تكتب بصيانتهم وحفظ ضياعهم.

فقال: والله / لا كتَبْتُهُ إلاّ بخطّي! [184 ب]

وهو ذا يكتبُه.

ثمّ خرج الرسّيّ وفي يده الكتاب. فأعرض عنّا وسرنا خلفَه. فلمّا صار عند دار العنقود قال: أين عبدُ الله؟

قلت: لبّيك!

قال: هات فمَك! فما أنسى[13] حلاوة كلامك، كثّرَ الله في أهلك مثلك!

(13) في المخطوط: فما فمي أنسى...

وحدّثني عبد الله بن أحمد قال: لبس [أبو] عبد الله بن طباطبا ابن خالي السيف والمنطقة. فكنت يوماً في مجلس تكين أمير مصر، وحضر قوّاده حتى دخل عليه أبو عبد الله بالسيف والمنطقة. فقال عليّ اللّيـن: أيّها الأمير، أيطمع أبو عبد الله في السيف والمنطقة؟

فقلت: ما أصفقَ[14] وجوهَكُم! ولمن السيف والمنـطقة، إلّا لأبي عبد الله ومجدِه وأهلِهِ؟ وإنّما العجب منكم في العبيد والإماء!

وحدّثني أبو محمد عبد الله بن يحيـى بن طاهر بن الشويخ قال: غرّني قوم في أوّل ما دخلت مصر فتقبّلت من أبي بكر محمد بن علي الماذرائي ضيعةً بألفِ دينار عقدت لي أربعمائة دينار وكسراً. فكلّمتُ أبا جعفر مُسلماً في أن يكلّمه، وكلّمتُ عمّي في أن يكلّمه فلم يفعلا. فقلت: والله لأمضينّ إلى عدوّهم! فمضيتُ إلى عبد الله بن أحمد / فعرّفته فقال: إني والله [185 أ] قدموا[15].

وركب معي إلى أبي بكر محمد بن علي فقال له: يا سيّدي، هذا الفتـى يُحْرَمُ: غرُّوه في ضيعة حتى أخذها بألف دينار، ولم تعقد له إلّا أربعمائة.

قال: نعم! خراب.

ثمّ قال له عبد الله: وقد تحمّلت عنه من مالي خمسمائة دينار لشرَفه ولرحِمِه من رسول الله ﷺ، وحَمْلاً عنه.

ففتح أبو بكر محمد بن عليّ الدواة ووقّع له بالاحتساب بخمسمائة دينار. فشكره وقام وقمتُ. فلمّا خرجنا قال لي: يا شريف، لم أجِىء على هذا، ولم يكن للكلام وجه سوى قولي إنّي تحمّلتُ عنك خمسمائة دينار فاحتشم. وقبيح بشيخٍ شريفٍ مثلي أن يقول ما لم يفعل. أو ردَّ هذا التوقيع

(14) الوجهُ الصفيقُ: الوَقِحُ.

(15) هكذا في المخطوط، ولم نفهمها.

على كاتبه وخذ خطّه بالاحتساب بـه، وهو ذا أكتب إلى ضيعتي معـك بخمسمائة دينار لك. فخذ الكتاب واخرج وحصّل ما حصل من الضيعة، بارك لك الله فيه[16].

(قال) وكان أوّلَ مال جمعتُه، فرحم الله عبد الله بن أحمد!

ولمّا توفّي ابن عمّه علي بن الحسين بن علي بن الحسن بن طباطبا المعروف بالجمل، ركب كافور ومولاه في الحياة[17] وقصدوا لعبد الله ابن أحمد ليعزّوه، فما لقيَهم إلاّ راكباً. فلمّا فرغ من الصلاة قيل له: قد جاءك الأستاذ كافور.

فقال: راكب أو ماشٍ؟

ثمّ قال: يكون بغلي خلفي، خوفاً أن يكون راكباً. فركب فلقيَه كافور ماشياً وعزّاه.

ولمّا لحقته العلّة في لسانه[18] أوصى وباع عدّة من ضياعه وقضى دينَه وحبّس داره على أبيه وعلى ولده من بعده. وأخرج ودائع كانت عنده فدفعها إلى أهلها. فلمّا بلغ وَلَده بيعُ الضياع وحبس الدار قال: «أفقرني!» فبلغه فقال: «لا نفعَه الله بنفسه ولا بعمره ولا بالدار!» فكان كذلك: زمن[19] من يده ومات بعده بيسير.

قال ابن زولاق: ورأيت أبا جعفر مسلماً في جنازة عبدالله بن أحمد ماشياً بنعلٍ من داره إلى المصلى، ومشى أكثر الناس لمشيه، وحضر كافور ومولاه.

---

(16) وردت هذه الفقرة مضطربة، وفهمنا منها أن الطباطبائيّ تبرّع للشاكي بخمسمائة دينار وبضيعة؟

(17) هكذا في المخطوط ولم نهتد إلى معناها، ولعلّها: في الحماة.

(18) في الوفيات أنّه أصيب بتورّم في حنكه «وكانت علّة غريبةً لم يعهد مثلُها».

(19) زمِن بوزن فرح: أصابته الزمانة، وهي تعطّل بعض الأعضاء.

وحدَّثني أبو جعفر الحاسب قال: حدَّثني صديقٌ لي قال: وقفت بقبر عبدالله بن أحمد فترحمتُ عليه وذكرت إفضالَه فقلت (وافر):

وخلّفتَ الهمومَ على أناسٍ وقد كانوا بعيشك في كَفَافِ

(قال) فرأيتُه في المنام وهو يقول لي: قد سمعتُ ما قلت، وحِيلَ بيني وبين الجواب والمكافأةِ. ولكن، صر إلى مسجد حامد وصلّ ركعتين وادع / [185 ب] يُستجَبْ لك!

وحدَّثني أحمد بن عبدالله الحسينيّ قال: قال لي صديق لي: حَجَجْتُ سنةَ حجّ ملاك[20] وفاتتني الزيارة لرسول الله ﷺ، فاغتممتُ. فرأيت النبيّ ﷺ وهو يقول: إذا فاتَتك الزيارةُ فزُرْ قبرَ عبدالله بن أحمد بن طباطبا.

ودخل الجامع فلم يجد مكاناً في الصفِّ الأوَّل فوقف في الصفِّ الثاني. فالتفت إليه أبو حفص بن الجلّاب وتأخّر، فتقدَّم الشريف مكانه. وكافأه على ذلك بنعمة حملها إليه، ودار[21] ابتاعها له، ونقل أهله إليها بعد أن كساهم وحلاهم.

وأهدى مرّة إلى أبي جعفر الطحاوي[22] كتباً ورثها عن مولى له قيمتها ألف دينار.

واستعقد مرَّة ضياعاً من أبي بكر محمد بن علي الماذرَّائي بثمانية وعشرين ألف دينار. فلمَّا خرج أبو بكر إلى الحجِّ سار معه إلى القلزم وسأله أن يرفق به في الاستخراج. فكتب إلى خليفتِه: إنّي قد أدَّيتُ جميع المال. ثمَّ قال لعبدالله: هي لك هديَّةً.

والطباطبائيّ[23] نسبة إلى إبراهيم بن إسماعيل الديباج. وعرف بذلك

---

(20) هكذا في المخطوط، ولم نعرف المقصود.

(21) في المخطوط: وداراً.

(22) أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي الأزدي (ت 321). انظر وفيات الأعيان، رقم 25.

(23) في المخطوط: الطباطبيّ.

لأنّه كان يلثغ بالطاء عوضاً من القاف. فقال يوماً بحضرة أمير المؤمنين هارون الرشيد ـ وأشار إلى بعض الغلمان ـ: «ذاك يا أميرَ المؤمنين صاحب الطُّبا صاحبُ الطَّبَا». فلُقّب طَبَاطَبَا[24].

وكان يضعّف رضي الله عنه.

وأعقب من خمسة: القاسم الرسّيّ، والحسن، وأحمد، ومن محمد في الصحيح، ومن عبدالله في الصحيح. وقد ذكرنا القاسم الرسّيّ.

* * *

التعليق: الترجمة من مخطوط باريس، ورقة 183.

خصَّص ابن خلّكان ترجمة لعبد الله ابن طباطبا (رقم 342). وذكر الحادثة المزعومة بين المعزّ عند دخوله مصر سنة 362 وبعض الأشراف العلويّين، وأنكر أن يكون بطلُها عبدالله هذا الذي توفي سنة 348، وافترض أن تكون المساجلة دارت بين المعزّ وعلويّ آخر كالشريف مسلم الحسينيّ أو الشريف إبراهيم الرسيّ، وقد لقيا المعزّ فعلاً.

واهتمَمْنا بهذه الشخصية لأنّها حسنيّة، تنتسب إلى الفرع المعتدل من العلويّين، ولأنَّ مكانَتَها، الماديَّة والأدبيَّة، تدلُّ على الاحترام الخاصّ الذي يحظى به الأشراف العلويّون، ممّا يؤهِّلهم أن يكونوا وسطاء بين العامّة والسلطان، وفعلاً سيكون لهم دور في المفاوضة مع جوهر سنة 358.

---

(24) في الوفيات رواية أخرى في النطق بطبا عوض قبا. وقيل أيضاً إنَّ طباطبا عبارة فارسيّة معناها سيِّد السادات (انظر فصل ابن طباطبا في دائرة المعارف الإسلامية).

22 ـ الحسن بن جابر الرياحيّ (ـ بعد 359)

كتب للحسن بن عبيدالله بن طغْج. وقدم معه إلى مصر آخر ذي الحجَّة سنة سبع وخمسين وثلاثمائة فاستوزره يوم الاثنين لستّ خلون من المحرَّم سنة ثمان وخمسين بعد قبضه على الوزير أبي الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات، وخوطب بالوزير. فعاشر الناس عِشرةً جميلةً ولم ير أحدٌ منه سُوءاً.

فلمَّا خرج الحسن بن عبيدالله من مصر إلى الرملة في ثالث ربيع الآخر، سار معه، وكانت وزارته نحو ثلاثة أشهر.

فلم يزل مع [ابن] عبيدالله حتى سار جعفر بن فلاح من القاهرة إلى الشام وأسر [ابن] عبيدالله بن طغج والحسن بن جابر في عدَّة من القوَّاد وغيرهم وبعثهم إلى القائد جوهر [فأنفذهم] جوهر مع ولده جعفر بن جوهر إلى المعز بالهديَّة من القاهرة. فأخرج الحسن مقيّداً فيمن أخرج إلى المغرب. وذلك في سابع عشر جمادى الآخرة[1] سنة تسع وخمسين وثلاثمائة [27 أفريل 970] فسار إلى القيروان.

* * *

التعليق: الترجمة في مخطوط السليميّة ورقة 356 أ.

ذكر المقريزي هذا الكاتب في الاتّعاظ في جملة الأسرى الذين بعث بهم جوهر إلى المعزّ، ولم يزد. وكذلك ابن تغري بردي في النجوم الزّاهرة.

ولا نعلم سنة وفاة الحسن بن جابر هذا.

(1) في النجوم الزاهرة، 23/4 يقول ابن تغري بردي نقلاً عن ابن خلّكان: في السابع عشر من جمادى الأولى.

23 ـ تبر الإِخشيديّ (ـ 360)

/نافق في شعبان سنة تسع وخمسين وثلاثمائة بأسفل الأرض، فأرسل إليه [281 ب] جوهر القائد يستعطفه فلم يجب. فسيَّر إليه عسكراً فحاربه بناحية صهرجت ونهبها ومضى منهزماً إلى الشام في البحر. فأُخِذ بمدينة صور وحمل إلى القاهرة فدخل على فيل مع علي(1) بن جعفر بن فلاح وشهر في البلد وسجن إلى صفر سنة ستين وثلاثمائة. [و] اشتدت المطالبة عليه بالمال وضرب بالسوط، وقبضت ودائعُه، وقبض على جماعة من أصحابه وسجنوا في القيود. وفي ربيع الآخر جرح نفسَه فأقام أيَّاماً ومات. فسُلخ بعد موته وصُلب عند كرسيّ الجسر(2) خارج مصر إلى جانب من صلب من أصحابه.

* * *

التعليق: مخطوط السليميّة، ورقة 281 ب.

في الاتعاظ، 182: القائد أبو الحسن تبر الإخشيدي: قتل نفسه بسكِّين الدواة، ولعلَّها المدية التي يبرى بها القلمُ. ويبدو من الاتعاظ، 168 أنَّه في أوَّل أمره كان موالياً لجوهر مؤمَّراً على جهة تنيس.

---

(1) في الاتِّعاظ، 172، أنَّ الذي أنفذه هو جعفر بن فلاح، فدخل مصر على فيل.

(2) لم نفهم المقصود بكرسيّ الجسر، ولعلَّه يعني إحدى قاعِدتي الجسر على ضفتي النيل.

24 ـ محمد بن حسن المالكي (ـ بعد 360)

محمد بن حسن بن حنيفة، كان مالكيّاً. وأمّ بالجامع العتيق بمصر في شهر ربيع الآخر سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، وجهر بالبسملة على كرهٍ منه.

ثم صرفه القائد جوهر في صفر سنة ستّين وثلاثمائة بأبي علي الحسن بن عليّ الخيّاط.

* * *

التعليق: الترجمة من مخطوط ليدن 1 ورقة 205.

لم نجد ذكراً لهذا الخطيب في بقيّة المصادر التي بين أيدينا. ويبدو أنّه أرغم على تبني الطقوس الإسماعيلية كالجهر بالبسملة، وأن خدمته للدولة الجديدة لم تصفُ، فلذلك صرفه جوهر عن إمامة جامع عمرو.

25 ـ حميدان بن حواش العقيلي (ـ 368)

ويقال فيه حمدان، والأوَّل أشهر.

ولي دمشق من قبل العزيز بالله سنة ثمان وستِّين وثلاثمائة بعد ظفره بهفتكين الشرابيّ، وكان قسَّام[1] إذ ذاك مُتَغلِّباً على دمشق، فلم يكن لحميدان مع قسَّام أمر. فلم تطل مدَّته حتى وقع بينه وبين قسَّام [خصام] فأطرده العيَّارون من أصحاب قسَّام فخرج هارباً من البلد، ونهبوا داره.

فقوي أمر قسَّام. فجاءت قرامطة جعفر وإخوته فنزلوا على دمشق فمنعهم قسَّام من البلد وعمل على قتالهم فساروا إلى الرملة.

فولي دمشق بعد حميدان أبو محمود[2].

ويقال إنَّه ولي دمشق في سنة واحدة، وهي سنة ثمانٍ وستين هذه، ظالم بن موهوب العقيلي[3]، والقرمطي، ووشَّاح[4] وحميدان وأبو محمود.

* * *

التعليق: هذه الترجمة من مخطوط السليميَّة ورقة 417 ب.

حميدان هذا أحد الأمراء العديدين الذين توالَوا على دمشق في مدَّة الفتنة القرمطيَّة، وقد ذكره ابن القلانسي في الذيل، 21 باقتضاب شديد، ممَّا يدعم قول المقريزي هنا: أنَّه لم يكن له سلطان مع قسَّام وعيّاريه.

وفي أمراء دمشق، 28 جاء اسمه: حميدان بن جوّاس.

(1) قسَّام التّراب أو قسَّام الحارثي (رقم 215 من كتاب أمراء دمشق).

(2) أبو محمود: إبراهيم بن جعفر بن فلاح. انظر ترجمته في هذا الكتاب (رقم 45).

(3) ظالم بن موهوب ثمَّ أخوه منصور بن موهوب (أمراء دمشق، ص 137).

(4) وشاح السلميّ: ولي دمشق مِن قِبل الأعصم القرمطيّ.

26 ـ جعفر بن فلاح الكتاميّ (ـ 360)

[300 ب] / جعفر بن فلاح بن مروان أبو الفضل[1] الكتاميّ: من أرقى الكتاميّين بيتاً وأجلّهم قدراً.

كان أبوه قائداً جليلاً، وليَ مدينة طرابلس، وبرقة وباجة. وكان حسن السيرة في الرعيّة. مات في رجب سنة خمس وأربعين وثلاثمائة [أكتوبر ـ نوفمبر 956].

ونشأ ابنه جعفر بالمغرب في خدمة المعزّ لدين الله. وهو أحد الجعفرين اللذين أُرشد ابن هانىء الشاعر الأندلسيّ إليهما، فإنّه، لمّا امتدح جوهراً القائد، أعطاه مائتي درهم فاستقلّها وسأل عن كريم يمدحُه فقيل له: عليك بأحد الجعفرين: جعفر بن فلاح وجعفر بن علي بن حمدون المعروف بابن الأندلسيَّة، فمدح جعفر بن فلاح فأعطاه مائتي دينار. ومن شعره فيه (بسيط):

كانت محادثة الركبان تخبرني عن جعفر بن فلاح أطيبَ الخبرِ
حتى رأيتُ، فلا والله ما سمعَت أذناي بالعشر ممّا قد رأى بصَري[2]

ثمّ انتقل إلى جعفر ابن الأندلسيَّة وهو يومئذٍ أمير الزاب. فلم يزل عنده إلى أن استدعاه المعزّ لدين [الله] فبعث به إليه في جملةِ تحفٍ وطرائف.

ولمّا جهّز المعزّ لدين الله القائد جوهر من بلاد المغرب لأخذ مصر،

(1) في وفيات الأعيان (الترجمة 138): أبو علي، وعلي بن جعفر معروف موجود.
(2) البيتان منسوبان أيضاً إلى غير ابن هانىء. وفي الوفيات جاء عجز البيت الثاني على هذا النحو: أذني بأحسَنَ مِمّا... (ترجمة ابن الشجري أيضاً رقم 774).

سار معه جعفر بن فلاح إلى أن وافتِ العساكر الجيزة، وقد نزل الإخشيديَّة بالجزيرة التي تعرف اليومَ بالروضة لقتال جوهر، وضبطوا الجِسْرَين[3]، وتقدَّم منهم عدَّة إلى الجيزة. فلمَّا شاهد جوهر ذلك عاد إلى منية شلقان فعبر [إلى] مصر من هناك. وبعث فاستقبل المراكب الواردة من تنيس ودمياط وأسفل الأرض فأخذها. وتولَّى العبور إليهم جعفر بن فلاح عرياناً في سراويل ومعه جمعٌ من المغاربة، فوقع القتال، وقتل خلق من المصريِّين. وكان الفتح، ودخول جوهر، وبنَايَة القاهرة في شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة [جوان ـ جويلية 969].

فأقام جعفر بن فلاح بالقاهرة إلى ثاني عشر المحرَّم سنة تسع وخمسين وثلاثمائة [25 نوفمبر 969]. وسار إلى الشام في عسكر كبير إلى أن قدم الرملة، وبها الحسن بن عبيدالله بن طغج وجعفر آبن القرمطيّ وفاتك ودرامك وعِدَّة من قوَّاد الإخشيديَّة ورجالهم فقاتلهم قتالاً شديداً، وأسر الحسن بن عبيدالله وجعفر القرمطيّ وابن الرياحي وفاتك وعدَّة من الأعيان في يوم الثلاثاء لسبع خلون من ربيع الآخر [سنة 17/359 فيفري 970] وأبعدهم إلى القاهرة في القيود مع ابنه[4]. وأخذ السيفُ بقيَّتهم فقتل كثيراً منهم وتمكَّن من الرملة، وذلك للنصف من شهر رجب [24/359 ماي 970]. وأقام يتتبَّع ما للحسن بن عبيدالله ولأصحابه من أموال حتى استخلصها.

ثمَّ سار إلى طبريّة وأخذ يبني قصراً عندَ جسر الصِّنَّبْرَةِ[5]، وكان على طبريّة فاتك غلام ملهم من قبل الإخشيديّة، فكاتبه جعفر وخدعه حتى قَعَد عن الحسن بن عبيدالله. وكاتب شمول الإخشيدي وهو على دمشق قد استخلفه عليها الحسن بن عبيدالله، واستماله ووعده، فتمكَّن من طبريّة، وثقل عليه أمر بني عقيل أهل بلاد حوران والبَثَنِيَّةِ[6] الذين أقامهم كافور الإخشيدي،

(3) هما جسرا الفسطاط والجيزة (خطط، 276/3).

(4) في تاريخ ابن القلانسي، 1: واستخلف ابنه على الرملة وسار إلى طبريَّة.

(5) الصنَّبرة: موضع على ثلاثة أميال من طبريّة على الأردن.

(6) البثنيَّة: قرية من نواحي دمشق (ياقوت).

وهم شبيب بن . . . [7] وظالم بن مرهوب، وملهم بن . . . [7]. فاستجلب إليه عرب مُرَّة وعربَ فزارة، وأوعز إلى مَنْ يفتك بفاتك غلام ملهم، فوقف له عِدَّة من المغاربة ووثبوا به على حين غفلة فجرَّد سيفه وضرب رجلاً منهم رمى نصف رأسه، وكثروا عليه وقتلوه. فتبرَّأ جعفر من قتلِه وأظهر جزعاً عليه وقبض على [301 أ] الجماعة الذين قتلوه وبعث بهم إلى ملهم[8]، فقال لمَّا وصلوا إليه / : «هو غلامي ومملوكي وقد وهبتُه للقائد»، وأطلق الجماعة الذين قتلوه.

واتفق من الأمر الرديء لأهل دمشق أنَّ مشايخ أهلها لمَّا بلغهم قُدومُ جعفر بن فلاح إلى طبريّة خرجوا إلى لقائه، وفيهم عقيل بن الحسن بن الحسين العلويّ و[أبو القاسم إسماعيل][9] بن أبي يعلى العبَّاسيّ، فوافَوا يومَ دخولهم إلى طبريَة قتلَ فاتك، وقد ثارت فتنة، والمغاربة ركباناً، وفيهم مَن يأخذ الناس، فقصدوا أهل دمشق فأخذوهم وجرَّدوهم من ثيابهم وسبُّوهم وتوعَّدُوهم وقالوا لهم: «أوذا[10] نحن سائرون إليكم!» فصاروا في أسوأ حال قد أُخذت أثقالهم وثيابهم. فلقُوا جعفر بن فلاح وعادوا إلى دمشق فأخبروا الناس بما جرى عليهم من الوعيد وأنَّهم لقُوا قوماً جفاةً قباحَ المنظر والزيّ والكلام ناقصي[11] العقول. فاستوحشت قلوب أهل دمشق من المغاربة.

وكان شمول قد خرج إلى لقاء جعفر بن فلاح وخلت مدينة دمشق من السلطان، فطمع الطامع، وكثر الذعَّار وحمَّال السلاح[12]. واتَّفق أيضاً أنَّ جعفر[اً] لمَّا قتل فاتك[ـا] عمِل في قلع بني عقيل من أرض حوران والبثنيَّة، فأنفذ إليهم مرَّة وفزارة، وجهَّز بعدهم جيشاً من المغاربة. فالتقى القوم وأدركهم المغاربة فانهزم العقيليّون وتبعوهم إلى أرض حمص. ثمَّ عادوا عنهم

---

(7) بقيت هذه الأسماء بيضاء، وكذلك في الاتِّعاظ، 174/1.

(8) في المخطوط: إلى ابن ملهم، والتصويب من الاتعاظ 174/1.

(9) بياض مكان الاسم، والإكمال من تاريخ ابن القلانسيّ، 1.

(10) هكذا في المخطوط، ولعلَّه يعني: ها نحن. . .

(11) في المخطوط: ناقصين. . .

(12) في المخطوط: وحمَّال السلطان.

ومالوا على جبل سَنير(13) الذي يقال له اليوم جبل الثلج فنهبوا، ونزلوا الغوطة فجالوا فيها وساروا حتّى نزلوا على نهر يزيد نحو الدكّة(14). فثار عليهم أهل دمشق وقاتلوهم وقتلوا منهم [رجلاً](15) من العرب يقال له عيسى بن دهاس الفزاري، وهزموهم عن دمشق، وذلك يوم الخميس لثمانٍ خلون من ذي الحجّة [13/359 أكتوبر 970].

فأقبل صبيح بطلائع عسكر جعفر بن فلاح ونزل خارج دمشق، فخرج الناس إليه مستعدّين في خيل ورَجل فاقتتلوا يومَهم ذلك ثمّ انصرفُوا.

وأصبحوا يوم الجمعة فاقتتلوا وصاح الناس في جامع دمشق بعد الصلاة: «النفير!» فخرج النفير واشتدّ القتال إلى آخر النهار، ونزل جعفر يوم السبت لعشر خلون من ذي الحجّة يوم عيد الأضحى [/15 أكتوبر 970] فقاتله الناس على الشماسيّة والقطيعة(16)، ولم يصلّ الناس يومئذ صلاة العيد. وخرج ابن أبي يعلى فلم يزل القتال إلى بعد العصر فكلّت الدماشقة، وحمل عليهم المغاربة، فانهزموا وركب المغاربةُ أقفيتَهم وبذلوا فيهم السيفَ فقتلوا من ظفروا به. وقام بأمر البلد أبو إسحاق محمد بن عصودا وغلّق الأبواب وأوقف الرماةَ على شرفات السور، فرمَوا المغاربة بالنشّاب. ونزل العسكر أرض عاتكة(17) وطرحوا النار فيما هنالك من الأبنية، فانهزم ابن أبي يعلى وانفلّ من كان معه فقتل خلق كثير. ودخل فرقة من المغاربة باب الجابية فتكاثر الناس عليهم وأخرجوهم وأغلقوا الباب. فأحاط العسكر بالبلد من كلّ ناحية، ووقعت المضاربات وارتفع ضجيج الرجال والنساء والصبيان بالبكاء والنفير،

(13) جبل سَنير: بين حمص وبعلبك (ياقوت: سنير). ووهم المقريزي حين قال هو اليوم جبل الثلج. فهذا بالأندلس وهو جبل شلير (Sierra Nevada).

(14) الدكّة: موضع في الغوطة، وفي هامش ابن القلانسي، 2: هي اليوم الدوّاسة.

(15) في المخطوط: كثيراً من العرب يقال له... ولعلّ في النصّ سقوطاً.

(16) لم يذكر ياقوت قطيعة دمشقيّة. والشماسيّة: محلّة من دمشق أيضاً.

(17) أرض عاتكة: خارج باب الجابية بدمشق (ياقوت).

وظنُّوا أنَّ القومَ يدخلون البلدَ بالسيف، وكان قد قرب غروبُ الشمس، فأمسك العسكر عن القتال.

وتقدَّم رجل من العسكر وأشار إلى مَن فوقَ الأسوار وحدَّثهم، فأمسكوا عن الرمي، وبات أهل دمشق ليلةَ الأحد في سدِّ الأبواب وتضييق الدروب وكسر القنا في الأسواق وحفر الخنادق، وعَزموا على القتال وباتُوا على خوفٍ.

فلمَّا أصبحوا خرج المشايخ إلى جعفر بن فلاح ليتحدَّثـوا معه في الصلح، فما هو إلاَّ أن ساروا عن البلد قليلاً [حتى] خرج عليهم فرسان من المغاربة [فـ]ـأخذوا ما عليهم من الثياب وقتلوا منهم رجلَين. فلمَّا رأى من كان فوقَ المآذن والأسطحة ذلك صاحوا: «اضبطوا الأبواب، فقد شَلَّحُوا المشايخ!»[18] فظنَّ الناس أنَّ العسكر يريد الركوب، ودخَلَ المشايخ عُرْياً، فارتاع أهل البلد واشتدَّ خوفهم وتحيَّروا. ثمَّ جرت بينهم مراسلة فخرجوا إلى جعفر فرعب عليهم[19] / و[أ] وعـد البلدَ بالنار والسيف فعاجوا خائفينَ [301 ب] وجِلين وبلَّغوا أهل البلد ما أقلقهم فاشتدَّ اضطرابهم وعاد المشايخ ثانياً إلى جعفر فاشتدَّ عليهم وأرعد وأبرق فسألوه العفو. فقال: ما أعفو عنكم حتى تَخرُجوا إليَّ ومعكم النساء فيتضرَّعن ويكشفن شعورهنّ ويمرِّغنَها في التراب بين يديّ!

فقالوا: نفعل ما يقول القائد.

ورجعوا إلى البلد وخرجوا إليه بما طلب من تضرُّع النساء وكشفهنَّ الشعور بين يديه، وهو مع ذلك يرهبهم. ثمَّ باسَطَهُم وقال: أريد [أن] أدخل يوم الجمعة للصلاة.

فانصرفوا عنه. وركب يومَ الجمعة في عسكره ودخل البلد. فلمَّا خرجوا من الجامع وضع جماعة من العسكر أيديَهم في السوق ونهبوا. ثمَّ أرادوا أن

(18) شلَّحوهم بالشين المعجمة والحاء المهملة: عرُّوهم من ثيابهم.
(19) هكذا في المخطوط، والفعل يتعدَّى بنفسه عادة.

يدخلوا إلى الأزقَّة، فثار بهم الناس وقتلوا كثيراً من الرجّالة؛ فاشتدَّ جعفر على المشايخ ووعدهم بكلِّ مكروه، وقال لهم: دخل رجال أمير المؤمنين إلى الصلاة فقتلتموهم! لأُسَوِّيَنَّ بهذا البلدِ الأرضَ!

فلطفوا به ودارَوْه. فقال: أريد دِيَةَ مَن قُتل من رجال أمير المؤمنين.

فأذعنوا لذلك. وكان الذي يتولّى خطابه الشريف أبو القاسم أحمد بن الحسين العقيقي و. . . [20] بن أبي هاشم. ودخلوا البلد وقسّطوا المال على الناس. وشرع العسكر في البناء فوق نهر يزيد عند الدكَّة وعملوا مساكن وأسواقاً حتى صارت تشبه المدينة، وبنَوا قصراً عظيماً شاهقاً في الهواء[21]، غريبَ البنيان. فلمَّا استقرَّ في الدكَّة طلب حُمَّالَ السلاح وضرب أعناق كثير منهم وصلب جُثَثَهم وعلَّق رؤوسهم على أبواب المدينة، منها رأس إسحاق بن عصودا.

وبعث بأزرق إلى حمص وسلمية، فخرج إليه أهل سلمية بكتاب عبيدالله المهدي جدّ المعزّ لدين الله بترك الخراج لهم متى ملكهم. فبعث بذلك إلى جعفر فأمره بالوفاء لهم.

وقدم ابن عليان العدوي وقد قبض على . . . [22] بن أبي يعلى العبَّاسيّ لمَّا انهزم من نحو تدمر، وهو يريد بغداد، فأمر به جعفر فشهر في العسكر على جمل ثمَّ حمله إلى القاهرة.

وأمَّا محمد بن عصودا فإنَّه لمَّا انهزم سار إلى الأحساء هو وظالم بن موهوب العقيليّ، وحثَّا القرامطة على المسير إلى الشام، فوافق ذلك منهم الغرض لأنَّ الإخشيديَّة كانت تحمل في كلّ سنة إلى القرامطة مالاً، فلمَّا أخذ جوهر مصر انقطع المال عن القرامطة. فأخذوا في الجهاز للمسير إلى الشام.

وجهَّز جعفر غلامَه فتوحاً في عسكر إلى أنطاكية، وكانت بيد الروم،

---

(20) تُرك الاسم بياضاً.

(21) هذا قصر آخر غير الذي بناهُ بطبريّة على جسر الصنّبرة.

(22) بياض مكان الاسم، وقد ملأناه ص 222 نقلاً عن ابن القلانسيّ: فهو إسماعيل أبو القاسم.

فسار في صفر سنة ستّين [ديسمبر 970] وطلب أهل أعمال فلسطين وطبريّة، وسيَّر عسكراً بعد عسكر إلى أنطاكية فنازلوها، وكان الوقت شتاءً، إلى أن دخل الصيف، وهم يداومون القتال. وبعث سريّةً فيهـا أربعة آلاف إلى اسكندرونة وعليهم عرائـس، ومعهم ابن الزيّات[23] أمير طرسوس، وكان عليها عسكر للروم. فظفروا في طريقهم بمائتَي بغل تحمل علوفة لأهل أنطاكية فتقَوَّوْا بها، وساروا إلى مرج إسكندرونة وفيه مضارب الروم الديباج، فتسرَّع إليها رجالة تنهبُها، فحمل عليهم الروم فانهزموا وأخذهم السيف، ونجـا عرائس وابن الزيّات في طائفة ولحقوا بجعفر، وهلك كثير ممَّن كان في السريّة.

فكثرت الأخبار بمسير القرامطة إلى الشام، وأنَّهم نزلوا على الكوفة، وكتبوا إلى الخليفة ببغداد فأنفذ إليهم خزانة سلاح، وكتب لهم بأربعمائة ألف درهم على أبي تغلب عبدالله بن ناصر الدولة بن حمدان، من مال الرحبة[24] وأنَّهم ساروا من الكوفة إلى الرحبة وأخذوا من ابن حمدان المبلغ. فكتب جعفر إلى غلامه فتوح وهو على أنطاكية يأمره بالرحيل. فوافاه الـكتـاب مستهلّ شهر رمضان [28/360 جوان 971]، فشرع في شدِّ أحماله، ونظر الناس إليه فجفلوا ورمَوا خيمَهم وأراقوا طعامهُم.

وأخذوا في السير مجدِّين إلى دمشق، فلمَّا وافوا جعفراً أراد أن يقاتل بهم القرامطة، فلم يقفوا وطلب كلّ قوم موضعَهم، ولم يُبالوا بالموكّلين على الطرق. وعندما نزل القرامطة على الرحبة أكرمهم أبو تغلب، وبعث إلى الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنابي االمعروف بالأعصم كبيرهم يقول له: هذا شيءٌ أردتُ أن أسير أنا فيه بنفسي، لكنّي مقيم في هذا الموضع إلى أن

(23) أبو بكر ابن الزيّات في تاريخ ابن القلانسي، 12. ولا نعرف عرائس.

(24) أبو تغلب [الغضنفر] بن حمدان كان أميراً على الجزيرة، والرحبة هي رحبة مالك بن طوق على الفرات تحت قرقيسيا، بين الرقة وبغداد (ياقوت) وانظر: ماريوس كانار: دولـة الحمدانيّين ص 96 وهامش 45.

يرد إليَّ خبرُك، فإن احتجتَ إلى / مسيري سرتُ إليك. [302 أ]

ونادى في عسكره: من أراد السير من الجند الإخشيديَّة وغيرهم إلى الشام مع الحسن بن أحمد، فلا اعتراض لنا عليه، وقد أذنَّا له في المسير، والعسكران واحدٌ.

فخرج إلى القرامطة كثير من الإخشيديَّة الذين كانوا بمصر وفلسطين ممَّن فرَّ من جوهر وجعفر بن فلاح. وكان جعفر لمَّا أخذ طبريّة بعث إلى أبي تغلب بن حمدان بداع يقال له أبو طالب التنوخي يقول له: «إنَّا سائرون إليك فتقيم لنا الدعوة». فلمَّا قدم الداعي على أبي تَغلب وهو بالموصل وأدَّى الرسالة قال له: «هذا ما لا يتمّ، لأنَّا في دهليز بغداد والعساكر منَّا قريبة. ولكن إذا قربت عساكركم من هذه الديار أمكنَ ما ذكرتَه». فانصَرَف بغير شيء.

ثمَّ إنَّ الحسن بن أحمد القرمطي سار عن الرحبة إلى أن قرب من دمشق. فجمع جعفر خواصَّه واستشارهم، فاتَّفقوا على أن يكون لقاء القرامطة في طرف البريّة قبلَ أن يتمكَّنوا من العمارة. فخرج إليهم وقاتلهم قتالاً شديداً، فانهزم عنه عدَّة من أصحابه، فولَّى في عدَّة ممَّن معه. وركب القرامطة أقفيتَهم وقد تكاثرت العربان من كلّ ناحية وصعد الغبار فلم يعرف كبير من صغير، ووُجد جعفر قتيلاً لا يعرف له قاتل. وكانت هذه الوقعة يوم الخميس لستّ خلون من ذي القعدة سنة ستّين وثلاثمائة [/ 31 أوت 971]. فامتلأت أيدي القرامطة بما احْتَوَوْا عليه من المال والسلاح وغيره. وخرج محمد بن عصودا إلى جثة جعفر بن فلاح وهي مطروحة على الطريق فأخذ رأسه وصلبه على حائط داره. وأراد بذلك أخذ ثأر أخيه إسحاق بن عصودا.

وملك القرامطة دمشق. وورد الخبر بذلك على جوهر القائد فاستعدَّ لحرب القرامطة.

وكان جعفر أحمقَ هذّاراً كثير الكلام، أكثر كلامه بغير طائل. وكان يحسد جوهر القائد لتقدّمه عليه. وكانت العر[25] فيه كما هو مذكور في ترجمة جوهر.

* * *

التعليق: مخطوط السليميّة الورقة 300 ب إلى 302 أ.

ـ وانظر ترجمته أيضاً في وفيات الأعيان رقم 138.

وتُفيدنا ترجمة المقفّى ببعض المعلومات التي لا يَذكرها ابن خلّكان ولا حتى المقريزي في اتعاظ الحنفاء. من ذلك:

1 ـ كنيته: أبو الفضل. وفي الوفيات: أبو علي، ولعلّها أقرب إلى الصحّة لأن له ابناً اسمُه علي.

2 ـ ولاية أبيه طرابلس.

3 ـ مشاركة أحد أبنائه في العمليّات حول دمشق. غير أنَّ المقريزي لا يُسمِّي هذا الابن. ولعله أبو محمود إبراهيم الذي خصّص له ترجمةً في المقفى (رقم 45). ويذكر له ابن القلانسي ابنا آخر هو سلمان أو سليمان بن جعفر بن فلاح. وفي الجزء الثاني من الاتّعـاظ، 10، أخبار عليّ بن جعفر ابن فلاح، وهو الابن الذي ولي دمشق ثلاث مرّات (أمراء دمشق للصفدي، 210 - 211).

ثم إنَّ الداعي إدريس في عيون الأخبار، 692 يذكر له ابناً رابعاً مات في أوَّل مدَّة جوهر بمصر سنة 358.

5 ـ بناء القصر على جسر الصنَّبرة. ولعلَّه القصر الذي عناه المؤرِّخون الذين رَوَوا قولَ من مرَّ بخراباته فقال (كامل):

يـا مـنـزلاً لعـب الـزمـان بـأهله ... فـأبـادهـم بـتـفـرُّق لا يـجـمـع
أين الـذين عـهـدتهـم بـك مـرَّة ... كـان الـزمـان بهم يضـرُّ وينفـع؟
ذهب الـذين يعـاش في أكنـافهـم ... وبـقي الـذيـن حيـاتُـهم لا تـنفَـعُ

(وفيات الأعيان، والكامل لابن الأثير، 42/7 في تعليق الشيخ عبد الوهاب النجار).

---

(25) هكذا في المخطوط، ولم نتبيَّن الكلمة.

27 ـ محمد بن الخير بن محمد بن خزر الزناتي (ـ 360)

أكثر ملوك المغرب سلطاناً في وقته على زناتة وغيرهم. وامتنع على المعزّ لدين الله أبي تميم معدّ، وعزّ عليه أخذه وطاعته له. فبينا أبو الفتوح يوسف[1] بن زيري بن مناد الصنهاجي جالس، أقبل عليه رجلان من خاصّة محمد وأعلماه أنّه بموضع كذا مُتَنَزِّهاً في شرذمة من أهله وخاصّته، فبادر إليه ليلاً وصبحه، وهو يشرب في روضة مع طائفة من إخوته وأهل بيته. فلمّا أحاط به وضع سيفه في نحره وتحامل عليه حتى خرج من ظهره، مخافة أن يؤخذ أسيراً. وذلك في يوم الخميس لثلاث عشرة بقين من شهر ربيع الآخر سنة 360 [16 فيفري 971][2]. فَحَزَّ يوسف رأسه وأنفذ به إلى المعزّ فقدِم لثلاث بقين إلى المنصوريّة من عمل القيروان، فبعث به إلى مصر فقدم في شعبان منها ومعه ثلاثة آلاف رأس فطيف بها، وقُرىء كتاب المعزّ على المنبر بخبره[3].

* * *

(1) هو بلقين بن زيري الذي سيوليه المعزّ ملك إفريقية والمغرب عند رحيله.

(2) ابن خلدون، 4 / 49 يذكر السنة: 360 دون الشهر، وكذلك ابن الأثير (سنة 360) وفي الاتّعاظ، 180 يذكر المقريزي التاريخ نفسه: 17 ربيع الثاني 360.

(3) في عيون الأخبار، 708 نقلاً عن ابن زولاق، وصل رأس الزناتي ـ ويسمّيه مخرمة بن محمد بن خزر ـ مع ثلاثة آلاف رأس أخرى في شعبان 360.

التعليق: الترجمة من مخطوط ليدن ورقة 242 ب.

هذه الترجمة شاهد على ما لاحظناه في مقدّمة الكتاب: أنّ المقريزي ترجم لمَن دخل مصر حيّاً أو ميّتاً.

وفي رواية المؤرّخين أنّ زناته ستتحالف مع الحمدوني أمير المسيلة ـ وكان يحقد على الصنهاجيّين ـ فيوقعون بزيري بن مناد في رمضان 360 ويلقى حتفه في المعركة (النويري، نهاية الأرب 24 / 165)، فانتقم ابنه بلقّين ـ يوسف من زناته شرّ انتقام. ولكنّ مقتل محمد بن الخير سبق مقتل زيري كما يظهر هنا.

28 ـ إبراهيم بن دوّاس حصن الإسلام (ـ بعد 362)

/أحد من قدم إلى مصرَ مع الإمام المعزّ لدين الله. زوّج ابنتَه لعبد الله [30 ب]
ابن إسماعيل بن الحسن بن محمد بن سليمان الحسيني بحضرة المعزّ، وحُمل المهرُ من بيت المال.

وكانت أم عبد الله خالة إبراهيم، وكان والد عبد الله ابن عمّة إبراهيم[1].

* * *

التعليق: هذه الترجمة من مخطوط السليميّة ورقة 30 ب.

هذا القادم مع المعزّ كتاميّ بدون شكّ، فهناك كتاميّ آخر يدعى حسين بن دوّاس استخدمته ستّ الملك في فرض خلافة الظاهر (انظر الترجمة رقم 69).

والترجمة على اقتضابها تفيدنا أمريْن:

1 ـ عطف الخلفاء الفاطميّين على كتامة بوجه عامّ، اعترافاً لهم بجهادهم في تركيز الدولة. ويظهر هذا العطف في حضور المعزّ لحفل الزفاف وكذلك في صرفه المهر من بيت المال.

2 ـ قبول الأسر الشريفة ـ مثل هذا الحسينيّ ـ التصاهر مع رجالات كتامة البربر، رغم التفاوت في المنزلة، وذلك تقرّباً إلى أعوان السلطان وأنصاره.

---

(1) معنى هذا أن صاحب الترجمة زوّج ابنته لابن خالته عبد الله وهذا الزوج هو في آن واحد حفيدُ عمّته.

29 ـ أفلح الناشب (ـ بعد 362)

[209 أ] /أفلح الصقلبيّ المعروف بالناشب مولى المعزّ. كان من أمرائه على برقة. فلمّا جهّز المعزّ جوهراً إلى القاهرة كتب إلى جميع العمّال أن يترجّلُوا لجوهر، فأنف أفلح من ذلك وبذل لجوهر خمسين ألفَ دينار ليعفِيَه من ذلك.

ولمّا قدم المعزّ إلى الديار المصريّة ففقد الزاد الذي صحبه تلقّاه أفلح من الزاد[1] والطعام والآلات والجمال والبغال والخيول [بـ]ـما وسّع به على العسكر كلّهم، وفضل منه ما صحبهم إلى مصر.

واستمرّ أفلح في خدمة المعزّ إلى أن دخل مصر.

* * *

التعليق: هذه الترجمة المقتضبة من مخطوط السليميّة، 209 أ.

وكنّا نأمل أن نجد معلومات ضافيةً عن هذا الوالي الذي مدحه ابن هانىء المغربي بقصيدة رنّانة (رقم 55 من ديوانه بنشر زاهد علي). ولا يبدو من تلك المدحة أن أفلح صقلبيّ، وقد أبدينا تساؤلات كثيرةً بشأنه في رسالتنا عن ابن هانىء.

والجملة الأخيرة تشعر بأنّ والي برقة هذا قد ختم حياته بمصر بعد سنة 362.

---

(1) اضطراب في تركيب الكلام هنا.

30 ـ عبد الرحمان بن محمد بن خالد
ابن مخلد بن مزيد الشاعر (ـ بعد 362)

. . . ونسب إليه أنّه قائل الأبيات التي وجدت في بطاقة ملصقة على المنبر بعد أوّل جمعة صلّاها المعزّ لدين الله أبو تميم معدّ بمصر، وهي (سريع) :

إنّـا سمعنـا نسبـاً مضمـراً نصّ على المنبر في الجامع
يكتمه مخبره جاهلاً رجاءَ أن يخفى على السامع
إن كنت فيما قلته صادقاً فاذكر أباً بعد الأب الرابع
وآئتِ بجَدٍّ خامسٍ بعده وانسب لنا نفسك كالطائع[1]
أو فدعِ الأشياءَ مستورةً وادخل إذن في نسبٍ واسع
فإنَّ أنسَاب بني هاشمٍ يضيقُ عنها طمَعُ الطامع

* * *

التعليق: هذه الترجمة المبتورة من مخطوط باريس ورقة 36.
ولا نعرف قائل هذه الأبيات، ولعلّ المقريزي ترك البياض في رأس الترجمة بنيّة إكمالها، ولم يفعل.

---

(1) في هامش المخطوط هذه العبارة: يعني الخليفة العباسيّ [363 - 381].

31 ـ إسحاق بن موسى بن العازار (ـ 363)

أبو يعقوب اليهودي الطبيب.

قدم إلى مصر مع المعزّ لدين الله هو وأبوه وأخوه عون الله بن موسى. وكان عون الله مسلماً. وكان موسى بن العازار طبيباً للمعزّ، وإلى ابنه إسحاق تدبير الدولة والنظرُ في جميع أمور المعزّ وخزائنه، وقليله وكثيره، والأمرُ والنهيُ. ومات بمصر في حياة أبيه موسى لاثنتي عشرة خلت من صفر سنة ثلاث وستين وثلاثمائة [13 نوفمبر 973].

ومات أخوه عون الله قبله بيوم. فاغتمّ المعزّ لموت إسحاق لكفايته. وأقرّ مكانه أخاه إسماعيل بن موسى وابنَه يعقوب بنَ إسحاق.

وبقي أبوه[1] طبيباً للمعزّ حتّى مات المعزّ. وصار عسلوج بن الحسن[2] إليه في الحقيقة ما يتولّاه.

* * *

التعليق: الترجمة من مخطوط السليميّة، 175 ب.

وهي مماثلة لما في عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء، لابن أبي أصيبعة، في ترجمة

(1) أبوه موسى بن العازار أو العيزار: انظر أيضاً ورقات المرحوم ح. ح. عبد الوهاب 1/ 301.

(2) عسلوج بن الحسن الدنهاجي: أحد رجالات كتامة. انظر عنه عيون الأخبار، 726 هامش 327، ولعلّه هو أبو علي [بن] عسلوج الذي قتله الحاكم مع جماعة (اتّعاظ 1/ 266 والنجوم لابن سعيد، 69).

الأب، أي موسى بن العازار. ولكنّ الحديث تعلّق بإسحاق خاصّة (ص 575).

وفي تاريخ الحكماء للقفطي (نشر ليبارت، لبزيغ 1903) ترجمة لمـوسى بن العازار، ولكن لم يُذكر فيها أبناؤه (ص 320).

32 ـ ابن النابلسي الزاهد (ـ 363)

أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل بن نصر الرملي المعروف بابن النابلسيّ.

قال ابن الطحّان[1]: حدّث عن أبي جعفر محمد بن شيبان الرملي وسعيد بن هاشم بن مرثد الطبرانيّ، وعمر بن محمد بن سليمان العطار، وعثمان بن محمد بن علي بن جعفر، وأبي سعيد ابن الأعرابيّ[2].

وروى عنه تمّام الرازي، وعبد الرحمان الميداني ـ وقال: الرجل الثقة الصدوق ـ وأبو الحسن الدارقطنيّ[3].

وقال أبو ذرّ الهروي[4]: أبو بكر النابلسي: سجنه بنو عبيد وصلبوه على السنّة، وسمعت الدارقطني يذكره ويبكي ويقول: كان يقول وهو يسلخ: ﴿ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الكِتَابِ مَسْطُوراً ﴾ (الإسراء، 38).

وقال أبو محمد الأكفاني: وفيها ـ يعني سنة ثلاث وستين [وثلاثمائة]

(1) ابن الطحّان (ت 416 / 1025): يحيى بن علي، صاحب كتاب تراجم وكتاب في تاريخ مصر (وفيات، 232/3).

(2) ابن الأعرابي (ت 340 / 952): أحمد بن محمد أبو سعيد: محدّث متصوّف له مصنّفات في التاريخ والتراجم والتصوّف.

(3) الدارقطني (ت 385 / 995)، علي بن عمر: إمام عصره في الحديث وله فيه كتاب السنن.

(4) الهروي (ت 434 / 1043)، عبد الله بن أحمد الأنصاري: صاحب المستدرك على الصحيحين، وله معجمان في رجال الحديث.

توفّي العبد الصالح الزاهد أبو بكر محمد بن أحمد المعروف بابن النابلسيّ، وكان يرى قتال المغاربة ونهضهم[5] واجباً. وكان قد هرب من الرملة إلى دمشق، فقبض عليه الوالي بها أبو محمـ[ـو]د الكتامي صاحب العزيز بدمشق وأخذه وحبسه في شهر رمضان وجعله في قفَص خشب وحمله إلى مصر. فلمّا حصل بمصر قيل له: أنت الذي قلت: لو أنّ معي عشرة أسهم لرميتُ تسعة في المغاربة وواحداً في الروم؟

فٱعترف بذلك وقال: قد قلته.

فأمر أبو تميم - يعني المعزّ لدين الله - بسلخه فسُلخ وحشي تبناً وصلب.

وكان من خبر أبي بكر بن النابلسيّ أنّ جوهراً القائد لمّا قدم إلى مصر وبنى القاهرة، جهّز القائد جعفر بنَ فلاح لأخذ الشام فقاتل الحسن بن عبيد الله بن طغج بالرملة وأخذه، وعاثت عساكره فيما هنالك. وتوجّه إلى دمشق فقاتله أهلُها كما ذكر في خبره[6].

وقدم الحسن بن أحمد [الأعصم] القرمطي باستدعاء أهل دمشق له وصاروا في جملته فمضى إلى مصر وكان من خبره ما ذُكر في ترجمتِه[7]، فلمّا انهزم مضى القائد أبو محمود إبراهيم بن جعفر بن فلاح من قِبل المعزّ لدين الله لأخذ دمشق وبها ظالم بن موهوب العقيلي، وقد غلب أبا المنجّى خليفة القرمطيّ وأخذ منه دمشق وسجنه هو وابنه وعدد من أصحاب القرامطة[8].

(5) تتوقف الترجمة هنا، وتأتي تراجم أخرى في الصفحات الموالية وتستأنف ترجمة ابن النابلسي في الورقة 75 أ.

وفي هامش الورقة 70 كتبت هذه الإضافة: كان بمصر أيّام كافور الإخشيدي. فلمّا قدم جوهر خرج منها إلى الرملة خوفاً على نفسه لما [صدر] منه في حقّ الشيعة من الإنكار لمذهبهم.

(6) انظر ترجمة جعفر بن فلاح (رقم 26 في هذا الكتاب).

(7) انظر ترجمة الأعصم القرمطي (رقم 40).

(8) انظر تفاصيل الحرب بالشام في ترجمة إبراهيم بن جعفر بن فلاح (رقم 45).

وصار النابلسي إلى دمشق فراراً من القائد أبي محمود عندما استولى عليها، وقد كان النابلسيّ قام بالرملة عندَ ورود القرمطيّ ودعا إلى قتال المعزّ. فلمّا نزل أبو محمود على دمشق لثمانٍ بقين من شهر رمضان سنة ثلاث وستّين وثلاثمائة [16 جوان 974] قبض ظالم بن موهوب على النابلسي وأخرج به[9]، ومعه أبو المنجّى نائب القرمطيّ على دمشق وولدُه، إلى أبي محمود فعمِل كلّ واحدٍ منهم في قفصٍ من خشَب، وحملهم إلى المعزّ.

قال ابن زولاق في كتاب سيرة المعزّ لدين الله أبي تميم معدّ:

ولأربع خلونَ من ذي القعدة ـ يعني سنة ثلاث وستّين وثلاثمائة ـ [27 جويلية 974] وصل ابن النابلسي وأبو المنجّى وابنه ونيف وعشرون رجلاً من القرامطة فطيف بهم على الإبل بالبرانس والقيود. وكان ابن النابلسي ببرنس مقيّد[اً] على جملٍ [و] خلفه رجل يمسكه، والناس يسبّونه ويشتمونه ويجرّون برجله من فوق الجمل، واشتغلوا بسبّه عن الذين كانوا معه. فلمّا فرغ التطواف ردّوا إلى القصر، عُدل بأبي المنجّى[10] وابنه ومن معهُما من القرامطة إلى الاعتقال، وعدل بابن النابلسيّ إلى المنظر[11] ليُسلخَ. فلمّا علِمَ بذلك رمى نفسَه على حجارة ليموت، فرُدَّ وحُمل على الجمل، فعاد ورمى نفسَه فرُدَّ وشدَّ وأُسرِع به إلى المنظر فسُلخ وحُشِيَ جلدُه تبناً، ونُصبت جُثّتُه وجلدُه على الخشب عند المنظر[12].

وروى الحافظ السِّلَفي[13] عن محمد بن علي الأنطاكي قال: سمعتُ

(9) عدّي الفعل بالحرف أيضاً لأن المعنى: وأخرج جيشاً أو رفقةً به، أي بابن النابلسيّ.

(10) أبو المنجّى: في الاتّعاظ، 249، اسمه عبد الله بن عليّ.

(11) المنظر: يبدو أنّه ميدان يشرف عليه قصر الخليفة، والمقريزي في الخطط يذكر «المنظرة» وخصّص لهذه المناظر باباً.

(12) في منتظم ابن الجوزي ـ تحت سنة 365 ـ وصف مطوّل لسلخ ابن النابلسيّ، ومقارنة بين قساوة العبيديّ وشفقة اليهودي الذي أوكل إليه عمليّة السلخ.

(13) السِّلفيّ (ت 576 / 1180): محدّث له معجم في شيوخ بغداد.

ابن الشعشاع المصريّ يقول: رأيت أبا بكر النابلسيّ بعد ما قُتل، في المنام وهو في أحسن هيئةٍ فقلت: «ما فعَلَ الله بك؟» فقال (وافر):

حبـاني مـالـكي بـدوام عـزٍّ   وواعـدَنـي بـقـرب الانـتـصـار
وقـرّبـنـي وأدنـانـي إلـيـه   وقـال: أنعمْ بعيش فـي جِـواري

وقال القراب[14] عن الماليني[15]: وكان - يعني النابلسي - نبيلاً جليلاً رئيس الرملة كثير الحديث، هرب إلى دمشق فأخذ، وسُلِخَ وصلب بمصر.

* * *

التعليق: الترجمة من مخطوط ليدن: 75 أ - ب.

ويبدو من هذه الترجمة وممّا لخّصه ابن الأثير (سنة 363) من أخبار ابن النابلسي أنّ هذا الزاهد الشاميّ كان يحقد على الفاطميّين بمثل حقد فقهاء القيروان على عبيد الله وطقوسه.

فهذا الموقف يذكّرنا بموقف أبي إسحاق السبائي من المعزّ (انظر رياض النفوس في ترجمته).

(14) القرّاب السرخسيّ (ت 429 / 1038): محدّث مؤرّخ من هراة.

(15) الماليني (ت 412 / 1023) أحمد بن محمد: حافظ متصوّف.

33 ـ محمد بن الحسن بن علي الكلبيّ (319 ـ 363)

محمد بن الحسن بن علي بن أبي الحسين، أبو عبد الله الصقلّي، أحد أمراء صقليّة المعروفين ببني أبي الحسين. [ولد سنة تسع عشرة وثلاثمائة][1].

[وقدم من صقليّة إلى المهديّة على المعزّ لدين الله في سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة [969/] عندما كتب المعزّ إلى الأمير أبي القاسم[2] أحمد بن الحسن بن عليّ أن يرحل إلى إفريقية بأهله وماله وجميع من يتعلّق به، فاستخلف على صقلّية يعيش مولى أبيه الحسن بن عليّ[3]].

---

(1) إضافة من ترجمة الصفحة 203. على أنّ المقريزي سيذكر تاريخ الولادة في آخر الترجمة الورقة 208: وكان مولده في سنة 319.

(2) الأمير أحمد بن الحسن يكنى أبا الحسين. أمّا أبو القاسم فأخوه علي بن الحسن الذي خلفَه على صقليّة بعد فترة يعيش.

(3) في الكامل (سنة 359) أنّ المعزّ هو الذي استعمل يعيش على صقليّة، ثمّ عوّضه بأبي القاسم [عليّ] بن الحسن فوليها من 359 إلى استشهاده في معركة مع الروم سنة 371 (الكامل تحت السنة) أو سنة 372 (نهاية الأرب، 24/ 375). هذا في خصوص علي بن الحسن.

أمّا أحمد بن الحسن، فقد توفّيَ بطرابلس في 27 ذي الحجّة 360 وقد كان خرج إليها من صقليّة في أسطول عظيم لدعم الجيش الفاطميّ بمصر (ابن الخطيب: أعمال الأعلام، 51) في شوّال 359.

ومحمّد بن الحسن صاحب الترجمة، وكنيته أبو عبد الله، هو غير أخويه، أبي القاسم علي الذي ولي صقليّة بعد أحمد ثمّ يعيش في نصف شعبان 359، وأبي الحسين أحمد.

وعليه ففي هذه الترجمة التباس من وجهين: =

وقدم أبو عبد الله هذا إلى مصر مع المعزّ، وكان أخصّ الناس به وأقربهم إليه. فلم يزل بالقاهرة إلى أن مرض، فعاده المعزّ في مرضه.

ومات لإحدى عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة ثلاث وستّين وثلاثمائة [9 مارس 974][4]، فغسله القاضي النعمان بن محمد، وصلّى عليه المعزّ، وفتح تابوته، وأضجعه بيده هو [وابنه الأمير عبد الله بن المعزّ][5] ودُفِنَ في داره بالقاهرة.

* * *

التعليق: تكرّرت الترجمة كما قلنا في ورقتين، 203 و 208 من المخطوط واختلفت.

وقد نقل العلاّمة ميكال أماري النصّ الثاني (ص 664 من المكتبة العربيّة ـ الصقليّة) ولم ينتبه إلى النصّ الأوّل، وبالتالي لم ينتبه إلى الخلط الممكن بين أميرين من أسرة الكلبيّين الصقليّين.

= 1 ـ تكنية أحمد بن الحسن بكنية أخيه علي (وسنتبيّن من ترجمة جعفر بن محمد بن الحسن، ابن المترجم هنا، أنّ أبا القاسم هو عليّ). وهذه الكنية، أبو القاسم، قد تنطبق على من اسمُه محمد، مثل كنية أبي عبد الله أيضاً.

2 ـ السكوت عن سبب خروج مترجمنا إلى المهديّة. فالمصادر ـ ومنها المقفّى ـ تقول إنّ المعزّ استدعى الأمير أحمد بأهله وماله، ولا تقول إنّ الدعوة شملت أخاه الأمير محمّداً.

والرأي عندنا أنّ المقريزي خلط بين الأخوين: أحمد، في خروجه إلى طرابلس، ومحمد، في التحاقه بالمعزّ في مصر. وهذا الخلط قد وقع له في ترجمة أبي العرب التميمي التي شملت عناصر من ترجمة حفيده. وإنّ حذف هذه الفقرة التي جعلناها بين مربّعين من أحد النصّين لدليل على أنّ المقريزي قد تنبّه إلى الخلط، وأنّه ربّما أصلح الأمر عند تبييض مُسَوَّدَة المقفّى، إن قدّر له أن يبيّضها.

(4) وفاته في الترجمة الأولى (ورقة 203) كانت يوم الجمعة لثمانٍ خلون من جمادى الأخر 363 / 6 مارس 974. وفي الاتّعاظ، 1 / 202، أن القاضي النعمان توفّي أوّل رجب، بعد تسعة عشر يوماً من وفاة محمد بن الحسن. فتكون وفاة المترجم يوم 11 جمادى الآخرة، وهو يوم اثنين. فلذلك أصلحنا جمادى الأولى بالثانية كما في الترجمة الأولى، وأسقطنا منه يوم الجمعة.

(5) سقط ذكر الأمير عبد الله من الترجمة الأولى.

34 ـ عبد الله بن عبيد الله الحسينيّ (ـ 363)

عبد الله بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أخو أبي جعفر مسلّم[1] الحسيني، أبو محمّد.

وأنفذه كافور على جيش كبير في يوم عرفة سنة أربع وخمسين وثلاثمائة [7 ديسمبر 965] ليخلّص من بني سليم ما أخذوا للحاجّ. فسار إلى تبوك، ولم يقدر على بني سليم، وعاد في المحرّم خمس وخمسين وثلاثمائة [جانفي 966] وقد ظفر بمال ممّا أخذ للتجّار فأودعه بزقاق القناديل[2] في مصر.

وخرج إلى الرملة في يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من صفر سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، وقد فوّض إليه الأستاذ كافور الإخشيديّ تدبير الشام. فمات كافور في جمادى الأولى منها [افريل 968]. وكتب الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات إليه، يأمره بالاجتماع مع الحسن بن عبيد الله بن طغج أمير الرملة ويعقد عليه البيعة لأبي الفوارس أحمد بن عليّ بن الإخشيد محمّد بن طغج بمحضر من القضاة والعلماء والشهود، ففعل ذلك. فامتنع عليه الحسن ابن عبيد الله، ثمّ أجاب على أنّه يجتمع مع ثمال العقيلي، فأجابه عبد الله إلى

(1) هكذا جاء الاسم مشكولاً بتشديد اللام وفتحها. ولم يتكرّر الشكل.

(2) زقاق القناديل صار يطلق على محلّ الودائع من أموال اليتامى والغيّب، ويبدو أنّ الاسم والموضع والوظيفة قديمة سبقت عهد الحاكم بكثير، خلافاً لما في كتاب الولاة والقضاة، 597 (ترجمة القاضي محمد بن النعمان).

ذلك. ومضى عبد الله إلى ثمال فدخل ثمال إلى الرملة فحاربا الحسن بن عبيد الله فحاربهُما وهزمَهُما. فحُكِي عن عبد الله أنّه دعا إلى نفسه وتسمّى بالمهديّ.

فلمّا قدمت القرامطة صار إليهم، إلى أن قدم المعزّ إلى القاهرة في شهر رمضان سنة اثنتين وستّين وثلاثمائة [جوان 973]، وسار القرامطة لحربه، وهو معهم. فشكاه المعزّ إلى أخيه أبي جعفر مسلم، وكتب إليه مع أبي جعفر أحمد بن نصر لصداقة كانت بينه وبين عبد الله. وكان القرمطيّ قد بعثه إلى الصعيد فنزل بنواحي أسيوط وأخميم وحاصر علي بن غَفْيَانَان وحاربه واستخرج الأموال. فثقل ذلك على المعزّ وعاتب الشريف مسلم فاعتذر إليه وتبرّأ من أخيه عبد الله.

وأوغل عبد الله في الصعيد وقتل جماعة من المغاربة وأسر كثيراً، ثمّ عاد إلى إخميم. فبلغه هزيمة الجيش القرمطيّ بظاهر القاهرة. [فـ]ـركب البحر إلى عينونا[3] ومضى إلى الحجاز فنزل المدينة. ثمّ خاف فسار إلى الأحساء ولحق بالقرامطة يستنهضهم لحرب المعزّ، فلم يجد فيهم قوّةً لذلك. فتركهم وسار إلى العراق، فبعثوا في إثره ابن سنبر[4] فسمّه في لبنٍ بموضع يقال له الجعفريّة[5] على ميلين من البصرة، فقام مائتي مجلس في ليلة ومات في موضعه. فغسّل وكفّن وحُمل إلى البصرة وصُلِّي عليه ودفن بها. ثم حمل إلى المدينة.

وكان موته في سنة ثلاث وستّين وثلاثمائة.

* * *

---

(3) عينون عند ياقوت وعين أُنا، ونقل عن البكري أنها قرية يطؤها طريق المصريين إذا حجّوا، وهو كلام من غير معجم ما استعجم.

(4) ابن سنبر: لعلّه سنبر بن الحسن بن سنبر أبو محمد، الذي ترجم له عمر السعيدي في ذيول العيون والحدائق، 547، وهو أحد وزراء أبي طاهر الجنابي القرمطي (انظر الإحالات في المرجع المذكور).

(5) هذه جعفريّة البصرة ولم يذكرها ياقوت، وإنّما ذكر جعفريّة بغداد.

التعليق: الترجمة في مخطوط باريس، 233.

نقل المقريزي هذه الأحداث باختصار شديد في الاتّعاظ، 203، وكذلك فعل ابن القلانسي فيما يخصّ الأحداث بالرملة (ذيل، 2).

وانضمام هذا الزعيم الحسيني إلى القرامطة يقابل تواطُؤَ أخيه أبي جعفر مع الفاطميين. وذكر المقريزي أخاً ثالثاً لهما يسمّى عيسى (اتّعاظ، 202) لكنه لم يذكر له موقفاً من المعز.

35 ـ إبراهيم بن كلّس (ـ بعد 364)

إبراهيم بن يوسف بن كلّس، أخو الوزير يعقوب.

ولّاه المعزّ لدين الله خراج الشامات في ربيع الأوّل سنة أربع وستّين وثلاثمائة [نوفمبر ـ ديسمبر 974].

* * *

التعليق: الترجمة من مخطوط السليميّة ورقة 68.
ولا نعرف عنه غير هذا. وفي كتاب الاتّعاظ، 47/2 هامش 1، ورد اسم أخٍ ثالث يدعى أبا إبراهيم سهل بن كلس كان في جملة من قتلهم الحاكم سنة 394 وحرّقهم.

36 ـ خلف بن جبر (ـ 364)

أحد ثوّار المغرب. صعد في بني هراش[1] إلى قلعة منيعة واجتمع إليه خلق كثير من قبائل البربر. فزحف إليه أبو الفتوح يوسف بن زيري بن مناد خليفة المعزّ على إفريقية وبلاد المغرب في عساكر عظيمة ونزل عليه فقاتله أربعة أيّام فمات من الطرفين خلق عظيم حتى أخذ القلعة في يوم الأربعاء عاشر شعبان سنة أربع وستين وثلاثمائة [25 إفريل 975][2] ودخلت إليه خيلُه وقد فرّ خلق. فقتل فيها من الخلق ما لا يحصى عددهم وبعث منها سبعة آلاف رأس طيف بها في القيروان.

ثمّ حمل منها إلى مصر عدد كبير طيف به في القاهرة وغنم أصحاب أبي الفتوح ما كان بالقلعة.

ووصل خلق إلى بلاد كتامة فقبضوا عليه وعلى ابنه وأخيه وخمسة من بني عمّه وحملوهم إلى أبي الفتوح فبعث بهم إلى مدينة القيروان فشهّروا بالمنصورية يوم الاثنين لخمس خلون من شهر رمضان ثمّ قتلُوا وصلبوا وحملت رؤوسهم إلى مصر فطيف بها في القاهرة في شوّال، فلذلك ذكرت خلفاً هذا، وهو من شرط هذا الكتاب.

* * *

(1) بنو هراش: قوم من أهل الأوراس في جهة سوق أهراس الحاليّة. انظر عيون الأخبار، 128 هامش 92.

(2) هو يوم الأحد في جداول كاتينوز.

التعليق: الترجمة من مخطوط السليميّة ورقة 434.

هؤلاء مغاربة دخلوا مصر، ولكن برؤوسهم فقط وقد حنّطت، كما دخل محمد بن الخير بن خزر، وكما دخلها المنصور العبيدي تراباً في تابوت: ذاك ما يسميه المؤلّف: شرط هذا الكتاب، أي من دخلوها أحياءً أو أمواتاً.

وهذا الثائر، سمّاه هـ. ر. إدريس، 50: خلف بن خير.

37 ـ عبد الله بن علي بن المنجّى (ـ بعد 364)

أبو المنجّى القرمطيّ.

قدم مع الحسن بن أحمد الأعصم القرمطيّ من الأحساء على دمشق في ذي القعدة سنة ستين وثلاثمائة. وتركه على حصار سعادة بن حيّان بيافا، ومعه ظالم بن موهوب العقيليّ. وسار إلى مصر فقاتله جوهر القائد وهزمه. فرحل أبو المنجّى وظالم عن يافا ونزلا على دمشق. فاختلف أبو المنجّى مع ظالم بسبب أخذ الخراج، وأراد كلّ منهما أخذه لينفقه في رجاله.

فقدم الحسن بن أحمد بعد هزيمته من ظاهر القاهرة إلى بلده، ونزل على الرملة، فلقيَه أبو المنجّى وعرّفه ما جرى بينه وبين ظالم من الاختلاف. وكان أبو المنجّى أثيراً عند الحسن القرمطيّ يولج[1] إليه أمورَه ويستخلفُه على تدبيره. فقبض على ظالم وحبسه.

فلمّا انهزم الحسن من المعزّ نزل أذرعات وأنفذ أبا المنجّى في طائفة من الجند إلى دمشق، وكان ابنه[2] والياً عليها. فوصل دمشق واستولى عليها.

وكان ظالم قد تفلّت ونزل بعلبك. فلمّا رجع الحسن بن أحمد إلى الأحساء اتفق ظالم مع أبي محمود إبراهيم بن جعفر بن فلاح على قتال أبي

---

(1) هكذا في المخطوط.

(2) لم يذكر الصفدي في أمراء دمشق اسم الابن (ص 50 و 87).

المنجّى. وسار ظالم من بعلبك حتى وافى عقبة دُمَّر[3] فخرج إليه أبو المنجّى في ألفين من الجند، فتركه كثير منهم ولحقوا بظالم، فطرق ظالم أبا المنجّى بالميدان وقبض عليه وعلى ولده بعد أن وقعت فيه ضربة، وصار جميع من معه إلى ظالم، وملك دمشق في يوم السبت العاشر من شهر رمضان سنة ثلاث وستّين [وثلاثمائة / 4 جوان 974]، وسجنه وابنه في عدّة من أصحابه وأخذ أموالهم.

فنزل أبو محمود على دمشق يوم الثلاثاء، ثاني عشر منه، فسلّم إليه ظالم أبا المنجّى وابنه ومحمد بن أحمد بن سهل النابلسيّ[4]، فعمل لكلّ منهم قفصاً من خشبٍ وحملهم إلى المعزّ لدين الله. فقدموا القاهرة لأربع خلون من ذي القعدة [27/363 جويلية 974] فطيف بهم على الإبل بالبرانس والقيود في نيف وعشرين رجلاً من القرامطة خلفهم على الإبل. ثمّ سُجن الجماعة وقتل ابن النابلسيّ. فلم يزل أبو المنجّى في الاعتقال إلى أن أطلق لخمس بقين من المحرَّم سنة أربع وستّين [وثلاثمائة / 15 أكتوبر 974] هو وابنه، وخلع عليه وحُمل، وأطلق معه بضعة عشر من القرامطة.

* * *

التعليق: الترجمة من مخطوط باريس، 247.

الأحداث المرويّة هنا رويت في تراجم أُخر، مثل ترجمة الأعصم وجعفر بن فلاح وابنه إبراهيم، وابن النابلسي الزاهد المناوىء للفاطميّين.

وهذه الحروب والفتن تدلُّ على أن النفوذ الفاطميّ بالشام لم يستقرّ نهائياً كما وقع بمصر، وأنّ الأحلاف لم تكن تخضع دائماً لاعتبارات مذهبيّة، وإن كان تسامح المعزّ مع القرامطة، إذ أطلق سراحهم بعد شهرين فقط من الاعتقال، دليلاً على ميله إلى استدراجهم أو على الأقل، إلى اتقاء شرِّهم.

(3) عقبة دُمّر: شمالي دمشق في الغوطة على طريق بعلبك (ياقوت).

(4) ابن النابلسي الزاهد الشهيد: انظر ترجمته في هذا الكتاب (رقم 32).

37 م - باغر العلويّ (293 - بعد 364)

محمد بن أحمد بن عبيدالله بن علي - يعرف بباغر - ابن عبيدالله بن عبدالله بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أو الحسن، ابن أبي العبَّاس، ابن أبي علي، ابن أبي الحسن العلويّ.

ولد بالكوفة سنة ثلاث وتسعين ومائتين. وانتقل إلى الرملة، وتقدَّم عند السلاطين لصيانته وعلمه وسنّه.

وصار إلى مصر هارباً من الفتنة سنة اثنتين وستِّين وثلاثمائة وأقام بها، فأكرمه جوهر. ثمَّ لمَّا قدم المعزّ لدين الله ولَّاه الصلاة والقضاء والحسبة والأوقاف ودار الضرب بالرملة سنة أربع وستِّين [وثلاثمائة] فخرج إليها ومات بها.

* * *

التعليق: الترجمة في مخطوط ليدن 1 ورقة 84 ب.
ولم نجد تعريفاً آخر بباغر هذا.

38 ـ جبر بن القاسم الكتاميّ (ـ 365)

قدم مع المعزّ إلى القاهرة. وردّ إليه الشرطة السفلى[1] عوضاً عن [ابن] غزويه بن إبراهيم وشبل المعرّضي[2] في جمادى الآخرة سنة ثلاث وستّين وثلاثمائة [مارس 974]، فشدَّد على المغاربة في خروجهم من مدينة مصر وسكناهم بالقاهرة. ثمَّ ردَّت إليه الشرطة العليا فصار يتولَّى الشرطتين.

وولي تنيس ودمياط والجِفار[3].

* * *

التعليق: الترجمة في مخطوط السليميّة، 293 ب.

هذا الموظف الكتامي يسمَّى جبر بالمعجمة لا حبر كما في الاتِّعاظ، وقد جاء في المقفى قبل جبلة وجرجيس وجعفر إلخ...

وقال ابن سعيد: النجوم، 354 إنَّه وزر للعزيز، ولم يزد.

(1) الشرطة السفلى هي شرطة الفسطاط أو مدينة مصر. والشرطة العليا هي شرطة القاهرة (انظر تعليق المرحوم الشيَّال في الاتعاظ، 156 هامش 3).

(2) شبل المعرضي: سمَّاه جوهر على الشرطة السفلى في شوَّال سنة 358 عوضاً عن عليّ بن [الحسين بن] لؤلؤ (اتِّعاظ، 165). أمّا عروبة بن إبراهيم، المذكور في الاتعاظ، 196، فلعلّه «آبـن غزويه المغربيّ» الذي يذكره المقريزي في ترجمة جوهر، ص 343، مقروناً أيضاً بشبل المعرّضي.

(3) الجِفار: «هو الرمل الذي بين غزَّة والعريش» (كتاب الولاة والقضاة، 506).

39 ـ عبد الله بن أحمد بن سُليم الأسوانيّ
(ـ بعد 365)

بعثه القائد جوهر بكتابه إلى قيرقي[1] متملِّك النوبة يعرض عليه فيه الإسلام ويستأدي منه ما عليه من البَقْط[2]. فدعاه إلى الإسلام بحضرة شاهدَين أُخرِجا معه. فكبر ذلك عليه، وجمع علماءه وأساقفتَه[3]، وأحضر ابن سليم للمناظرة، وقرأ عليه كتاباً جواباً عن الكتاب الوارد معه، يدعو جوهرا إلى النصرانيّة ويحتجّ فيه كما احتجَّ عليه بنسخ الشرائع، فطالت بينهُما المناظرة.

ثمَّ عاد إلى ذكر طاعته وموالاة أبيه وأخيه من قبل. فأعلمه ابن سُلَيم أنَّ هذا الذي دُعِيَ إليه يُوجِبُ الشُكْرَ عليه لأنَّه اختار له ما اختاره لنفسه، ويجب أن يحمدَ الله على ما أولاه من إبقائه على ملكه، لأنَّ الإسلام لمَّا ظهر أزال ملوكاً كباراً من الأكاسرة وغيرهم، وأقربها إليه أرض مصر، فأيّها أكبر: ملك مصر أو ملكك؟

فقال له: أمَّا في الحال والمال فمصر. وأمَّا الرجال فنحن أكثرُ عدداً ومدداً.

(1) قيرقي ملك النوبة: يسمِّيه المقريزي في ترجمة ابن عبد الحميد العمري الناسك (ورقة 164 من مخطوط باريس): قيري ـ وقيرقي ـ بن زكريا بن بحنس. ولما كانت الوقائع بين العمري وملك النوبة دارت في عهد أحمد بن طولون، فالمفروض أنَّ ملك النوبة في عهد جوهر هو حفيد قيرقي الأوَّل. وقد ترجم ج. طروبو G. Troupeau كلام المقريزي عن بلاد النوبة في فصل له بمجلة أرابيكا، 1954 ص 276.

(2) البقط: «أن تعطى الجِنَانُ على الثلث أو الربع» (اللسان) واستأداه المال والدَّين ونحوه: طلب منه أن يؤدِّيَه له.

(3) كان النوبة إذ ذاك نصارى يَعَاقِبة كما جاء في خطط المقريزي.

فقال: إن احتجَجتُ عليك بأنَّ رجال مصر أكثر من رجالك ظلمتك في الاحتجاج لأنَّك تقول لي: قد رأيتَ رجال مصر. وأمَّا رجالي وعامَّتهم وما ورائي من البلد الفلانيّ والفلانيّ فلم تَرَهم. غير أنِّي أحتجّ عليك بما لا يمكنك دفعُه: هل تعلم أنَّ في الدنيا درجةً فوق المَلِك؟

قال: لا.

قال: فإنَّ مَلِكَ مصر بعث الله إليه موسى وهارون أجلّ الرسل يقول لفرعون: أنت ملك. فيأبى عليه ويقول: بل أنا إلاه. فما ظنُّك بملِك يبلُغ طغيانُه إلى الخروج إلى هذا؟ وقد أزاله المسلمون وملكوا أكثر كراسيّ النصرانيّة مثل الإسكندرية وبيت المقدس وأنطاكية وغير ذلك من البلدان والأمصار، فيجب أن تحمد الله على ما أعطاك، وتشكره على ما خوَّلك، وبقّاه عليك من نعمِه عندك، وورّثك من تيجان أسلافك.

ففعل ذلك وأكثر التذلُّل لله عزَّ وجلَّ والثناء عليه.

وصنَّف كتاب «أخبار النوبة والمَقُرَّة وعَلوة والبُجَة والنيل ومَن عليه ومَن قَرُب منه»[4] من غيرهم للعزيز بالله أبي منصور بن المعزّ لدين الله، وقدَّمه إليه وفيه فوائد كثيرة. وذكر فيه أنَّه حصل عيد الأضحى وهو عند ملك النوبة، فخرج إلى ظاهر المدينة في نحو ستين من المسلمين، ونشر بندين عليهما اسم المعزّ لدين الله وضرب الطبلَ والبوق وصلَّى بالجماعة صلاة العيد، فأحبَّ أولياء الملِك من صاحِبِهم الإنكارَ عليه فأبى عليهم وقال: هذا رجل فارق / أهله ووطنه، وهو يومُ سرور يريد أن يتجمل بفعله هذا فلا انحل عليه [227 ب]
به[5].

* * *

(4) هذا اسم كتاب واحد. وقد نقل منه المقريزي فصولاً في الخطط. كما نقل منه المنوفي وابن إياس في قول ج. طروبو في فصله المذكور، 276. والمقـرَّة وردت عند يـاقوت بشكـل «المقرِّي». وانظر فصل «علوة» في دائرة المعارف الإسلامية.

(5) قراءة ملتبسة.

التعليق: الترجمة في مخطوط باريس ورقة 227.

لم يتبسَّط المقريزي في ترجمة الأسواني، فلم يذكر سنة وفاته، ولا وظيفته لدى جوهر عدا هذه الرسالة إلى ملك النوبة. والترجمة مفيدة من جهة هذه الوظيفة التبشيرية عند جوهر القائد، وقد علمناه قائداً مظفراً وأميراً محنّكاً في تدبير شؤون الدولة.

وقد أطنب المقريزي في وصف بلاد النوبة عند ترجمتِه لعبدالله بن عبد الحميد العمري كما أسلفنا (مخطوط باريس، 164).

40 ـ الأعصم القرمطي (278 ـ 366)

الحسن بن أحمد بن الحسن بن بهرام أبو عليّ ـ وقيل: أبو محمَّد ـ بن أبي منصور بن أبي سعيد الجنابيّ، ويعرف بالأعصم القرمطيّ.

وقيل فيه: الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنّابيّ، واسمه الحسن بن بهرام.

ويقال: الحسن بن أحمد بن الحسن بن يوسف بن كودركار.

ولد بالأحساء في رمضان سنة ثمان وسبعين ومائتين [ديسمبر 891 ـ جانفي 892].

وهذه الطائفة التي تُعرف بالقرامطة قد عظم في العالم أمرها، وشنع بين الخليقة ذكرها، ودوَّخوا الممالك والأقطار، وأذلّوا أعزّة أهل البلد وسكان الأمصار. وسأتلو من أنبائهم جملةً توقفك على كنه أحوالهم، فأقول:

[لقاء حسين الأهوازي بحمدان قرمط]

إنَّ ابتداءَ أمر هذه الطائفة كان من رجل من الشيعة يعرف بـ «حسين الأهوازي»، سكن عسكر مُكْرَم وتحوَّل إلى البصرة، ثمَّ صار إلى سلميّة من أرض حمص فأقام بها مدَّة. وخرج داعيةً إلى العراق فصادف بطريقه في سواد الكوفة رجلاً يعرف بـ «حمدان بن الأشعث» ـ ويقال له: قرمطة، من أجل أنَّه كان قصيرَ القامة قصيرَ الرجلين متقارب الخطى ـ وهو ماشٍ ومعه ثور. فسأله

الحسين عن الطريق إلى قرية يقال لها «قس بهرام»، فقال له حمدان: أنا قاصدُها.

فتماشيًا ساعةً، وعرض حمدان على الحسين أن يركب ثوره فأبى ذلك وقال: لم أؤمرْ بذلك.

فقال له حمدان: كأنك تعمل بأمرِ آمرٍ لك؟

قال: نعم.

قال: ومَن يأمرُك وينهاك؟

قال: مالكي ومالكُك ومَن له الدنيا والآخرة.

فبهت حمدان أن يفكّر. ثمَّ نظر إليه وقال: يا هذا، ما يملك ما ذكرتَه إلاَّ الله.

قال: صدقت. والله يهَب ملكه لمن يشاء.

قال حمدان: فما تريد في القرية التي سألتني عنها؟

قال: رُفع إليَّ جرابٌ فيه عِلم سرٍّ من أسرار، وأُمِرْتُ أن أشفيَ هذه القرية وأغنِيَ أهلها وأستنقذهم وأملّكَهم أملاك أصحابهم.

وشرع يدعوه. فقال له حمدان: يا هذا نشدتك الله إلاَّ دفعتَ لي من هذا العلم الذي معك وأنقذتني، ينقذك الله!

فقال: لا يجوز ذلك أو آخذ عليك عهداً وميثاقاً أخذه الله على النبيِّين والمرسلين، وألقي إليك ما ينفعك.

فما زال حمدان يضرع إليه حتى جلسا وأخذ عليه العهد. ثمَّ قال له: ما اسمُكَ؟

فقال له: حمدان بن الأشعث قرمط. وأسألك أن تسير معي إلى منزلي حتى تجلس فيه، فإنَّ لي إخواناً أصيِّرُهم إليك لتأخذ عليهم العهد للمهديّ.

فسار معه إلى منزله، وجمع عليه حمدان الناس فأخذ عليهم العهد. واغتبط به حمدان لكثرة ما شهدَه من خشوعه وصيام نهاره وقيام ليله. وشهر أمرُه في أصحابه حتى كان أغبط الناس به مَن أخذه إلى منزله. وكان يخيط لهم الثياب فيتبرَّكون بخياطتِه، ويرتزق من أجرتها إلى أن أدركَ التمرُ. فوُصف لأبي عبدالله محمد بن عمر بن شهاب العدوي، أحد وجوه الكوفة وعلمائها وفضلائها، أمرُ الحسين الأهوازيّ، فنصبه لحفظ تَمْره، فأحسن القيام في حفظها، وبالغ في أداء الأمانة، وخرج عن الحدِّ في كثرة التشدُّد، وذلك في سنة أربع وستين ومائتين [877/ - 878]. فاستحكمت ثقة الناس بالحسين إلى أن حضرَته الوفاة، فعهد لحمدان بن الأشعث قرمط، وأقامه مقامه وقضى نحبَه.

[حمدان قرمط يخلف حسين الأهوازي بعد وفاته]

وكان قد استجاب له مهرويه بن زكرويه السلماني الصواني، وجلندى الرازي، وعكرمة البابلي، وإسحاق البوراني، وعطيف النيلي في آخرين. وبث دعاته في السواد يأخذون على الناس العهود. وكان أكبر دعاته عبدان الأهوازي ختن قرمط، فقام في الدعوة وبثَّ الدعاة في أعمال السواد بالكوفة، فدخل / في دعوة قرمط بنو ضبيعة بن عجل من ربيعة، وبنو يشكر من بكر بن وائل حتى لم يتخلَّف عنه رفاعي ولا ضبعي إلاَّ ودخل في دعوته ودان بها. [245 أ] ولم يبق من بطون العرب المتَّصلة بواسط بطن إلاَّ استجابَ له. فدخل في دعوته كثير من بني عابس ومن ذهل وعنزة وتيم الله وبني ثعل، وهم معظم سواد الكوفة، فقوِيَ قرمط وأخذ يجمع أموالهم.

فكان أوَّل ما فرض عليهم «الفطرة»، وهو درهم يؤخذ من كلّ واحدٍ من الرجال والنساء والصبيان، فسارعُوا إلى ذلك وحملوه إليه.

ثمَّ فرض عليهم «الهجرة»، وهي دينار على كلّ رأس أدركَ الحنث وتلا عليهم قول الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا،

وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إنَّ صَلَوَاتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ، والله سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (التوبة، 103) وقال لهم: هذا تأويلُ هذا.

فدفعُوا ذلك إليه وتعاونُوا عليه حتى إنَّ مَن كان منهم فقيراً أسعفوه.

ثمَّ فرض عليهم «البلغة»، وهي سبعة دنانير، وقال: هذا هو البرهان الذي أراده الله تعالى بقوله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة، 111). وقال: هذا بلاغُ مَن يريدُ الإيمَانَ والدخولَ في السابقينَ، ﴿أولَائِكَ المُقَرَّبُونَ﴾ (الواقعة، 11). فكان من أدَّى سبعة دنانير عن البلغة أطعمه شيئاً حلواً لذيذاً في قدر البندقة وقال له: «هذا طعام أهل الجنَّة نزل إلى الإمام». وصار يبعث إلى كلّ داع منها مائة بلغة ويطالبه بسبعمائة دينار، عن كلّ واحدة سبعة دنانير.

ثمَّ فرض عليهم الخمسَ من كلّ ما يملكونه وما يكسبونه، وتلا عليهم قول الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أنَّ مَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإنَّ لله خُمُسَهُ﴾... الآية (الأنفال، 41). فبادروا إلى ذلك وقوّمُوا سائرَ ما يملكونه من ثوب وغيره وأدَّوا منه الخمس، حتَّى إنَّ المرأة كانت تُخرِج من غَزلها خُمُسَه والرجل يخرج الخمس ممَّا يكسبه.

ثمَّ فرض عليهم «الألفة» وهي أنَّهم يجمعون أموالهم في موضع واحدٍ، وأن يكونوا فيه كلّهم أسرة واحدة لا يفضل أحدٌ من أصحابه على صاحبه ولا أخيه في مُلكٍ يملكُه بشيءٍ البتةَ، وتلا عليهم قول الله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إذْ كُنْتُمْ أعْدَاءً فألَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إخْوَاناً...﴾ الآية (آل عمران، 103) وقوله تعالى: ﴿لَوْ أنْفَقْتَ مَا فِي الأرْضِ جَمِيعاً ما ألَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِم وَلَكِنَّ الله ألَّفَ بَيْنَهُمْ إنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال، 63). وقال لهم: لا حاجة بكم إلى الأموال فإنَّ الأرضَ بأسرها ستكون لكم دون غيركم. وقال لهم: هذه مِحنتُكم التي امتُحنتُم بها ليعلَمَ كيف تعمَلون. وألزمهُم بشراء السلاح في سنة ستّ وسبعين ومائتَين [889 - 890] وأقام في كلّ قرية رجلاً مُختاراً من الثقات تجمع عنده أموال قريته مِن غنم وبقر وحلي ومتاع وغير

ذلك، فكان يكسو عاريَهم وينفق عليهم ما يكفيهم حتّى لم يبقَ بينهم فقير ولا محتاجٌ. وأخَذَ كلّ رجل منهم بالانكماش في صناعته والكسب بجهده ليكون له الفضلُ في رتبتِه، وجمعت إليه المرأة كسبَها من مغزلها، وأدَّى إليه الصبيُّ أجر نِطارته وحراستِه للطير ونحوه، ولم يبق في ملك أحد منهم غير سيفه وسلاحه لا غير.

ثمَّ لمَّا استقام له ذلك كلّه أمر الدعاة أن تجمع النساءُ في ليلةٍ عيَّنها ويختلطنَ بالرجال حتّى يتراكبن، وقال: «هذا من صحَّة الودّ والإلف». ففعلوا ذلك.

ثمَّ إنَّه أفشى فيهم إباحةَ الأموال والفروج، والغِنى عن الصوم والصلاة وجميع الفرائض، وقال: هذا كلّه موضوع عنكم، ودماءُ المخالفين وأموالُهم حلال لكم، ومعرفة صاحب الحقِّ تغنيكم عن كلّ شيءٍ ولا تخافون معه إثماً ولا عذاباً.

وعنى بصاحب الحق الإمام محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وقال: بِهذا الإمام اتَّسقت هذه الأمور، ولولاه لهلك الخلق وعدم الهدى والعلم.

فبسطوا أيديهم بسفك الدماء وقتلوا جماعةً ممَّن خالفهم. فخافهم الناسُ ووافقهم كثير من مُجاوريهم.

[بناء دار الهجرة]

ثمَّ إنَّ الدعاةَ اتَّفقُوا على بناء دار هجرة فأقاموا سوراً في قرية يقال لها «مهتماباذ» من سواد الكوفة، وجعلوا عُرضَه ثمانية أذرع، ومن ورائه / خندق [345 ب]
عظيم، وبنوا من داخل السور المباني، وتحوّل إليها الرجال والنساء، وذلك في سنة سبع وسبعين ومائتين [890 - 891]، كل ذلك والخليفة ببغداد

مشغول بصاحب الزنج وكثرة الغشّ. فلم يبق أحد إلاّ خافهم لقوّتهم وتمكّنهم في البلاد.

ومات عبدان. وكان منهم رجل يقال لَهُ مهرويه قد عُرف بالثقة والدين، فانقاد إليه خلق كثير وقال: أنا من ولد عبدالله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وصار يركب في قبّة على جمل ويُدعى بالسيِّد، وكان له ابن يقال له زكريوه، أحد الدعاة، ومن الناس من يسمِّيه [أبا] الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق. فاتُّهم زكرويه بقتل عبدان، فخاف ثمَّ تحوَّل من سواد الكوفة وأنفذ ابنه الحسين [بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق] ونزل سلميّة فوجد بها بني أبي الملاحف، وهم: أبو عبدالله الحسين بن أحمد وإخوته أبو العبَّاس [محمد بن] أحمد وحسن. فاستمالوه إلى القرمطة وحسّنوا له أن يدعو إلى أبيه محمد بن إسماعيل فأجابهم إلى ذلك.

وكان معه من أولاده أربعة هم:

أبو القاسم أحمد بن الحسين صاحب الجمل
وأبو الحسن علي صاحب الخال
وأبو محمد عبيدالله الذي ملك إفريقيّة
والقاسم الذي خرج مع أبيه الحسين بالهبير.

فخرج أبو القاسم أحمد في أوَّل المحرَّم سنة تسعين ومائتين [5 ديسمبر 902] في ألف رجل وتوجَّه إلى الرقّة وقاتل عاملها سباد الديلمي وقتله وأخذ جميع ما في عسكره، وسار إلى دمشق فخرج إليه طغج بن جفّ عاملُها من قِبل أبي موسى هارون بن أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون فهزمه أقبح هزيمة وقتل أكثر مَن معه وأخذ أموالهم، ونجا طغج إلى دمشق، فنزل أبو القاسم على دمشق من داريا إلى المزّة وحصرها سبعة أشهر حتى قدم بدر الحمامي بجيوش مصر. فزحف إليهم وقد ركب جملاً أحمر قدَّام عسكره، وحوله مائة أسودَ بسيوف وحَجَفٍ فكان إذا أشار بكُمِّه إلى ناحية من عسكره حملوا على عساكر مصر وهزموهم، إلى أن انتدَب له فارس من أهل مصر

[فـ]ـطعنه برمح أرداه عن الجمل ومات وقتل الفارس[1].

وقام من بعد أبي القاسم أخوه أبو الحسن عليّ صاحب الخال. فمضى بمَن معه عن دمشق. فبعث إليه المكتفي أبا الأغرّ السلميّ، فلقيَه على حلب وهزمه. فسيَّر إليه محمد بن سليمان الكاتب فواقعَهُ بناحية سلمية وقتل من أصحابه ستة آلاف رجل. وفرّ فقبض عليه وحمل إلى بغداد فدخل على فيل في ثاني ربيع الأوَّل سنة إحدى وتسعين [23/ جانفي 904] فصار يقول: «ألستُم يا فسَقة بقايا قتَلة الحسين بن علي؟» وضربت عنقُه وعنق المدّثر ابن أخيه ـ واسمُه عبدالله بن محمد بن الحسين بن محمد بن إسماعيل ـ وبقية أصحابه، وعمرُه يومئذ سبع وعشرون سنة. وقيل إنَّه قَتَلَ هو وأخوه من أهل الشام والبوادي وأصحاب السلطان وأهل المدن ومن جند مصر ومن جند العراق نحو ستّمائة ألف إنسان.

ولمَّا قتل المكتفي مَن ذكرنا غضب لذلك الحسين بن محمَّد وجمع وسار إلى الكوفة وقتل جماعة ونهب. ثمَّ سار وأخذ الحاجّ بأسرهم، فخرج إليهم جيش من بغداد وقاتلهم وقتلهم في رَبيع الأوَّل سنة خمس وتسعين [ومائتين / ديسمبر 907 ـ جانفي 908]، وقتل الحسين بن محمد وابنه القاسم، وقتل معه زكرويه وسائر دعاته. فهذه جملة أخبار القرامطة الخارجين ببلاد الشام.

[انتشار قرامطة البحرين بالعراق]

أمّا قرامطة البحرين فكان مبدأ أمرهم أنّ رجلاً من أهل جنّابة يعرف بأبي سعيد الجنّابيّ ـ واختلف في اسمه فقيل: الحسن بن بهرام، وأنّه من الفرس، وقيل: الحسين بن علي بن محمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وأنّه كان يعمل الفِراء ويسافر من البحرين إلى سواد الكوفة، فنكح امرأة من قوم كانوا يدينون بالقرمطة، وصحب عبدان ـ وقيل: بل صحب قرمط وأخذ عنه ـ وعاد إلى القطيف فدعا الناس،

(1) في الكامل (سنة 290): رماه بعض المغاربة بمزراق، وزرقه نفاط بالنار فاحترق.

وكان أوّل من استجاب له بنو سنبر، وهم: الحسين وعليّ وحمدان. وما زالت دعوتُه تنتشر وأمرُه يقوى حتى جمع وقاتل مَن خالفَه بِمَن أطاعه وهدم مدينة هجَر / بعد محاربة أهلها عدّة أشهر، وبنى دار هجرة بمدينة الأحساء وقاتل [346 أ] جيوش المعتضد في سنة سبع وثمانين ومائتين [900 م] وقتل أكثرهم، وأسر معظمهم. ولم يزل أمره يشتدّ حتى قتله غلامُه في الحمّام بمدينة الأحساء في سنة اثنتين وثلاثمائة [/914 - 915] وكانت مدّته نحو ست عشرة سنة.

وقام من بعده ابنه أبو طاهر سليمان فأكثر من الغزو، وسار إلى البصرة وأخذها في ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وثلاثمائة [923 - 924] وقتل منها خلقاً كثيراً، ثمّ أوقع بالحاجّ في ذي الحجّة منها [/مارس 924] وأخذ لهم من المال ما لا يقدّر قدره. وأخذ الكوفة في ذي القعدة سنة اثنتي عشرة [وثلاثمائة/ فيفري 925] وقتل منها وأسر كثيراً.

ثمّ سار يريد بغداد في سنة خمس عشرة ونزل الكوفة في شوّال منها [ديسمبر 927] وقاتل يوسف بن أبي الساج وأسره ودمّر عساكره، وسار إلى الأنبار، فهمّ أهل بغداد بالهرب، وكانت له هناك معارك مع جيوش العراق. وسار إلى الرحبة ووضع السيفَ في أهلها، ونهب الجزيرة وقاتل أهل الرقة ورأس عين وسنجار، |وفرض الأموال على الناس وعاد إلى الأحساء.

ثمّ قدم مكّة في سنة سبع عشرة وثلاثمائة [929 - 930]، وردم زمزم بالقتلى، وانتهك حرمة الكعبة وأخذ كسوتها وأموالها وقلع الحجر الأسود من موضعِه وعاد به إلى بلاده.

ثمّ سار إلى الكوفة في سنة تسع عشرة فأفسد وعاد.

ثمّ خرج في سنة ثلاث وعشرين [وثلاثمائة/ 934-935] إلى الكوفة ونادى بالأمان، وفرض على أهل خراسان وبغداد والشام ومصر الأموال العظيمة، وكانت تحمل إليه في كل سنة ألفا شَدَّة (1م).

ثم سار أيضاً إلى الكوفة سنة خمس وعشرين [936 - 937] وعاد،

(1 م) كلمة غامضة في المخطوط. وفي قاموس كازميرسكي: الشَّدَّة بالفتح: الرزمة.

فأهلكه الله بالجدري بعدما تقطّع جسدُه وذلك في رمضان سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة [افريل - ماي 944].

فقام من بعده أخَواه أبو القاسم سعيد وأبو العبّاس أحمد، واستقرّ الرأي والتدبير منوطـ[ـاً] بستّة نفر.

وردّوا الحجر الأسود مع سنبر بن الحسن بن سنبر في سنة تسع وثلاثين ووُضِع في مكانه يوم النحر [20 ماي 951] فكانت مدّة غيبته اثنتين وعشرين سنة تنقص أيّاماً.

[حلول الأعصم بالشام ومصر]

وغلب الحسن بن أحمد على الشام في ذي الحجّة سنة سبع وخمسين وثلاثمائة [968 م] وولّى على دمشق وشاحاً السلميّ، ثم رجع إلى الأحساء في صفر سنة ثمان وخمسين [جانفي 969].

وفي سنة تسع وخمسين خطب لهم بمكّة، وساروا إلى دمشق في سنة ستّين وثلاثمائة وقتلوا جعفر بن فلاح في ذي القعدة [أوت 971]، وكبيرهم يومئذ الحسن بن أحمد صاحب الترجمة.

وكان سبب حركته هذه أنّ ظالم بن موهوب العقيلي لمّا انهزم من جعفر ابن فلاح عن بلاد حوران والبثنيّة لحق بالأحساء، وحثّ القرامطة: فإنّ المالَ الذي كان يُحمل إليهم من مصر انقطع عند دخول القائد جوهر بعساكر المعزّ لدين الله إلى مصر. فبعثوا العرفاء لجميع العرب. وسار الحسن بن أحمد إلى الكوفة فوافاه مَن استجاب له من العربان، وأنفذ إلى بغداد يطلب المال فجهّز إليه خزانة سلاح وأربعمائة ألف درهم أحيل بها على أبي تغلب عبد الله بن ناصر الدولة الحسين بن حمدان، وهو على الرحبة.

فسار الحسن إلى الرحبة وحمل إليه أبو تغلب العلوفة والمال المرسوم به، وتوجّه إلى دمشق، وقد صحبه كثير من عسكر أبي تغلب ومَن انهزم من الإخشيديّة، فخرج إليه أبو الفضل جعفر بن فلاح وقاتله، فقُتل جعفر.

ونزل الحسن يوم الخميس سادس ذي القعدة [360 / 31 أوت 971]

على المزّة خارج دمشق، وجبى من المدينة مالاً كثيراً، وسار إلى الرملة من دمشق يوم الثلاثاء لإحدى عشرة خلت من ذي القعدة وقد استخلف عليها ظالم بن موهوب، واجتمع عليه عرب الشام وكثير من الأتباع والأجناد، ونازل يافا، وبها سعادة بن حيّان وقاتله، ثم رحل عنها وترك على حصارها أبا المنجّى عبد الله بن علي بن منجى القرمطي وظالم بن موهوب العقيلي، ونزل خارج القاهرة بعين شمس لعشر بقين من صفر سنة إحدى / وستّين [12 [346 ب]
ديسمبر 971]، ومعه خمسة عشر ألف جملٍ وبغلٍ تحمل صناديق الأموال وأواني الذهب والفضّة، سوى التي تحمل الخيم والمضارب والبنود وغير ذلك من الأثقال. وقد استعدّ جوهر القائد لحربه، فالتحم القتال يوم الجمعة أوّل ربيع الأول [361 / 22 ديسمبر 971] على باب القاهرة، وقُتل من الفريقَين وأسر جماعة، وباتوا ليلة السبت، وأصبحوا متكافئين، وغدَوا يوم الأحد للقتال على باب الخندق فكانت وقائع شديدة قُتل فيها من الفريقَين عدد كبير، وانهزم الحسن ونُهب سواده ببركة الحاجّ، وأخذت صناديقُه وكتبُه. ومضى في الليل على طريق القلزم، ونهب بنو عقيل.وبنو طيّىء كثيراً من سواده، وهو مشغول بالقتال، فسار إلى الأحساء.

ثمّ عاد من الأحساء ونزل الرملة في سابع رمضان [361 / 22 جوان 972] وطرح مراكب في البحر وملأها بالمقاتلة، وأكثر من جمع العربان معه ليسير إلى القاهرة.

فقدم المعزّ لدين الله أبو تميم معدّ من بلاد الغرب ونزل بالقاهرة في رمضان سنة اثنتين وستّين [جوان 973]، فكتب إلى الحسن بن أحمد كتاباً عظيماً، فكتب جوابه بعد البسملة: وصل إلينا كتابك الذي كثر تفصيله وقلّ تحصيلُه، ونحن سائرون إثره، والسلام.

فلمّا كان شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين [جانفي 974] كثر انتشار القرامطة في أعمال الشام وكثُر الإرجاف بهم في القاهرة ومصر، وبلغت مقدّمتهم أريافَ مصر وأطراف المحلّة لعشر بقين من جمادى الآخرة [363 / 18

مارس 974] ووصلت منهم سريّة إلى أطراف الحَوْف أوّل يوم من رجب [28 مارس 974].

وبعث الحسن بن أحمد [القرمطيّ] عبد الله بن عبيد الله أخا الشريف مسلم[2] إلى الصعيد، فنزل في نواحي أسيوط وأخميم، وجبى الأموال، وحارب أصحاب المعزّ. ونزل الحسن بلبيس فتأهّب المعزّ لقتاله، وندب ابنَه وليَّ العهد الأميرَ عبد الله بالعساكر، وقد انتشر القرامطة في نواحي أسفل الأرض يجبون الأموال.

وخرج ريان الصقلبيّ في أربعة آلاف إلى المحلّة فقتل وأسر كثيراً من القرامطة، فاشتعلت أرض مصر أعلاها وأسفلُها بنار الحرب من القرامطة.

ونزل الأمير عبد الله بركة الحاج في سلخ رجب [26 افريل 974] وقد نزل النعمان بن أحمد أخو الحسن بن أحمد تجاهه، ونزل الحسن بسطح البركة، ووقع القتال بين الفريقين واشتدّ، فولّى حسّان بن عليّ بن الجرّاح الطائيّ منهزماً عن الحسن بمَن معه، وكانوا جمعاً كبيراً، فلم يثبت الحسن ومضى على وجهه، ونُهب سوادُه وأُخذت قبّتُه، وأُسر من عساكره خلق كثيرٌ. فنزل أذرعات وتوجّه منها إلى الأحساء، وقد تمزّقت عساكره.

فبلغ ذلك عضد الدولة فنّا خسرو ابن ركن الدولة عليّ بن بويه، فطمع أن يظفر ببقيّة القرامطة في الأحساء، وبها يومئذ أبو يعقوب عمّ الحسن بن أحمد. فبعث إليه عسكراً كثيفاً، ففرّ عن الأحساء، فاحتوى العسكر على الأحساء وما فيها. ووافى الحسن بن أحمد فيمَن بقِي معه فانضمَّ إليه عمُّه وبقيّة أصحابه وحاربَ العسكر فكانت بينهم وقعة عظيمة قُتل فيها رجال العسكر وأخذت أموالُهم. فقويَت نفس الحسن بن أحمد وعادت دولتُه. وكتب يستدعي العرب فأجابوه. ثمّ بعث رسوله إلى المعزّ يطلب موادعتَه ويوصيه بكاتبه أبي المنجّى، وقد قبض عليه وحمل إلى القاهرة ليسجن بها، فأفرج

(2) عبد الله بن عبيد الله الحسيني أخو الشريف مسلم. انظر ترجمته رقم 34.

عنه في خامس محرّم سنة أربع وستّين [وثلاثمائة/ 25 سبتمبر 974].

فلمّا قدم هفتكين الشرابيّ إلى دمشق وملكها وسار القائد جوهر من القاهرة إلى دمشق وحصر هفتكين، بعث إلى الحسن بن أحمد يستدعيه، فسار من الأحساء يريد دمشق. فسار جوهر بعد معالجة هفتكين إلى طبرية، وقد قرب منه الحسن بن أحمد فأسرع في الرحيل. وخرج الحسن من المزّة يريد طبريّة ففاته جوهر، فبعث سريّة تلحقه فواقَعهم أصحاب جوهر وجلس إلى الرملة. فلمّا / بلغ ذلك الحسن سار من طبريّة وسار هفتكين في أثره [347 أ] حتى نزلا الرملة فمات الحسن بها في يوم الأربعاء لسبع(3) بقين من شهر رجب سنة ستّ وستّين وثلاثمائة [14 مارس 977].

فقام من بعده ابنُ عمّه جعفر بن أبي سعيد الجنّابي، وقاتل جوهراً هو وهفتكين بقيّة السنة. ثمّ فسد ما بينه وبين هفتكين فسار إلى الأحساء، وحمل معه الحسن حتّى دفنَه هناك.

وكان الحسن بن أحمد قصيراً له كرسيّ من خشب يصعد عليه حتى يركب. وكان لا يركب من الخيل إلّا أقواها. وقال يردّ على من عيّره بالقصر (خفيف):

زعمُوا أنّني قصير، لعمري ... ما تكال الرجال بالقُفْزَانِ(4)
إنّما المرءُ باللسان وبالقلـ ... ـب، وهذا قلبي وهذا لساني

ووقّع في آخر يوم من أيّام حياته توقيعاً بخطّه لم يُفهم من ضعف يده فاستَثْبَت فيه فَبيَّنَه ثمَّ قال ومات من يومِهِ (وافر):

رَأَوْا خطّي نحيلاً فاستدَلُّوا ... به منّي على جسمٍ نحيلِ
وقد قوّيتُ أسطرَه بجُهدِي ... ولكن ما استحال من الذبولِ(5)

(3) الثالث والعشرون من رجب 366 يوم سبت لا أربعاء.

(4) القُفزانُ ج. قفيز وهو مكيال ومقياس (اللسان: قفز).

(5) الفقرة مضطربة وكذلك البيتان، والإصلاح من الوافي بالوفيات (ترجمة الجنابي القرمطي رقم 543 ج 11 / 373).

وقال يرثي (مجزوء الكامل):

أعــزز عــليّ بــقــتــلــه ... لــشــبــابــه وأبــوّتِــهْ(6)
قــد كنتُ ذا خــوفٍ عــليــ ... ــه لــبــطــشِــه وجــراءتِــهْ
وجــمــالــه وكــمــالــه ... وحــيــائــه ومــروءتِــهْ
وعــطــائــه ووفــائــه ... وبــهــائِــه ورئــاســتِــهْ
وجــهــاده لــعــداتــه ... وجميــل وصف سيــاسـتِــه
حــيــا وخــصــا ... لَ الخير لم ترَ قطّ ولم تته(6)
فــاق الــمــغــارب جــوده ... فعلى تــعــالــي هــمّــتِــه(6)
جــاد الإلــهُ عليــه في الــ ... أُخــرى بسُكــنَـى جنّتِــه

والقرمطي نسبة إلى قرمط، وهو حمدان بن الأشعث. وإنّما سمّي قرمطاً لأنّه كان قصير القامة، قصير الرجلين، وكان خطوه متقارباً. فقيل له من ذلك: قرمطٌ.

وقيل: بل هو نسبة إلى مذهب يقال له القرمطة خارج من مذاهب الإسلام.

وقيل: لأنّ صاحب الجمل وصاحب الخال القائمين ببلاد الشام كانَا من قيس مِن بني عبادة بن عقيل من بني عامر، ثمّ من بني قرمطيّ بن جعفر بن عثمان بن المهنّا بن يزيد بن عبد الله بن يزيد بن قيس بن جونة بن طهفة بن حزن بن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان.

ولمّا نزل الحسن بن أحمد إلى الرملة أحضر إليه الفرّاشون في بعض الليالي الشموعَ، فقال لأبي نصر ابن كشاجم(7)، وكان كاتبَه: يا أبا نصر، ما يحضرك في صفة هذه الشموع؟

---

(6) قراءة هذه الأبيات عسيرة جداً، وهي غير موجودة في ترجمات الأعصم الأخرى.

(7) ابن كشاجم: أحمد بن محمود أبو نصر في اليتيمة، 285/1، وأبو الفرج أيضاً في الترجمة التي =

فقال: إنما نحضر في مجلس السيّد لنسمع من كلامه ونستفيد من أدبه.

فقال الحسن بن أحمد في الحال بديهاً [متقارب]:

ومجدولة مثل صدر القناة ... تعرّت وباطنُها مكتس
لها مقلة هي روح لها ... وتاج على هيئة البرنس
إذا غازلتها الصّبَا حرّكت ... لساناً من الذهب الأملس
وإن رنّقت لنعاس عرا ... وقطّت من الرأس لم تنعس
وتنتج في وقت تلقيحها ... ضياءً يجلّي دجى الحندس
فنحن من النور في أسعُدٍ ... وتلك من النار في أنحسِ

فقام أبو نصر وقبّل الأرض وسأله أن يأذن له في إجازة الأبيات فأذن له فقال:

[347 ب] وليلتنا هذه ليلة ... تشاكِل أشكال إقليدسِ /
فيا ربّة العود حثّي الغنا ... ويا حامل الكأس لا تحبس

فتقدّم بأن يخلع عليه وحمل إليه صلةً سنيّة وإلى كل واحدٍ من الحاضرين.

وكتب الحسن بن أحمد إلى جعفر بن فلاح [بسيط]:

الكتب معذرة، والرسل مخبرة ... والحقّ متّبَع، والخير موجود
والحرب ساكنة، والخيلُ صافنة ... والسلمُ مُبتذَل، والظلّ ممدودٌ
فإن أنبتُمْ فمقبولٌ إنابتُكُم ... وإن أبيتُمْ فهذا الكور مشدود

= خصّصها له المقريزي في المقفى (مخطوط ليدن 1 ورقة 15 أ ـ ب وقد نشرها حبيب الزيات ص 182 من مجلّة المشرق، 1937) فقال إنّه كان عند كافور الإخشيدي ينادم ويتظرّف وكانت له موهبة: قراءة نقش الخواتم باللمس دون أن ينظر إلى فصوصها.

وترجمة الأعصم هنا تفيدنا أنّه انتقل بعد وفاة كافور إلى بلده وبلد أبيه الرملة فصادفه هناك الأعصم فأصبح كاتباً له.

أمّا كشاجم أبوه، فقد عاش بالخصوص في بلاط سيف الدولة وتوفّي بين 335 و358 (انظر دائرة المعارف الإسلاميّة في فصل «كشاجم»).

على ظهـور المطايـا أو يَـردن فِنـا   دمشق، والبـاب مهـدوم ومـردود
إني امرؤ ليس من شأني ولا أربي   طبـلٌ يـرنُّ ولا نـاي ولا عـودُ
ولا اعتكـاف على خمرٍ ومجمـرةٍ   وذات دلّ لـهـا غنْـج وتـفـنـيـد
ولا أبيتُ بـطين البـطنِ من شبَـع   ولي رفيقٌ خميصُ البـطن مجهـودُ
ولا تسـامت بيَ الدنيـا إلى طمعٍ   يـومـاً ولا غـرّني فيهـا المـواعيدُ

ومن مختار شعره (طويل):

لـه مُقلة صحّت، ولكنْ جفـونُهـا   بهـا مـرَضٌ يَسبي القلوبَ ويُتلِفُ
وخـدّ كورد الـروض يجنى بـأعين   وقـد عـزّ حتى إنّـه ليس يُقـطفُ
وعـطفـة صُـدغٍ لـو تعلّم عـطفهـا   لـكـان على عـشّـاقـه يتعـطفُ

وقوله (كامل):

يـا سـاكنَ البلدِ المنيفِ تعـزّزاً   بقـلاعـه وحصـونـه وكـهـوفـه
لا عـزّ إلاّ لـلعـزيـز بـنـفـسـه   وبـخـيـلـه وبـرَجـلِه وسـيـوفِـه
وبقبّـة بيضـاء قـد ضـربت على   شـرف الخيـام لجـاره وحليـفِـه
قَـرْمٌ إذا اشتدّ الـوغى أردى العدا   وشفى النفـوسَ بضـربـه ووُقُـوفـه
لم يـرض بـالشـرف التليـد لنفسه   حتّـى أشـاد تـليـدُه بـطريـفِـه

وقوله (بسيط):

إني وقـوميَ في أحسـاب قـومِهمُ   كمسجد الخيف في بحبوبة الخَيْفِ
مـا علّق السيفُ منّا بـابن عـاشـرة   إلاّ وهـمّتُـه أمـضى مـن السيـف

وكان الحسن بن أحمد يتعشّق أبا الدؤاد المفرج بن دغفل بن الجرّاح، فدخل عليه يوماً وفي وجهه أثر فسأله عنه فقال: قبلتني الحمّى. فأنشد (خفيف):

قـبّلتـه الـحمّـى، ولـي أتـمـنّـى   قـبلةً منـه مـن زمـان طـويـلِ
حـاجـة طـالمـا تـردّدت فيهـا   قُضِيت للغـريـبِ قبـل الـخليـل

وفيه يقول (مجتثّ):

هل لنا فُرجَةٌ إليـ ـك؟ أبِنْ يا مُفرِّجُ!
لامني فيك معشرٌ هُمْ إلى اللوم أحوَجُ
كيف لم يسبهم عذا رُكَ هذا المُدَرَّجُ؟

ومن شعره في عِلّته (وافر):

ولو أني ملكتُ زمامَ أمري لما قصّرتُ عن طلب النجاح
ولكنّي مُلكتُ فصار حالي كحال البُدنِ في يوم الأضاحي
يُقَدن إلى الردى فيمُتنَ كَرهاً ولو يسطَعْنَ طِرْنَ مع الرياح

* * *

التعليق: الترجمة من مخطوط السليميّة ورقة 344 ب ـ 348 أ.

ترجم للأعصم القرمطي ابن عساكر، 108/4 وابن شاكر في فوات الوفيات (رقم 112) والصفدي في الوافي (رقم 543 من المجلّد 11 بتحقيق وداد القاضي) وابن العماد في شذرات الذهب (سنة 366)، والذهبي في العبر (سنة 366) وقال فيه: «وله شعر وفضيلة».

وفعلاً له شعرٌ كثيرٌ، هذا ما نستفيده من هذه الترجمة المطوّلة، فإذا أضفنا إلى هذه الأبيات الستة والثلاثين الأبيات الاثني عشر التي زادها الصفدي على هذه المجموعة، وهي: سبعة أبيات في وصف الحجل، وثلاثة في الغزل، وبيتانِ في مفاخرة الفاطميّين، وقد نقلهما ابن الأثير أيضاً 43/7 (كامل):

زعمَتْ رجال الغرب أني رهبتُها فدمي إذن ما بينها مطلول
يا مصرُ إن لم أسق أرضَكِ من دمٍ يروي ثراك فلا سَقاني النيلُ!

وإذا تأمّلنا تنوّع الأغراض فيها واختلاف القوافي، جاز لنا أن نفترض أنْ شعره المفقود أكثر من شعره الواصل إلينا.

41 ـ القاضي أبو طاهر الذهلي (279 ـ 367)

/محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن بُجَير بن صالح بن عبد الله بن [78 ب] أسامة أبو الطاهر، القاضي ابن القاضي أبي العبّاس الشيبانيّ الذهليّ السدوسي البصري البغدادي، الفقيه المالكيّ قاضي مصر.

ولي قضاء بغداد وواسط ودمشق ومصر. وكان أبوه على قضاء البصرة وواسط، ودخل مصر سنة أربعين وثلاثمائة، وحجّ منها وعاد إليها ووليَ القضاءَ بها. ولم يل قضاءها أحدٌ ممّن ولي [قضاء] بغداد غيره وغير يحيى بن أكثم[1].

وروى عن أبي غالب علي بن أحمد بن النضر وأبي بكر محمد بن يحيى بن مسلم المروزي، وإسحاق بن خالويه، والحسين بن الكميت، ومحمد بن عثمان بن سويد، وجعفر بن محمد الفرياني في آخرين.

وأحمد بن عبد الله والد القاضي أبي الطاهر، ولي قضاء البصرة وواسط وغيرهما، وسمع الحديث بحلب ومنبج وغيرهما، وكان ثقة. مات يوم الثلاثاء بسلخ ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة.

وجدّ أبيه نصر بن بجير صحب القاضي أبا يوسف يعقوب[2] وولي قضاء

(1) يحيى بن أكثم التميمي (242 / 857) قاضي المأمون. صحبه إلى مصر سنة 217 فولّاه قضاءها ورجع معه إلى بغداد، فكانت مدّة حكمه ثلاثة أيّام (وفيات الأعيان، ترجمة 793).

(2) هو أبو يوسف صاحب أبي حنيفة (ـ 182 / 798).

الريّ وكان[3] عنده الموطّأ عن مالك.

ولد سنة النجباء ـ سنة تسع وسبعين ومائتين ـ وإنّما سمّيت سنة النجباء لأنّه ولد فيها هو، والفضل بن جعفر بن محمد بن موسى بن الفرات الوزير أبو الفتح، والحسين بن القاسم بن عبيد الله[4].

وذكر الخطيب في تاريخه أنّه ولد سنة سبع وستّين ومائتين. والأول أصحّ. قال الحافظ أبو محمد عبد الغني بن سعيد بن علي الأزدي[5]: سألتُ القاضي أبا الطاهر عن أوّل ولايته القضاء، فقال: سنة عشر وثلاثمائة ـ يعني على غير مصر ـ وكان قد ولي قضاء البصرة وكنّا نسمع في حياته أنّه ولي [قضاء] بغداد، ولم أسأله عن بغداد. وقال لي القاضي: كتبت بيدي سنة ثمان وثمانين ـ يريد العلم ـ ولي تسع سنين. وقرأ القرآن وله ثماني سنين.

وسمع من أبي مسلم الكجي، وأحمد بن يحيى ثعلب، وموسى ابن هارون، وأبي أحمد بن عبدوس، والناس[6].

وكان مفوّهاً حسن البديهة شاعراً حاضر الحجّة علّامة عارفاً بالمواليد والوفاة وأيّام الناس. وكان غزير الحفظ، لا يملّه جليسه من حسن حديثه،

(3) الكلمة غير واضحة. وهاتان الفقرتان في الأب والجدّ وردتا في الهامش مع علامة ح (حاشية).

(4) الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب وزير المقتدر الذي اتّبع الشلمغاني في غلوّه في التشيّع والتناسخ (الوفيات 156/2، ترجمة الحلّاج رقم 189).

(5) الحافظ عبد الغني أبو محمد الأزدي (ت (409 / 1018): محدّث نسّابة عاش في أيّام الحاكم بمصر (وفيات، رقم 410). وانظر تذكرة الحفاظ: رقم 964 وكذلك ص 355 هامش 1 من هذا الكتاب.

(6) هكذا في الأصل. ولعلّ كلمة الناس منقولة سهواً.

والكَجّي هو الحافظ البصري إبراهيم بن عبد الله (ت 904/292). له ترجمة في تذكرة الحفاظ: (رقم 647).

وموسى بن هارون الحمّال محدّث بغدادي (ت 906/294) ترجم له الذهبي في التذكرة، رقم 689.

وأحمد بن يحيى هو أبو العبّاس ثعلب صاحب المجالس (ت 903/291). انظر وفيات الأعيان، رقم 43، والتذكرة، 686.

ومحمد بن عبدوس محدّث بغدادي (ت 905/293). تذكرة الحفاظ، رقم 704.

وكان كريماً. وكان كلّما كثّر عليه جليسه كثُر إقباله عليه.

توفّي في سنة سبع وستّين وثلاثمائة، وصلّى عليه أبو إسماعيل الرسّي. وزاد الأنماطي[7] وابن عساكر في تاريخه: يوم الثلاثاء سلخ ذي الحجّة [367 / 8 أوت 978]. وقال العتقيّ: توفّي ليلة الثلاثاء لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة سبع وستين وثلاثمائة، وهذا هو الصحيح. وقال ابن زولاق[8]: وسنّه ثمان وثمانون سنة.

قال الحافظ عبد الغني: ولي [قضاء] مصر سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة فأقام على القضاء ثماني عشرة سنة. سمعت الوزير أبا الفرج يعقوب بن يوسف ـ يعني ابن كلّس ـ يقول: قال لي الأستاذ كافور: اجتمعْ بالقاضي أبي الطاهر فاقرأ عليه منّي السلام وقل له: بلغني أنّك تنبسط مع جلسائك، وهذا الانبساط يُقلّ هيبة الحكم. فلقيتُ القاضي أبا الطاهر فأعلمتُه بذلك. فقال: اقرأ عليه السلام وقل له: لستُ ذا مال أفيض به على جلسائي، فلا يكون أقلّ من خلقي.

فأخبرت الأستاذ بمقالته، فقال لي: لا تعاوِدْه، فقد وضع القصعة. (قال): فحدّثت القاضي مالك بن سعيد بهذا فقال لي: فكان الأستاذ يملأ القصعة[9].

وممّا استحسن من القاضي أبي الطاهر أنّه لمّا / تلقّى المعزّ لدين الله [79 أ]

---

(7) الأنماطي: أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك المحدّث البغدادي (462-538). تذكرة الحفاظ رقم 1076.

(8) الحسن بن زولاق المؤرّخ المصري (387/997). انظر ترجمته في هذا الكتاب (رقم 57).

(9) القصعة هي الجفنة «الضخمة تشبع العشرة»، وهي هنا «الإناء الذي يوضع بين الرؤساء ليجعل كلٌّ منهم فيه ما تطيب به نفسُه» (الولاة والقضاة، 583 في ترجمة الذهلي) فوضع القصعة كناية عن الطلب.

ومالك بن سعيد الفارقي: قاضي القضاة في خلافة الحاكم إلى أن قتله سنة 405 (اتعاظ 312/1، الولاة والقضاة، 603).

بالإسكندريّة وجلس عنده، سأله المعزّ عن أشياء، منها أنّه قال: يا قاضي كم رأيت خليفة؟

فقال: واحداً.

فقال له: من هو؟

قال: أنت، والباقون ملوك.

فأعجب بذلك. وقال غيره: كان هذا القول لسبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة اثنتين وستّين وثلاثمائة. فاستحسن المعزّ ذلك من قوله على البديهة مع علم ا' ..ّ أنّ أبا طاهر قد رأى من بني العبّاس ثمانية: المعتضد، والمكتفي، والمقتدر، والقاهر، والراضي، والمتّقي، والمستكفي والمطيع[10].

قال الحافظ عبد الغنيّ: وكان شـ سأل المعزّ أبا الطاهر قال: حَجَجْتَ يا قاضِي؟

قال: نعم.

فقال له: زرت؟

قال: نعم.

قال: سلّمتَ على الشيخين؟

قال: شغلني عنهما النّبيّ ﷺ، كما شغلنِي أمير المؤمنين عن وليّ عهده.

فازداد به إعجاباً. فأرضى المعزّ وتخلّص من وليّ العهد إذ لم يسلّم عليه بحضرة المعزّ، فأجازه المعزّ يومئذ بعشرة آلاف درهم.

وسمعت أبا العبّاس أحمد بن محمد بن شعرة يقول: سمعت أبا بكر ابن مقاتل[11] يقول: أنفق القاضي أبو الطاهر بيت مال خلّفهُ له أبوه.

---

(10) هؤلاء الثمانية خلفوا من سنة 812/279 إلى سنة 946/334، وكان يمكنه أن يعرف عبّاسياً تاسعاً، وهو الطائع الذي تولّى سنة 974/363. وفي كتاب الولاة والقضاة، 584 أنه رأى منهم عشرة.

(11) أبو بكر بن علي بن مقاتل: كان وزيراً للإخشيد (الولاة والقضاة، 294).

وسمعت أبا الحسن علي بن محمد بن يزيد القاضي[12] يقول: كان أبو الطاهر القاضي يشبه أبا عمران بن الأشيب في كثرة الحكايات وحسن مقاطع الأحاديث. وسمعت القاضي أبا الطاهر يقول: أخذت البيعة على بني هاشم للمقتدر في ذي القعدة سنة خمس وتسعين [و] كتب إليّ الشيخ بذلك إلى البصرة فقال لي: اخرج فخذ عليهم. وقال لي ابن عبد السلام الهاشميّ: اذكر ما أخذتَه علينا فاشكر الله عزّ وجلّ على ذلك.

وحدّثني زيد بن علي أبو القاسم الكاتب أنّ القاضي أبا الطاهر أنشد لنفسه (سريع):

إنّي وإن كنت بأمر الهوى غرّاً فستري غير مهتوك
أكني عن الحبّ ويبكي دماً قلبي ودمعي غير مسفوك
فظاهري ظاهر مستملك وباطني باطن مملوك

أخبرني أبو القاسم خُمار بن علي المصري صديقُنا بصور قال: أتيت القاضي أبا الطاهر بأبيات في رقعة، قالها في ولده فقلت له: يتأمّل القاضي أيّدَه الله هذه الأبيات.

فأخذها فنظر إليها ثمّ بكى، وأنشدنا إيّاها (مجتثّ):

يا طالباً بعد قتلِ يَ الحجَّ لله نُسكَا
تركتَني فيك صبًّا أبكِي عليك وأُبكَى
وكيف أسلوك؟ قل لي! أم كيف أصبِرُ عنكا؟
روحي فداؤك! هذا جزاءُ عبدك منكا

حدثني أبو جعفر محمد بن علي الجعفري القاضي الزيني[13] قال:

---

(12) القاضي علي بن محمد [بن إسحاق] بن يزيد الحلبيّ: ولي قضاء مصر في أيّام العزيز (الولاة والقضاة، 595).

(13) لا نعرف هذا القاضي ـ ولعلّه الزينبي ـ كما لم نتوصّل إلى معرفة كثير من الأعلام المذكورين هنا.

حدّثني محمد بن نوح الدقّاق الملقّب بالقاضي قال: كنّا في دار القاضي أبي الطاهر نقرأ عليه شيئاً من الحديث، فلمّا فرغ المجلس نهضتُ وجماعة من أهل الحديث لمقابلة ما قرأناه فصاح بي بعضُ من حضر: يا قاضي! فسمع القاضي / أبو الطاهر ذلك فأنفذ إلينا حاجبه فقال: من القاضي فيكم؟ [79 ب]

فقال أصحاب الحديث: «هو هذا!» وأشاروا إليَّ. فمضى الحاجب إليه وعاد إليَّ فدعاني. فلمّا دخلت عليه قال لي: أنت القاضي؟

فقلت له: نعم
فقال لي: فأنا ماذا؟
فسكتُّ ثمَّ قلت: أيُّها القاضي، هذا لقب لقِّبتُ به.
فتبسَّم وقال: أتحفظ القرآن؟
فقلت له: نعم.

فقال: تبيت عندنا الليلة أنت وأربعة أنفسٍ معك، وتواعدُهم عند خروجك، ممَّن تعلم أنَّه يحفظ القرآن والأدب.

فخرجتُ من عندِه ووعدتُ العِدَّة التي رسم لي أن تحضر عند صلاة المغرب في دهليزه.

فلمَّا صلَّينا المغرب خرج إلينا البوَّاب فأمرنا بالدخول فدخَلْنا وجلسنا في مجلسِه، ولم يحضر القاضي. فقُدِّمت إلينا مائدة حسنة فتقدَّمنا وأكلنا. ونقلت على المائدة ألوان كثيرة وحلواءُ كثيرة. فلما قاربنا القراءة رفع القاضي المقطع(14) وخرج إلينا جالساً يزحف، ومَنَعَنا من القيام إليه، ثمَّ استدعى بالأكل وأمر بتجديد نقل الطعام فنُقِل، وعرفنا أنَّه لم يأكل شيئاً، وقال لنا: كلوا معي! فلا يجوز أن تَدَعُوني أن آكل وحدي.

فلمَّا رفعت المائدة وغسلنا عرفنا أنَّ الذي دعا إلى مبيتنا عنده غمُّه على

(14) المقطع: لعلَّه موضع الشقِّ من الستار، أو الستار الذي يُخفي الممرَّ (انظر دوزي في المادَّة).

ولده أبي العبَّاس، وكان غائباً بمكَّة ثمَّ أمر من يقرأ منَّا بالقراءة فقرأنا. ثمَّ استحضر ابن المقارعي وأمره أن يقول. فقام جماعة منَّا وتواجدوا بين يديه، ثمَّ قال شعراً في وقته وأمر ابن المقارعي أن يلحّنه ويُغنِّيَ به. والشعر:

يـا طـالـبـاً بـعـد قـتـلـ ـيَ الـحـج لله نـسـكـا

الأبيات. فلحّنَه ابن المقارعي وغنّى به، وبكى القاضي بكاءً شديداً، واستعاده منه دفعاتٍ. ثمَّ أشال المقطع ودخل إلى داره.

وبلغت الأبيات أبا العبَّاس فلم يكن إلَّا أيَّام يسيرة حتى قدم فدخل عليه وقبّل رأسه وقال: قد جئتك، لا تبك ولا تُبك!

وحضرت يوماً عند القاضي أبي الطاهر وعنده أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني[15] وأبو بكر محمد بن محمد بن غنيمة المعيطي وأخذوا في المذاكرة فكأنَّما كان الدرّ يجري من أفواههم، وكان القاضي رحمه الله مُفوَّهاً[16]. انتهى ما ذكره الحافظ عبد الغنيّ.

وقال ابن زولاق: وكان أبو الطاهر كثيرَ الحديث والأخبار واسع الذاكرة قد عُنيَ به أبوه فسمعه في سنة سبع وثمانين ومائتين فأدرك جماعة، منهم عليّ بن محمد بن السمسار وعبد / الله بن أحمد بن حنبل. حدَّث ببغداد، [80 أ]
ونزل مصر وحدَّث بها فأكثر، وكتب عنه عامَّة أهلها، وسمع منه جماعة، منهم أبو الحسن الدارقطني وعبد الغني بن سعيد الحافظان وانتقيا عليه. (قال) وكتب له بنوه أبو العلاء وأبو يعلى[17] وأبو العبَّاس، وكان يذهب إلى قول مالك بن أنس هو وأبوه، وربَّما اختار. وكان من أهل القرآن والعلم والأدب مفنّناً في علوم حسن المذاكرة والعلم بالحديث والأخبار وأيّام الناس والشعر

(15) الدارقطني (306 - 385) المحدِّث صاحب كتاب السنن. كان رحل إلى مصر ليساعد الوزير ابن الفرات على تصنيف مسنده (الوفيات ترجمة رقم 434).

(16) مفوّها: قراءة ظنيّة.

(17) أبو يعلى محمد بن محمد، ابن القاضي الذهلي: شارك مع أبيه في وفد التفاوض مع جوهر (عيون الأخبار، 678).

في الجدّ والهزل. وعمل كتاباً في الفقه أجاب فيه عن مسائل مختصر المزني[18] على قول مالك، واختصر تفسير الجبّائيّ[19] وتفسير البلخي[20].

ولم يزل ينظر في الأحكام إلى أن وصل القائد جوهر. فخرج أبو الطاهر، ومعه أبو جعفر مسلم بن عبيدالله الحسينيّ وأبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد الرسّي وجماعة، فوافقوه وشرطوا شروطاً أجابهم إليها وكتب لهم سجلاً. وخلع على القاضي أبي الطاهر والجماعة.

ثمّ وافى المعزّ لدين الله ومعه قاضيه النعمان بن محمد فلقيه أبو الطاهر وسائر الشهود بالإسكندريّة، فخلع عليه وحمله وحده وأقام القاضي النعمان لا ينظر في شيء اختياراً، وكان يخالف قول مالك في الحكم باليمين مع الشاهد. ويحكى أنّ أباه وإسماعيل بن إسحاق[21] كانا لا يحكمان به، وكانا مالِكيّيْن. وكان إذا شهد عنده الشاهد الواحد ليس معه سواه ردّ الحكم.

(قال) وركب العزيز بالله إلى الجنان بالجزيرة مستهلّ صفر / سنة ستّ وستّين وثلاثمائة، فلقيه أبو طاهر ومعه الشهود عند باب الصناعة فسأله استخلاف ابنه أبي العلاء بسبب ما يجده من الضعف. فحُكِي أن العزيز قال: ما بقي إلاّ أن تقدّدوه! [80 ب]

ثمّ قلّد العزيز بالله ثالث هذا اليوم [4 صفر 2/366 أكتوبر 976] القاضي عليّ بنَ النعمان، فكانت ولاية أبي الطاهر ونظره في الأحكام ستّ عشرةَ سنةً وسبعةَ عشرَ يوماً[22].

---

(18) المُزني إسماعيل بن يحيى صاحب الشافعيّ. ومختصره «هو أصل الكتب المصنَّفة في مذهب الشافعي» (الوفيات ترجمة رقم 93) وتوفي سنة 264 بمصر.

(19) الجبّائيّ (916/303) محمد بن عبد الوهاب المعتزلي. له تفسير (وفيات الأعيان، ترجمة 607).

(20) البلخي: عبدالله بن أحمد الكعبي (929/317): أحد رؤوس المعتزلة له تفسير (وفيات الأعيان، رقم 330).

(21) إسماعيل بن إسحاق الأزدي «القاضي الفقيه المالكي البصري» (ت 896/282).

(22) مرّ في كلام عبد الغنيّ أنّه أقام على القضاء ثماني عَشرة سنة.

وأقام عليلاً، وأصحاب الحديث ينقطعون إليه ويسمعون منه.

وقال ابن ماكولا: كان ثقةً ثبتاً كثيرَ السماع فاضلاً (قال) وهذا بيت جليل في الحديث والقضاء.

وقال الخطيب: وكان قاضياً بمصر ثمَّ استعفى قبل موته بيسير، وكان قد ولي القضاء بمدينة المنصور وبالشرقيّة(23) وكان ثقةً ثبتاً.

وقال السِّلفيّ: لمَّا ورد المعزّ مصر من المغرب استقبله الناس على طبقاتهم مشاةً، فلمَّا رأوه قبّلوا الأرض بين يديه كلّهم سوى القاضي أبي الطاهر الذهلي، فإنَّه كان راكباً، ولمَّا قرب منه ترجَّل وسلَّم عليه ولم يقبّل الأرض. فالتفت إلى خواصّ حُجّابه وقال: من هذا الذي خالف الناس كلّهم؟

فقيل: قاضي مصر، وهو من أهل العلم والدين.

[81 أ] ثمَّ لامه أحد الحجّاب سرّاً فيما فعل فرفع صوته / وقال جهراً بحيث يُسمع المعزّ: يا هذا، هو الشمسُ التي قال رسول الله ﷺ: من علامات الساعة طلوع الشمس من مغربها. وقال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الليلُ والنَّهارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، لاَ تَسْجدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ، وَاسْجُدُوا لله الَّذِي خَلَقَهُنَّ إنْ كُنْتُمْ إيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (فصلت، 37). فأرضاه بذلك واستحسن قوله، فقبل قدام القاضي(24) بين يدي القاضي على ما جرت به عادتُهم، فرجع وهو قاضٍ، وعلت منزلته، وكفاه الله أمرهم.

* * *

التعليق: الترجمة من مخطوط ليدن 1، ورقة 78 ب ـ 81 أ.

في كتاب الولاة والقضاة ترجمة ضافية للقاضي الذهليّ وفي ترجمة جوهر تفاصيل كثيرة عن مساهمته في المفاوضة مع القائد.

---

(23) الشرقيّة ومدينة المنصور: قسمان من بغداد. فمدينة المنصور هي نواتها الأصليّة، والشرقية محلّة بشرقي مدينة المنصور، وكلاهما في الجانب الغربي من بغداد.

(24) قراءة ظنيّة غير مقنعة.

وقد رأينا أن ندرج ترجمته في الكتاب لأنّه خدم الدولة الفاطميّة حتى نهاية عمره تقريباً، ثمّ لأنّ لباقته في أجوبته للمعزّ تنمّ عن فطنة نادرة أو عن تشيُّع خفيف. وهو بعد هذا، مثل جعفر بن الفرات الوزير، رجل علم وأدب وشخصية طريفة كما يبدو من جوابه لكافور الإخشيدي.

42 ـ محمد بن منّ الله (ـ بعد 367)

أحد عمّال الخراج بمصر في أيّام العزيز بالله نزار بن المعزّ سنة سبع وستين وثلاثمائة [977 - 978].

* * *

التعليق: هذه الترجمة المقتضبة من مخطوط ليدن 3 ورقة 148.

لم نعثر على هذا العامل في مصادرنا، إلاّ أنّنا نظن أنّه من أصل مغربيّ: ذلك أنّ ابن عذاري (البيان 181/1) ذكر شخصاً بهذا الاسم وليَ للمهدي على القيروان فعزله وأخرجه إلى مصر مع القائم ولعلّه جدٌّ لهذا المترجم (وانظر عيون الأخبار، 288 هامش 100).

43 ـ أحمد بن أبي المنهال (ـ بعد 368)

أحمد بن محمد بن أبي المنهال أبو طالب بن أبي القاسم. ولي قضاء تونس، ثمّ نقله المعزّ لدين الله أبو تميم معدّ إلى قضاء المنصوريّة والقيروان لمّا برز يريد مصر. فقدم عليه وهو بسردانيه فولّاه عوضاً عن القاضي أبي حنيفة النعمان بن محمّد وجعل إليه أن يولّي من يشاء ويعزل من يشاء من قضاة مدائن المغرب خلا القاضي عبد الله بن هاشم[1] قاضي القيروان فإنّه لا حكم له عليه. فقدم إلى المنصوريّة بسجلّه فقرأه يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة اثنتين وستّين وثلاثمائة في جامعها، وسلّمه النعمان الديوان فمضى إلى جامع المنصوريّة ومعه شيوخ إفريقية، وجلس مجلسه، فبقي على قضاء المنصوريّة إلى أن كثر التنازع بينه وبين عبد الله بن محمد الكاتب، فكتب إلى العزيز بالله أبي منصور نزار بن المعزّ يسأله في الحضور ويعرّفه أنّه خائف على نفسه. فأجابه إلى ذلك وأتاه الجواب في آخر شوّال سنة ثمان وستّين. فخرج إلى مصر بأهله وولده وماله، وختم على ديوانه ودفعه إلى بعض أمنائه وسار. فقدم القاهرة في [. . .][2] فأكرمه العزيز وأجرى له في كلّ سنة ألف دينار صلةً. ويقال إنّه ما ذُكِر قطّ عبد الله إلاّ وأثنى عليه ابن أبي المنهال وشكره وأطنب في مدحه

(1) عبدالله بن هاشم: تولّى قضاء القيروان إلى وفاته سنة 974/363 (انظر رسالة إدريس عن الدولة الصنهاجيّة، 556).

(2) بياض بالأصل.

ووصف حزمه وعقلَه وعِلمَه وأدبَه، على ما فارقه عليه من القبيح. فكان ذلك إذا اتَّصل بعبد الله عضَّ أناملَه أسفاً وتلهُّفاً وندماً على ما كان سرف منه إليه. وكان يقول: ما سمعت ولا رأيت أبرّ[3] منه ولا أسمح نفساً: كان يشتمني وينال من عرضي في وجهي وأنا سلطان عليه، فلمَّا صار في موضع يقدر فيه عليّ أطلق لسانه بما نُحب، فلم يذكر إلَّا جميلاً وخيراً.

وكتب أبو الفتوح يوسف إلى العزيز يشاوره مَن يولي القضاء، فكتب إليه العزيز: «قد رددتُ هذا الأمرَ إليك فولِّ مَن شئتَ». فولّى محمد بن إسحاق التميمي المعروف بابن الكوفيّ[4] قضاءَ المنصوريّة عوضاً عن ابن أبي المنهال في آخر ذي الحجَّة سنة ثمان وستِّين [وثلاثمائة / 28 جويلية 979]. وكتب أبو الفتوح إلى العزيز يخبره بذلك فأجاز فعلَه، وبعث إليه سجِلّاً بالقضاء، وبعث إليه أن يتسلَّم ديوان ابن أبي المنهال من يد أمينِه.

* * *

التعليق: الترجمة من مخطوط السليميَّة، 140 ب.

بنو أبي المنهال أُسرة قيروانية خدمت الشيعة واشتهر منها بالخصوص إسحاق بن أبي المنهال (انظر محمد الطالبي: تراجم أغلبية، في الفهرس).

---

(3) قراءة ظنيّة.

(4) انظر ما كتبه هـ. ر. إدريس في رسالته 559 عن أسرة بني الكوفيّ قضاة المنصوريّة.

44 ـ الشريف إبراهيم الرسّي (ـ 369)

[7 أ] /إبراهيم بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن القاسم الرسّي بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الشريف أبو إسماعيل بن أبي القاسم بن أبي عبدالله الحسَني الرسّي ـ من الرسّ من قرى المدينة النبويَّة ـ قدم مصر واستوطنها.

وخرج مع الشريف مسلم بن عبيدالله فيمَن خرج إلى لقاء القائد جوهر عند قدومه من بلاد المغرب بعساكر الإمام المعزّ لدين الله أبي تميم معدّ لأخذ مصر. فلقيه وشهد عليه في المحضر الذي كتبه لأهل مصر(1).

ووِلي نقابة الأشراف في أيّام العزيز بالله نزار ابن المعزّ لدين الله بعد موت أبيه أبي القاسم أحمد بن محمد الرسّي في . . .(2) شعبان سنة خمس وأربعين وثلاثمائة [نوفمبر 956].

[7 ب] وتوفِّي وهو نقيب بمصر ثالث عشر ـ وقيل: حاديَ عشرَ ـ / شعبان سنة تسع وستين وثلاثمائة [4 مارس 980] من عِلَّةٍ ابتدأت به من أوَّل الشهر. وركب العزيز بالله حتى حضر دفنَه بداره. ووَلَّى النقابة بعده ابنه أبا عبدالله الحسن بن إبراهيم الرسّي(3)، وكان من أماثل الأشراف بمصر.

---

(1) انظر هذا المحضر في عيون الأخبار، 673 - 678.

(2) رقم اليوم تـرك بياضاً.

(3) انظر ترجمته ص 326 (رقم 53).

ومن شعره (كامل):

أدنـــو إلى الجـوزاء وهي غــريقـة　　تبغي النجــاة ولاتَ حين نجاهــا
والبـــدر يخفق وسـطَهــا، فكـأنَّـــه　　قلبٌ لهـا قـد ريع في أحشـاهــا

وقال (متقارب):

عــرفت الـــديــار على مــا بـهــا　　وأوقـفـتُ ركـبـي عــلى بــابـهــا
فـلم أر فـيـهــا ســوى بُــومـهــا　　يـصـيــح جــهــاراً بــأتــرابـهــا
فــأعــلمَــنــي ذاك أنَّ الــزمــا　　نَ أخنى عليهــا و[أزرى] بـهــا

* * *

التعليق: الترجمة في مخطوط السليميَّة، 7.

هذا الشريف الحسني كان واحداً من أفراد الوفد الذي فاوض جوهراً قبل عبوره إلى الفسطاط، وكان قائد الوفد الشريف الحسيني أبو جعفر مسلم بن عبيدالله. وخبر هذه المفاوضة مستفيض في اتعاظ الحنفاء 148/1 وما يليها.

وقد مرّت بنا (ص 207 رقم 21) ترجمة عبدالله أحمد بن طباطبا.

45 - إبراهيم بن جعفر بن فلاح الكتاميّ (ـ 370)

إبراهيم بن جعفر بن فلاح بن مروان أبو محمود الكتاميّ القائد. قدم إلى القاهرة مع أبيه جعفر بن فلاح، وما زال بها إلى أن قتل أبوه بدمشق في سنة ستٍّين وثلاثمائة عند محاربة القرامطة[1]. وقدم القرامطة بعد قتله إلى القاهرة وأخرج إليهم المعزّ ابنه عبدالله فقاتلَهم وانهزموا، فأحبَّ المعزّ أن يبعث في آثارهم من يأخذهم فوقع اختياره على أبي محمود ابن فلاح، فجهّزه.

وسار لخمسٍ بقين من شعبان سنة ثلاث وستّين وثلاثمائة [20 ماي 974] من القاهرة على عسكر بلغت عدَّتهم عشرين / ألفاً. فسار إلى الشام وظفر في طريقه بجماعة من أصحاب القرامطة بعثهم إلى القاهرة. [25 ب]

ودخل الرملة فاستأمنَ إليه جماعة من عسكر القرامطة وملكها بغير قتال. وسار يريد دمشق وقد سار عنها الحسن بن أحمد [الأعصم] القرمطيّ واستخلف عليها أبا المنجّى[2] في طائفة من الجند. فنزل أبو محمود أذرعات. وسار ظالم بن موهوب من بعلبك بمكاتبة المعزّ له إلى دمشق. فلمّا نزل عقبة دمر خرج أبو المنجّى إلى الميدان ليقاتله، وهو في ألفَي رجل. فبعث إليه ظالم يخادعه ويقول: «إنَّما جئت مستأمناً إليكم». فسار عدَّة من

---

(1) انظر ترجمة جعفر بن فلاح، رقم 26 من كتابنا هذا.

(2) ترجم له الصفدي، أمراء دمشق، ص 50 رقم 163 باسم: أبي عبدالله علي بن المنجّى.

جند أبي المنجّى إلى ظالم فقوي بهم، وأقبل إلى أبي المنجّى وأحاط به فلم يمكنه الهرب. فأخذَه وابنَه[3]، وصار عسكرُه كلُّه مع ظالم، فملك دمشق يوم السبت[4] لعشر خلون من شهر رمضان [4/363 جوان 974]، وقبض على جماعة من أصحاب أبي المنجّى وأخذ أموالهم. وطلب أبا بكر محمد بن أحمد بن سهل النابلسيّ[5] حتى ظفر به.

ونزل أبو محمود على دمشق يوم الثلاثاء لثمان بقين منه [16 جوان 974] فأنس به ظالم وأكرمَه وخرج إليه وأسلمه أبـا المنجّى وابنَه وابنَ النابلسي، فعملهم أبو محمود في أقفاص من خشب وجهّزهم إلى القاهرة.

وامتدَّت أيدي أصحاب أبي محمود يأخذون من يلقونه في الطرق وينهبون القرى ويأخذون القوافل، ولا يقدر أبو محمود على ردِّهم.

وصار ظالم في المدينة يأخذ أموال السلطان ولا يدفع لأبي محمود شيئاً ويرى أنّه صاحب البلد. هذا، وقد كثر في البلد حُمّال السِّلاح من الغوغاء، وقتلوا أصحاب المشايخ، فامتنع الناس من الذهاب والمجيء، وفرَّ أهل القرى إلى المدينة وخلت ظواهر دمشق.

فلمّا كان يوم الخميس النصف من شوّال [9/363 جويلية 974] نزل أصحاب أبي محمود لنهب القصّارين عند الميدان، فوقع الصارخ في المدينة وخرج الناس بالسلاح، وفيهم أصحاب ظالم فاقْتَتَلُوا ثمَّ افترقوا. وكثُر بعد ذلك حملُ السلاح في البلد.

وقدمت قافلة من حوران على طريق الحُرْجُلّة[6] فأخذها أصحاب أبي محمود وقتلوا ثلاثةً ممَّن كان فيها، فحملهم أصحابهم وطرحُوهم بالجامع

---

(3) في «أمراء دمشق» ص 50 و 87: مع أبيه. وعند ابن القلانسي، 4 وغيره: أبو المنجى وولدُه.
(4) هو يوم خميس حسب جداول كاتينوز.
(5) خصَّص المقريزي ترجمة لهذا الزاهد في المقفى: انظر رقم 32.
(6) الحرجلّة: من قرى دمشق (ياقوت).

داخل المدينة، فاجتمع عليهم الناس وغلّقت الحوانيت وخلت الأسواق. واجتمع العالَم وضَرَبَ أصحاب أبي محمود قرية حجيرا[7] فدخل أهلها الجامع وهم يصيحون. واستمرَّ الخوف إلى يوم الاثنين سابع عشر ذي القعدة [10/363 أوت 974] فوقع الصوت في البلد: النفير! فلبس الناس السلاح وخرج أصحاب ظالم معهم، فقاتلوا أصحاب أبي محمود يومهم إلى الليل، ثمَّ أصبحوا يوم الثلاثاء فاقتتلوا إلى الليل، وأصبحوا يوم الأربعاء فاقتتلوا إلى العصر، ووقع الحريق فانهزم أهل البلد وقتل منهم كثير. فخرج ظالم من دار الإمارة، ولم يكن خرج في هذه الحروب، وإنَّما يبعث أصحابه ويُظهر أنَّه إنما يريد الدفع عن البلد ولا يحبُّ القتال ولا الخلاف، وهو مُداهن في ذلك. فلمَّا رأى أهل دمشق منهزمين والمغاربة خلفَهم، وقد ازدحم أصحابُه في الجسر[8]، حمل، ومعه طائفة، على أوائل المغاربة حتى ردعهم عن الرعيّة. ثمَّ تكاثر المغاربة عليه فعبر الجسر، وأخذ المنهزمون نحو البيوت فأدركهم المغاربة وقتلوا منهم كثيراً. فضجَّ الناس بالنفير من المآذن والأسطحة، وكثر الرميُ بالنشاب من الأسطحة، فأحرق المغاربة الفراديسَ، وكان بناءً[9] حسناً فشعّت النار وأتلفَت شيئاً كثيراً، وانهزم ظالم وسار إلى بعلبك. وجنَّ الليل، وبات الناس خامدين فزعين لما يأتيهم من الغد، وتمكّنت النار تلك الليلةَ وأحرقت ما شاء الله، وتصاعد لها ألسنة وشرار عظيم وصارت كأنَّها فرسٌ يجري.

وأصبح الصبح وقد احترق قصر عاتكة وقصر حجَّاج[10] وما هنالك فلم [26 أ] يبق له أثر. هذا والناس طول ليلهم / يعارضون الخشب في الأسواق ويضيّقون الدروب ويحفرون الخنادق في الطرق خوفاً من دخول الخيل والرجّالة

---

(7) حجير في المخطوط. وقال ياقوت: حُجيرا قرية في غوطة دمشق.

(8) عند ابن القلانسي، 6 الجسر المعقود على بَرَدى.

(9) الفراديس أجنَّة ملاصقة لباب الفراديس من دمشق «وهو أحسن مكان بظاهر دمشق» حسب قول ابن القلانسي، 6، وقد أطنب في وصف الحريق وتعداد الأماكن المحترقة.

(10) عرَّف ياقوت قصر حجَّاج فقال: محلّة كبيرة في ظاهر باب الجابية، ولم يعرف قصر عاتكة.

إلى المدينة، وعملوا على أنَّهم يقاتلون على أبواب القبر وبات المغاربة فرحين بأخذ البلد.

فلمَّا أصبحوا أقبلوا إلى المدينة فخارت قوى كثير من الناس لما داخلَهم من الفزَع، وتحيَّروا. فعندما أقبل المغاربة وقع النداء بالنفير، وخرج أهل دمشق فاقتتل الفريقان مليّاً.

ثمَّ إنَّ مشايخ البلد ساروا إلى أبي محمود وهو نازل بالميدان يسألونَه الرفقَ، وقد تبعهم خلق كثيرٌ. فلمَّا دخلوا عليه لطفوا به ودارَوْه وضرعوا إليه، فقال: ما نزلت لقتالكم، وإنَّما نزلتُ لأرُدَّ هؤلاءِ الكـلابَ عنكم - يعني أصحابَهُ - وما أنا ممَّن يُقاتل رعيَّةً.

فاستبشر الناس واختلطوا بأصحابه وانتشر قولُه في البلد فزال الخوف، ودخل المغاربةُ إلى المدينة في ما يحتاجون إليه. وولَّى أبو محمود الشرطة لرجل يقال له حمزة من المغاربة ولابن كشمرد[11] من الإخشيديّة فدخلاَ البلد في جمع عظيم وطافا بالمزاهر والزَّمْر[12] وجلسا في الشرطة، وصارت رجالُهما تطوفُ المدينةَ في الليل في عدَّة وافرة. هذا وحُمَّال السلاح ممَّن يطلب الفتنة لم يكفُّوا فكان الطَّوْفُ[13] يجد دروباً قد ضُيِّقت لا يمكنه أن يدخل فيها. فشكا صاحب الشرطة ذلك إلى أبي محمود وقال: إنَّ القومَ على ما كانوا عليه من العصيان، وأشدّهم قوم في باب الصغير[14].

فقال بعض من حضر عند أبي محمود من أهل دمشق: إنَّما كان الأمرُ والنهي للرعيَّة - وأهل هذا البلد قد غلبوا عليه.

وكثر الكلام في هذا فعظم ذلك على أبي محمود واضطرب. فلمَّا حضر

---

(11) حمزة المغربيّ وابن كشمرد الإخشيدي: هكذا ذكرهما ابن القلانسي، 7 أيضاً.

(12) عند ابن القلانسي: بالملاهي والزَّفْن، وهو الرقص.

(13) الطَّوف: العَسَسُ.

(14) باب الصغير أحد أبواب دمشق.

مشايخ البلـد اشتدَّ عليهم وهدَّدهم وقال: «أنتم مقيمون على العصيان»، فاعتذروا بأن سدَّ باب الصغير وغيره إنما كان خشيةً من أن يدخل منه مَن لا يعلَم به القائدُ من أصحابه ممَّن يطلب الفتن فتثور جهَّال الناس. فأقسم أبو محمود لئن لم يفتح هذا الباب ليركبنّ إليه وليحرقنّه وليقتُلَنَّ مَن فيه. فقال الشيوخ: نعم، نفعل ما يقول القائد.

وأجّلَهُم ثلاثاً فخرجُوا من عنده حائرين لا يدرون كيف يسوسونَ جُهَّالَ الناس، ولا ما يعملون في أمر السلطان. وأتوا إلى باب الصغير وقد اجتمع أهل الشرِّ، فيهم ابن الماورد[15]، رأس الشطّار، فبلغهم الشيوخ ما قال أبو محمود فكـ[ـثـ]ـر اختلافُهم. ثمَّ إنَّهم فتحوا الباب من وقتهم.

واتَّفق أنَّ بعضَ المغاربة في هذا اليوم جرى بينه وبين بعض أهل الشرِّ من الدمشقيِّين نزاع في صبيّ أراد المغربيّ أن يغلب عليه، فرفع الدمشقيّ السيف وقتل المغربيّ في السوق. فاضطرب البلد وغلّقت الأسواق وثـار العسكر، فسدَّ أهل البلد باب الصغير، فصاح النفير في البلد وكبَّر الناس على الأسطحة، فطرح العسكر النار في الدور التي خارج المدينة. وخرج ابن الماورد في جماعته ومعه سوقة ونظارة أكثرهم بمقاليع، ودار المستنفرون في أزقّة المدينة ينفّرون الناس للقتال، فأقبلوا أفواجاً إلى باب الصغير، والقتال قد حمِيَ بين الفريقين.

ونزل أبو محمود في محراب المصلّى واضطجع لوجع كان به في باطنه وهو يتأوَّهُ، فكانت في هذا اليوم عدَّة وقائع آلت إلى انهزام أهل البلد. وطمع المغاربة في أخذها، فضجَّ الناس بالنفير من الأسطحة والمآذن، وعلا صياح الرجال والنساء والصبيان، وكثر الحريق، واشتدَّ الرميُ على المغاربة من فوق الدروب بالنشاب والحجارة. فرُدُّوا عن دخول البلد. وخرج مشايخ البلد من

(15) ابن المارود عند ابن القلانسيّ، والشطار هم عنده الأحداث، أي الغوغاء والرعاع (انظر دوزي في المادَّة).

باب الجابية / وفيهم ابن أبي هاشم وأبو القاسم أحمد بن الحسن العقيقي [26 ب]
العلويّ[16] ـ وكان أبو محمود يجلّه ويعظّمه ـ فتوجَّهوا إلى أبي محمود وقالوا له: «الله! الله! أيُّها القائد في الحرم والأطفال!» وما زالوا به حتى ردَّ العسكر عن المدينة بعدما أشرفوا على أخذها. وصرف العقيقي من كان من الرعيَّة يريد أن يقاتل، وسار أبو محمود بعسكره إلى حيث كان ينزل، وذلك في آخر ذي الحجَّة [20/363 سبتمبر 974] فصلح الأمر وسكن الشرُّ.

وخرج الناس إلى أبي محمود ودخل أصحاب الشرط المدينة، إلاّ أنَّه كان قد فرَّ من الغوطة خلق كثير إلى المدينة، وفيهم طائفة ذعَّار وطمَّاع صاروا مع أهل الشرِّ من أهل المدينة، وفيهم طائفة يقال لها «الهياجنة»[17] من قرى المرج لا يعرفون سوى الفساد. فصار هؤلاء يأكلون أهل السلامة والمستضعفين والذمَّة ويجبون مسْتَغلّات الأسواق ويكبسون المواضع فينهبونَ ما فيها. فأكلوا بذلك ولبسوا وحسنت أحوالُهم، وصاروا يكرهون أن يتمكَّن السلطان لئلاَّ يزولَ ما هم فيه. فهلك كثير من الناس بين العسكر وبين أهل الشرِّ.

فلمَّا كان في بعض الليالي مرَّ صاحب الشرطة على عادته فإذا بصبيّ صبَّاغ معه سيف فأخذه وقتله، فخشي أهل الشرّ أن تمتدَّ يد السلطان فيهم فيُفنيهم. فثاروا عند الصباح بصاحب الشرطة، ففرَّ بمن معه إلى أبي محمود وأقبلت الهياجنة إلى الخضراء، وجمعوا البواريَّ والقصب وقالوا: «هذه البواريّ»[18] والقصب أراد المغاربة أن يجعلوها في بطائن الجامع ليحرقوه». وقال أهل الشرِّ لجهّال العامَّة: «اصعدوا المآذن ونادوا النفير إلى الجامع!». ففعلوا ذلك وثار الناس بالسلاح إلى الجامع، فلم يروا غير بواريّ وقصب مطروحة في الخضراء. وركب العسكر وطرحوا النار في كلّ موضع بقي فيه

---

(16) قد ذكر هذان الوسيطان في ترجمة جعفر بن فلاح وذكر ابن القلانسي العقيقي فقط (ص 9).
(17) الهياجنة: لم نهتد إلى حقيقتها.
(18) الباريّة والبارياءُ: الحصير المنسوج (اللسان: بري) وهو من قصب عادةً.

عمارة، واقتتلوا على الأبواب، فكان يوماً عظيماً شرُّه من شدَّة القتال وقوَّة الحريق. فاشتدَّ الخوف على البلد، وعلا الضجيج إلى أن أظلم الليل، وذلك يوم الخميس لثلاثٍ خلون من المحرَّم سنة أربع وستّين وثلاثمائة [24 سبتمبر 974].

وأصبحوا على ذلك. فظهر في أهل الشرِّ غلام يقال له «ابن شرارة» قد ترأّس وصار له قدمة في العنترة[19] والقتال فأخذ جهةً من البلد يقاتل عليها ووقف على باب الجابية عبيد الحوراني في جماعة، وعلى باب الفراديس ابن تعزيزات وابن المغنيّة وقسَّام، وكل جرّ[20] من هؤلاء بأعلام وأبواق. فاستمرَّ القتال في أكثر المحرَّم وفنِي فيه خلائق إلى أن خرج المشايخ إلى أبي محمود وشكَوا إليه ما الناس فيه، وأنَّه لم يهلك إلَّا أهل السّتر والمستضعفون. وكان قد علم ذلك وأنَّ الفساد إنَّما هو من أهل الشرِّ فقط. فأجابهم ووقع الصلح، وصرف حمزة المغربيّ وابن كشمرد الإخشيديّ عن الشرطة، وولَّى رجلاً من بانياس كان أميراً على التركمان يقال له «أبو الثريّا» على الشرطة وذلك لأوَّل صفر [21/364 أكتوبر 974] فعبَر من باب الصغير، ومعه رجّالة من الأكراد، وقد كمن له ابن الماورد أحَدُ الشطَّار فثار به وخرج عليه فقُتل من أصحاب أبي الثريّا عدَّة، وانهزم فيمن بقي معه إلى أبي محمود، وقد انتشر الناس حول البلد بمعايشهم وضروراتهم.

فركب العسكر وأخذوا الطرق وأتوا على كثير ممَّن ظفِروا به ليقتلوهم ووقع النفير في البلد. فخرج الناس واشتدَّ القتال مدَّة صفر وشهر ربيع الأوَّل [نوفمبر - ديسمبر 974] إلى أن بقي من شهر ربيع الآخر ليالٍ فوقع الصلح، وولَّى أبو محمود ابن أخِيه جيشَ بن الصمصامة البلاد، ونزل في قصر الثقفيّينَ وانصلح الحال أيّاماً إلى أن عبر بعض المغاربة من الفراديس فعاثوا هناك فثار الناس بهم وقتلوا من لحقوه منهم وعاد/ إلى قصر الثقفيّينَ جيش بمن معه [27 أ]

(19) العنترة قراءة ظنيَّة، اعتماداً على السياق.

(20) لم نفهم هذه الكلمة ولعلّها: حزب.

فنهبوا ما كان معهم، وصار جيش إلى أبي محمود، وأركب معه العسكر وزحف على المدينة بالنفّاطين فأحرق مواضع حتى لم يبق لها أثر. وقصد أهل الشرّ، وكانوا في موضع بالمدينة يعرف بسقيفة جناح بالقرب من باب كيسان، فقاتل هناك إلى باب شرقي[21] قتالاً شديداً من أوَّل جمادى الأولى في كلّ يوم من بكرة النهار إلى آخره و[يـ] ـبيت العسكر حول المدينة يطلبون الغفلةَ فيقع النفير من البلد إلى تلك الجهة حتّى تُحمَى، فإذا أصبحوا عاودوا القتال.

فتعب أهل المدينة بحصار العسكر من باب إلى باب، والقصد إنّما هو باب كيسان، فتارة يكون للعسكر وتارة يكون لأهل البلد، ولا يكلّ أحد من الفريقين. وقتل خلق كثير ومات في البلد من دوابّ أهل الغوطة التي دخلوا بها شيءٌ كبير. وصار العسكر يتخطّف من يَظفر به من أهل الغوطة ويقتلو[نـ]ـه فخربت الغوطة وخلت القرى حتى إنَّ العسكر كان يجول بها فلا يجد أحداً. فصاروا يحرقون الأبواب ويأخذون المسامير والحصر، ولا يقعون على أحد إلاّ قطعوا رأسَه. ومُنع الواصل إلى المدينة فغَلَت بها الأسعار، وبطل البيعُ والشِّراءُ، وانقطع الماء عن البلد فعدمت القنا والحمّامات، وصار الإنسان إذا مرّ بمدينة دمشق لا يجد غيرَ أسواقٍ مغلقةٍ ونساءٍ جلوس على الطرقات وقوم يصيحون: النفير!

فانهتك في هذه الفتنة أكثرُ الناس وساءت أحوَالُهم وماتوا على الطرُق من الضرِّ والبرد، والقتال لا يزداد إلاّ شدَّةً طولَ الليل والنهار إلى أن أجهدَ الناسَ البلاء، وقوِي على أهل البلد أشرارُهم وأكلوا أموال أهل السلامة، فقالوا: نخرج إلى هذا السلطان وندخله إلى المدينة يفعل فيها ما يشاء ونستريح ممّا نحن فيه!

ففتح أهل التوراة توارتَهم وأهلُ الإنجيل إنجيلهم وصاروا إلى المسلمين

---

(21) باب شرقيّ بدمشق: هكذا ذكره ابن القلانسي، 26. وانظر فصل دمشق بدائرة المعارف الإسلاميّة ج 2 ص 291 عمود1.

ففتحوا القرآن، واجتمع الكلُّ في الجامع وضجُّوا بالدعاء واستغاثوا إلى الله يطلبون الفرَج، وداروا المدينة وهي منشورة على رؤوسهم. فتجمَّع الشيوخ والأشراف وراسلوا أبا محمود في الصلح، وخرج إليه خلق كثير من الرعيَّة وداروا حول فرسه وقالوا له: ادخل أيُّها القائد، ونحن بين يديك، والبلدُ لك، افعل فيه ما اخترتَ!

فأحسن في القول وجامل في الردِّ. فاستبشر الناس واجتمعوا في الجامع، وأحضروا ابن الماورد وابن شرارة وأكابرَ أهل الشرِّ وزجروهم وألزموهم بالكفِّ عن معارضة السلطان في البلد، وأنَّهم يلزمون بيوتهم. فأذعنوا لذلك وانصرفوا، إلاَّ رجل من أهل الشرِّ فإنَّه شمخ وطلب الفتنة فأخذه أهل البلد وقتلوه فانكفَّ أهل الشرِّ.

وكانت الأخبار ترد على المعزّ بما يجري على أهل دمشق من خراب البلاد وكثرة القتل وطول الحصار، وأنَّ العسكر لا ينضبط لأبي محمود. فكتب إلى ظالم وهو ببعلبك يستجيد رأيه ويوبّخ أبا محمود[22]. وكتب إلى ريان الخادم والي طرابلس في النصف من شعبان سنة أربع وستِّين وثلاثمائة [30 أفريل 975] أن يسير إلى دمشق وينظر في أمر الرعيَّة ويصرف أبا محمود عن دمشق.

فسار ريَّان من طرابلس إلى دمشق، وأمر أبا محمود أن يرحل إلى الرملة، فسار عنها في عدد قليل وبقي العسكرُ مع ريّان. فنزل أبو محمود طبريّة.

فلمَّا قدم هفتكين الشرابي[23] من بغداد إلى دمشق وملكها من ريّان

(22) مكاتبة المعزّ لظالم العقيليّ لم يذكرها ابن القلانسي، 10.

(23) عند ابن ابن القلانسي، 11: أبو منصور الفتكين التركي المعزّي البويهيّ، وهي نسبة إلى معزّ الدولة.

ونزل عليه متملِّك الروم(24) خرج إليه. وبلغ ذلك أبا محمود فجهَّز جيش بن الصمصامة من طبريّة في ألفَي رجل إلى دمشق. فلمَّا وصل البثنيَّة(25) وجد شبل بن معروف العقيلي نازلاً عليها في عَرَبِهِ فاقتتلا ساعة كانت / الكرَّة فيها [27 ب] على جيش فأخذ أسيراً وقُتل أصحابُه. وبعث شبل بجيش إلى هفتكين فسلَّمه إلى متملِّك الروم وهو مقيم على عين الجَرّ(26) ينتظر المال الذي طلبه من أهل دمشق. فلمَّا أخذ المال ورحل من دمشق إلى بيروت بعث هفتكين شبل بن معروف إلى طبريّة، ففرَّ أبو محمود إلى الرملة بمن معه من المغاربة فقصدهم العرب وواقعوهم نحو بيت المقدس، فكانت العرب على المغاربة وقتلوا منهم كثيراً وأسروا جماعةً وبعثوهم إلى دمشق، فطوَّفوهم على الجمال وضربوا أعناقهم.

وأقام أبو محمود بالرملة إلى أن قدم القرامطة إلى دمشق ثمَّ ساروا منها إلى الرملة ففرَّ أبو محمود إلى يافا وتحصَّن بها فنازله القرامطة وقاتلوه حتى كلَّ الفريقان من القتال وصار يحدِّث بعضهم بعضاً.

ومات المعزّ وهم على ذلك، وقام من بعده ابنه العزيز بالله نزار في ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة [ديسمبر 975] فبعث جوهراً القائد إلى الشام فانهزم القرامطة من طريقه وساروا إلى الأحساء.

ونزل جوهر على دمشق في ذي القعدة ومعه أبو محمود، وقاتل هفتكين إلى أن رحل عنها بغير طائل في جمادى الأولى سنة ستّ وستين [جانفي 977] فأدركه القرامطة وهفتكين فقاتلوه بالرملة حتى التجأ إلى عسقلان.

وخرج العزيز من القاهرة ونزل الرملة وأخذ هفتكين وولّى دمشق

---

(24) هو يانس بن الشُمُشقيق Jean Tzimisces الدمستق البيزنطي (انظر ماريوس كانار: نخب تاريخية، 116).

(25) البثنيّة والبثنة: قرية بين دمشق وأذرعات (ياقوت).

(26) عين الجَرّ: في البقاع بين بعلبك ودمشق (ياقوت).

حميدان بن حوّاش العقيلي وكان قد غلب عليها قسَّام[27]. فصار حميدان من تحت يد قسَّام ثمَّ طرده وأخرجه من البلد، فولي أبو محمود بعد حميدان وصار إليها في نفر يسير، وبقي تحت يد قسَّام من غير أن يكون له أمر ونهي.

فقدم أبو تغلب عبدالله بن حمدان[28] إلى دمشق فمنعه قسَّام منها وأقام على المزة[29] شهوراً، وقد ثقل على قسَّام مُقامه فقاتلَه وأخذ عدَّة من أصحابه، وكتب إلى العزيز بذلك. فأخرج الفضلَ بنَ صالحٍ[30] إلى الشام وقاتل أبا تغلب حتى قتل في صفر سنة تسع وستّين [وثلاثمائة / سبتمبر 979][31].

ثمَّ أنفذ العزيز إلى دمشق سليمان[32] بن جعفر بن فلاح فمنعه قسَّام وكتب إلى العزيز يسأله في دمشق فكتب إلى سليمان بن فلاح أن يرحل عن دمشق، فرحل. ورجع أبو محمود إلى دمشق بعد مسير أخيه سليمان في رسم وال من طبريّة ومعه نفر يسير فأقام تحت مذلَّة قسام، وقد طمع العرب في عمل دمشق حتى كانت مواشيهم تدخل الغوطة.

ومات أبو محمود على ذلك بدمشق في صفر سنة سبعين وثلاثمائة [أوت ـ سبتمبر 980] ولم يكن فيه تدبير ولا عنده ثبات، بل كان عديم السياسة قليل العقل.

* * *

(27) الخبر في ولاية حميدان على دمشق مع قسَّام الترَّاب منقول عند ابن القلانسي، 21. وانظر ترجمة حميدان في هذا الكتاب (رقم 25).

(28) يسمِّيه ابن القلانسي، 21: الغضنفر ابن حمدان. وكذلك ابن تغري بردي: النجوم، 136/4.

(29) المزّة: ورد ذكرها في ترجمة جيش بن الصمصامة (رقم 59).

(30) يسمِّيه ابن القلانسي، 22: الفضل بن أبي الفضل ويقول وهو غلامٌ للوزير ابن كلّس.

(31) قتله المفرّج بن دغفل بن الجرَّاح الطائيّ «وكان الفتكين يميل إليه ويتمرَّده» (ابن القلانسي، 19).

(32) في المخطوط: سلمان. والتصويب من ابن القلانسي 23.

التعليق: الترجمة من مخطوط السليميَّة ورقة 25 أ ـ 27 ب.

رواية المقريزي لحوادث دمشق تلازم رواية ابن القلانسي، إلَّا أنَّه أكثر اختصاراً، وأقلُّ خللًا في التعبير، بل إنَّ المقريزي يتأنَّق في أسلوبه ويسعى إلى التأثير كما فعل في وصف حريق دمشق.

وبالرغم من الحكم القاسي الذي حكم به على إبراهيم الكتامي، وكذلك فعل مع جيش بن الصمصامة، فإنَّه لم يُرجع العداوة بين الدمشقيِّين والمغاربة إلى الصراع المذهبيّ كما فعل ابن القلانسي في كثير من تفاصيل كتابه.

46 ـ محمد بن المهلَّب الصيدلاني (290 ـ 370)

محمد بن المهلَّب بن محمد الصيدلاني المصريّ العدل. ولد سنة تسعين ومائتين. وشهد في المحضر الذي كتبه القائد جوهر أماناً لأهل مصر في شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة.

وتوفِّي في صفر سنة سبعين، وقيل سنة تسع وستين وثلاثمائة.

* * *

التعليق: الترجمة من مخطوط ليدن 3، ورقة 152.

ذكره المقريزي في الاتعاظ 153/1 باسم محمد بن مهلّب بن محمد، وذكره الداعي إدريس (عيون... 678) بكنية أبي بكر.

47 ـ باديس بن زيري (ـ بعد 370)

/باديس بن زيري بن مناد بن منقوش. أنفذه العزيز بالله نزار ابن المعزّ [241 أ]
أميراً على حاجّ مصر في سنة سبع[1] وستين وثلاثمائة [/ جوان 979]. فلمّا وصل مكة أتاه اللصوص وقالوا له: نحن نتقبَّل منك الحاج بخمسين ألف درهم، ولا تتعرَّض لنا.

فقال لهم: كرامة! اجمعوا أصحابكم حتى أعقد معكم ذلك.

فاجتمعوا نيفاً وثلاثين رجلاً. فقال: هل بقي منكم أحدٌ؟

فحلفوا أنَّه ما بقي منهم أحد. فأمر فقُطعت أيديهم كلّهم.

فلمّا قدم بالحاجّ بعثه العزيز بالله إلى أخيه يوسف المعروف ببلكين بن زيري خليفته على المغرب بكتاب. فقدِم عليه يوم الأحد لسبع خلون من ذي الحجّة سنة سبعين وثلاثمائة [14 جوان 981]، فأقام بأشير مدّة وتوفّي بها.

* * *

التعليق: الترجمة في مخطوط السليميّة ورقة 241 أ.

هذه الحكاية الطريفة تعرّض لها ابن الأثير في حوادث 367، وجاء في عرض اللصوص: نتقبَّل منك الموسم... وقد شرح هـ. ر. إدريس هذه الصفقة: فاللصوص يشترون من باديس حق السرقة.

وجاءت عبارة السيوطي (حسن المحاضرة، 280/2) أكثر إغراءً: يضمّنهم الموسم بما شاء من الأموال.

ولا نعرف متى توفّي هذا الأخ لبلقين بن زيري، ولا كيف وفد إلى مصر.

(1) في المخطوط: تسع، والإصلاح من هـ. ر. إدريس: الدولة الزيريّة، 53 ومن ابن الأثير، حوادث 367، ومن حسن المحاضرة للسيوطي، 280/2.

48 ـ الحسن بن عبيدالله بن طغج (ـ 371)

[365 ب] /ابن جف بن يلتكين بن فوران بن فوري بن خاقان، الأمير أبو محمد ابن الأمير أبي الحسن عبيدالله ابن الأمير أبي محمد الفرغانيّ.

وولي الرملة بعد [. . . . . . .][1]، فلمّا وصل أبو الطيِّب أحمد المتنبّي إلى الرملة يريد مصر حَمَل إليه الحسن بنُ عبيدالله هدايا وخلع عليه وحمله على فرس جواد بمركب ثقيل وقلّده سيفاً محلًّى وسأله المدح، فاعتذر إليه بالأبيات الرائيّة وهي (خفيف):

غير أني تركتُ مقتضبَ الشعـ ـر لأمرٍ مثلي به معذور
ترك مدحيك كالهجاء لنفسِي وقليل لك المديح الكثيرُ
وسجاياك مادحاتُك لا لفـ ـظي، وجودٌ على كلامي يُغيرُ
فسقى الله من أحبَّ بكفّيْـ ـكَ وأسقاك أيُّهَذا الأميرُ[2]

وعندما مات الأستاذ كافور الإخشيدي عُقد الأمر بمصر من بعده للأمير أبي الفوارس أحمد بن علي بن الإخشيد على أن يكون القائم بتدبير أمره الحسن بن عبيدالله.

(1) بياض بالأصل، ولعلّه خلف عمّه الحسن بن طغج الذي مات والياً على الرملة سنة 340.

(2) هذه الأبيات في ديوانه (شرح العكبري، 146/2) وكلام المقريزي يوهم أنّ أبا الطيِّب لم يمدح الحسن بن عبيدالله بن طغج. والواقع أنّه مدحه بقصيدة ميميّة معروفة:

أنا لائمي إن كنتُ وقت اللوائم علمتُ بما بي بين تلك المعالم

وكان ذلك أثناء اضطرابه الأوّل بالشام، سنة 336. فلمّا فارق سيف الدولة وقصد كافوراً، سنة 346، رغب إليه أمير الرملة ناعتذر بهذه الأبيات (انظر: عبد الوهاب عزّام: ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام، القاهرة 1956، ص 77 - 78).

وأنفذ إلى الشريف عبدالله بن عبيدالله أخي مسلم، وهو بالرملة يلي تدبير أمر الشام أن يعقد البيعة لأبي الفوارس، فاختلفا وتحاربا فسار إليه تبر الإخشيدي من مصر وعقد نكاح فاطمة بنت الإخشيد على الحسن بمصر، وهو بالشام. وقيل ورد من قِبـله ودعي له على سائر المنابر بعد أبي الفوارس.

فلم يزل بالرملة إلى أن قدم أبو محمـد الحسن بن أحمد كبير القرامطة إليها، فقاتلهم قتالاً شديداً حتى انهزم منهم.

وسار في ذي الحجَّة سنة سبع وخمسين وثلاثمائة [/ نوفمبر 968] إلى مصر فتلقَّاه تبر إلى الفرما، وسار منها إلى تنيس، فعبر إلى مصر، ونزل بالمختار(3) من الجزيرة في سلخ ذي الحجَّة، وخرج إليه ابن الفرات والناس.

وركب من المختار يوم الجمعة لِلَيلَتين خلتا من المحرَّم سنة ثمانٍ وخمسين [27 نوفمبر 968] بالسواد(4) في جميع العسكر إلى الجامع العتيق فصلَّى الجمعة ومعه ابن الفرات، فدعي له بعد الأمير أبي الفوارس. ونزل بدار الإمارة وكثر له الدعاء وكان يوماً مشهوداً.

فقبض على أبي الفضل جعفر بن الفرات الوزير وعذَّبه وصادره وقبض على جماعة. وأقام في الوزارة كاتبَه الحسن / بن جابر الرياحيّ، فأتته رسالة [356 أ] القرامطة بطلب المال وغيره.

وأعرس بفاطمة بنت عمِّه الإخشيد في ثامن صفر. وخرج من مصر يريد الشام في ثالث ربيع الآخر [24/358 فيفري 969] ومعه شمول في جماعة من القوَّاد والجند. ونزل على ظاهر دمشق فأقام مدَّة أشهر إلى أن قدم جوهر القائد إلى مصر في شعبان منها [جوان ـ جويلية 969]، وبعث جعفر بن فلاح بالعساكر إلى بلاد الشام.

فسار الحسن في شهر رمضان من دمشق، واستخلف عليها شمولاً

(3) المختار: هو «البستان المختار» أحد منتزهات جزيرة الروضة. وفي الخطط ج 294/3 نقلاً عن ابن زولاق أنّ الإخشيد هو الذي أنشأه.

(4) بالسواد: أي بشعار العبَّاسيِّين.

الإخشيديّ. ونزل بالرملة وتأهّب للقتال، فوافقه القرامطة ولقيهم فهزموه في ذي الحجة [358/ أكتوبر 964]. ثمَّ جرى بينَه وبينهم صلحٌ وصاهرهم، ورحل القرامطة.

فكتب إلى شمول بأن يسير إليه ليجتمعا على حرب جعفر بن فلاح فتقاعد عنه لحقد كان في نفسه منه، وصار يكاتب جوهراً القائد بمصر.

فبينا هو في ذلك إذ قدم جعفر بنِ فلاح بالعساكر فلقِيَه وحارَبه فانهزم، وأخذ السيفُ عسكرَه فقُتل كثيرٌ منهم وأُخِذَ أسيراً في النصف من شهر رجب سنة تسع وخمسين وثلاثمائة [24 ماي 970]. وبعثه إلى القائد جوهر في القيد ومعه جعفر القرمطي وآخرون. فبعثهم جوهر مع هديَّة وعِدَّة ممَّن قبض عليه إلى المعزّ، فخرجوا من مصر لسبع عشرة خلت من جمادى الآخرة [17/360 أفريل 971] وهم في القيود. فلمَّا وصلوا إلى رشيد نُزِعت عنهم القيود وأركبوا المحامل وساروا إلى بلاد المغرب.

ثمَّ قدم الحسنِ بن عبيدالله مع المعزّ لدين الله إلى مصر في شهر رمضان سنة اثنتين وستّين وثلاثمائة [جوان 973].

ومات بالقاهرة في خلافة العزيز بالله ليلة الجمعة لعشر بقين من شهر رجب إحدى وسبعين وثلاثمائة [19 جانفي 982]، وصلَّى عليه العزيز بالله في القصر، وطُرح على تابوته ثوبٌ مثقل.

* * *

التعليق: الترجمة من مخطوط السليميّة 365 ـ 356 أ.

الحسن بن عبيدالله بن طغج هو غير الحسن بن طغج، أخي الأمير محمد بن طغج الإخشيد، الذي ترجم له المقريزي (رقم 18) والذي لم يقترن اسمُه بالرملة مثل حفيده هذا.

وقد أدرجناه في كتابنا هذا لأنَّه حارب الفاطميِّين بالشام فأسروه وأرسلوه إلى إفريقية فعاد إلى مصر في ركب المعزّ: فهذا العداء الذي ينقلب إلى حظوة وتكريم يؤهِّلُ الرجل أن يدخل في عدادِ الأنصار والخصوم كغيره من الأعلام الذين انتقيناهم من المقفّى.

49 ـ تميم بن المعزّ الفاطميّ (337 ـ 374)

تميم بن المعزّ لدين الله أبي تميم معدّ بن المنصور بنصر الله أبي [280 ب]
الطاهر إسماعيل بن القائم بأمر الله / أبي القاسم محمد بن المهدي عبيد الله، [281 أ]
الأمير أبو علي، أكبر أولاد المعزّ.

ولد بالمغرب لستّ بقين من رجب سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة [27جانفي 949]، وعهد إليه أبوه بالخلافة بعده. فلمّا أخذ مصر جوهر القائد كتب المعزّ إلى جوذر الصقلبيّ، وكان بالمهديّة، يأمره بالوصول إليه. فلمّا وصل أسرّ إليه أنّه قد ردّ العهد من تميم إلى عبد الله، وكلّف[1] جوذر بذلك. فلمّا قرب جوذر أمر المعزّ ولده الأمير تميم بن المعزّ أن يخرج في العساكر إلى لقائه لأنّه كان مكيناً عنده. فخرج تميم ومعه أخوه عبد الله خلفه حتى قرب من جوذر. فترك جوذر تميماً وقصد عبد الله وترجّل وقبّل يده وقال للناس: «هذا مولاي ومولاكم».

فرجع الناس كلّهم وراء عبد الله ورجع تميم وحده، وصار عبد الله وليّ العهد من ذلك اليوم.

وكان الذي دعا المعزّ إلى خلع تميم من العهد أنّه رأى أنّه لا يعقب، وتحرُّفَهُ الأدب.

ومات مع زوال الشمس في يوم الثلاثاء ثالث عشر ذي القعدة سنة أربع

(1) انظر خبر هذا التعيين في سيرة الأستاذ جوذر، 139، وفي ترجمتها الفرنسية، هامش 467.

وسبعين وثلاثمائة [7 إفريل 985](2) في بستانه بخليج بني وائل خارج مدينة مصر، وكان العزيز بالله مبرزاً بعين شمس، فعاد إلى البستان وأقام به حتى فرغ من جهازه. وغسّله القاضي محمد بن النعمان وكفّنه في ستّين ثوباً. وأخرج من البستان مع المغرب وحُمل بين يديه فصلّى عليه بالقرافة، وحُمل إلى القصر فدُفِن به.

وكان تميم فاضلاً شاعراً ماهراً لطيفاً ظريفاً. وقال في كتاب «معاقرة الشراب»: إنّ تميماً ركب في النيل متنزّهاً فمرّ ببعض طاقات الدور المشرفة على النيل وجارية تغنّي (كامل):

نبّهتُ ندماني بدجلةَ مَوْهِناً   والنجمُ في أُفُق السماءِ معلَّقُ(3)
والبدر يضحَك وجهُه في وجهها   والماء يرقُصُ حولَنا ويُصفِّق(4)

فاستحسن ذلك وطرب عليه وما زال يستعيده ويشرب عليه حتى انصرف وهو لا يعقل سكراً. فلمّا أصبح عارضه فقال (متقارب):

شربْنا على النيل لمّا بدا   بمَوْج يزيدُ ولا يَنقُصُ(5)
كأنّ تكاثُفَ أمواجه   معاطفُ جاريةٍ ترقُص(6)

فأحسن ما شاء. وبلغ هذا الشعر عبد الله بن محمد الكاتب(7) فجمع

(2) هذا التاريخ هو الذي ذكره ابن خلّكان (ترجمة رقم 125) وابن الأبّار في الحلّة السيراء (ترجمة 108). وفي بعض المصادر أنه توفّي سنة 368 (ابن كثير: البداية والنهاية 293/11 وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، 133/4، والسيوطي: حسن المحاضرة 561/1).

(3) في ترجمة الوفيات 303/1: والبدر.

(4) في الوفيات: حولها.

(5) في الديوان، 255: نظرت إلى النيل في مدّه.

(6) في الديوان: كأنّ تعاطف.

(7) عبد الله بن محمد الكاتب: أمير إفريقيّة من قِبَل الصنهاجيّين. انظر عنه رسالة هـ. ر. إدريس عن الدولة الزيريّة 48/1 و66/1.

هذا وقد أقحم المؤلّف - أو الناسخ، أو بعض المحشّين - ترجمة لهذا الوالي علّم عليها بحرف «حـ» في أوّلها، وكأنّه ينبّه على أنّها ليست من متن المقفّى، وهذه الحاشية المقحَمة تقول: [عبد الله بن محمد بن أبي العبّاس الأغلب نشأ بإفريقيّة وتعلّم الخطّ والترسل فاستكتبه زيري =

شعراء إفريقيّة وأمرهم أن يقولوا في معناه فلم يأتوا بطائل.

وقال (خفيف):

وآنجلى الغيمُ عن هـلالٍ تبـدّى ... في يَـدِ الأفق مثلَ نصفِ سِـوارِ[8]

وقال (خفيف):

وكـأنّ الـصبـاحَ فـي الأُفْقِ بـازٍ ... والـدُّجَى بين مِخـلَبَيْـه غُـرابُ[9]

وكـأنَّ الـسـمـاءَ لـجّـة بَـحـرٍ ... وكـأنّ النجـومَ فـيـهـا حَـبـابُ

وقال (بسيط):

نـاولتُها شِبـهَ خـدَّيْهـا مشعشعَةً ... بِكـراً كـأنّ سَناهـا ضَـوْءُ مِقبـاسِ

/ تقَبَّلَتْهـا وقـالت وهي ضـاحكـةٌ ... وكيف تُسقَى خدودُ الناس للناس؟ [281 ب]

. . . قلت: آشْرَبي، إنّهادمعي، وحُمرتُها ... دمي، وطابخُها في الكأس أنفاسِي

قالت: إذا أنت من حبّي بكيتَ دماً ... فسقّنيهـا على الـعينيـن والـرأس

يـا ليلةً بـات فيهـا البـدرُ مُعتَنِقي ... وباتتِ الشمسُ فيها بعضَ جلاّسِي

وبتُّ مُسْتَغنِيـاً بـالثغـرِ عن قَـدَحٍ ... وبـالخـدود عن التّفـاح والآس[10]

وقال (بسيط):

قـالت وقـد نـالهـا للبين أوجَعُـه ... والبينُ صعبٌ على الأحباب مَوقعُه

= ابن مناد، ثمّ استكبته آبنه أبو الفتح يوسف بن زيري [وكان] حاذقاً بلسان البربر. فبعثه يوسف إلى المنصوريّة عوناً لأبي نصر زيادة الله بن القديم، فقدمها ثالث رمضان سنة ثلاث وستّين وثلاثمائة [28 ماي 974] فأمر ونهى مع ابن القديم إلى أن تحاسدا وثارت الحرب بينهما، وقبض على ابن القديم وسجنه حتّى مات. واستبدّ بأمر إفريقيّة في ثامن ربيع الأوّل سنة أربع وستّين [وثلاثمائة / 26 نوفمبر 974] إلى أن قتله الأمير أبو الفتح منصور بن يوسف يوم الأحد لأحد عشر خلت من رجب سنة سبع وسبعين وثلاثمائة [/ 6 نوفمبر 987] هو وابنه يوسف بن عبد الله، فدُفِنا بغير غسل ولا كفن [و] ردّ عليهما التراب في اصطبل].

(8) الديوان، 183.

(9) الديوان، 70.

(10) الديوان، 249.

آجعَل يدَيْك على قلبي فقد ضعُفَت قُواه عن حمل ما فيه وأَضْلُعُه[11]
وآعْطِفْ عليَّ المطايا ساعةً فعسى مَنْ شَتَّ شملَ الهوى بالبَين يَجْمَعُه[12]
كأنَّني يومَ ولَّتْ حسرةً وأسىً غريقُ بَحْرٍ يرى الشاطي ويُمنَعُهُ

وقال (طويل):

إذا حان مِن شمسِ النهار غروبُ تذكّر مُشتَاقٌ وحَنَّ غريبُ
... وما بلدُ الإنسانِ إلّا الذي له به سكَنٌ يشتاقُه وحبيبُ
... تُرى عندهم علمٌ وإن شطّت النوى بأنَّ لهم قلبي عليَّ رقيبُ[13]

وقال (كامل):

واللَّهِ لولا أن يقال تَغيَّرَا وسَلاَ، وإن كان التسلِّي أجدرَا[14]
لأعْدتُ تفّاح الخدودِ بَنَفْسَجاً لَثْماً وكافورَ الترائب عَنْبَرا

وقال (كامل):

يومٌ لنا بالنيل مُختصَرُ ولكلّ وقتِ مَسَرّةٍ قِصَرُ[15]
والسُّفنُ تصعَدُ كالخيول بنا فيه وحَشْدُ الماء منحدِرُ[16]
وكأنّما أمواجُه عُكَنٌ وكأنَّما داراتُه سُرَرُ

وقال (بسيط):

أما ترى يومَنا قد جاء بالعجب فما آنتظارُك باللذّاتِ والطرَب؟
والبدرُ في الأفُقِ الغربيِّ تحسَبُه قد مَدَّ جسراً على الشّطين من ذهب[17]

---

(11) في المخطوط: قواي. والتصويب من الديوان، 260.
(12) في الديوان: بالوصل.
(13) الديوان، 52.
(14) في الديوان، 464 وفي ترجمة الوفيات وكذلك اليتيمة 292/1: وصبا وإن كان التصابي...
(15) الديوان، 241: ولكلّ يوم.
(16) الديوان: في موجه والماء ينحدر. وفي الوفيات: فيه، وجيش الماء ينحدر.
(17) هذان البيتان لا يوجدان في الديوان، على كثرة المقطوعات من الوزن والرويّ.

وقال (طويل):

رأتنِي وقد شبّهتُ بالورد خَدَّهَا ... فتاهت وقالت: قاس خدِّيَ بالورد!
كما قال إنّ الأُقْحُوانَ كمِبْسَمِي ... وأنّ قضيبَ الآس يشبِهُه قدِّي
وحقِّ صفا ماءِ النعيم بوَجْنَتِي ... وحسنِ الجبينِ الصّلتِ والفاحِمِ الجَعْدِ
لئن عاد للتشبيه يوماً حرمتُه ... لذيذَ الكرى، لا بل أُذَوِّقُه فقدِي!
إذا كان هذا في البساتينِ عندَهُ ... فقولوا له: لِمْ جاءَ يطلُبُه عندي؟[18]

وكان قد طال عهده بالاجتماع مع أخيه عقيل وعمّه حيدرة، فلمّا التقوا في يومِ عيد الفطر / سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة قال لهما في بعض مخاطبته [282 أ] ارتجالاً (خفيف):

لم أفارقكُما آختياراً، وهل تخـ ... ـتارُ يُمنى اليديْنِ بُعدَ الشمال؟[19]
حاش للّهِ من قِلًى وصدودٍ ... وسلوّ وجفوة وملال
أنتُما نور ناظِرَيَّ وهل في الـ ... ـنّاسِ خَلقٌ لنُور عينَيه قال؟
أنتما حيثما حللتُ مقيما ... ن بقلبي وساكنان ببالي[20]
غير أنَّ الزمانَ أبخَلُ من أن ... يتمادى على إدامةِ حال
شأنُه نقضُ ما استتمّ من الأمـ ... ـر وإفسادُ ما انتهى من حلال[21]
فاعذرَا مَن عذلتُماه على البُعـ ... ـدِ ولُومَا في البعد جَوْرَ الليالي
لا أُهَنِّيكُما! بعيدٍ لأنَّ الـ ... ـعيدَ نقصٌ [لنا] من الآجال
إنّما عيدُنا العزيزُ الذي نلـ ... ـنا بنُعمَاهُ منتهى الآمال
كلَّ يوم لنا بجدوى أبي المنـ ... ـصور عيدُ مجدّدُ الإقبال
ملكٌ من بني الوصِيّ عزيزٌ ... نبويُّ الهدى كريمُ النوال[22]

---

(18) هذه الأبيات أيضاً مفقودة من الديوان، ومن اليتيمة ومن مختارات الحصري (زهر الآداب 757-764).
(19) في الديوان، 346: فقد الشمال.
(20) هذا البيت ساقط من الديوان.
(21) في الديوان: نقص، ومن كمال.
(22) في الديوان: كريم الفعال.

وتنزّه أخوه أمير المؤمنين العزيز بالله إلى بركة الحبش يوماً، فخرج إليه تميم راجلاً حافياً حتى لقيَه فسلّم عليه بالخلافة وقال: يا أميرَ المؤمنين قد وجب على عبدك الضيافة. قال: نعم. ودخل معه إلى بستانه وقد أمر بجنيبة من الجنائب التي كانت بين يديه وأقسمَ على تميم أن يركبها ويسايرَه. فلمّا توسّطا البستان نظر إلى ثمرٍ يلوح الذهب عليه فتعجّب منه وآستطرفه ودنا من شجرة فأخذ منها ثمرَةً واحدةً فقرأها فإذا عليها مكتوب بالذهب (وافر):

أنا الثمَرُ الذي غُذِيَتْ غُصوني ... ببَرْدِ الماءِ في حرز حريزِ
حَسُنْتُ فليسَ يصلُحُ أن يُحَيَّى ... بأمثالي سوى الملكِ العزيزِ[23]

فجعلها في كمّه وقال: «هٰذه ضيافتِي عندك». وآنصرف إلى قصره. فبعث إلى أبي جعفر بن مهذّب صاحب بيت المال فقال: «ما عندك من ضرب هٰذه السنة؟» ـ وكان ذلك في أوّلها ـ فقال: «مائة ألف وسبعة وستون ألفاً». فأمره أن يحملها إلى الأمير تميم فحملت إليه من ساعته مع راشد العزيزي وقال له: أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك: «آستعِن بهٰذه على مروءتك»[24]، فقبّل الأرض وبعث إليه من الغد قصيدة يمدحه فيها ويشكره.

ووصل إلى مصر فتى من أهل بغداد كانت له نعمة فزالت عنه، فنزل في بعض دور الكراء، وكان القيّم عليها رجلاً فيه مروّة. فنظر إلى البغداديّ وهو لا يتصرّف في تجارة ولا غيرها، فسأله عن حاله ومقصده فقال: توفّيّ أبي وترك لي نِعمةً طائلةً، فأقبلتُ على القصف واللهو حتى أتيت عليها وأفضيت إلى بيع الديار والعقار. فلمّا لم أدع شيئاً أرجع إليه، ولم تكن لي صنعة أتصرّف بها، رأيتُ أنّ مكابدَة الفقرِ ومسألةَ الناس في غير بلد الإنسان الذي يُعْرَفُ به أسترُ، فتحمّلتُ إلى هٰذه البلدة.

(23) هذان البيتان مفقودان من الديوان ومن مختارات اليتيمة وزهر الآداب، ولكنهما موجودان في ترجمة الحلّة السيراء 291/1 (رقم 108). وقد جاء البيت الأوّل على هذا النحو:
أنا الليمون قد غذيت عروقي ... ببرد الماء في حرز حريز
(24) في الحلّة السيراء: على مؤونتك.

قال: وما تعرف صنعةً تعودُ عليك بقُوتِك؟

قال: لا، إلاّ أنّي أغنّي بالعود غناءً لا أُحكمُه ولا أرضاه.

قال: فغنّ! فإن كان غناؤُك ممّا ينفق ببلدنا ما أخذتَ حرزاً[25] تنفق منه. وإن كان ممّا لا ينفق سترتُ على نفسك وتحمّلتُ قوتَك ما بقيتُ وبقيتَ.

وأحضر له عوداً فغنّى / غناءً مقصّراً لو سأل عليه جِذْرَ[26] درهم واحدٍ لما وجده. فقال له: آستر حالك، ويدك مع يدي فيما ملكت، وثوبُك مع ثوبي. [282 ب]

فأقام على ذلك مدّة من الزمان. ثمّ إنّ المصري قال للبغدادي: ويحك! قد سنح لي رأيٌ، ووالله ما أشير به عليك لأنّي ضِقت من مُقامك.

قال: آذكر رأيك.

قال: تنظّف اليومَ ثيابَك، فإذا كان الغداة لبسْتَ وتطيّبتَ وتصدّيتَ لقاءَ الأمير تميم وعرّفتَه أنّك من وجوه أهل بغداد وأنّك كنتَ في نعمة فزالت عنك. وقل: «إنّي دُفعتُ من بلدي قاصداً إليك ومعوّلاً بعد الله عليك، وليست لي حرفة تعود عليّ، إلاّ أنّي أغنّي غناءً لا أحمدُه»، ونظرتَ إلى ما يكون منه[27] وعدتَ إلى حالك عندي.

ففعل البغداديّ ذلك ووافى الأمير تميماً عند ركوبه فسلّم عليه وذكر له ما أوصاه به صاحبُه. فالتفتَ إلى حسن الطرّاز فقال له: احمل الرجل واحتفظ به، فإذا أنا عدتُ من قصر أمير المؤمنين، ذكّرتِني به.

فلمّا عاد إلى قصره وآستقرّ به مجلسُه وحضر ندماؤه دَعَا البغداديّ وكان

---

(25) قراءة ظنّيّة، ولعلّ «ما» زائدة. والحرز: النصيب.

(26) قراءة ظنّيّة أيضاً، ولعلّ المعنى: عُشُر الدرهم.

(27) في المخطوط: منك. ونظرت معطوف على لبست وتطيّبت وتصدّيتَ...

عنده حسن بن الجزّاز وقسّام ونحرير وابن الحويـلا[28] وجماعة من كبراء المغنّين المذكورين بمصر. فلمّا أكلوا وشربوا غنّى القومُ على مراتبهم حتى انتهَوا إليه. فأمر الأمير بعوده فوضع في حجره فضرب وغنّى. فتغامز المغنّون وضحكوا منه فغضب الأمير تميم وقال: «أبِضَيفي تستخفّون ومنه تضحكون؟» فأطرق القومُ إجلالاً له ومهابة. فلمّا كان في آخر المجلس قال للبغدادي: أين منزلك؟

قال: والله يا مولاي ما لي منزل، وما[29] نزلت إلاّ عند رجل حرّ تحمّل ضيافتي منذ وصلتُ إلى هٰذه البلدة. وأنا أتعَرَّضُ في كُلّ يوم إلى رؤيتك فإذا أمكَنتنِي قطعَتنِي هيبتُك.

فدعا بحسن الطرّاز قهرمانه فقال له: آحمل إلى حجرة هذا كفايتَها من الفرش والآنية والأطعمة والأشربة. وآحمل إليها جاريتَين لفراشه وخادمين لخدمتها وآبعثهنَّ مع قلاون الصقلبيّ وعرّفه [أني] وهبتُه له ومُره بلزوم دهليزه.

فلمّا خرج البغداديّ قرّبت إليه بغلة فارهة بسرج مُحَلًّى ومعه غلامان، ومشى به حسن حتى أنزله في الدار. فلمّا كان من غدٍ وحضر الندماء، دعا به فجاء في ثياب نفيسة وبزّة حسنة. فلمّا طعموا وشربوا جاء حسن قهرمانه فقال له: يا مولاي أنفذ فلان الوكيل على ضيعة كذا بثلاثة آلاف دينار.

قال: أحضرها!

فجاء بها وفرّغها بين يديه وقال: يا بغداديّ، كيف تراها؟

قال: يا مولاي، هذا مال عظيم.

قال: تطارُحُك عليّ وقصدُك إليّ أعظمُ منه. آرفَعْه مباركاً لك فيه.

فأدرك المغنّين من حسده ما أحدّ مزاج حسن الطرّاز، فلم يخرج إلاّ

(28) لم نجد هذه الأسماء في مراجعنا.

(29) في المخطوط: ولا...

محموماً فـ[ـتـ]ـخلّف أيّاماً قليلة وكان ذلك سببَ موتِه. وما كان يمرّ له يوم من الأيّام إلّا أفاد فائدة جليلة[30].

فبعث البغداديّ إلى صديقه المصريّ الذي دلّه على الأمير تميم وقال له: هذه نعمتُك التي كنت سببها وأسوتي[31] فيها. فقد كنتَ شركتني في مالك مبتدئاً بالفضل فوالله لا مددتُ يدي إلى حبّة فما فوقها إلّا من تحت نظرك.

فبلغ ذلك الأمير تميماً فاستحسنَه وكانا جميعاً في خدمته حتّى مات تميم.

وكان بمصر رجل موسر من أهل طرابلس يعرف بابن فرح له نعمة عريضة إلّا أنّه قبيح الوجه وحش الصورة. فمرّ يوماً بدار ابن الشعيري النخّاس فرأى عنده جارية حلوة أديبة حاذقة للغناء فوقعت بنفسه فخاطبه على ثمنها فوافقه على خمسمائة دينار. فلمّا علمت أنه أرادها آمتنعت أشدّ الامتناع فلم يصبر عنها لما خامره منها. فسأل أحد أصحابه فاشتراها ومضى بها إلى دار ابن فرح، وكانت في بعض الشوارع المسلوكة، فوجّه طعاماً كثيراً وفاكهة وشراباً. فشمّرت الجارية عن ساعديها وأصلحت من ذلك ما يجب وعبّت الفاكهة ونضّدتها وروّقت الشراب وجلست في انتظار مولاها في روشن[32] / [283 أ] ترى منه كلّ جاءٍ وذاهبٍ. فلمّا نظرت إليه وعرفته أظهرت به سروراً وقدّمت إليه طشتاً فتوضّأ وغسلت بيديها وجهه ورجليه وقرّبت له الطعام فأكل وقد كاد أن يطير سروراً لما رأى من انشراحها. ثمّ شربت ثلاثاً وسقته وتناولت العود فغنّت له كلّ شيءٍ حسنٍ. فما زالا في أطيب عيش وأنعم بـال حتّى [إذا] كان ثلث الليل أقبل الأمير تميم في ذلك الشارع وبين يديه مشاعل. فلمّا قرب منها ألقت العود وكسرته وألقت بنَفسها إليه. فوقف وآرتاع وقال: ما هٰذا؟

فقالت: «آستجرتُ بالله وبالأمير». ثمّ قصّت حديثَها كُله. فدعا

(30) فقرة غامضة، لالتباس الضمير: المغنّي الممتعض أم البغدادي المحظوظ؟
(31) قراءة ظنيّة.
(32) الروشن: النافذة على الشارع.

بمولاها، فلمّا نظر إليه عذَرها وأمر بحملها إلى قصره. فلمّا عاد إليه أحضرَها ومولاها وقال له: يا هٰذا، ليس لك فيها مستمتع وقد كرهتك. فكم ثمنُها؟

قال: خمسمائة دينار.

فأمر بإحضار ألف دينار وقال له: هٰذه خير لك منها إن طبت عنها نفساً.

فأخذ المال وأثنى وشكر وآنصرف، فأمر بإيصاله إلى بيته. ونظر إلى غلام له تركيّ أمرد قيمته ألف دينار فقال لها: «خير لك من مولاك» وأعتقَها وزوّجها منه.

وذكر محمد بن أبي نصر الحميدي(33): نا أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم(34) بن غالب الفارسي: نا أبو البركات محمد بن عبد الواحد الزبيري: حدّثني أبو علي حسن بن الأشكري المصري قال:

كنت من جلّاس تميم ابن أبي تميم وممّن يخفّ عليه جدًّا (قال): فأرسل إلى بغداد فابتيعت له جارية رائقة فائقة الغناء، فلمّا وصلت إليه دعا جلساءه (قال) ـ وكنت فيهم ـ: ثمّ مُدّت الستارةُ وأمرها فغنّت (كامل):

وبدا له من بعد ما آنْدَمَل الهوى ... برقٌ تألّقَ مَوْهناً لَمَعَانُه
يبدو كحاشِيةِ الرّداءِ ودونه ... صعب الذرى متمنّع أركانه
وبدا لينظُرَ كيفَ لاحَ فلَمْ يُطِق ... نظراً إليه وصدَّهُ سَجّانُه(35)
والنارُ ما اشتمَلَتْ عليه ضلوعُه ... والماءُ ما سَمَحَتْ به أجفانُه

(33) الحميدي صاحب الجذوة (ت 488/1094)، والقصّة واردة في ترجمة محمد بن عبد الواحد الزبيري (رقم 104 ص 66 من طبعة ابن تاويت).

(34) هو ابن حزم الفقيه الظاهريّ صاحب كتاب الفصل وطوق الحمامة.

(35) هذا البيت ساقط من الجذوة. وهو مثبت في رواية ابن خلّكان للقصّة (ترجمة موسى بن عبد الملك الأصبهاني، رقم 750) وفيها أن المقطوعة للشريف أبي عبد الله محمد بن صالح الحسنيّ، وهو شاعر علويّ ثار على المتوكّل العبّاسي فسجنه ثلاث سنين فمدحه بالقصيدة التي منها هذه الأبيات ومطلعها:

طرب الفؤاد وعاودت أحزانُه ... وتفرّقت فرَقاً به أشجانه
(انظر ترجمته في تجريد الأغاني، 1773).

(قال): فأحسنت ما شاءت، وطرب تميم وكلُّ مَن حضر. ثمّ غنّت (طويل):

سيسليك عمّا فات دولة مُفضلٍ أوائلُه محمودةٌ وأواخِرُهْ
ثنى الله عطفَيه وألّفَ شخصهُ على البرّ مُذْ شُدّت عليه مَآزِرُهْ

(قال): فطرب تميم ومن حضر طرباً شديداً. ثمّ غنّت (بسيط):

أستودع الله في بغداد لي قمراً بالكرخ من فَلَك الأَزْرَار مطلَعُهُ(36)

فاشتدّ طرب تميم وأفرط جدًّا. ثمّ قال لها: تمنَّيْ ما شئتِ فلك مُناك!

فقالت: أتمنّى عافيةَ الأمير وسعادتَه.

فقال: والله لا بُدَّ لك أن تتمَنَّي!

فقالت: على الوفاء أيُّها الأمير بما أتمنّى؟

قال: نعم.

قالت: أتمنّى أن أغنّيَ هذه النوبَة ببغداد.

(قال): فامتقع لون تميم وتغيّر وجهه وتكدّر المجلس، وقام وقمنا. (قال ابن الأشكري): فلحقني بعض خدمه وقال لي: «ارجع فالأمير يدعوك!» فرجعت فوجدتُه جالساً ينتظرني. فسلّمت وقمتُ بين يديه، فقال: ويحك! أرأيتَ ما آمتُحِنّا به؟

فقلت: نعم أيها الأمير.

فقال: لا بدّ لنا من الوفاء وما أثق في هذا بغيرك. فتأهَّبْ لحملها إلى بغداد، فإذا غنّت هناك فاصرفها.

فقلت: سمعاً وطاعةً.

(قال): ثمّ قمت وتأهّبت. وأمرها بالتأهّب، وأصحبها جاريةً له سوداء تعادلها وتخدمها. وأمر بناقة ومِحْملٍ(37) فأُدخِلَتْ فيه وجعلها معي وسرت إلى

(36) في الوفيات، 338/5، أن هذا البيت من عينيّة محمد بن زُريق المشهورة.

(37) المِحمَلُ هو الهودج.

مكّة مع القافلة فقضينا حجّنا. ثمّ دخلنا في قافلة العراق وسرنا. فلمّا وردنا القادسيّة أتتني السوداء عنها فقالت: تقول لك سيّدتي: أين نحن؟

فقلت لها: نحن نُزُولٌ بالقادسيّة.

[283 ب] فانصرفت وأخبرتها. فلم أَنْشَبْ[38] أن سمعت / صوتها قد ارتفع بالغناء (كامل):

لـمّـا وردنـا الـقـادسـ ـيّة حيث مجتمَع الـرفـاقِ
وشـممـتُ من أرض الـحجـ ـاز نسيمَ أنفـاس الـعـراق
أيـقـنـتُ لـي ولـمـن أُحِـ ـبُّ بجمـع شمـل واتّفـاق
وضـحكـت من فـرح الـلقـ ـاء كما بكيت من الفراق[39]

فتصايح الناس من أقطار القافلة: أعيدي بالله! أعيدي بالله! (قال): فما سُمع لها كلمة. ثمّ نزلنا الياسريّة وبينها وبين بغداد نحو خمسة أميال في بساتين ينزل الناس بها فيبيتون ليلتهم ثمّ يبكّرون لدخول بغداد. فلمّا كان قرب الصباح إذا بالسوداء قد أتتني مذعورة. فقلت: ما لك؟

قالت: إنّ سيّدتي ليست بحاضرة.

فقلت: ويلك! وأين هي؟

قالت: والله ما أدري.

(قال): فلم أحسّ لها أثراً البتة. ودخلت بغداد وقضيت حوائجي بها وانصرفت إلى تميم فأخبرتُه خبرَها فعظم ذلك عليه وآغتمّ له. ثمّ ما زال بعد ذلك ذاكراً لها واجماً عليها.

* * *

(38) أي: لم ألبَثْ.

(39) جاء في الهامش: هذه الأبيات لأبي عمران موسى بن عبد الملك الأصبهاني صاحب ديوان الخراج أيّام المتوكّل. مات في شوّال سنة 246، وتمّمتها:

لـم يـبـق لـي إلا تـجـشّـم هـذه الـسـبـع الـبـواقـي
حـتـى يـطول حـديـثـنـا بـصـفـات مـا كـنـا نـلاقـي

والأبيات في ترجمته بوفيات الأعيان (رقم 750).

التعليق: الترجمة من مخطوط السليميّة 280 ب.

وهي لا تفيدنا فيما كنّا نأمله: الأسباب الحقيقيّة لعزله عن ولاية العهد، فقد سكت عنها المقريزي واكتفى بالسبب «الرسميّ» المتداول، وهو أنّه لا يعقب، ولعلّه كان عنّيناً أو حصوراً أو مبتلى بشذوذ الجنس، ممّا تشعر به سيرة الأستاذ جوذر.

ونفهم من سيرة جوذر أيضاً أن هناك أسباباً سياسيّة، أي تآمراً مع بعض أفراد الأسرة من أبناء القائم والمهدي على المعزّ.

وقد طرق المقريزي المعنى المألوف بخصوص هذا الشاعر الرقيق: وهو حبّه للغناء والمجالس الأدبيّة، وخروجه الكثير إلى البساتين والجولات على النيل، مع طيبة نفسه وكرمه الكبير. والصورة بعد إيجابيّة، فليس فيها تفاصيل فحش أو مجون أو خروج عن جادّة الأخلاق كما نجده في مصادر أخرى.

وأفادتنا الترجمة أخيراً ببعض الأبيات التي خلا منها ديوانه المنشور.

ثم إنّ إدراج ترجمة عبد الله بن محمد الكاتب في المتن مع التنبيه إليها بحرف «ح» قد يعني أنّ المقريزي كان ينوي تخصيص فصل في معجمه لهذا الأمير الإفريقيّ وربّما كتبه في هامش مسوّدته فجاء الناسخ فأقحمه داخل النصّ سهواً أو غلطاً.

وكذلك نتساءل في شأن التنبيه في الحاشية إلى صاحب الأبيات القافيّة والتعريف بـه: هل هو من المقريزي نفسه أم من بعض النسّاخ أو المحشّين؟

50 ـ جعفر بن محمد الكلبي الصقلّي (ـ 375)

/جعفر بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي الحسين الكلبي الصقلّي أمير صقلّيّة. كان من أمراء بني أبي الحسين بصقليّة يتوارثون إمارتها مدّة سنين. وأوّلُ من وليَ منهم الحسن بن عليّ في سنة ستّ وثلاثين وثلاثمائة من قِبل الإمام المنصور بنصر الله أبي الطاهر إسماعيل بن محمد القائم بأمر الله بن عبيد الله المهديّ الفاطميّ.

ثمّ وليّ بعد الحسن بن عليّ آبنه أبو الحسين أحمد بن الحسن، ثمّ أبو القاسم عليّ بن الحسن بن علي، ثمّ ابنه جابر بن أبي القاسم علي، ثمّ جعفر ابن محمّد هٰذا.

وكان أبوه أبو عبد الله محمد بن الحسن قد قدِم إلى مصر مع المعزّ لدين الله ومات بالقاهرة. فلمّا مات المعزّ وآستخلف من بعده ابنه العزيز بالله أبا منصور نزار بن المعزّ، ونافق حمزة بن . . . [1] الكتامي بأسوان في سنة ثمان وستّين وثلاثمائة أخرج إليه[2] جعفر بن محمد هذا فأخذه ودخل به / [302 ب] القاهرة ومعه أمواله وجواهره ونعمه. فلمّا قتل أبو القاسم علي بن حسن أمير صقلّيّة لعشر بقين من المحرّم سنة اثنتين وسبعين [/ 15 جويلية 982] في الجهاد وقام من بعده ابنُه جابر كتب قوم من أهل صقلّيّة إلى العزيز يعرّفونه

(1) بياض بالمخطوط.

(2) في المخطوط: إلى.

عجزَ جابر عن القيام بأمر صقلّية. فأمر العزيز جعفر بن محمد هذا أن يمضيَ من مصر إلى صقلّيّة وعقد له بولايتِها، وقد كان في رتبة ابنه من الوزارة والحال الجليلة. فخاف منه الوزير يعقوب بن كلّس وأراد إبعاده. فحسّن للعزيز ولايتَه صقليّة وعرّفه أنّ الثغر يتلف ما لم يَلِه[3] فتمّت حيلتُه وولّاه العزيز.

فخرج من القاهرة في البرّ، ومعه خيل يسيرة فوصل إلى مدينة المنصوريّة[4] يومَ الأربعاء لخمس خلون من صفر سنة ثلاث وسبعين [وثلاثمائة / 19 جويلية 983] وبين يديه عشرون فرساً بالسروج المحلّاة القلة[5]، وخمسة بنود مذهبة وخمس عمّاريّات، ومعه سبكتكين التركيّ[6] فلقيه عبد الله بن محمد الكاتب وأنزله. فنادى مناديه في الناس بإعطاء الأرزاق السنيّة، فأتاه جماعة من الناس فلم يحمل ذلك عبد الله ونادى: «من مضى إلى جعفر بن الحسين[7] فقد حلّ دمُه». وأخذ قوماً سائرين نحوَه فضرب أعناقهم. فرحل عند ذلك للنصف منه [/ 29 جويلية 983] يريد المهديّة، ورحل معه عبد الله فأتته ثاني يوم وصوله خمسة مراكب حربيّة من صقلّيّة بهدايا جليلة وعدّة عظيمة بعث بها إليه ابن عمّه جابر بن أبي القاسم. فركب فيها يوم الجمعة لليلتين بقيتا من صفر [373 / 10 أوت 983] وسار إلى صقليّة فتسلّمها من جابر بغير مدافعة واستقامت له أمورها.

وكتب إليه العزيز في سنة خمس وسبعين يأمره أن يدفع إلى الراهب الذي هو أبو جاريته السيّدة العزيزيّة[8]، القلاعَ التي افتتحها جدُّه الحسن بن

(3) ولِيَ يلِي الثغرَ: يصير (جعفر) والياً على صقليّة.

(4) في المخطوط: المنصورة.

(5) هذه الكلمة غير مفهومة.

(6) سبكتكين التركي: قال في أعمال الأعلام، 478/52: من جلّة الترك الموصوفين بالشجاعة.

(7) هكذا في المخطوط. والمترجم هو جعفر بن محمد بن الحسن. وعن عبد الله بن محمد، انظر ص 304 هامش 7.

(8) السيدة العزيزيّة حظيّة العزيز: هي أمّ الحاكم وأختِه ستّ الملك. أنظر أخبار مصر (49 - 50) لابن ميسّر. وقال إنها أخت كاتب العزيز، وتزوجها ـ أوّلاً؟ ـ والي دمشق بكتكين التركي، وتوفيت سنة 385 في خلافة العزيز.

وفي أعمال الأعلام، 478/52: الراهب أخو جاريته...

علي بن أبي الحسين، وأن يدفع إليه كلّ شيءٍ عنده من قديم وحديث. فقدم الراهب إلى صقلّيّة فأنزله جعفر ووكّل به ومنع أن يدخل عليه أحد، حتى إنّه كان إذا عبر الحمّام صحبه عدّة من المسلمين حتى يدخل ويخرج فيردّو[نـ]ـه إلى موضعه. فأقام على هذا نحو أربعة أشهر. ثمّ جمع له كلّ شيخ وعجوز وعليل من النصارى ودفعهم إليه، وهم نحو مائة نفس وأمره بالرحيل، [فأفلت وما صدّق بنجاته][9] فمضى إلى القسطنطينيّة، وكتب إلى العزيز بما كان فيه مع جعفر. وأمر جعفر بعد مسير الراهب فاشترى مركباً أندلسيًّا وشحنه بطرائف الأندلس وأظهر أنّ ابن أبي عامر بعثه إليه، وكتب إلى العزيز بأنّ صاحب الأندلس قد كتب إليه يدعوه إلى طاعته ويعِدُه أن يُقطعَه من الأندلس كلَّ ما [يـ]ـسأله. فكتب إليه العزيز بأنّ سلفَه من بني أبي الحسين ما عرفوا قطّ إلا طاعتَه وطاعة آبائه ـ يحضُّه عليها ـ فبقي جعفر يداري أمره، والقلاع بأيدي المسلمين، فلم يرِم أن مات في يوم [ ][10] سنة خمس وسبعين وثلاثمائة فولي بعده أخوه عبد الله بن محمد.

* * *

التعليق: الترجمة من مخطوط السليميّة ورقة 302 أ ـ ب.

هذا مثال آخر من تحوّل عن مصر إلى المغرب. وقد لفتت انتباه المقريزي وابن الخطيب ـ أو مَن ينقلان عنه ـ لباقة هذا الأمير في رفض طلب العزيز المتمثّل في إرجاع القلاع المفتوحة والسبي والأسرى إلى النصارى، وكأنّهما يستنكران إفراط العزيز في التسامح، أو خضوعه لطلبات حظيّته النصرانيّة.

---

(9) في الأصل: «فما أفلت وهو ثامن»، والتصويب من أعمال الأعلام 478/52.

(10) سقط اليوم والشهر من المخطوط.

51 ـ محمد بن صالح صاحب بيت المال بإفريقية (ـ 377)

بعثه الأمير أبو الفتوح يوسف بن زيري من المغرب بالهديَّة صُحْبَة القائد زروال بن نصر، وعيسى بن خلف بن فتح الموصلي في جمادى الآخرة سنة خمس وستِّين وثلاثمائة [/ فيفري 976] فقدمها، وعاد. ثمَّ صرف عن بيت المال في سنة سبع وسبعين [وثلاثمائة / 987 - 988].

* * *

التعليق: الترجمة في مخطوط ليدن 1، ورقة 280.

52 ـ أحمد بن علي بن الإخشيد (ـ 377)

أحمد بن علي بن محمد بن طغـجْ بن جفّ بن يلتكين بن فوران بن فوري بـن خاقان، الأمير أبو الفوارس ابن الأمير أبي الحسن ابن الأمير أبي بكر الإخشيد ابن الأمير أبي محمد الفرغاني.

اجتمع الأمر له بعد موت الأستاذ كافور في يوم الثلاثاء لعشر بقين من جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة [22 أفريل 968]، وعمره يومئذ إحدى عشرة سنة وسبعة أيّام. وقام بأمر بيعته الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بـن الفرات، والشريف أبو جعفر مسلم الحسينيّ، ونحرير، وبشارة، ووجوه غلمان كافور، وتعاقدوا على إمارته، وأن يكون الحسن بن عبيدالله بن طغْج[1] خليفة له، وأن يكون على تدبير الأموال الوزير أبو الفضـل ابن الفرات، وعلى تدبير العساكر شمول الإخشيدي وكتبوا كتاباً، نسختُه بعد البسملة: «الذي عقدته الجماعة وحلفت عليه بالأيمان المؤكَّدة، أن تكون أيديها واحدة، وألسنتُها مؤتلفة، وقلوبُها متَّفقة، ونيّاتها سليمة، على إيثار تقوى الله عزَّ وجلَّ فيما يحبّه، وطاعتـه وطاعة رسوله ﷺ، في الأمر بالمعروف والنهي عـن المنكر، وإقامة الحقِّ، وإبطال السنن الجائرة، وإفاضة العدل، وإصلاح أمر الحرَمَين والثغور حرسهما الله تعالى، والقيام بالجهاد، وأن يكونوا إخواناً تلزم كلَّ واحد منهم نصرةُ صاحبه وحراستُه في نفسه وماله وأهله وولده

(1) الحسن بن عبيدالله بن طغج (ت 371): انظر ترجمته في هذا الكتاب (رقم 48).

وسائر أسبابه، حتى لا ينتقض من ذلك شيء، وأن يكونوا أعواناً للمظلوم على الظالم، وتكون طاعتهم للأستاذ أبي المسك على ما لم تَزَلْ عليه. وإن حدث به حادث الموت، المحتوم على عباد الله تعالى في جميع خلقه، كان الأمر في الإمارة مردوداً إلى ولد الإخشيد رضي الله عنه، لا يخرج عنه، وهو: الأمير أبو الفوارس أحمد بن علي [بن] الإخشيد[2] مولى أمير المؤمنين، وكانت الجماعة على ما كانت عليه من مراتبها لا يُغَيَّرُ منها ولا يُنقَص منها ولا يُزال عن أعمال، وكان أبو الحسن شمول الإخشيدي على رسمه في تدبير الجيش، والغلمانُ من الإخشيديّة، والرجال من الفرسان والرجّالة والغِلمانُ الكافوريّة على طبقاتهم، وكان الناظر في الأموال من ارتضَتْ الجماعةُ به، وهو أبو الفضل جعفر بن الفضل غيرَ معارض فيها. وقد حلفت الجماعة كلّها، الإخشيديّة والكافوريّة على ذلك، ورضيَتْ به، وأشهدت الله على أنفسها، وكفَى بالله شهيداً».

فلمَّا كُتِب هذا الكتابُ، وحلفوا عليه، وأشهدوا على أنفسهم، أظهروا موت كافور وعُزُّوا به، وهو مسجًّى في بيتٍ. وكتب أبو الفضل الوزيرُ لنفسه كتاباً على الجماعة بمثل هذا احتياطاً لنفسِه.

واشتهرت وفاة كافور في بقيَّة النهار، وأخذ كلّ ما يدور بحذر وتحرُّزٍ[3]، فأجاب الجماعةُ إلى البيعــة، إلاَّ طائفةً، فإنَّها امتنعَت وقالت: أمر الأستاذ قبل موته ألاَّ نبايعَ إلاَّ أبا الحسن شمول. فقال شمول: «أنا لا أريد هذا». فدخلوا حينئذٍ في الطاعة.

فلمَّا كان من الغد خرج الغلمان والجند إلى الـ[ـمـ]ـنْظر وخرّبوا بستان كافور ونهبوا / دوابّه وطلبوا مال البيعة. فخرج إليهم الشريف أبو جعفر مسلم [115 ب] وسكَّنهم ووعدهم وردَّهم. وكان الناس يظنُّون أنَّ الفتنة تكون بعد موت كافور عظيمةً، فما كان إلاَّ هدوءٌ وسكون.

(2) الإخشيد هو في الواقع محمد بن طغج الجدّ. ولعلَّ الأمـراء من عقِبه تلقبوا أيضاً بهذا اللقب.
(3) قراءة ظنيَّة.

وفي يوم الجمعة خطب عبد السميع بن عمر العبّاسيّ ودعا لأبي الفوارس. وخطب أخوه عبد العزيز بن عمر في جامع أحمد بن طولون فمنع الجندُ من الدعاء له فلم يدعُ ونزل وصلّى بالناس الجمعة.

وفي مستهلّ جمادى الآخرة نهبت خزانة كافور، ثمّ بيع ميراثُه بزقاق القناديل. وكان الوزير أبو الفضل ساعة عُقدت البيعةُ لأبي الفوارس، قد كتب إلى عبدالله بن عبيدالله، أخي الشريف مسلم، بالاجتماع مع الحسن بن عبيدالله بن طغْج بالرملة، على عقد البيعة. فلمّا ورد الكتاب آل الأمر بينهُما إلى حرب. وفرَّ جماعة من الأتراك بمصر فرُدُّوا، وقبض الوزير ابن الفرات على جماعةٍ من الكتّاب وغيرهم، واعتقَلَهم، وأخذ البيعة على الجند لابنه أحمد بن جعفر بالإمارة على مصر والشام والحرَمَين، واحتجَّ بأنَّه ابن بنت الإخشيد.

واختلف مع شمول فشَغَبَ الجند في آخر شعبان. واقتتل نحرير شويزان مع فنك الخادم الأسود[4] وقتل بينهما خلقٌ كثير، ونهبت عدَّة أسواق كبيرة في الليل واحترقت مواضع عديدة فسار فنك إلى الرملة ولحق بالحسن بن عبيدالله. فورد الخبر بمحاربة الحسن بن عبيدالله مع عبدالله بن عبيدالله أخي مسلم الحسينيّ، وأنَّ بني عقيل وأثمان والعرب بالرملة مع عبدالله، وأنَّه دعا لنفسه وتسمَّى بالمهديّ.

فخرج تبر الإخشيديّ إلى الرملة، وعقد الحسَن على ابنة عمّه الإخشيد، ودعي له على سائر المنابر بعد أحمد بن علي الإخشيد، فزاد اضطراب الناس والفتن في شوَّال. واستتر ابن الفرات، وفرَّ يعقوب بن كلّس إلى المغرب فلحق بالمعزّ، وتبعه عبيدالله بن الحسين بن طاهر الحسينيّ.

ثمَّ اجتمعت الإخشيديّة مع الكافورية عند الشريف أبي جعفر مسلم بن عبيدالله للمشورة فيما [وقعوا] فيه من تعطُّلِ البلد عن ناظرٍ لاستتار ابن

(4) هو فنك بن عبدالله الكافوري الخادم، (أمراء دمشق، 66 رقم 208).

الفرات، وما نزل بالناس من الاختلاف والفتن، وافترقوا.

ثمّ جمع أبو جعفر مسلم القوّاد والوجوه في داره يوم الجمعة لست خلون من ذي القعدة [2/357 أكتوبر 968] وأخرج إليهم الوزير ابن الفرات من الاستتار، وعقد عليهم الوفاء له، وكتب بذلك كتاباً. فخرج وأمر ونهى. وكانت الأموال قد ضاعت، والنيّات قد تغيّرت، وجماعة قد فرّوا إلى الرملة، يضرّبون(5) على ابن الفرات عند الحسن بن عبيد الله، وأكثر الناس قد كتبوا إلى المعزّ، منهم ابن الفرات والحسن بن عبيدالله. وكثر مع ذلك الإرجاف بمسير القرامطة إلى الشام، وأبو محمد عبدالله أخو الشريف مسلم بالرملة قد شاقق الحسن بن عبيدالله وخالفَ عليه مع ثمال. فلم يخرج أحد للحجّ في البرّ.

وورد الخبر بدخول فنك الخادم إلى دمشق وقبضه على فاتك الإخشيديّ أمير دمشق(6)، ووصول القرامطة إلى الرملة. فقدم الحسن بن عبيدالله منهزماً منهم إلى مصر في ثاني المحرّم سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة [25 نوفمبر 968] وقبض على الوزير ابن الفرات، وأقام بدار الإمارة إلى أن خرج بعدّة من القوّاد إلى الشام في ثالث ربيع الآخر.

فلمّا كان في جمادى الآخرة صحّت الأخبار بمسير المعزّ لدين الله إلى مصر مع القائد جوهر.

ثمّ نقضوا ذلك ثانياً وعادوا إلى المراسلة بطلب الصلح. فخرج الشريف أبو جعفر مسلم وأبو إسماعيل إبراهيم الرسّي ومعهما القاضي أبو الطاهر وجماعة في ثامن عشر رجب فلقُوا / القائد جوهراً ووافقوه، وكتب لهم [116 أ] بالموافقة كتاباً وانصرفوا. فقدموا أوّل شعبان، وقد نقض الإخشيديّة والكافوريّة

---

(5) ضرّب على فلان بالتشديد: حرّض عليه.

(6) أبو شجاع فاتك «الخازن»: ولي دمشق سنة 345 وغلبه عليها فنك الأسود سنة 359 (أمراء دمشق، 64 رقم 203).

ما طلبوه من الصلح، واجتمعوا عند ابن الفرات فقرأ عليهم كتاب جوهر بالأمان، فامتنعوا وقالوا: ما بيننا وبين جوهر إلَّا السيف!

وقدَّموا نحريرا شويزان وسلّموا عليه بالإمارة وقاموا كلُّهم يَحُفُّونه إلى داره، وأبو الفوارس لا يفكِّرُ فيه، والحسن بن عبيدالله بالرملة لا يَلْتَفِت لما نزل بهم. واستعدّ القوم للحرب وساروا في عاشر شعبان للقتال ونزلوا الجزيرة تجاه مصر، وقد ضبطوا الجِسْرَين. ونزل جوهر الجيزة. فلمَّا شاهد ما عملوه عاد إلى منية شلقان وعبر إلى مصر من هناك. فسار نحرير الأزغلي ويمن الطويل ومبشر الإخشيدي في خلق، فقاتلوا جعفر بن فلاح فقُتِل منهم بشَر كثير، وانصرف من بقِيَ ليلة الأحد النصف من شعبان، وفرَّ مَن كان بالجزيرة إلى دورهم ولحقوا بالشام، وأصبح الناس على خطر عظيم.

فاجتمعوا بدار أبي جعفر مسلم، وسألوه الكتاب إلى القائد جوهر، فكتب إليه يسأله الأمان، فأمَّن الناس، وعبر إلى مصر في غداة يوم الثلاثاء السادسَ عشرَ [شعبان 5/358 جويلية 969] فزالت دولة الإخشيد من مصر وانقطعت دعوة بني العبَّاس منها.

وكانت مدَّة إمارة أبي الفوارس [سنة واحدةً وثلاثةَ أشهر إلَّا ثلاثة أيام](7).

* * *

التعليق: الترجمة من مخطوط السليميّة، ورقة 115 أ.

ولاية حفيد الإخشيد لم تسترع اهتمام المؤرِّخين والمترجمين لصغر سنه أوّلاً - ذاك ما صرَّح به ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة 23/4 - ثم لاستفحال الفتنة بين الإخشيديَّة والكافوريّة وتهافت القوَّاد والغلمان على الحكم، وأخيراً لاستيلاء جوهر على مصر بعد عامٍ فقط من مبايعة حفيد الإخشيد وهذا الحفيد لم يعمّر طويلاً: فقدمات في سن الثلاثين حسب ما يستنتج من كلام الفرغاني الذي نقله ابن خلّكان في الوفيات، 62/5.

(7) الترجمة مبتورة، والإكمال من النجوم الزاهرة، 25/4.

والمقريزي لم يهتمّ بهذا الصبيّ في المقفّى، واكتفى بعرض موجز للأحداث التي أدّت إلى انتصاب الحكم الفاطمي بمصر والشامات. على أنّه تبسّط في العرض في كتابه الآخر، اتّعاظ الحنفاء، وكذلك في ترجمة جوهر القائد (انظرها في هذا الكتاب رقم 54).

والمهمّ في هذه الترجمة هو تصريح المؤلّف بأنّ تحرّك المعزّ نحو مصر كان بإيعاز من بعض أعيان المصريّين، من شيعة مثل عبدالله بن عبيدالله الحسينيّ، أو سنّة مثل جعفر بن الفرات، أو ذمّيين مثل يعقوب بن كلّس. وفي هروب ابن كلّس إلى إفريقية يقول أبو المحاسن (نجوم، 21/4) «وهو من أكبر أسباب حركة المعزّ».

53 ـ الحسن الرسّي (ـ 379)

الحسن بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن القاسم الرسّيّ ابن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، أبو عبدالله.

استقرَّ في نقابة الطالبيّين بعد موت أبيه إلى أن مات في يوم الجمعة لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وثلاثمائة [6 سبتمبر 989]، فصلّى عليه العزيز بالله نزار ابن المعزّ لدين الله.

وضمن خراج الأشمونين وخرجها لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى سنة أربع وستين وثلاثمائة شركة مع أبي طاهر سهل بن ثمامة. فخلع عليهما المعزّ لدين الله وحملهما وسارا بالطبول والبنود.

وحضر لاثني عشرة بقيت من ذي القعدة بمالٍ وهديّة وخيل فخلع عليه وحمل.

ولثمانٍ بقينَ منه حمل عشرة أحمال مال، وقاد خمسة أفراس بمراكبها واثني عشر فرساً بأجلّة، وخمس نجب بأكوارها.

* * *

التعليق: الترجمة في مخطوط السليميّة، ورقة 378.

هذا النقيب الحسنيّ تقلّد وظائف في الدولة الفاطميّة بمصر على ما يبدو. والمعزّ ومن بعده العزيز لم يكن لهما تفضيل للحسينيّين على بني الحسن. وقد ذكر القاضي النعمان في المجالس والمسايرات شواهد من إغضاء المعزّ عن حسنيّي المغرب وحسن معاملته لهم.

54 ـ جوهر الصقلّي (312 ـ 381)

/جوهر بن عبد الله القائد أبو الحسن الصقلبيّ الرومي الكاتب، مولى المعزّ لدين الله أبي تميم معدّ. ولد في سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة وصار إلى ملك غلامٍ لهم يقال له صابر. ثمَّ انتقل إلى خادم لهم يقال له خيران، ثم إلى خادم يقال له خفيف[1]. فأهداه خفيف إلى الإمام المنصور بالله أبي الطاهر إسماعيل، فحمَّله[2] ابنه الإمام المعزّ لدين الله وهو صغير فربَّاه حتّى بلغ مبالغ الرجال في خدمته وكنَّاه بأبي الحسين ورقّاه في الخدم إلى أن قام في الخلافة بعد أبيه[3]. [306 أ]

و[لمّا] كانت [سنَة] خمس وأربعين وثلاثمائة ارتفع أمر جوهر وصار إلى رتبة الوزارة.

ثم أخرجه المعزّ في يوم الخميس لتسع خلون من صفر سنة سبع

(1) خفيف الخادم، و«خفيف الصقلبيّ صاحب الستر» (اتعاظ 140) و«خفيف الشمَّاس» (ابن سعيد: النجوم الزاهرة، 41)، وقد عاش على الأقل حتى سنة 358 إذ كلّفه المعزّ بجمع المال من كتامة استعداداً للحملة المصرية (اتعاظ، 140).

(2) الكلمة مطموسة، والقراءة ظنّيّة.

(3) النصّ مضطرب، ولا يمكن أن يربّي المعزّ جوهراً وهو يصغره بخمس سنوات أو سبع (فقد ولد المعزّ سنة 317 أو 319). ولعلَّ النقل مبتور، إذا ما قارنّاه بنصّ الداعي إدريس، عيون الأخبار، 604: «وحمله خفيف إلى المنصور فعلا ذكره معه وسايره في غزواته، وكان كاتبَه وكاتب المعزّ. . . ولعلّ الترجمة منقولة عن تاريخ القاضي القضاعي الموسوم بـ«أخبار الخلائف».

وأربعين [وثلاثمائة / 2 ماي 958] على عسكر عظيم بالعدّة والقوّة ليتوجّه به إلى المغرب. وكتب له أن يأخذ من كلّ كورة مرّ عليها عدداً معلوماً. وكتب إلى جعفر بن علي الأندلسي وزيري بن مناد الصنهاجيّ ويعلى بن محمّد الزناتيّ أن يخرجوا معه بعساكرهم. فخرجوا معه حتّى وصلوا إلى تاهرت فتلقّاه يعلى بن محمّد الزناتي وكان صاحب المغرب، وأكرمه وقام له بالوظائف والعلف أيّاماً، غير أنّ أهل المدينة إفكان كانوا إذا باعوا أهل عسكر جوهر شتموهم واستخفّوا بهم ومع / ذلك فكان يعلى لم يسارع بالمسير مع جوهر. [306 ب] فلمّا رحل جوهر بعساكره من عند يعلى، مشى يعلى ليشيّعه. فسار جوهر، وأخذ العسكر في رفع أثقالهم إذ سمع صياحاً عظيماً. فقال: ما هذا؟

فقيل له: أصحاب يعلى قد ضربوا على ساقة العسكر وقد شغبوا.

فقال يعلى: أنا أمضي لأفرّقهم.

فمنعه جوهر من المضيّ وزاد الصياح. فأمر جوهر بيعلى فأُرجل عن فرسه وأركب على بغلة. ثمّ زاد الأمر فأمر جوهر بيعلى فأنزل عن البغلة ومشى بين يديه راجلاً، فاشتدّ الأمر ونُهِبَتْ الزوامل[4] فأتى أبو طاعة بن يصل الكتاميّ إلى جوهر وقال: «السيفُ يعمل في عسكرنا وهذا حيّ!» فجرّد سيفه فضرب يعلى [فـ]ـأطار رأسَه ورفعها على قناة وحملها إلى موضع القتال. فلمّا رآها أصحابُه انهزمُوا فمال عليهم العسكر حتّى بلغوا بهم إلى إفكان والسيفُ يعمل فيهم فدخلوا إفكان بالسيف فقتل أكثر أهلها ونُهب كلّ ما فيها، وأسِر يدّو بن يعلى، ثمّ هدمت إفكان، وحرقت بالنار، وذلك كلّه يوم الاثنين الثاني من جمادى الأولى [22/347 جويلية 958][5].

ودخل جوهر حتّى انتهى إلى فاس وبها أحمد بن بكير فامتنع من جوهر وقاتله مدّة، فلم يقدر عليه جوهر ورحل عن فاس إلى سجلماسة. فلمّا قرب

(4) الزاملة هي الناقة أو كلّ دابّة يحمل عليها.

(5) أسماء الأيّام لا توافق تواريخها من سنة 347، بل توافق سنة 348، ولكننا نأخذ بتاريخ 347 الذي ذكره ابن عذاري، 222/1، وكذلك ابن خلدون، 46/4.

منها فرَّ عنه محمَّد بن الفتح الملقَّب بالشاكر لله أمير المؤمنين، وكان قد تغلب عليها سِتَّ عشرة سنة. ثمَّ أُخِذَ أسيراً وحمل إلى جوهر في يوم الأربعاء لثمانٍ خلون من رجب [25/347 سبتمبر 958] بغير حرب. فمضى جوهر إلى البحر المحيط، وأمَرَ أن يُصطاد له مِن حيتانِهِ، وجعلها في قُلَّة فيها ماء. وكتب إلى المعزّ كتاباً وجعل في طيِّه من ضَريع البحر المحيط وبعث بذلك إليه، يشير أنَّه انتهى إلى البحر المحيط.

ثمَّ عاد إلى فاس[6] بعد أن ملك تلك البلاد كلّها، فنزل عليها وقاتل أهلها مدَّةً قتالاً طويلاً حتَّى يئِسَ منها. ثمَّ جدَّ فيها إلى أن ملكها ونهب عسكره ما فيها، وسبوا ذراريّها. وأخذ أحمد بن بكير[7] وقيَّده وجعله مع محمد بن الفتح أمير سجلماسة، وذلك لعشر بقين من رمضان [24/348 نوفمبر 959]. وعمل قفصَين من خشب سجن فيهما المذكورَين. وقفل إلى إفريقية بعدما فتح الفتوح وأراح البلدان إلى البحر المحيط. ولم يتعرَّض لسبته وكانت بيد بني أميّة.

فلمَّا قدم تاهرت ولَّى عليها زيري بن مناد وضمَّها إلى يده فقوِي أمره. وتركه بها، وسار إلى المسيلة فترك عليها عاملَها جعفر بن عليّ الأندلسيّ، وردَّ كلّ قوم إلى مواضعهم.

ووصل إلى المنصوريَّة ومعه أحمد بن بكير أمير فاس، ومحمد بن الفتح الشاكر لله أمير سجلماسة، ويدّو بن يعلى بن محمد الزناتي أمير تاهرت، وكثير من الأسرى في يوم الجمعة لاثنتي عشرة بقيت من شوَّال [23 ديسمبر 959].

ثم أخرجه المعزّ في سنة سبع وخمسين [وثلاثمائة / 967 - 968] لإصلاح المغرب في عسكر عظيم، وليحشد كتامة الذين ينهض بهم إلى المشرق، ويجبي من البربر خمسمائة ألف دينار، فدوّخ المغرب.

---

(6) في العام الموالي، أي سنة 348.

(7) عند ابن عذارى 214/1، وابن خلدون 47/4: أحمد بن بكر [بن سهل الجذاميّ].

وقـدم يوم الأحـد لثـلاث بقين من المحـرّم سنـة ثمـان وخمسين [وثلاثمائة / 20 ديسمبر 968] بعساكر عظيمة من كتامة وأصدق[8] البربر فأقام خارج المنصوريّة ليجتمع إليه الحشود والعساكر. وفتح المعزّ بيت المال، وأعطى الأموال من ألف دينار إلى عشرين ديناراً. ثمَّ رحل في يوم السبت لأربع عشرة مضت من ربيع الأوَّل [5/358 فيفري 969] بالعساكر، ومعه زيادة على مائة ألف فارس، وبين يديه أكثر من ألف ومائتي صندوق فيها المال. فنزل برقادة وخرج إليـ[ـه] المعزّ وخلا به، وأطلق يده ليتصرَّف في بيوت أمواله كيفَ شاء، ويأخذ منها، زيادة على ما معه، ما أحبّ واختار. فقال المعزّ وجوهر قائم بين يديه، والعساكر مجتمعة: والله [لو] خرج جوهر هذا وحده بسوطه لفَتَحَ مصر، وليدخُلَنَّ مصر بالأرديَة من غير حرب، ولينزلنّ في خرابات ابن طولون، وتبنى مدينة تسمَّى القاهرة تقهر الدنيا!

وأمر المعزّ أولاده وإخوتَه وسائر الأولياء وعبيدَ الدولة أن يمشُوا بين يدي جوهر وهو راكب. وكتب / إلى جميع من يمرّ عليه جوهر من العمّال يأمرهم، [307 أ] إذا قدم عليهم، أن يترجّلُوا إليه عند لقائه ويمشُوا في خدمته.

ثم تقدّم إلى جوهر بالمسير، فرفع من مناخه، والمعزّ واقف، ثمّ أكبّ على جوهر وقد ركب فرسَه فسارّه طويلاً، ثمّ التفت إلى الأمراء أولاده وإخوته فقال: «ودِّعوه!» فنزلوا عن خيولهم، ونزل بنزولهم كافّة الناس فودّعوه على قدر مراتبهم واحداً بعد واحدٍ. فلمّا فرِغوا من وداعه أقبل جوهر فقبل يد المعزّ وحافر فرسه. فقال له المعزّ: «اركب!» فركب وسار، والمعزّ يسايره طويلاً، ثمّ وقف وقال له: «سر!» فسار، ثم التفت والمعزّ قائم، فأومأ إليه بكمّه أن آمض! فحرّك جوهر [فرسـه] يريد عسكره حتى لحق بهم، ثمّ نزل منزله. وعاد المعزّ إلى منزله، فنزع ثيابه وأنفذها كلّها إلى جوهر، ما عدا السراويلَ والخاتمَ. وأنشد أبو القاسم محمد بن هانىء قصيدة بديعة في يوم رحيل جوهر، وكان من أيّام الله العظيمة المهولة، منها [طويل]:

(8) قراءة ظنيّة، فالكلمة مطموسة.

رأيتُ بعيني فوقَ ما كنتُ أسمَعُ ... وقد راعني يوم من الحشر أروع
غداةَ كأنّ الأفقَ سُدَّ بمثلِهِ ... فعاد غروب الشمس من حيثُ تطلع
فلم أدرِ إذ ودّعتُ كيفَ أوَدِّعُ ... ولم أدر إذ شيّعتُ كيف أُشيِّعُ
ألا إنّ هذا حشدُ من لم يذُق له ... غِرار الكرى جفنٌ ولا بات يهجَعُ
إذا حلّ في أرض بناها مدائناً ... وإن سار عن أرض ثَوَت وهي بلقَعُ
تحلّ بيوت المال حيث يحلّه ... وجمّ العطايا والرواق المرفَّعُ
وكبّرَتِ الفرسانُ لله إذ بدَا ... وظلّ السلاح المنتضَى يتقعقعُ
وعبّ عُباب الموكب الفخم حولَه ... وزفّ كما زفّ الصباحُ الملمَّعُ
رحلتَ إلى الفسطاط أوّلَ رحلةٍ ... بأيمنِ فألٍ بالذي أنتَ تجمَعُ
فإن يك في مصر ظماءٌ لمورد ... فقد جاءهُم نيلٌ سوى النيل يهمَعُ
ويمّمَهُم مَن لا يغارُ بنعمةٍ ... فيسلبهم، لكن يزيدُ فيوسعُ

وفي غد رحيل جوهر هرب من البربر خمسمائة فارس، فخرج في طلبهم ففاتوه. فقال المعزّ: الله أكرم من أن ينصرنا بأراذل البربر، وإنّي لأرجو أن يكون بزوالهم زوال النحس عن عسكرنا.

وأقام جوهر بمكانه إلى يوم الأحد لستّ بقين من شهر ربيع الأوّل [358 / 14 فيفري 969]. ثمّ رحل بجميع العساكر في قوّة عظيمة، ومعه من الأموال والسلاح والعدد والكراع ما لا يوصف كثرةً. فلم يزل سائراً حتّى وصل إلى برقة. فٱفتدى منه أفلح الناشب الصقلبي متولّي برقة بخمسين ألفَ دينار يحملها إليه ويُعفيه من أن يمشيَ في ركابه، فٱمتنع جوهر من قبول ذلك، وأبى إلاّ أن يمشيَ راجلاً بين يديه، فلم يجد أفلح بدًّا من المشي لمّا لقيَه حتى نزل.

وأتت الأخبار إلى مصر في جمادى الآخرة [358 إفريل - ماي 969] بمسير جوهر إليها. وكان في عامّة أرض مصر حينئذ من الشدّة والغلاء والوباء أمرٌ لَمْ يُعهد قبلَه مثلُه، بحيث إنّه أحصِي من مات في أيّام يسيرة فكانوا ستّمائة ألفِ إنسان، وكانُوا يُلقُون الغرباءَ في النيل، وبلغ الفرّوج ديناراً

والبيضةُ درهماً، وبيع الإردب[9] [من] القمح بثمانين ديناراً، مع كثرةِ الفتن وتغلُّبِ كلّ أحدٍ من العمّال وغيرهم على ما يليه، واختلاف أهل الدولة بمصر من الإخشيدية والكافوريّة، وكثرة تحاسدهم. وعظم الخوف من هجوم القرامطة على مصر، وكانوا قد انتشروا ببلاد الشام. فاختلّت من أجل هذا وشبهه الأحوال بديار مصر، واتّضعَت أمور الناس، وتغيّرت نيّاتُهم وساءت معاملاتهم / وفسدت أكثر أوضاعهم، وشمل الخراب عامّة أرض مصر لموت أهلها، وقلّة أموالها، وتعذّر وجود الأقوات، وكثرة الخوف. [307 ب]

وكان بمصر جماعة من دعاة المعزّ. فَاستمالوا[10] من القوّاد ووجوه الرعيّة، وأنفذ إليهم المعزّ بنوداً ففرّقوها فيمَن استجاب لهم، وأمرهم أن ينشروها إذا قَارَبَتْ عساكره مصر. فعندما قرب جوهر من أرض الإسكندريّة جمع الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات المعروف بابن خنزابة الناس بداره من مصر، واتّفقوا على مراسلة جوهر وأن يشترطوا عليه أن يقرّهم على ما بأيديهم من الضياع والأعمال التي يتولَّوْنها. وشرط نحرير شويزان أن لا يجتمع مع جوهر. وأرسلوا إليه بذلك الشريفَ أبا جعفر مسلم [بن عبيد الله الحسينيّ] والشريف أبا إسماعيل إبراهيم بن أحمد الرسّيّ، والقاضي أبا الطاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر الذهليّ وأبا الطيّب العبّاس بن أحمد العبّاسيّ الهاشميّ في جماعة.

فبرزوا إلى الجيزة في يوم الاثنين ثامن عشر [من] شهر رجب [7/358 جوان 969] وساروا فلقُوا جوهر في تروجة، فوافقهم وأجابهم إلى ما التمَسُوه وكتب لهم كتاباً، نصّه بعد البسملة:

هذا كتاب جوهر الكاتب عبد أمير المؤمنين المعزّ لدين الله صلوات الله عليه لجماعة أهل مصر الساكنين بها من أهلها ومن غيرها: إنّه قد ورد مَن

(9) الإردبّ: كيل للحبوب مستعمل بمصر ويساوي 150 كيلوغراماً.

(10) في المخطوط: ثمّ استمالوا...

سألتموه الترسّلَ والاجتماع معي، وهم:
أبو جعفر مسلم الشريف أطال الله بقاءه.
وأبو إسماعيل الرسّيّ أيّده الله.
وأبو الطيّب الهاشميّ أيّده الله.
وأبو جعفر أحمد بن نصر أعزّه الله.
والقاضي أبو طاهر أعزّه الله.

وذكروا عنكم أنّكم التَمستُم كتاباً يشتمِل على أمانكُم في أنفسكم وأموالكم وبلادكم وجميع أحوالكم. فعرّفتهم ما تقدّم به أمر مولانا وسيّدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه وحسن نظره إليكم، فاحمدوا الله على ما أولاكم واشكروه على ما آتاكم، وآدأبوا فيما يلزمكم، وسارعوا إلى طاعته العاصمة لكم، العائدة بالسعادة عليكم والعصمة الشاملة لكم:

وهو أنّه، صلوات الله عليه، لم يكن إخراجه للعساكر المنصورة، والجيوش المظفّرة إلاّ لما فيه إعزازكم وحمايتُكم والجهاد عنكم، وقد تخطَّفَتْكم الأيدي، واستطال عليكم المشرك، وأطمعَته نفسُه بالاقتدار على بلدكم في هذه السنة والتغلّب عليه، وأسر مَن فيه، والاحتواء على نعمكم وأموالكم حسَبَ ما فعلَه في غيركم من أهل بلدان المشرق، وتأكّد عزمُه واشتدّ كلَبُه، فعاجله مولانا وسيّدُنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه بإخراج العساكر [المنصورة]، وبادره بإنفاذ الجيوش المظفّرة لمقاتلتِه دونَكم ومجاهدتِه عنكم وعن كافّة المسلمين ببلدان المشرق الذين عمَّهُم الخزي، وشمَلتهم الذلّة، وآكتَنَفَتْهم المصائب، وتتابعت لديهم الرزايا، واتّصل غندهم الخوف، وكثرت استغاثتُهم، وعظم ضجيجُهم، وعلا صراخُهم، فلم يُغِثْهُم إلاّ مَن أرمضه أمرهم ومضّه حالهم، وأبكى عينَه ما نالهم، وأسهرها ما حلّ بهم: وهو مولانا وسيّدُنا أمير المؤمنين، صلوات الله عليه، فرجا، بتفضّل [الله عليه] وإحسانه لديه، وما عوّده وأجراه عليه، استنقاذَ من أصبح منهم في ذلّ مقيم، وعذابٍ أليم، وأن يؤمّنَ من استولى عليه الوهل، ويُفرخ روع مَن لم

يزل في خوف ووجَل، وآثر إقامة الحجّ الذي تعطّل وأهمل العبادُ فُروضَه وحقوقَه، من الخوف المستولي عليهم، وإذ لا يأمنون على أنفسهم ولا على أموالهم، وإذ قد أُوقِعَ بهم مرّةً بعدَ أخرى، فسفكت دماؤهم وابتزّت أموالهم، مع اعتمادِ ما هي عادتُه من إصلاح الطرقات، وقطع عيث العائثين فيها، ليتطرّق الناس آمنين، ويمشوا مطمئنّين، ويتحفُوا بالأطعمة والأقوات، إذ كان قد انتهى إليه، صلوات الله عليه، انقطاع طرقاتها، لخوف مارّتها، إذ لا زاجر للمعتدين، ولا دافع للظالمين، ثمّ تجويدَ السّكّة وضربَها على العيار الذي / [308 أ] [عليه] السكّة الميمونة المنصورة المباركة، وقطعَ الغشّ منها، إذ كانت هذه الثلاث خصال [مـ]ـمَّا لا يسع مَن ينظر في أمور المسلمين إلّا إصلاحُها واستفراغ الوسع فيما يلزمُه منها.

ومَا[11] أوعَزَ به مولانا وسيّدُنا أمير المؤمنين، صلوات الله عليه، إلى عبده من نشر العدل، وبسط الحقّ، وحسم الظلم، وقطع العدوان، ونفيِ الأذى، ورفع المؤن، والمناوأةِ في الحقّ، وإعانة المظلوم، والتقريب والإشفاق، والإحسان وجميل النظر، وكريم الصحبة ولطف العشرة، وافتقاد الأحوال، وحياطة أهل البلد في ليلهم ونهارهم، وحين تصرّفهم في أوان ابتغائهم معايشَهم، حتّى لا تجريَ أمورُهم إلّا على ما لمّ شعثهم، وأقام أودهم، وأصلح بالهم، وجمع قلوبَهم، وألّف كلمتَهم على طاعة وليّه مولانا وسيّدِنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

وما أمرَ[11] به مولانا من إسقاط الرسوم الجائرة التي لا يرتضي، صلوات الله عليه، بإثباتها عليكم، وأن أجريَكم في المواريث على كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ، وأضَعَ ما كان يؤخَذُ من تركات موتاكم [لـ]ـبيت المال من غير وصيّة، من المتوفَّى، بها، فإنّه لا استحقاقَ لتصييرها ببيت المال، وأن أتقدّم في رمّ مساجدكم وتزيينها بالفرش والإيقادِ وأُعطيَ مؤذّنيها وقَوَمَتَها ومَن يؤمُّ الناسَ فيها

(11) معطوف على: فعرّفتهم ما تقدّم به أمرُ مولانا...

أرزاقَهم، وأدرَّها عليهم، فلا أقطعها عنهم، ولا أدفعُها إلاّ من بيت المال، لا بإحالة على مَن تُقبَضُ منهم.

وأمّا غيرُ ما ذكره مولانا وسيّدُنا أميرُ المؤمنين، صلوات الله عليه، ممّا نصَّه مَن ترسّل عنكم، أيّدهُم الله، [من] أنّكم ذكرتُم وجوهاً التَمستُم ذكرَها في كتاب أمانِكم، فذكرتُها إجابةً لكم، وتطميناً لأنفُسِكُم، وإن لم يكن لذكرها معنى، ولا في نشرها فائدة، إذ كان الإسلام سُنّةً واحدةً، وشريعةً مُتَّبَعَةً، وهي:

إقامتُكم على مَذَاهِبكم، وأن تُتركوا على ما أنتم عليه من أداءِ الفُروض في الاشتغال بالعلم، والاجتماع عليه في جوامعكم ومساجدكم، وثباتُكم على ما كان عليه سلفُ الأمّة من الصحابة، رضي الله عنهم، والتابعين بَعدهم، وفقهاءُ الأمصار الذين جرت الأحكام بمذاهبهم وفتواهم، وأن يجريَ فرضُ الأذان والصلاة، وقيامُ شهر رمضان، وفِطرُه، والزكاةُ، والحجُّ، والجهادُ، على ما أمَرَ الله به ونصّه بنبيِّه ﷺ في سنّتِه، وإجراءُ أهل الذمّة على ما كانوا عليه.

ولكم عليّ أمان الله التامّ العامّ، الدائم الشامل، المتّصل الكامل، المتجدّد والمتأكّد، على الأيّام، وكرور الأعوام، في أنفسكم وأموالكم وأهليكم، ونعمكم وضِياعكم ورباعكم، وقليلكم وكثيركم، وعلى أنّه لا يعترض عليكم معترض، ولا يتجنّى عليكم متجنٍّ، ولا يتعقّب [عليكم متعقّب]، وعلى أنّكم تُصانون وتُحفظونَ وتُحرسونَ، ويُذبُّ عنكم ويمنع منكم، فلا يتعرّض إلى أذاكم ولا يسارع أحد في الاعتداء عليكم ولا في الاستطالة على قَويّكُم فضلاً عن ضعيفكم، وعلى أن لا أزال مجتهداً فيما يعمُّكُم صلاحُه ويشملُكم نفعُه، ويصل إليكم خيرُه وتتعرّفون بركتَه، وتغتبطون معه بطاعة مولانا وسيّدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

ولكُم عليَّ الوفاء بما ألزَمتُه نفسي، وأعطيتُكم إيّاه، عهدَ الله وغليظ

ميثاقه، وذمّتَه وذمّة أنبيائه ورسُلِه، وذمَّةَ الأئمّة موالينا، أمراء المؤمنين، قدّس الله أرواحَهُم، وذمّةَ مولانا وسيّدِنا أمير المؤمنين المعزّ لدين الله، صلوات الله عليه، فتُصَرِّحون بها، وتعلنون بالانصراف إليها، وتخرجون وتسلّمون عليّ، وتكونون بين يديَّ، إلى أن أعبر الجسر، وأنزلَ في المُناخ المبارك، وتحفظون / وتحافظون من بعد على الطاعة، وتثابرون عليها، وتسارعون إلى فروضها، ولا تخذلون وليًّا لمولانا وسيّدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وتَلزَمون ما أُمِرتُم به. [308 ب]

وفّقكم الله وأرشدَكُم أجمعين.

وكتب جوهر القائد هذا الأمان بخطّه في شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة [جويلية 969]. وصلّى الله على محمد النبيّ، وعلى آله الطيّبين الطاهرين الأخيار.

وفي آخره: قال جوهر الكاتب عبدُ أمير المؤمنين، صلوات الله عليه، وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين: كتبتُ هذا الأمانَ على ما تقدّم به أمرُ مولانا وسيّدِنا أمير المؤمنين، صلوات الله عليه. وعليّ الوفاءُ بجميعه لمَن أجاب من أهل البلدِ وغيرِهم، على ما شرطتُ فيه. والحمد لله ربّ العالمين، وحسبيَ الله ونعم الوكيل، وصلى الله على محمد وعلى آله الطيّبين.

وأشهد جوهر على نفسه جماعة الحاضرين وهم:

أبو جعفر مسلم بن عبيد الله الحسينيّ،
وأبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد الرسّي الحسينيّ،
وأبو الطيّب العبّاس بن أحمد الهاشميّ،
والقاضي أبو الطاهر محمد بن أحمد،
وابنه أبو يعلى محمد بن محمّد،
ومحمّد بن مهلّب بن محمد،
وعمرو بن الحارث بن محمد.

وأخذ منه أبو جعفر كتاباً إلى جماعة، منهم الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات.

وأجاز جوهر الجمَاعة وحملهم، ولم يقبل أبو جعفر مسلم منه شيئاً، وطعم الجماعةُ عنده معه وودّعوه وانصرفوا. فبلغهم أنَّ الجماعة بمصر قد نقضُوا الصلح فأسرعُوا في الانصراف. وبلغ ذلك جوهراً فأدركهم بمحلّة حفص وقال لهم: قد بلغنِي أنّ القومَ قد نقضوا الصلح فرُدُّوا عليّ أمانِي!

فرفقوا به. فقال لأبي طاهر: يا قاضي، ما تقول في هذه المسألة؟

فقال: ما هي؟

قال: ما تقول فيمَن أراد العبورَ إلى مصر ليمضيَ إلى الجهاد ويقابلَ الروم فمُنع؟ أليس له قتالُهُم؟

فقال القاضي: نعم.

فقال جوهر: وحلالٌ قتالهم؟

قال: نعم.

فسارع عبد العزيز بن هيج الكلابي[12] من عسكر جوهر فدخل الفيّوم وأقام الدعوة ففرّ منه مبشّر الإخشيديّ إلى الفسطاط.

ووافى الشريف مسلم والجماعة من عند جوهر في ثامن شعبان ونزل بداره فأتاه الناس [و] فيهم الوزير ابن الفرات، فقرأ عليهم [سجلّ] جوهر، وأوصل إلى ابن الفرات وغيره كتبهم، فآمتنع الإخشيديّة والكافُوريّة، وقال فرح البجكمي[13]: لو جاءنا يا شريف جدُّك محمــد ﷺ بهذا ضربنا وجهَه بالسيف!

فلامَهُم ابن الفرات على ذلك وقال لهم: أنتم سألتمُ الشريفَ في هذه

(12) ولكنّه سرعان ما ينقلب في الولاء «فيُسوّد» أي يقيم الدعوة للعبّاسيّين (انظر الاتّعاظ، 183).

(13) فرح البجكمي: لعلّه منسوب إلى بَجكم الرّائقي الذي خدم ابن رائق. وسَيُوْسرُ مع الإخشيديّة والكافوريّة ويرسل إلى القيروان، وربّما عاد إلى مصر مع المعزّ، إذ نجد في الولاة والقضاة «فرح التحكيمي» في زمن المعزّ (ص 586).

الرسالة، فلم يتمنّع حتّى أخذ معه أبا إسماعيل، وهو حسنيّ، وأخذ معه قاضي المسلمين، وأخذ رجلاً عبّاسيّاً.

هذا وأبو جعفر مسلم ساكتٌ لم يزِدْ على أكثرَ من قوله: خارَ الله لكم!

واشتغل بمسارَرَة ابن الفرات، والكافوريّة مع الإخشيديّة في خوض، وقالوا كلّهم: ما بيننا وبين جوهر إلا السيف!

فقال أبو منحل: فتكون حربٌ بغير أمير؟

فقالوا: هو كذلك.

فقال: ترضون بمَن أرضَى؟

فقالـ[ـوا]: نعم.

فقام قائماً واستقبل نحرير شويزان[14] وقال: السلام عليك أيّها الأمير!

وقاموا كلّهم فسلّمُوا عليه وخرجوا يحجبو[نـ]ـه إلى داره. فانعقد له الأمر، وأحمد آبن الأمير عليّ بن الإخشيد لا يُفكَّر فيه ولا يُعتدُّ به.

واستعدّ القوم للقتال وساروا في عاشره، ونزلوا بالجزيرة وضبطُوا الجِسرَين. فلمّا رأى ذلك جوهر عَلَى[15] إلى منية شلقان[16] ليعبر من هناك، وبعث جعفر بن فلاح لاستقبال المراكب الواردة من تنيس ودمياط وأسفل الأرض فأخذها. فبعث الإخشيديّة نحرير الأزغلي ويمن الطويل ومبشّر [الإخشيديّ] وبلال الطائيّ في خلق ليمنعوا من العبور فانبرى [للعُبور إليهم جعفر بن فلاح فعبر عرياناً في سراويل مع جمع من المغاربة ووقع القتال][17]

(14) نحرير شويزان أو نحرير الأصغر. وهو غير نحرير الأزغلي أو نحرير الأكبر الذي سيقتل في أوّل لقاء مع جعفر بن فلاح. انظر عيون الأخبار، 680، وهذه الترجمة، هامش 33.

(15) على السطح يعليه (وزن سقى): صعِد إليه.

(16) منية شلقان هي اليوم قرية شلقان شرقيّ القناطر الخيريّة بمركز قليوب (النجوم الزاهرة، 31/4، هامش 2).

(17) التكملة من الاتّعاظ، 157.

فقتل من المصريّين خلق كثير. وانصرف الناس عشيّة الأحد النصف من شعبان [358/4 جويلية 969]. فلمّا كان نصف الليل انصرف مَن كان بالجزيرة إلى دورهم وأصبحوا غازين إلى الشام. وكان ممّن قتل: نحرير الأزغليّ، ومبشّر / [309 أ] الإخشيديّ، ويمن الطويل، وبلال الطائي في خلائق. فلمّا كان يوم الاثنين اجتمع أحمد بن محمد الروذباري الكاتب[18]، وعبد الله بن أحمد الفرغاني[19] وغير[هم] من الوجوه عند الشريف أبي جعفر مسلم وسألوه أن يكتب إلى جوهر في إعادة الأمان. فكتب كتاباً بإملاء الروذباري وبعثه. وكتب مع غلامه سعادة الأسود كتاباً آخر، وجلس الناس عنده لانتظار الأمان نهارَهم. فطاف علي بن الحسين بن لؤلؤ صاحب الشرطة ومعه رسولٌ لجوهر، ومعه جابر بن محمّد الداعي، ومعهم بندٌ عليه [اسم] المعزّ لدين الله، وبين أيديهما الأجراس، بأنْ لا مؤنة ولا كلفة، وأمّن الناسَ. وكان جابر قد فرّق البنود التي عنده فنشر كلّ مَن عنده بندٌ [بَندَه] في دربه. فلمّا كان وقت العصر وافى سعادة بجواب جوهر، ونصّه بعد البسملة:

وصل كتاب الشريف الجليل، أطال الله بقاءه وأدام عزّه وتأييدَه وعلوَّه، فهو المهنّأ بما هنّأ به من الفتح الميمون. ووقفتُ على ما سأل من إعادة الأمان الأوّل، وقد أعدتُه على حاله، وجعلت إلى الشريف، أيّده الله، أن يُؤَمِّنَ كيف رَأى وكيفَ أحبَّ، ويزيدَ على ما كتبتُه كيف شاءَ، فهو أماني وعن إذني وإذن مولانا وسيّدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه. وقد كتبتُ إلى الوزير أيّده الله بالاحتياط على دور الهاربين إلى أن يرجعوا إلى الطاعة ويدخلوا فيما دخلت فيه الجماعة. ويعمل الشريف أيّده الله على لقائي في يوم الثلاثاء لسبعَ عشرة تخلو من شعبان [358/6 جويلية 969].

(18) في عيون الأخبار، 681، كنيتُه أبو محمد وهو عامل الخراج. وانظر حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطميّة، 300، هامش 2.

(19) عبد الله بن أحمد الفرغاني، هو أيضاً أبو محمد في عيون الأخبار، 681. ولعلّه هو المؤرّخ المذكور في كتاب الولاة (ص 4) في ترجمة الكندي.

فاستبشر الجماعة وعملوا على الغدوّ إلى الجيزة. ثمّ سأل الشريف غُلامه عمّن قُتل فقال: نحرير الأزغلي، ومبشر الإخشيديّ، ويمن الطويل وبلال.

فقال له: [أ] تدري ويلك ما تقول؟

فقال: رأيتُ رؤوسهم في طشت.

فقال له: ومَن؟

فقال: وخلق كثير قد جمعت رؤوسهم.

فبات الناس على هدوءٍ وطمأنينة. ولمّا كان في غداة يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شعبان، خرج الشريف أبو جعفر مسلم والوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات، وسائر الأشراف والقضاة، وأهل العلم، والشهود، ووجوه التجّار والرعيّة إلى الجيزة. فلمّا تكامل الناس أقبل القائد جوهر في عساكره، فصاح بعض حجّابه: الأرضَ، إلا الشريف والوزير!

وتقدّم الناس، وأبو جعفر أحمد بن نصر التاجر يعرّفه بالناس واحداً واحداً. فلمّا فَرِغوا من السلام عليه مضى إلى فسطاطه فأقام إلى أن زالت الشمس. [فـ]ـسارت العساكر وعبرت الجسرَ أفواجاً أفواجاً ومعهم صناديق المال[20] على البغال وأقبلت القباب. ثمّ جاء القائد جوهر في حلّة مذهبة مثقلـ[ـة] تحفّ به فرسانُه ورجّالتُه، ومدّ العسكر بأسره إلى المُناخ الذي رسم به المعزّ موضعَ[21] القاهرة. فلمّا استقرّت به الدار جاءته الألطاف والهدايا فلم يقبل من أحدٍ شيئاً، إلاّ طَعَامَ الشريف مسلم وحدَه.

فلمّا أصبح أنفذ عليّ بن الوليد قاضيَ عسكره، وبين يديه أحمالُ مال، ومنادٍ ينادي: مَن أراد الصدقة فليَصر إلى دار أبي جعفر أحمد بن نصر!

فاجتمع خلق من المستورين والفقراء فصار بهم إلى الجامع العتيق وفرّق فيهم.

(20) في المخطوط: صناديق بيت المال، وسايَرْنا قراءة الاتّعاظ، 158.

(21) في المخطوط: وهو موضع.

فلمّا كان يوم الجمعة الثاني لدخوله وهو لعشر بقين من شعبان [9/358 جويلية 969] سار جعفر[22] ابن القائد جوهر في عسكر إلى الجامع العتيق لصلاة الجمعة، وخطب للناس هبة الله بن أحمد خليفة عبد السميع بن عمر العبّاسي[23] ببياض حتّى بلغ إلى الدعاء [فـ] ـقرأ من رقعة ما نصّه:

اللهمّ صلِّ على عبدك ووليّك ثمرة النبوّة وسليل السادة المهديّة عبدك معدّ أبي تميم المعزّ لدين الله أمير المؤمنين، كما صلّيتَ على آبائه الطاهرين، وأسلافه الأئمّة الراشدين. اللهمّ ارفع درجتَه وأعلِ كلمتَه، وأوضح حُجَّتَه، واجمع الأمّة على طاعتِهِ، والقلوبَ على موالاته ومحبّته، واجعل الرشاد في موافقته، وورّثه / مشارق الأرض ومغاربَها، وأحمدْهُ مبادىء [309 ب] الأمور وعواقبَها، فإنّك تقول، وقولك الحقّ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء، 105). فلقد امتعض لدينك ولما انتهك من حرمتك، ودرس من الجهاد في سبيلك، وانقطع من الحجِّ إلى بيتك، وزيارة قبر رسولك ﷺ، فأعدَّ للجهاد عُدَّتَهُ، وأخذ لكلِّ خطبٍ أهبتَه، فسيّر الجيوش لنصرتك، وأنفقَ الأموال في طاعتِك، وبذل المجهودَ في مرضاتِك، فارتدَعَ الجاهل وقَصر المتطاول، وظهر الحقُّ وزهق الباطل. فانصر اللهمَّ جيوشَه التي سيَّرَها، وسراياه التي انتدبَها لقتال المشركين، وجهاد الملحدين، والذبِّ عن المسلمين، وعمارة الثغور والحرمين، وإزالة الباطل، وبسط العدل في الأمم. اللهمَّ فاجعل راياتِه عاليةً

---

(22) جعفر بن جوهر: ذكره ابن حمّاد، 41 وابن خلّكان، 61/5، والداعي إدريس، 698 مرافقاً لهديّة أبيه إلى المعز. ولم يذكره المقريزي في الاتّعاظ، 170.
وحتّى في موضوع الصلاة الشيعيّة بالجامع العتيق، جاء في الاتّعاظ، 162 ـ نقلاً عن ابن زولاق ـ أن الذي سار إلى جامع عمرو هو جوهر نفسه.
هذا والمعروف من أبناء القائد هو الحسين بن جوهر، وله هو أيضاً ابن اسمه جعفر.
وللحسين بن جوهر، وجعفر بن الحسين ترجمة في المقفى (رقم 65 و66 من كتابنا هذا).

(23) عبد السميع بن عمر العبّاسيّ: يبدو أنّه خلف أباه القاضي عمر بن الحسن الهاشميّ العباسيّ على الخطبة بجامع عمرو. انظر الولاة والقضاة، 575 و589. أمّا هبة الله خليفته فلم يذكره الكندي. وانظر ترجمة ابنه محمد بن عبد السميع رقم 75.

مشهورة، وعساكره غالبة منصورة، وأصلح به وعلى يديه.

* * *

وضرب السكّة الحمراء ونقشُها: دعا الإمام معدّ، لتوحيد الإلّه الصمد، في سطر.

وفي السطر الآخر: المعزّ لدين الله أمير المؤمنين.

وفي السطر الثالث: ضرب هذا الدينار بمصر في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة.

وفي الوجه الآخر: لا إلاه إلاَّ الله محمد رسول الله أرسله ﴿بالهُدَى ودِين الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ﴾ (التوبة 33). عليّ أفضل الوصيّين ووزير خير المرسَلين.

وجلد متزانيّيْن وطاف بهما وظَهر المرأة مكشوف.

وكاتب مزاحم بن محمد بن رائق[24]، وكان قد سافر فيمن سار يريد الشّام فرجع عن الحوف في عسكر كبير.

وفي هذا الشهر ابتدأ بنيان القصر وبنى المصلّى الذي للعيد. وأفطر جوهر في عيد الفطر على عددٍ بغير رؤية، وصلّى صلاة العيد بالقاهرة صلّى به علي بن الوليد الإشبيليّ قاضي عسكره وخطب. ولم يصلّ أهل مصر وصلّوا من الغد في الجامع العتيق، وفيهم القاضي أبو طاهر، وكان قد التمس الهلال على عادته في سطح الجامع فلم يره، فلمّا بلغ ذلك جوهراً أنكره وعاتب عليه وتهدّد فيه.

وجلس للمظالم في كلّ يوم سبت، ثمّ ردَّ المظالم إلى أبي عيسى

---

(24) مزاحم بن محمد بن رائق: كان الإخشيديّون وكّلوا إليه الدفاع عن المخاضة ليمنع جوهراً من العبور فتخلّى عنها وهرب إلى الشام ثمّ استأمن لجوهر فأمّنه وولّاه على الفرما (الاتّعاظ، 155، 165، 167).

مرشد[25]. وصرف علي بن الحسين عن الشرطة، وردَّها إلى شبل المعرضي وإلى ابن غزويه المغربيّ[26]. وأشرك بين علي بن يحيى بن العرمرم وبين رجاء بن صولات في الخراج. وأشرك بين محمد بن أحمد السداني وبين موسى بن الحسين الدنهاجي في ديوان الضياع الإخشيديّة. وأشرك بين محمد بن سالم وبين أبي اليمن قزمان ابن مهنا[27] في الضياع الكافوريّة.

ووردت كتب الإخشيديَّة والكافوريَّة من الشام بطلب الأمان فأمَّنهم ووافى منهم في ذي الحجة ستة آلاف، فأنزلهم جوهر خارج القاهرة.

وفي يوم الجمعة ثامن ذي القعدة [24/358 سبتمبر 969] زيد في الخطبة: اللهمَّ صلِّ على النبي محمد المصطفى، وعلى عليّ المرتضى، وعلى فاطمة البتول، وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول، الذين أذهبتَ عنهم الرجس وطهَّرتَهم تطهيراً. اللهمَّ صلِّ على الأئمَّة الراشدين، آباء أمير المؤمنين الهادين.

ونودي على التوابيت في الجامع العتيق برفع البراطيل[28] وقائم الشرطتين، وكذلك نودِيَ في سائر البلد.

وورد الخبر بقدوم القرامطة إلى الرملة.

وقدم كتاب المعزّ لدين الله من المغرب بوصول رأس نحرير ومبشر ويمن وبلال.

وفي ذي الحجَّة فرَّ فاتك الهيكليّ[29] إلى الشام. وبلغ جوهراً أنَّ

(25) الداعي أبو عيسى مرشد: قال بوناوالا، 66 لعلّه هو داعي مصر الذي وسمت باسمه رسالة النعمان «في تربية المؤمنين».

(26) إن كان ابناً لغزويه بن يوسف الذي قتله المهدي، فهذا يعني أنّ الأسرة بقيت في خدمة الفاطميين. وفي ص 251، سمّاه عروبة ـ أو غزويه ـ بن إبراهيم كما في الاتّعاظ، 196.

(27) لسنا واثقين بقراءة هذا الاسم.

(28) البراطيل ضربٌ من الرسوم التي تؤخذ من أهل البلد (اتعاظ الحنفاء، 166 هامش 2).

(29) فاتك ـ أو فتك ـ الإخشيدي: أحد القوّاد الإخشيديين الذين أسرهم جعفر بن فلاح. انظر عيون الأخبار، 292 هامش 263.

المستأمنة من الإخشيديَّة والكافوريَّة قد عزموا على القيام. فحضر جنازة[30] في خامسه [20/358 أكتوبر 969] وانصرفَ منها وهم معه، فلمَّا بلغ باب القصر من القاهرة قال للإخشيديَّة والكافوريَّة: «انزلوا!» فنزلوا، فقبض على ثلاثة عشر من وجوههم، واعْتَقَلَهم ستة أشهر حتى سيَّرهم إلى المعزّ بالغرب مع الهديّة.

وقبض على أموال نحرير الأزغلي وغيره.

ودخلت سنة تسع وخمسين وثلاثمائة.

فضرب أعناق جماعة وصلبهم. وندب جعفر بن فلاح لأخذ الشام فسار
[310 أ] في ثاني عشر المحرَّم [25/359 نوفمبر 969] وملك الرملة / وبعث الحسن ابن عبيدالله بن طغج وجماعة في القيود.

وبعث علي بن غفيـانـان[31] إلى الصعيد من البرّ وعلي بن محمد الخازن في البحر.

وتعذَّر الخبز لغلاء السعر فضرب جماعةً من الطحَّانين وطيف بهم.

وفي يوم الجمعة لثمان خلون من جمادى الأولى [18/359 مارس 970] صلَّى في جامع أحمد بن طولون، وخطب به عبد السميع بن عمر العبَّاسي بقلنسوة وَشْيٍ وطيلسان وشيٍ، وأذَّن المؤذِّنـون [بـ]ـحـيّ على خير العمل، وهو أوَّل ما أُذِّن به في مصر، وصلَّى به عبد السميع فقرأ سورة الجمعة و﴿إذا جاءك المنافقون﴾ (المنافقون، 1) وقَنَتَ به الركعة الثانية، وانحطَّ ساجداً ونسِيَ أن يركع، فصاح به عليّ بن الوليد قاضي عسكر جوهر: بطلت الصلاة! أعد ظُهراً أربع ركعاتٍ!

ثمَّ أذِّن بـ «حيّ على خير العمل» في سائر مساجد العسكر. وأنكر جوهر

---

(30) هي جنازة أحد أبناء جعفر بن فلاح، كما في الاتّعاظ، 167 دون ذكر اسمه.

(31) الاسم مطموس فأخذنا بقراءة هـ . ر . إدريس في رسالته 101/1. آنظر ص 404، هامش 5 من كتابنا هذا. وفي الاتّعاظ، 169، لا ذكر لهذين العليّين.

على عبد السميع أنَّه لم يقرأ البسملة في كلّ سورة، ولا قرأها في الخطبة، فصلّى به الجمعة الأخرى وفعل ذلك. وكان عبد السميع قد دعا لجوهر في الخطبة فأنكر جوهر عليه ومنعه من الدعاء له.

وقبض الأحباس من يد القاضي أبي طاهر وردَّها إلى غيره.

ولأربع بقين منه [من جمادى الأولى 6/359 أفريل 970] أذَّن في الجامع العتيق بـ «حيّ على خير العمل»، وجهروا فيه بالبسملة في الصلاة، وكانوا لا يفعلون ذلك بمصر.

وأمر في المواريث بالردِّ على ذوي الأرحام، وأن لا يرثَ مع البنتِ أخٌ ولا أختٌ، ولا عمّ ولا جدّ، ولا ابن أخ ولا ابنُ عمّ، ولا يرث مع الولد، ذكراً كان أو أنثى، إلاَّ الزوجُ والزوجةُ، والأبوانِ والجَدَّةُ، ولا يرث مع الأمّ إلاَّ مَن يرث مع الولد. وخاطب أبو الطاهر القاضي القائد جوهراً في بنت وأخ، وأنَّه قد كان حكم قديماً للبنت بالنصف وللأخ بالباقي، فقال: «ما أفعل؟» فلما ألحَّ عليه قال: «يا قاضي، هذه عداوة لفاطمة عليها السلام!». فأمسك أبو طاهر ولم يراجعه بعد ذلك.

وأشار الشهود على القاضي أبي الطاهر أن لا يطلب الهلال لأنَّ الصومَ والفطرَ على الرؤية قد زال، فانقطع طلب الهلال. وصام القاضي في هذه السنة مع القائد جوهر كما يصوم، وأفطر كما يفطر.

ولسبع عشرة خلت من جمادى الآخرة [27/359 أفريل 970] أنفذ جوهر ابنه جعفر بن جوهر بهديّة إلى المعزّ فيها:

تسع وتسعون بختيّة.

وإحدى وعشرون قبَّة بأجلَّة الديباج المنسوجة بالذهب، ومناطق الذهب المكلّلة بالجوهر.

ومائة وعشرون جمـ[ـلا] عرابـ[ـا].

وستة وخمسون جُلاً.

وثمانية وأربعون فرساً عليها أجلّة الديباج المنقوش، والسروج على جميعها أصناف الحلية من الذهب، ومنها ما هو من الفضّة مموَّه بالذهب، ولجُمُها منها ما هو بالذهب ومنها ما هو بالفضّة مموَّه بالذهب.

وعودان عظيمان من عود كأطول ما يكون من الصواري، وكان جوهر قد وجدهما فيما وجد لنحرير الأزغلي.

وأنفذ مع هذه الهديّة جماعةً من قوّاد الإخشيديَّة وقوّاد الكافوريَّة ومن أنفذه جعفر بن فلاح من الشام، وهم:

الحسن بن عبيدالله بن طغج،
وجعفر بن غزوان صاحب القرامطة،
وفاتك الهيكليّ(32).
والحسن بن جابر الرياحيّ كاتب الحسن بن عبيدالله،
ونحرير شويزان(33)،
ومفلح الوهباني،
ودرّي الخازن،
ودرامك،
ومتلغ التركي الكافوري،
وأبو منحل،
وجكل الإخشيدي،
وفرح البجكمي،

(32) في المخطوط وفي الاتّعاظ، 171: فاتك الهنكري. وقد مرَّ ذكر فاتك الهيكليّ بين القوّاد الإخشيديِّين الذين فرُّوا إلى الشام.

(33) نحرير شويزان هو إذن غير نحرير الأزغلي الذي قُتل مع جمع من الكافوريّة والإخشيديّة حين عبر جعفر بن فلاح إليهم. وفي عيون الأخبار، 680: نحرير شويزان هو نحرير الأصغر الذي أمّروه عليهم (انظر هامش 14).
وهذه الأسماء كلها ذكرت أيضاً في عيون الأخبار 693 دون تعريف.

ولؤلؤ الطويل،
وفتك الخادم.

فخرجوا في القيود وساروا إلى رشيد ففكّت قيودهم هناك، وأركبوا المحامل في البرّ إلى القيروان.

ومنع جوهر من الدينار الأبيض، وكان بعشرة دراهم، وأمر أن يجعل الدينار الراضي ـ وهو الذي عليه اسمُ الخليفة الراضي بالله، [و] هو محمد بن المقتدر العبّاسي ـ بخمسة عشر / درهَماً، والدينار المعزّيّ بخمسة وعشرين [310 ب] درهماً ونصف. فلم يرض الناس بذلك. فردَّ الأبيض إلى ستّة دراهم فتلف بعد ذلك إلى آخر الدهر وافتقر خلق كثير.

وضرب أعناق عدّة من الإخشيديّة والكافوريّة وصلبهم عند كرسيّ(34) الجسر فأقاموا إلى أن دخل المعزّ إلى مصر.

وفي ذي الحجّة أنفذ عسكراً وعشرين حملَ مالٍ وأحمالَ متاع إلى الحرمَين مكّة والمدينة.

وفي المحرَّم سنة ستّين وثلاثمائة [/ نوفمبر 970] اشتدّت الأمراض والوباء بمصر والقاهرة، ومنع جوهر من بيع الشواء إلّا بعد سلخ الغنم، وكان يباع مسموطاً بجلده.

وفي جمادى الآخرة نقل مجلس المظالم عن يوم السبت إلى يوم الأحد، وأطلق لأصحاب الراتب ألف دينار رتّبت فيهم.

وورد الخبر بقدوم الحسن بن أحمد الأعصم القرمطي إلى دمشق، وقتل جعفر بن فلاح، واستيلاء القرامطة على دمشق، وقصدهم مصر. فتأهّب جوهر لقتالهم، وَحَفَرَ خندقاً وعمل عليه بابين من حديد، وبنى القنطرة على الخليج

(34) كرسيّ الجسر: كلمة اصطلاحيّة تعني قاعدته. انظر معجم المصطلحات العلميّة والفنيّة ليوسف خيّاط (الملحق بلسان العرب).

ظاهر القاهرة، وحفر خندق السريّ بن الحكم وفرّق السلاح على العساكر، فوجد رقاعاً في الجامع العتيق فيها التحذير منه، فجمع الناس ووبّخهم فاعتذروا له فقبل عذرهُم.

ونزل القرامطة عين شمس في المحرَّم سنة إحدى وستّين [/ أكتوبر - نوفمبر 971] فاستعدَّ جوهر وضبط الداخل والخارج. وفي مستهلّ ربيع الأوَّل [22/361 ديسمبر 971][35] التحم القتال بين القرامطة وبينه على باب القاهرة فقُتل من الفريقين جماعة وأسر كثير. ثمّ استراحوا في ثانيه والْتقوا في ثالثِه [24 ديسمبر 971] فاقتتلوا قتالاً كثيراً قُتل فيه ما شاء الله من الخلق، وانهزم القرمطيّ يوم الأحد ثالث ربيع الأول [24/361 ديسمبر 971] ونهب سواده ومرّ على طريق القلزم. ونودي في مدينة مصر: من جاء بالقرمطيّ أو برأسه فله ثلاثُمائة ألف درهم وخمسون خِلعةً وخمسون سرجـ[ـا] محلًّى على دوابّها وثلاث جوائز. وقبض جوهر على تسعمائة رجل من جند مصر في ساعة واحدة وقيّدهم وسجنهم بالقاهرة في دار. ووجد عدَّة ودائع لقوَّاد الإخشيديَّة فأخذها.

ورفع المعاملة بالدنانير المتقيّة - وهي التي عليها اسمُ المتَّقيّ لله إبراهيم ابن المقتدر العبّاسيّ - وجعل قيمة الدينار الأبيض ثمانية دراهم.

وأمر ألَّا يظهر يهوديّ إلَّا بغيار فاعتمد ذلك.

وفي شعبان منها [361 / ماي - جوان 972] دخل أبو محمود إبراهيم بن جعفر [بن فلاح] الرملة[36].

وفيه مرض الشريف أبو جعفر مسلم فأرسل إليه القائد جوهر ابنه حسيناً لعيادتِه.

ولسَبْع خلون من رمضان [24/361 جوان 972] فرغ القائد جوهر من

---

(35) «وكان يوم جمعة» (اتّعاظ، 182).

(36) خصّص له المقريزي ترجمة في المقفّى (رقم 45 من كتابنا).

بناء الجامع بالقاهرة[37] وجمعت فيه الجمعة.

وفي شوّال ابتدأ القائد جوهر بحفر الخندق بالقرافة وبدَأ به من بركة الحبش وألفى الأموات تلقى[38] إلى قبر الشافعي فعدل به عنه، ثمّ شقّ مشرّقاً إلى الجبل على المقابر إلى قبر كافور الإخشيديّ ليحفظ طريق مصر من الفجِّ حتى لا يرد أحدٌ من القلزم.

وفي ربيع الآخر سنة اثنتين وستين وثلاثمائة [جانفي - فيفري 973] تواترت الأخبار بقدوم المعزّ لدين الله إلى مصر فتأهّب جوهر وأخذ في عمارة القصر. وفي أوّل رجب [7/362 أفريل 973] تقدّم إلى الناس بلقاء المعزّ فخرجوا في ثامنه. وقدم المعزّ في سابع رمضان [11/362 جوان 973] فنزل قصره من القاهرة وجلس على سرير الذهب في الإيوان، وجوهر قائم بين يديه يقدّم الناسَ قوماً بعد قوم حتّى انقضى السلام.

ومضى وأقبل بهديّته وهي:

من الخيل مائة وخمسون فرساً مسرجة ملجمة منها بذهب، ومنها مرصّع، ومنها مُعنبر.

و[احد[ى] وثلاثون ناقةً من البخاتي عليها قباب بالثياب الديباج والمناطق والفرش، منها تسعة بديباج مثقل.

وتسع نوق مجنوبة مزيّنة بمثقل،

وثلاثة وثلاثون بغلاً منها سبعة مسرجة ملجمة،

ومائة وثلاثون بغلاً للحمل،

(37) في المخطوط: لتسع، والتصويب من الوفيات (ترجمة جوهر رقم 145) ومن السيوطي: حسن المحاضرة، 251/2: «ابتُدِىء بناؤه يوم السبت لستّ بقين من جمادى الأولى سنة 359 وكمل لسبع خلون من رمضان سنة 361». وهذا الجامع هو الجامع الأزهر، إلاّ أنّ المقريزي يسمّيه في الاتّعاظ، 190: «مصلّى القاهرة».

ولكن نجد اسم الجامع الأزهر في كتاب الولاة والقضاة، 589. بمناسبة تعيين عليّ بن النعمان على قضاء مصر سنة 366.

(38) في المخطوط: وألفى الأموات حتّى تلقى إلى...

وتسعون نجيباً،
وأربعة صناديق مشبكة / يُرى ما فيها وتحتوي على أواني ذهب وفضّة، [311 أ]
ومائة سيف محلًى بذهب وفضّة،
ودرجان من فضة مخرّقة فيهما جوهر،
وشاشية مرصّعة في غلاف،
وتسعمائة ما بين سفط وتخت فيها سائر ما أعدّه من ذخائر مصر.

ولمّا خطب المعزّ يوم العيد كان جوهر معه على المنبر.

وخلع عليه في سابع شوّال [11/362 جويلية 973] خلعة مذهبة وعمامة حمراء وقلّده سيفاً، وقاد بين يديه عشرين فرساً مسرجة ملجمة وحمل بين يديه خمسين ألف دينار ومائتي ألف درهم وثمانين تخت ثياب. وكان إذا ركب المعزّ سار خلفه.

واستقرّ خليفة للمعزّ بديار مصر يَحكم في القاهرة ومصر. ثمّ صرفه عن الخراج في سادس عشر المحرّم سنة ثلاث وستّين وثلاثمائة / 15 أكتوبر 473] فكانت مدّة تدبيره أمور مصر أربع [سنين] وعشرين يوماً ما صدر عنه فيما يخطّه توقيع ملحون(39).

وأقام بالقاهرة حتى مات المعزّ في ربيع الآخر سنة خمس وستّين [وثلاثمائة / ديسمبر 975].

واستخلف بعدَهُ ابنه العزيز بالله أبو منصور نزار فانتدبه إلى الخروج إلى الشام وحمل إليه خزائن السلاح والأموال. وسار من القاهرة في عسكر لم يخرج إلى الشام قبله مثله، بلغت عِدَّتُهم عشرين ألفاً. فبلغ هفتكين الشرابيّ وهو على عكّا مسير جوهر، والقرامطة على الرملة، فولّت القرامطة منهزمين عجزاً عن مقاومته، وسار هفتكين من عكّا إلى طبريّة، ونزل جوهر الرملة.

(39) في وفيات الأعيان، ترجمة المعزّ رقم 727: عزل جوهر سنة 364 لثلاث عشرة بقين من المحرّم، عزل عن النظر في سائر أمور مصر.

فدخل هفتكين إلى دمشق، وجوهر في إثره إلى أن نزل بين داريا وبين الشماسيّة ظاهر دمشق يوم الأحد لثمان بقين من ذي القعدة سنة خمس وستّين وثلاثمائة [/ 21 جويلية 976]، وحفر على عسكره خندقاً عظيماً وجعل له أبواباً وبنى البيوت من داخل الخندق. وكان قد انضمّ إليه ظالم بن موهوب العقيليّ فأنزله خارج الخندق. وجمع هفتكين الدعّار وحمّال السلاح من عوامّ دمشق وقدّم عليهم قسّام النّسّاط الترّاب[40] وأجرى له الأرزاق وأخرجه إلى قتال جوهر، فاستمرّت الحرب بين جوهر وهفتكين من يوم عرفة فجرى بينهم اثنتا عشرة وقعة إلى سلخ ذي الحجّة [29/365 أوت 976]، ولم يزل الحرب إلى يوم الخميس حادي عشر ربيع الأوّل سنة ستّ وستّين وثلاثمائة [/ 7 نوفمبر 976]، فانهزم هفتكين وعزم على الفرار إلى أنطاكية[41] ثم ثبت عندما بلغه قدوم الحسن بن أحمد القرمطي إليه، فاستظهر. وبلغ ذلك جوهراً فدعا إلى الصلح، وكان الشتاء قد هجم عليه، وهلك أكثر ما معه من الكراع، وصار معظم أصحابه رجالـ[ـة] بغير خيل، وقلّت العلوفات عنده واشتدّ وقوع الثلوج. فامتنع هفتكين من إجابته ثمّ أذعن وأنفذ إلى جوهر بجمال. ورحل عن دمشق بعدما أحرق ما عجز عن حمله مِن الخزائن والأسلحة. وسار يوم الخميس ثالث جمادى الأولى مجدّاً لخوفه أن يدركه القرمطيّ، فهلك كثير من عسكره لشدّة الثلج، وأخذ القرمطيّ يسير خلفهُ من طبريّة إلى الرملة فتحصّن جوهر بزيتون الرملة، وخرج هفتكين من دمشق ولحق بالقرامطة واجتمعوا على قتال جوهر. فجرت بينهم حروب طويلة شديدة آلت إلى التجاء جوهر إلى عسقلان، وقد فنِيَ معظم عسكره ونهبت أثقاله. فنزل هفتكين عليه وحصره حتى بلغ منه الجهد الشديد، وغلت عنده الأسعار

---

40) ويقال له أيضاً قسّام الزبّال وقسّام العيّار (الوفيات، 117/2)، ويسمّيه ابن تغري بردي 114/3: قسّام الحارثي، «وكان ينقل التراب على الحمير». وانظر ابن القلانسي، 21، والكامل (سنوات 368-370).

(41) وهي إذ ذاك عند الروم.

بعسقلان فبلغ قفيز القمح أربعين ديناراً، وتنكَّر عليه من معه من الكتاميّين واحتقروه وتنقّصوه وشتموه. وكانوا قبل ذلك قد تجادلوا ولم يصدقوا في القتال وكايدوا القائد جوهراً، فضاقت بجوهر ومنْ معه الأرض ولاذ إلى الصلح. فبعث إليه هفتكين: إن أردتَ الخروجَ بمَن معك فأنا أؤمِّنُك حتى تنصرفَ إلى صاحبك.

فتعاقدوا على ذلك، وصالح هفتكينِ على مال، وخرج وقد علَّق هفتكين سيفه على باب عسقلان حتى يخرج جوهر ومَن معه من تحتِ سيفِه. فسار / إلى القاهرة، وقد بلغ العزيز ما هو فيه من الجهد، فبرز يريد السفرَ إلى الشام فسار معه. [311 ب]

وكانت مدَّة قتال القرامطة وهفتكين لجوهر على الزيتون ظاهر الرملة وعلى عسقلان سبعة عشر شهراً. فلما قدم جوهر على العزيز وبلغهُ تجادل الكتاميّين غضب من ذلك غضباً شديداً. وغدر[42] جوهراً وأظهر أنَّه قد تنكَّر له وعزله عن الوزارة وصيَّر مكانه يعقوبَ بن كلّس. فلمَّا فرغ العزيز من قتال هفتكين وعاد إلى القاهرة، لم يزل جوهر بها إلى أن مات يوم الخميس لإحدى عشرة بقيت - وقيل بل مات لسبع بقين - من ذي القعدة سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة [31 أو 28 جانفي 992]. فبعث العزيز بالله إليه بالحنوط والكفن، وبعث إليه الأمير منصور ابن العزيز وبعثت إليه السيدة العزيزيّة أيضاً. فكفّن في سبعين ثوباً ما بين مثقل ووشيٍ مذهب. وصلّى عليه العزيز.

وكان له من الولد حسين، وحسن، وأبو أحمد جعفر. فأمَّا الحسين بن جوهر فإنَّ العزيز خلع عليه وجعله في مرتبة أبيه، وله ترجمة كبيرة في هذا الكتاب[43].

وأمَّا حسن فإنه مات بالمغرب صلَّى عليه المعزّ لدين الله في سنة ستّين وثلاثمائة.

(42) في المخطوط: وعدد.
(43) هي الترجمة رقم 65.

وأمّا أبو أحمد جعفر فبعثه أبوه من القاهرة إلى الغرب بهديّته ـ وله ترجمة أيضاً[44] ـ.

ولمّا مات جوهر لم يبق شاعر بمصر من أهلها، ولا طارئٌ غريبٌ، إلا رثاه ووصف ما أثره وما فتحه من البلاد شرقاً وغرباً.

* * *

التعليق: الترجمة من مخطوط السليميّة 306 أ ـ 311 ب.

لقد ترجم لهٰذا القائد الفاطميّ الكبير ابن خلّكان (رقم 145) والداعي إدريس في عيون الأخبار، 604، واستعرض بالتفصيل فتحه لمصر، 663. وألّف علي إبراهيم حسن كتاباً بعنوان «تاريخ جوهر الصقلّي» (القاهرة، 1933) ولكنه لا يغني في معرفة حياة جوهر قبل فتح مصر. وترجم له حسين مؤنس في دائرة المعارف الإسلاميّة، وذكره فرحات الدشراوي في رسالته «الخلافة الفاطميّة بالمغرب» مفصّلاً أحداث حملتَيْه المغربيّة والمصريّة (ص 222 وص 250) ومخصّصاً فقرة طويلة (ص 367) للخُدّام الصقالبة.

وجوهر صقلبيّ الأصل كما يظهر من ترجمة المقفّى هنا، وكما أثبتَه إ. هربك. I Hrbek في دراسة بالألمانيّة عن دور الصقالبة في الدولة الفاطميّة (نقلاً عن ماريوس كانار في ترجمته لسيرة جوذر، الهامش 12 ص 46). والصقالبة عبيد مجتلبون من أوروبا الوسطى، لا من صقليّة بالضرورة، خلافاً لما توهم به عبارة «جوهر الصقلّي» أو «جوهر الروميّ» أي البيزنطي (وانظر رسالتنا عن ابن هانىء ص 88).

وترجمة المقريزي تفيدنا بسنة ميلاده: 312، ولكنّها لا تذكر أين ولد؟ ولا ممّن ولد؟

وتفيدنا أنّه لم يكن خصيًّا، لقد أنجب ابنين على الأقلّ: الحسين وجعفر.

وتعطينا بالخصوص صورة أمينة من حسن تدبير هذا القائد الفاتح، ورفقه بالخصوم في المذهب، وحنكته السياسيّة، مع الوفاء المطلق للدولة وللدعوة، وتواضعه الكبير، ممّا يفسّر العطف الخاصّ الذي يكنّه له المؤرّخون المصريّون، والمقريزي منهم، وقبله القضاعي والكندي وغيرهم.

---

(44) لم نجدها في حرف الجيم، ولعلّ المؤلّف خلط بين جعفر بن جوهر، وجعفر بن الحسين بن جوهر.

55 ـ ابن الأزرق المرواني الشاعر (319 ـ 385)

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن حامد بن موسى بن العبّاس ابن محمد بن يزيد الحصنى الشاعر، آبن محمد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، كنيتُه أبو بكر ويعرف بابن الأزرق.

ولد بمصر سنة تسع عشرة وثلاثمائة [931 - 932]، وخرج منها سنة ثلاث وأربعين [954 - 955] إلى القيروان فآمتُحِن بها، وحُبس بالمهديّة ثلاثة أعوام وسبعة أشهر.

ثم صار إلى الأندلس سنة سبع وأربعين، ومات بقرطبة في ذي القعدة سنة خمس وثمانين وثلاثمائة [ديسمبر 995].

وكان أديباً حكيماً، كتب قطعة من الحديث عن محمد بن أيّوب بن الصموت وغيره، وحدّث فأخطأ، ولم يكن ممّن يتقن الحديث، وإنّما كان أديباً شاعراً.

* * *

التعليق: الترجمة من مخطوط ليدن 106 أ.

هذا المحدّث الشاعر، الذي غلب شعره على فقهه، ليس معروفاً لدينا. وقد أثبتناه في قائمتنا لأنّه سار من المشرق إلى المغرب أوّلاً، ولقيَ الاضطهاد من الفاطميّين ثانياً. ولعلّ المحنة التي أنزلوها به كانت لسببين: أنّه أمويّ أوّلاً فهو يصعد إلى مروان بن الحكم حسب النسب المطوّل الذي صدّر به المقريزي الترجمة. ثم لأنّه محدّث، ولا شكّ أن مَن هذه حاله لا يروي عن جعفر الصادق فقط.

56 ـ العُتـقـيّ (ـ 385)

محمد بن عبد الله بن محمد، أبو عبد الرحمان المغربيّ المقرىء. قال ابن ميسِّر: له تصانيف، منها التاريخ، والوسيلة لدرك الفضيلة، وكتاب أدب السادة، وغير ذلك. وذكر وفاته في رابع شهر رمضان سنة خمس وثمانين وثلاثمائة [2 أكتوبر 995].

والعُتقيّ بضمّ العين المهملة، وفتح التاء المثنّاة من فوق ثمّ قاف، نسبة إلى العتقيّين والعتقاء: جمع من قبائل شتّى من حجر حمير وكنانة ومضر ومن سعد العشيرة.

ذكره ابن ماكولا، وأن له تاريخاً في المغاربة، وأنّ عبد الغنيّ[1] كتب عنه عن أبي العرب.

* * *

التعليق: الترجمة في مخطوط ليدن 2، ورقة 59.

العتقيّ هو المؤرّخ أبو عبد الرحمان العتقي الذي ألّف كتاب «التاريخ الجامع» للعزيز الفاطمي. فقد قال القفطِي: تاريخ الحكمـاء، 285 إنّ هذا المنجّم النحويّ المؤرّخ ألّف كتاب التاريخ سنة 377.

ولكن من جهة أخرى ذكر الداعي إدريس في عيون الأخبار، 567، في جملة كتب القاضي النعمان ـ المتوفّى سنة 363 ـ كتاباً في الردّ على العتقيّ، وهذا

(1) عبد الغني: هو الحافظ عبد الغنيّ بن سعيد (332-409)، صاحب كتابَي «المؤتلف والمختلف» و «مشتبه النسبة». انظر ترجمته في وفيات الأعيان رقم 401 وانظر ص 272 هامش 5 من هذا الكتاب.

يبعث على الشكّ في أنّ كتاب التاريخ ألّف للعزيز كما قال القفطيّ، أو في عهد العزيز.

وفي كتاب الولاة والقضاة، 592، أنّ محمد بن عبد الله العتقيّ كان شاهداً عند القاضي محمد بن النعمان.

والقفطي يسمّيه «المنجّم القبرياني الإفريقيّ» فهو إفريقي مغربيّ خدم الفاطميّين.

57 ـ الحسن بن زولاق (306 ـ 387)

الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن عليّ بن خلف بن راشد ابن عبد الله بن سليم بن زولاق، أبو محمّد، الفقيه التاريخيّ الليثيّ المصريّ.

ولد سنة ستّ وثلاثمائة [919 م] وتوفّي يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وثمانين وثلاثمائة [30 نوفمبر 997] بمصر في أيّام الحاكم بأمر الله ونظرِ الحسن بنِ عمّار الوزير[1]، وكان فقيهاً شافعيًّا، فيه تشيّع، ورماه ابن عين الغزال بالكذب[2].

وبعثه الأستاذ كافور الإخشيدي في أيّام تدبيره دولة أونوجور ابن الإخشيد برسالته إلى سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان في سابع ذي القعدة سنة سبع وأربعين وثلاثمائة [20 جانفي 959].

ولمّا قدم المعزّ لدين الله من المغرب خرج فيمن خرج إلى لقائه بمحلّة حفص وخطب بين يديه خطبة أصغى إلى جميعها، وما سار حتى فرغ منها، وهي:

«الحمد لله ربّ العالمين والعاقبة للمتّقين، ولا عُدْوَانَ إلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ، الجاحدين الغاصبين، وصلّى الله على خير أمين، دعا إلى خير

(1) انظر ترجمة الحسن بن عمّار الكلبي في هذا الكتاب (رقم 60).

(2) في لسان الميزان لابن حجر، 191/2: ابن أعين الغزال، وقال: لا أعرفه وزاد: وابن زولاق صدوق لا شكّ فيه.

دين، محمّدٍ سيّد المرسلين، وعلى أهل بيته الطاهرين، على رغم أنف الراغمين ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيْراً ﴾ (الأحزاب، 33)، ﴿ قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَنْهُ أَجْراً إِلاّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ (الشورى، 23)، ﴿ وَلَقَدْ ٱخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى العَالَمِينَ ﴾ (الدخان، 32).

السلام على أمير المؤمنين المعزّ لدين الله، السلامُ على الإمام المنتظر، السلام عليك يا مهديَّ الأمّة وعالِمَها، السلام عليك يا خليفَةَ رَبِّ العالمينَ، السلامُ عليك يا صاحبَ الزمان، وصاحبَ السرّ والإعلان، فضائلُكُم أكثر من أن تُحصَى، أنتم أهل البيتِ والكساء، بكم وُحِّد الرحمان، وبكم نزل القرآن، وبكم ظهر الإيمان، وبكم زجر الشيطان، وبكم اضمحلّت الأباطيل، وبكم افتخر على الملائكة جبريل، إذ قال يومَ الكساء: «وأنا منكم يا محمّد؟» فقال: «وأنت منّا يا جبريل». فعرّج مفتخراً على ملائكة الصمد الممجّد قائلاً: مَن مثلي، وأنا من أهل بيت محمّد؟

جبريل خادمكم وميكائيل زائركم وعرشُ الرحمان سقف بيتكم ﴿ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّه حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ (هود، 73).

إليك يا أميرَ المؤمنين خرجنا مهاجرينَ، وإلى سعيك مسارعين، وإلى ميمون غُرّتِك مُشاهدين، وإلى عِلمِك مقتبسين، ولعبدك جوهرٍ شاكرين.

أتتنا مصنّفات علمك فنشرناها في المتعلّمين، وبثثناها في أمصار المسلمين / وشرّفناها على جميع العالمين ﴿ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ ﴾ (يوسف، 38)». [344 ب]

ويُقال إنّه أظهر في دولتهم التشيّعَ، ووليَ النظرَ في المظالم، وصنّف كتباً كثيرَة منها:

كتاب القضاة بمصر،

وكتاب الأمراء،

وكتاب سيرة الإخشيد،
وكتاب سيَر الماذرائيّين،
وكتاب سيرة المعزّ،
وكتاب سيرة القائد جوهر،
وكتاب سيرة العزيز.

* * *

التعليق: الترجمة من مخطوط السليميّة، ورقة 344 أ.
ترجم لابن زولاق ابن خلّكان في الوفيات (رقم 167) وقال إنّه ذيّل كتاب قضاة مصر للكندي من سنة 246 إلى سنة 386.
وترجم له رفن كست في مقدّمته لكتاب الولاة والقضاة، 45 - 46 وفصّل الكتب التي تنسب إليه، ومنها هذه العناوين السبعة المذكورة هنا.
وكذلك ابن حجر في لسان الميزان وقال: لا يبعد أن يكون تشيّعُه حقيقةً فإنّ ذلك يظهر من تصانيفه.
ويظهر التشيّع خاصّة من هذه الخطبة التي يتبنّى فيها صاحبُها جميع المقولات الإسماعيليّة.

58 ـ محمد بن النعمان (340 ـ 389)

[172 أ] / محمد بن النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيّون أبو عبد الله ابن أبي حنيفة المغربيّ الأصل، قاضي القضاة بمصر.

ولد يوم الأحد لثلاث خلون من صفر سنة أربعين وثلاثمائة [11 جويلية 951][(1)] ببلاد المغرب، وقدم إلى مصر مع أبيه.

وقلّده أمير المؤمنين العزيز بالله نزار بن المعزّ لدين الله القضاء بمصر بعد أخيه عليّ بن النعمان لسبع بقين من شهر رجب سنة أربع وسبعين وثلاثمائة [20 ديسمبر 984]، وخلع عليه وقلّده سيفاً، فلم يقدر أن ينزل إلى الجامع العتيق لضعفٍ كان به، وسار إلى منزله. ومضى ولداه وأهلُه وجماعة الشهود إلى الجامع فقرِىء سجِلُّه بالقضاء على المعزّيّة القاهرة وأعمالها، ومصر، والإسكندريّة، والحرمَين، وأجناد الشام، وولاية الصلاة بالناس، وعيار الذهب والفضّة والموازين والمكاييل.

وأقام عليلاً، فاستخلف ابن أخيه الحسين بن علي بن النعمان في الحكم بين الناس بالجامع.

ووردت عليه مكاتبات جميع خلفاء أخيه علي بن النعمان، ووقّع في الأنكحة وسائر الرقاع. ثم ركب إلى الجامع بسبلة الحكم، ومعه جماعة

(1) في رفع الإصر لابن حجر (ذيل الولاة والقضاة، 592): سنة 345.

الشهود، وحكم بين الناس، وواصل الركوب إلى صلاة الجمعة بالجامع العتيق.

وقلّد ابنه عبد العزيز بن محمد قضاء الإسكندريّة في ذي القعدة سنة أربع وسبعين [أفريل 985] بأمر العزيز بالله، وخلع عليه العزيز.

وعقد لابنه عبد العزيز على ابنة القائد حسين بن جوهر في مجلس العزيز بالقصر على صداق مبلغُه ثلاثة آلاف دينار، وخلع عليه العزيز في غرّة جمادى الأولى سنة خمس وسبعين [وثلاثمائة/ 19 سبتمبر 985].

فلمّا مات عبد الله بن محمد بن رجاء قاضي دمشق، ولّاه العزيز قضاء دمشق، وجعل له أن يستخلف عليها ابنَه عبد العزيز، فاستخلفَه على دمشق، وجعل عِوضَه بالإسكندرية ابنَ أخيه جعفر بن أحمد بن النعمان.

وكان محمد بن النعمان جيّد الأحكام حسن الأدب والمعرفة بالأخبار والأشعار وأيّام الناس.

وذكر العُتَقِيّ[2] أنّ الإمام المعزّ لدين الله أبا تميم معدّ[اً] لمّا كان بالمغرب، تقدّم إلى القاضي النعمان بن محمّد أن يعمل له أسطرلابـ[ـاً] من فضّة، فأجلس القاضي النعمان مع الصانع ابنه محمد بن النعمان. فلمّا فرغ [من] الأسطرلاب وصار به النعمان إلى المعزّ، قال له: من أجلستَ مع الصانع؟

قـال: محمد ابني.

فقال المعزّ: هو قاضي مصر.

وقال محمد بن النعمان: كان المعزّ إذا رآني، وأنا صبيّ، يقول لمولانا العزيز: يا بُنيّ / هٰذا قاضيك![2م] [172 ب]

(2) هو المؤرّخ العتقيّ الذي ألّف «التاريخ الجامع» للعزيز الفاطميّ، انظر عيون الأخبار، 567، هامش 65، والوفيات، 303/1، هامش 1، وترجمته رقم 56.

(2م): هٰذا الزَّعمُ يُوهِم أنّ المعزّ عيّن ابنة العزيز وليًّا للعهدِ قبل الانتقال إلى مصر، أي سنة 350 =

ثم إن محمد بن النعمان استخلف ابنه عبد العزيز في جمادى الأولى سنة سبع وسبعين [وثلاثمائة / سبتمبر 987]، وفيه أعرس بابنة القائد حسين ابن جوهر، فأطعم محمد بن النعمان الناس ثلاثاً. وزُفّت إليه ومعها عشرون قبّة، ولم يُرَ بمصرَ عُرسٌ مثله.

ولمّا اتّصل خروج الناس في شهري رجب وشعبان ليالِيَ الجمَع بالقاهرة، خرج محمّد بن النعمان في جمع من الشهود، وجلس في المقصورة بالجامع الأزهر(3)، وأتته من الوزير يعقوب بن كلّس سلال الحلوى وغيرها. فأكل بجماعته، وانصرف ليلة النصف من شعبان [377 / 20 ديسمبر 986].

وتأخّر بعض الشهود عن حضور مجلسِه للحكم فعاتبهم وقال: «قد علمتُم أنّ قـاضـ[ـياً] كان عندكم تأخّر عنه جماعة فعدّل ثلاثين عِوَضاً منهم». يريد بهذا تهديدهم.

وارتدّ رجلٌ عن الإسلام في أيّامه فضَرَب عُنقَه بعدما عرض عليه الإسلام وهو يمتنع.

ولاعَن بين رجل وامرأته(4) في الجامع بحضرة الشهود في ذي القعدة سنة ثمان وسبعين [فيفري - مارس 989].

وفي صفر سنة تسع وسبعين [وثلاثمائة / ماي 989] صُرف عن قضاء دمشق بأبي محمد الحسن بن محمد العلويّ.

وادّعَت امرأة عنده بدين لها على زوجها، واقتضى الحكم حبسَه، فلمّا أمر به إلى الحبس رأى المرأة وقد فرحت بحبس زوجها - وكانت ذات جمال -

= على الأكثر، في طفولة محمد بن النعمان. ومعلوم أنه عيّن تميماً ثم عوّضه بعبد الله الذي توفّي بمصر بين سنتي 362 و365، فصارت الولاية إلى نزار العزيز.

(3) هذا أول ذكر للجامع الأزهر بهذا الاسم.

(4) في ذيل الولاة، 594: الرجل من ولد عقيل بن أبي طالب وقد جحد البنت التي أنجبتها زوجته. والملاعنة وقعت في جامع عمرو. وقد أسند هذا اللعان إلى الحسين بن علي بن النعمان نقلاً عن المسبِّحي في الولاة والقضاة، 596. والأمر نادر، بل مستحدث فلذلك قال المسبّحي: ولم يسبق لذلك (في دولة العبيديين).

فارتاب بها وأمر بحبسها أيضاً. فقالـ[ـت]: أصلح الله القاضي، كيف تحبسُني؟

فقال: حبسناه لحقّكِ، ونحبسكِ حفظاً له لحقّهِ عليكِ.

فسألت الإفراج عن الرجل فانصرف بها. فسأل الشهود القاضي عمّا فعلَه فقال: «لمّا رأيت فرَحَها بحبس زوجها علِمت أنّها تريدُ أن تخلُوَ بنفسها، ولا آمن أن تتغيّرَ على الزوج بحبسه عنها». فعدّت هٰذه من أحسن القضايا.

وعدّل جماعة قبل شهادتهم، منهم الحافظ عبد الغنيّ بن سعيد، وأبو الحسن علي بن عبد الرحمان بن يونس، وأبو العبّاس أحمد بن محمد بن أبي العوّام الحنفيّ الذي ولي قضاء مصر. ومنع جماعة من الفقهاء من الإفتاء لكثرة ما بلغه من غلَطهم.

وقوِي تمكّنه في البلد، وانبسطت يدُه في الأحكام، وتجبّر وترك النزول إلى جامع عمرو، وصار ينظر بداره في الأحكام، ولا يُخاطَب إلّا بـ «سيّدِنا».

فلمّا مات العزيز بالله وقام من بعده ابنُه أميرُ المؤمنين الحاكم بأمر الله أبو علي المنصور، استخلفَه على صلاة عيد الفطر، فصلّى بالناس في مصلّى العيد خارجَ القاهرة، وخطب / وهو متقلّد السيفَ الذي كان للعزيز، وكان [173 أ]
العزيز يشرّفه بصعود المنبر معه إذا خطب في يومَي العيدَين.

وجعل إليه الحاكم بأمر الله القيامَ على العزيز والوقوفَ على غسله وتكفينه فعظمت رُتبتُه وتمكّن من الحاكم وعلت منزلتُه، وأقطعَه الحاكم دار راشد العزيزي بالقاهرة(5).

ثمّ كثرت عِللُه بالنقرس والقولنج فكان أكثر أيّامه عليلاً، وابنه عبد العزيز ينظر بين الناس، ويخلفه في الحكم والأسجال.

---

(5) هذه التفاصيل خلت منها ترجمة ابن حجر في رفع الإصر.

وكان برجوان مع جَلالته وعِظم منزلته يعوده في كلّ خميس[6] ولا يقطع التردّد إلى داره فلا يتأخّر أحدٌ من رجال الدولة عن المصير إليه في كلّ يوم، وكان جميع أهل الدولة يركبون في كلّ يوم إلى دار برجوان في أيّام قيامه بأمر الدولة الحاكميّة، فإذا خرج صاروا معه إلى القصر ما خلا القائدَ حسين بن جوهر والقاضي محمد بن النعمان، فإنّهُما كانا لا يركبان إلى داره وإنّما يجتمعان معه في القصر خاصّةً.

وكان يكاتب بـ «قاضي القضاة»، وتجاوز حدّ القضاة إلى رُتب الملوك. وكانت النعمة تليق به لعموم إحسانِه لسائر أتباعه وأصحابه مع حسن الخلُق وجلالة البزّة وبشاشة الوجه. وكان يلبس الدرّاعة والعمامة بغير طيلسان ويركب بتجمّل كثير. وكان يُكثر استعمال الطيب في مجلسِه، إذا جلس وإذا ركب. وكان إذا أعطى أجزل في العطاء وأوفر.

ولم تزل علّتُه تتزايد به حتى مات بالقاهرة ليلة الثلاثاء رابع صفر سنة تسع وثمانين وثلاثمائة [25 جانفي 999] عن تسع وأربعين سنة تنقصُ يوماً واحداً. وكانت مدّة ولايتِه القضاء أربعَ عشرةَ سنة وستة أشهر وعشرة أيّام.

وترك عليه ديناً ستة وثلاثين ألفَ دينار كلُّها من أموال اليتامى والمحجور عليهم. فأمر الحاكم بأمر الله برجوان فختم على جميع ما تركه وباعه، وطالب الأمناء والعدول بأموال اليتامى المثبتة عليهم في ديوان القضاء، فزعمُوا أن القاضي قبضها، وأقام بعضُهم البيّنةَ على ذلك وعجز بعضهم عن البيّنة فأغرم مَا ثبت عليه فاجتمَع من مال البيع وما أخذ من الأمناء ثمانية عشر ألف دينار قدّرت بحقّ النصف.

وعندما مات قِيدت دوابُّه إلى اسطبل الخلافة. وركب الحاكم بأمر الله إلى داره وصلّى عليه، ودُفِن تحت قُبّتها ثمّ نُقل بعد ذلك من جبانة القاهرة، ودُفن عند أبيه وأخيه بتربة أولاد النعمان من القرافة الكبرى.

---

(6) الكلمة مطموسة، والإصلاح من ذيل الولاة والقضاة، 594.

ومن شعره (بسيط):

لو صحّ فيما مضى شيء أنست به   أفنيتُ بـاقي حياتي في تـطلّبِـه
أو كان في عابر اللذات لي أربٌ   لكنت أُعتب دهـري في تـعتّبـه
لكن تعقّبني دهـرٌ فـأوضـحَ لي   مـا كـان يستـر عنّي من تعقّبـه / [173 ب]
فـذقته علقمـاً من بعـد لـذّتِـه   كـذلك الـدهـر يجلو للجهـول بـه

وقال (بسيط):

يا من لنفسٍ براها لاعجُ الكمدِ   ومَن لعينٍ رمَاها الشوقُ بـالسَّهَـد
ومَن لصبٍّ بعيـدِ الـدار منفـردٍ   مستوحشٍ من جميع الأهلِ والولدِ
يبـدي سلُوًّا ويخفي مـا يكـابـدُهُ   وليس يشكو الذي يلقى إلى أحـدِ
يقـول لمّـا خـلا بـالبيت منفـرداً   وأدمـع العين تُذكي جَمـرة الكبـد
إنّي غـرقت ببحـرٍ غـربـةً وأسىً   يا سامعاً دعوةَ الغرقى فخذ بيـدي

وقال في المِقصّ (وافر):

ومـعتنقيـن فـي طـول اعتنـاقِ   قـد اتـفقـا عـلى حسـن اتّفـاق
إذا اجـتمعـا على تشتيت أمـرِ   تـفـرّق شـمـلُه أيّ افـتـراق

وقال (متقارب):

أيـا مُشبِـهَ البـدر بـدر السمـا   لـسبـع وخـمس مضَـت واثنـتيـن
ويـا كـامـل الحسـن في نـعتـه   شغلت فؤادي وأسهـدت عـيني
فهـل ليَ من مـطمـع أرتجيـه   وإلا انـصـرفت بـخُفَّـي حنيـن

وقد مدحه جماعة، منهم عبد الله بن الحسين الجعفري[7] فقال (وافر):
تـعـادلت الـقضـاة معـاً فـأمّـا   أبـو عبـد الإلاه فـلا عـديـل
وحيـدٌ فـي فـضـائلـه غـريـبٌ   خـطيـر فـي مفـاخـره جليـل

---

(7) في وفيات الأعيان (ترجمة النعمان رقم 766): عبد الله بن الحسن الجعفريّ السمرقندي. وانظر كتابنا: الأدب بإفريقيّة في العهد الفاطمي، حيث جمعنا نتفا من شعره.

تألّق بهجة ومضى اعتزاماً   كما يتألّقُ السيفُ الصقيلُ
ويقضي والسدادُ له حليفٌ   ويُعطي والغَمامُ له رسيل
لو اختُبِرَت قضاياه لقالوا   يؤيّده علينا جبرئيل
إذا رقيَ المنابرَ فهو قسٌّ   وإن حضر المشاهدَ فالخليل

* * *

التعليق: الترجمة من مخطوط ليدن 3 ورقة 172 أ.

والمقريزي لا يضيف جديداً إلى ترجمة ابن حجر، وهو ينقل كثيراً من التراجم عنه، وقد ينبّه هو ـ أو ناسخ المخطوطة السليميّة ـ إلى التراجم المنقولة عن ابن حجر.

ونحن أدرجنا القاضي محمد بن النعمان لأنه وُلد بالمغرب، وقدم مع المعزّ إلى القاهرة.

59 ـ جيش بن الصمصامة (ـ 390)

القائد أبو الفتح.

وقدم إلى القاهرة فيمن قدِم إليها مع المعزّ.

وخرج مع خاله أبي محمود إبراهيم بن جعفر بن فلاح[1] إلى الشام، فولّاه مدينة دمشق لأيّام بقيت في ربيع الآخر سنة أربع وستّين وثلاثمائة [جانفي 975][2]، وقتالَ أهلها. فنزل عليها أيّاماً، ثمّ عبر أصحابه إلى جهة باب الفراديس، فثار بهم أهل دمشق وقتلوا منهم، وساروا إلى جيش ففرّ منهم، وغنِموا ما كان له. فأصبح جيش ونازل المدينة ومعه نفّاطون، فضرب مواضع بالنار وقتلَ من قدر عليه، إلى أن أهلّ جمادى الأولى. فناصبه الناس وجدّوا في قتاله يوماً خلفَ يوم من بكرة النهار إلى الليل، إلى أن صُرِفَ أبو محمود عن دمشق بريان الخادم[3]، وسار إلى الرملة فسار معه.

ثمّ لمّا قدم هفتكين الشرابي[4] إلى دمشق وملكها، بعثه أبو محمـ[ـو]د في نحو الألفين إلى دمشق، فسار حتى قرب من [الـ]ـبثنيّة، وبها شبل[5] بن

(1) إبراهيم بن جعفر بن فلاح: ترجم له المقريزي في المقفّى. انظر الترجمة 45 من كتابنا هذا.

(2) كانت ولايته الأولى سنة 363 حسب تهذيب ابن عساكر 418/3 والكامل، وتاريخ ابن القلانسي، 9.

(3) ريّان الخادم والي طرابلس: ولي دمشق في رجب 364 (أمراء دمشق، 210).

(4) الفتكين التركي في الكامل (سنة 364) وفي الاتّعاظ، 294/1.

(5) البثنيّة: بين دمشق وأذرعات. وفي المخطوط: شبلة بن معروف. وقد أعاد المقريزي هذه الرواية =

معروف العقيلي في جمع من العَرب، فقاتله وأسره وأسلمه إلى هفتكين، فأسلمه هفتكين إلى الدمستق ملك الروم، وهو يومئذ نازل على دمشق ينتظر ما يجبي إليه أهلُها من المال. فما زال عنده حتى رحل عن دمشق بالمال، ونزل طرابلس، فهلك في طريقه، ونجا جيش وسار إلى خاله أبي محمود، وقدم إلى القاهرة.

فأقام بها إلى أن ورد على العزيز كتاب منجوتكين بنزول بزيل ملك الروم على حلب. فسيّره على عسكر كثير في أوّل شهر رجب سنة خمس وثمانين وثلاثمائة إلى الشام[6]. فمات العزيز بعد / قليل[7] وقام من بعده ابنُه [315 أ] الحاكم بأمر الله، وصرف منجوتكين عن الشام بسليمان بن جعفر بن فلاح[8]. ثمّ عزل سليمان بن جعفر بن فلاح بعد تسعة أشهر بجيش بن الصمصامة. فسار من القاهرة في تاسع ذي القعدة سنة سبع وثمانين [وثلاثمائة/ 13 نوفمبر 997] ونزل على دمشق، بعدما أقام بالرملة مدّة، في يوم الجمعة لأربع خلون من رجب سنة ثمان وثمانين [غرّة جويلية 996]، وقدم إليه بشارة متولّي[9] طبريّة، وسار بالعساكر إلى فامية[10] يوم الاثنين رابعَ عشرِهِ وقد نازلها الروم، فقاتلهم قتالاً كبيراً قُتل فيه من الروم نحو خمسة آلاف وانهزم باقيهم في يوم الثلاثاء لتسع بقين من رجب [19 جويلية 998]. ومضى جيش إلى نحو مرعش يحرق ويهدم ونزل على أنطاكية وبها الروم، وقاتلَهم أيّاماً، ثمّ سار إلى شيزر، وعاد إلى دمشق فنزل المِزّة[11] يوم الثلاثاء، لسبع بقين من ذي القعدة [388 / 16 نوفمبر 998]. ونزل بشارة القصر الذي بدمشق على أنّه ولي

= في ترجمة إبراهيم بن جعفر بن فلاح (رقم 45).

(6) في رواية الكامل، كان خروج جيش إلى الشام في سنة 386.

(7) وفاة العزيز: 28 رمضان 14/386 أكتوبر 996.

(8) هذا الابن لجعفر بن فلاح يكنّى أبا تميم. انظر الكامل في حوادث 386.

(9) في الكامل: انهزم أصحاب جيش ما عدا بشارة الإخشيدي. وذكر ابن عساكر، 225/3، أنه وليَ دمشق سنة 388 ثمّ عاد إلى طبريّة سنة 390.

(10) أفامية Apamée: من كور حمص (ياقوت).

(11) المِزّة: قرية في بساتين دمشق (ياقوت).

دمشق. فورد الكتاب من مصر باستقرار جيش على إمارة دمشق. وكانت دمشق قد خربت وقلّ ناسُها وضعفوا، وثار قوم من الجهّال وصاروا يأخذون الخِفارة من الناس، فكثرت أموالهم وركبُوا الخيل، ومشت الرجّالة بين أيديهم وزاد عجبهم، وأظهروا أنّهم تحت طاعة السلطان وفي خدمتِه. فأمّنهم جيش ووعدهم بالأرزاق حتى اطمأنُّوا إليه، فقبض عليهم وقيّدهم وحبسَهم وشدّد العقوبة عليهم حتى استصفى أموالهم. وتتبّع من استتر منهم، وضرب أعناقَهم وصلبهم على أبواب المدينة حتى خلا البلد منهم.

ثمّ طمع في بقيّة الناس من أهل المدينة والقرى وجبى [منـ]ـهم الأموال إلى [أن] شمل ضررُه الكافّة فكثر الدعاءُ عليه، وهو يطرح الأموال على القرى وعلى أهل المدينة ويعدهم ببَذل السيف فيهم. وبينا هو في ذلك إذ ورد الخبر بمسير الروم إليه في طلب ثأرهم بـ[ـأ]فامية. فجمع العربان وغيرهم وأنزلهم من حَرَسْتا إلى القابُون[12] ونزل الروم على شيزر وقاتلوا أهلها وملكوها. ثم أخذوا مدينة حمص وسبوا وحرّقوا، وذلك في ذي الحجّة سنة تسع وثمانين [وثلاثمائة / نوفمبر / ديسمبر 999] - وهي دخلة الروم الثالثة [إلى] حمص - ثمّ ساروا إلى طرابلس ونازلوها مدّةً ثمّ أفرجوا عنها، وتوجهُوا إلى الثغور الجزريّة. فآستأسد جيش عند رحيلهم وزاد ضرره لأهل دمشق. وكان به طرف جذام فتزايد به حتى تمغّط شعره ورشح بدنُه وآسودّ. ثم آمّحَتْ سِحنة وجهه وداد كلّه ونتن جميع جسده فصار يصيح: «ويحكم! اقتلوني! أريحوني!» إلى أن هلك يوم الأحد لسبع خلون من ربيع الآخر سنة تسعين وثلاثمائة [17 مارس 1000]. وكان مقامه على دمشق ستة عشر شهراً وستة عشر يوماً[13].

ووصل ابنه أبو عبد الله بتركته في جمادى الآخرة، ودفع درجاً إلى ريدان الصقلبيّ حامل المظلّة، بخطّ أبيه جيش يتضمّن وصيّته، وتعيينَ ما

---

(12) حرستا والقابون: من قرى دمشق.

(13) في النجوم الزاهرة 204/4 أنّه مات في سنة 391. ورواية المقريزي هنا توافق ما كتبه في الاتّعاظ، 33/2.

خلّفه مفصّلاً مشروحاً، وفيه أنّ ذلك جميعه لأمير المؤمنين الحاكم بأمر الله؛ لا يستحقّ أحد من أولاده في ذلك درهماً واحداً فما فوقه. وتبلغ قيمةُ ذلك زيادةً على مائتَي ألف دينار ما بين عَين ورحل ومتاع.

فلمّا مثل أبو عبد الله بن جيش بحضرة الحاكم قال ريدان: «إنّ التركة كلّها قد حزتها وهي على البغال محمولة تحت القصر». واستأذن الحاكمَ فيمن يتسلّمُها. فأخذ الحاكم منه الدرج وأَوْصَلَه(14) لابني جيش بن الصمصامة وقال لهما بحضرة أوليائه ووجوه دولته: «قد وقفتُ على وصيّة أبيكُما رحمه الله من عَين ومتاع ممّا وصّى، فخذوه هنيئاً مباركاً لكما فيه». وخلع عليهما فانصرفا بجميع التركة.

* * *

التعليق: الترجمة في مخطوط السليميّة 314 ب ـ 315 أ.

وترجم له أيضاً: الذهبي في كتاب العبر (وحرّف اسمُه إلى حنش الكناني) والصفدي في الوافي: الترجمة رقم 327 من الجزء 11، وابن العماد في شذرات الذهب، 3 / 133.

وسمّوه جيش بن محمد بن الصمصامة.

ولا يذكر المقريزي هنا عدد ولاياته لدمشق مثلما فعل الصفدي في الوافي إذ ذكر له ولاية سنة 363، وثانية سنة 370 «بعد موت خاله أبي محمود»، وثالثة سنة 389 إلى أن مات سنة 390.

ولئن أشاد المؤرّخون بجهاده للروم، فإنّهم سخطوا عليه عسفَه وطمعَه وظلمه لأهل الشام.

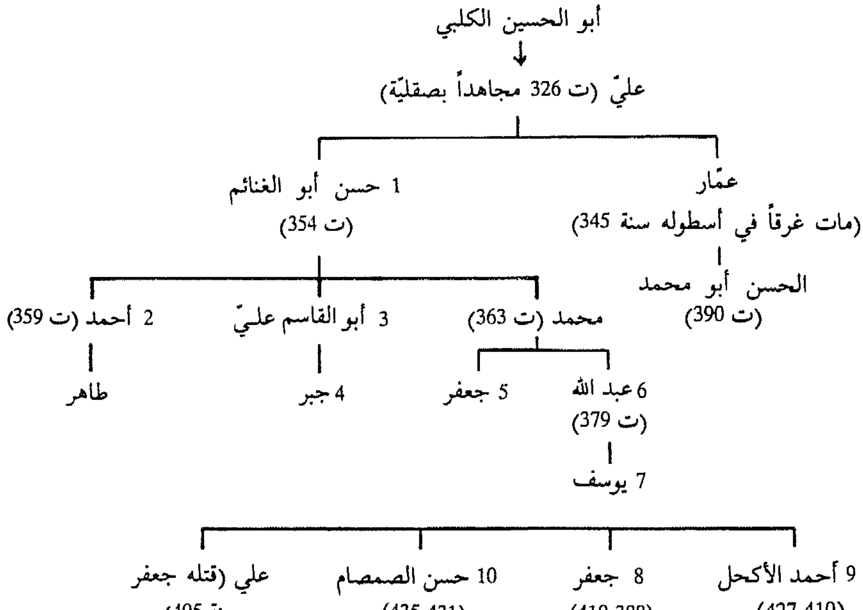
ورواية المقفّى تنفرد بذكر هزيمته أمام هفتكين وتسليمه إلى الروم، وإن كانت تسكت عن ظُرُوف خلاصه منهم.

(14) في المخطوط: وما وصله إلى... والإصلاح من الاتّعاظ، 33/2.

60 ـ الحسن بن عمّار بن علي الكلبيّ (ـ 390)

/ الحسن بن عمّار بن علي بن أبي الحسين ـ واسمه محمد بن الفضل بن [372 أ] يعقوب[1] ـ أمين الدولة أبو محمد الكلبي، أحد شيوخ كتامة[2]. كان أبوه في

(1) محمد بن الفضل بن يعقوب: لعلّه هو أبو الحسين رأس الأسرة الكلبيّة التي خدمت الفاطميّين بالمغرب فأقطعوها جزيرة صقليّة طيلة قرن. والمصادر لا تعرّف هذا الجدّ الأعلى إلا بكنيته. وأعلام هذه الأسرة يترتّبون في الجدول التالي، وقد رقّمنا ولاة صقليّة منهم من 1 إلى 10.



(2) بنو أبي الحسين كلبيّون، أي عرب يمنيّون. وعبارة «أحد شيوخ كتامة» تعني ضرباً من الولاء بين القبيلة البربريّة والأسرة العربيّة. (وانظر فصل «الكلبيّون» في دائرة المعارف الإسلاميّة).

خدمة الإمام القائم بأمر الله أبي القاسم محمد بن عبيد الله المهديّ، فبعثه على رجال كتامة إلى تونس في فتنة أبي يزيد مخلد بن كيداد النكاري، وقد سبقه إليها مسنويه بن بكر الهواري من قِبَل [أبي] يزيد، ودخلها في عاشر صفر سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة [21 سبتمبر 945]، فقتل وسبى وهدم الدور. ولقي عمّاراً[3] فقاتله وهزمه عمّار وتبعه إلى تونس وقتل كثيراً من أصحابه / [372 ب] وأخذ ثلاثة آلاف جمل تحمل طعاماً وغيره، وعاد إلى القائم بالمهديّة، فأمره أن يقيم بسوسة. ثمّ مات القائم، وكان مع ابنه المنصور بالله أبي الطاهر إسماعيل حتّى مات. وقام من بعده ولدُه المعزّ أبو تميم معدّ. فسار من قبل أخيه الحسن بن علي[4] متولّي صقليّة على أسطول إلى بلاد الروم وعاد، فخرجت عليه ريح شديدة بالقرب من صقليّة فعطب الأسطول بأسره وغرق القائد عمّار في يوم الجمعة لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين وثلاثمائة [/ 28 سبتمبر 956][5] ودفنَ من الغد بصقليّة.

ثم إنّ الحسن بن عليّ افتتح في سنة اثنتين وخمسين قلاعاً بجزيرة صقليّة ونزل على قلعة رمطة فحاربها فطال عليه أمرها فرجع إلى جزيرة صقليّة وترك [على] رمطة ابن أخيه أبا محمد الحسن بن عمّار صاحب الترجمة، فأقام عليها وطال مُقامُه. واستغاث الرومُ بصاحب القسطنطينيّة. فوجّه إليهم عسكراً في البرّ وعسكراً في البحر، والتقى ابن عمّار مع مقدّمة الروم في نصف شوّال منها [/ 6 نوفمبر 963] بشرذمة يسيرة فرزقه الله الظفرَ وقتل قائد الروم صاحب عسكر البرّ وأسر صاحب عسكر البحر، وانهزمت عساكرهم فتبعهم المسلمون فجزّوا منهم عشرة آلاف رأس، وغرق منهم في البحر خلق

(3) عمّار بن علي الكلبي: انظر خبره مع أبي يزيد في عيون الأخبار، 278 وما يليها. وانظر خبر غرقه وأخبار الأسرة عموماً في تاريخ ابن خلدون 4/207-210 وأعمال الأعلام لابن الخطيب (نشر ح. ح. عبد الوهاب في ذكرى أماري ج 2 ص 476).

(4) الحسن بن علي أبو الغنائم: كانت له وقائع مع أبي يزيد، وهو أوّل من ولي صقليّة من أبناء أبي الحسين.

(5) هذا التاريخ لا يوافق يومَ جمعة، وإنما يكون يوم الجمعة لعشر خلون منه.

كثير. وكان في طريقهم خرق عَميق في الأرض فحال بينهم وبين رؤيته الغبار فتواقعُوا فيه وقتَ الهزيمةِ وسقط الخيل والرجال وصار بعضُهم على بعض فهلك فيه من الروم خلق لا يحصيهم إلّا الله فماتوا كلّهم، وأسر منهم بعد هذا كلِّه ألْفا أسير فيهم مائة بطريق. وأخذ من أموالهم وسلاحهم وكراعهم ما يقصر عنه الوصف(6). ونزل من قلعة رمطة نحو ألفِ عِلجٍ خوفاً وجزَعاً.

وأقام الحسن بن عمّار مُحاصراً لها، ووجّه بالقائد والبطارقة والرؤوس وكتاب الفتح إلى مدينة صقليّة، فخرج إليهم الحسن بن عليّ بالعدّة والعساكر فتلقّاهم فرأى ما سرّه وفرح بذلك فرحاً شديداً، ثمّ انصرَف فاعتلّ من إفراط الفرح بحُمًّى حادّة ومات بعد ذلك بسبعة أيّام لاثنتي عشرة بقيت من ذي القعدة من هذه السنة [8/352 ديسمبر 963](7). وفتح الله قلعةَ رمطة على يد الحسن بن عمّار لثلاث بقين منه، فقتل جميعَ مَن كان بها من الرجال وسبى النساء، واستولى على جميع ما فيها من نعمة ومتاع وغير ذلك.

ثمّ قدم من صقليّة على المعزّ في سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة [/ 969] بالمهديّة، فخرج معه لحرب أبي خزر يعلى الزناتيّ الثائر(8).

ثمّ عاد. فبعثه في يوم الثلاثاء لتسعٍ خلونَ من شوّال سنةَ تسعٍ وخمسين [وثلاثمائة /15 أوت 970] على الأسطول إلى مصر. فانتهى إلى طرابلس. وأقلع منها يوم الخميس لثمانٍ بقينَ من شوّال سنة ستّين وثلاثمائة [/ 17 أوت 971]. ثمّ قدم إلى القاهرة يوم الاثنين رابع ربيع الأوّل سنة إحدى وستّين [25 ديسمبر 971]، ثمّ لما قدم الأسطول في ذي القعدة من المغرب [أوت ـ سبتمبر 972] خرج عليه ابن عمّار في ذي الحجّة وسار إلى تنيس ولقِيَ

---

(6) عُرفت الوقعة باسم «وقعة الحفرة» (النويري: نهاية الأرب، 361/24)، وعنده أنّ الوقعة دارت في سنة ثلاث وخمسين. وفي أعمال الأعلام، 477: سنة 352.

(7) تتضارب التواريخ هنا. فالراجح أنّ الحسن بن علي توفّي سنة 354 (انظر ترجمة ماريوس كانار لسيرة جوذر، هامش 184).

(8) خروج المعزّ إلى باغاية مفصّل في عيون الأخبار، 705.

أسطول القرامطة فأخذ منه سبعَ قطع وأسر خمسمائة رجلٍ.

ثمّ سار في رجب سنة اثنتين وستّين إلى الحَوف[9] على عشرة آلاف فواقع القرامطة.

وما زال بالقاهرة بقيّة أيّام المعزّ وأيّام العزيز. ولمّا احتُضِر العزيز بالله بمدينة بلبيس استدعى القاضيَ محمدَ بنَ النعمان والحسنَ بنَ عمّار هذا وأوصاهما بولده أبي علي المنصور ومات. فأقيم في الخلافة بعده أبو علي ولقّب بالحاكم وسار إلى القاهرة وسنُّه إحدى عشرة سنة وخمسةُ أشهر. فأنفق في المغاربة وكتامة وشرطوا أن لا ينظر في أمورهم إلا ابن عمّار. وذلك أنّه أعطى لِكُلِّ واحد من شيوخ كتامة لمّا أنفقَ فيهم من خمسة آلاف دينار إلى ما دونها، وأعطى شبابهم على أجدادهم[10]. وكان العزيز قد غضب عليهم لخذلانهم القائد جوهر في نوبة هفتكين وعرف الوزير يعقوب بن كلس ذلك فاطّرحَهم حتى ضاعوا وساءت حالاتهم وتفرّق كثير منهم في الصناعات. فـ[ـتـ]ـنبّه ابن عمّار [إلى] حالهم فاجتمع شيوخ كتامة عند المصلّى خارج القاهرة، وقد خالفوا على الحاكم. فخرج إليهم ابن / عمّار وما زال بهم حتّى [373 أ] أحضرهم إلى القصر وقرّر لهم ما أرضاهم به وأنفق فيهم، وحلف للحاكم ثمّ حلّفهم وحلف عليه الحاكم بأمر الله في يوم الثالث من شوّال سنة ستٍّ وثمانين وثلاثمائة [/19 أكتوبر 996]. وقلّده سيفاً من سيوف العزيز بالله وحمله على فرس بسرج من ذهب وكنّاه ولقّبه أمين الدولة وقال له: «أنتَ أميني على دولتي ورجالي». وقاد بين يديه عدّة خيول، وحمل معه خمسين ثوباً من سائر البزّ الرفيع. ونزل من القصر إلى داره في موكب عظيم. وقرأ سجلَّه قاضي القضاة محمد بن النعمان بجامع مصر في خامسه. فاستكتب أبا عبد الله[11] الموصلي واستخلفه على أخذ رقاع الناس وتوقيعاتهم. وألزم سائر الناس

(9) أي الحوف الشرقي، في جهة الفرما وتنيس شرقي أسفل الأرض (اتعاظ، 167/1، هامش 1).
(10) قراءة ظنّيّة. ولعلّه يعني: بحسب الخدمة التي عُرف بها آباؤهم وأجدادهم.
(11) ترك الاسم بياضاً في المخطوط. ولم يذكر كذلك في الاتعاظ، 6/2.

بالترجّل له فترجّل كلّ رئيس في طائفتِه. وقرّر لكتامة سبعة أعطية في السنة وأنفق فيهم وحمل رجالاتهم - وهم نحو الألف - على دوابّ الاصطبل التي خلّفها العزيز، ولم يترك أحداً من الشيوخ حتى حمله على الفرس والفرَسين بالمراكب الحسنة من خزائن القصر.

وسيّر سلَيْمان بن جعفر بن فلاح إلى الشام على عسكر، وخلع عليه، وقلّده سيفاً مذهباً، وحمله على فرس، وقاد بين يديه أربعة أفراس بمراكبها، وأنعم عليه إنعاماً زائداً، وأنفق في المغاربة السائرين معه[12]، وبعث إليه بخزانة مال على ثمانية وستّين بغلاً فيها أربعمائة ألف دينار وسبعمائة ألف درهم، وبعث إليه بستّة وأربعين حملاً من السلاح وعشر جمّازات عليها الدروع وستّ قباب بفرشها وأهلها ومناطقها وسائر آلاتها، وستّ جمّازات تجنب بآلة الديباج الملوّن وثلاثين جَمّازة بأجلّة[13] وعشرة أفراس وثلاث بغلات بمراكبها، ومنديل يحمله خادم فيه ثياب من ثياب العزيز وسيف من سيوفه.

وصار ابن عمّار ينزل ويركب من باب الحجرة التي فيها الحاكم فيشقّ القصرَ راكباً، وألزم سائر الناس بالتبكير إلى داره، وكانوا يزدحمون على بابه وفي دهاليزه، وبابه مغلق. ثمّ يفتح بعد حين فـ[ـيـ]ـدخل الأعيان إلى قاعة الدار ويجلسون على حصير، وهو جالس في مجلسه لا يدخل إليه أحد مقدارَ ساعةٍ. ثمّ يأذن للأعيان كالقاضي ووجوه كتامة والقوّاد فيدخل أكابرهم. ثمّ يؤذن لسائر الناس فيزدحمون ولا يقدر أحدٌ على الوصول إليه، فمنهم من يومىء إلى تقبيل الأرض، وهو مع ذلك لا يردّ السلام على أحدٍ.

---

(12) السياق يوهم أنّ كل هذه الهدايا والقرارات كانت من الحسن بن عمّار. وفي الاتّعاظ، 7/2، أسندت الأفعال كلها إلى نائب الفاعل.

(13) الجَمّازة مركبة على عجلات والأجلّة جمع جُلّ (الدابّة والعمّارية الخ...): ما تُلَبَّسه وتغطّى به.

فإذا خرج لا يتمكّن من تقبيل يده إلّا قومٌ بأعيانهم. وباقي الناس يقبّل بعضُهم الركاب، وبعضُهم يومىء إلى تقبيل الأرضِ.

وأنفد ما في الاصطبلات من الخيول فأنعم على كتامة بألفين وخمسمائةِ فرس، وأخرج للحُملان والقود شيئاً كثيراً، وحمل من الخيل والبغال والنوق لسلمان بن فلاح زيادة على ألف رأس، وباع من الخيل والبغال والنجب والحمير ما يتجاوز الوصف حتى بيعت الناقةُ بستّة دنانير، وبيع الحمار الذي كانت قيمتُه خمسين ديناراً بأربعة دنانير. وقطع أكثرَ الرسوم التي كانت تطلق للأولياء من الأتراك وغيرهم. وقطع أكثر ما كان من المطابخ واقتصر على البعض. وقطع أرزاقَ جماعةٍ من أصحاب الراتب، وفرّق كثيراً من جواري القصر على الناس، وكان فيه من الجواري والخدم عشرة آلاف جارية وخادم، فباع من اختار البيع وأعتق من سأل العتق، كلّ ذلك طلباً للتوفير.

وحمل إلى سليمان بن فلاح جُلَّ رحل العزيز وأمتعتَه. واصطنع أحداثَ المغاربة، فكثر عبثُهم وامتدّت أيديهم إلى أخذ الحرم من الطرقات، وسلبوا الناس في الشوارع وغيرها. فكثرت شكاية الناس منهم فلم يُمسِكهم[14]. ثمّ إنّه فرّط في الأمر حتى تعرّضوا لغلمان الأتراك يريدون أخذ ثيابهم. فثار بسبب هذا شرّ قتل فيه واحدٌ من المغاربة وغلام من الأتراك. فاجتمع شيوخ الطائفتين وصاروا أحزاباً. فقام ابن عمّار في نصرة المغاربة، ووقعت الحرب بين الفريقين، وقُتل جماعة منهما. فانطلقت الألسنةُ من كلّ منهما بالقبيح في
[373 ب] حقّ الآخر، وأقاموا على المصافّ يوم الثلاثاء / ويوم الأربعاء تاسع شعبان. فركب بينهما ابن عمّار يوم الخميس بآلة الحرب وحفّت به المغاربة. وتجمّعت الأتراك، وكانت بينهما وقائع قُتل فيها عدّة رجال وجرح كثير، وجمعت الرؤوس بين يديَ ابن عمّار. فأنكر ذلك وعرف أنّه أخطأ في ركوبه، فعاد إلى داره.

---

(14) في المخطوط: فلم يشكهم.

ونزل إليه برجوان[15] ليصلح بينه وبين الأتراك. فعندما دخل إليه برجوان ركب غلمانُ الأتراك دار ابن عمّار فعاد برجوان إلى القصر، وامتدّت أيدي النهابة إلى دار ابن عمّار واصطبلاته، وإلى دار رشأ غلامه، فأخذوا منها ما لا يُحصى كثرةً. وكان أكثر مَن نُهب المغاربة الذين اصطنع أحداثَهم. فسُقط في يده ونجا بنفسِه إلى داره بمصر ليلة الجمعة لثلاثٍ بقين من شعبان سنة تسع وثمانين وثلاثمائة [/ 12 أوت 999] وعزل[16] عن النظر، وكانت مدّة أيام نظره أحد عشرَ شهراً ينقص خمسةَ أيّام. ولزم داره بمصر سبعة وعشرين يوماً. ثمّ خرج إليه الأمر بعوده إلى القاهرة فعاد وترك داره ليلة الجمعة خامس عشرين شهر رمضان. وأقام بها لا يركب ولا يدخل إليه أحد إلّا أتباعُه وخدمُه. ورسم بإطلاق رسومه وجرايات حشمِه وكلّ ما كان له في أيّام نظره من فاكهة وثلج وغيره، ومبلغ ذلك من ثمن اللحم والحيوان والفواكه والتوابل خمسمائة دينار في كلّ شهر وسلّة فاكهة في كل [يوم] بدينار، وعشرة أرطال شمع كلّ يوم وحمل ثلج عن يومين.

فلم يزل ملازماً لداره إلى أن أذن له في الركوب يوم السبت الخامس من شوّال سنة تسعين [/ 8 سبتمبر 1000]. فركب إلى القصر ونزل موضعَ نزول الناس بأسرهم. وواصل الركوب إلى يوم الاثنين رابع عشرِه. فأحضر عشيّة إلى القصر وجلس به إلى عشاء الآخرة، ثم أذن له في الانصراف. فعندما قام ثار به جماعة من الأتراك قد أعدّوا لقتله فقتلوه واحتزّوا رأسه ودفنوه موضعَه[17]. ثمّ سألَ أهلُه في نقله إلى تربَتِه، فحمل إليها بالقرافة. وكانت مدّة إقامتِه بعد عزله عن النظر إلى أن قُتِل ثلاثَ سنين وشهراً واحداً وثمانية عشرَ يوماً.

* * *

(15) برجوان الأستاذ كان بمثابة الوزير.

(16) في المخطوط: وأعزل.

(17) رواية الاتّعاظ، 2/36 مماثلة لما في المقفّى.

التعليق: الترجمة من مخطوط السليميّة: 372 أ ـ 373 ب.

هٰذه الترجمة المفصّلة تتناول جانبين من حياة هذا الأمير الصقليّ: حياته بصقليّة وجهاده للروم بها، وحياته بالقاهرة في بلاط العزيز فالحاكم، ويبدو أنّ حركته بمصر كانت أوسع، ونفوذه أقوى. أو لعلّ المقريزي غلّب الفترة المصريّة على الطور الصقلّي.

وأهميّة الترجمة تكمن في ما تنقله من مظاهر الصراع بين المغاربة، أي الكتاميّين حلفاء الحسن بن عمّار وسنده، والأتراك خدم القصر وقوّاد الجيش. وكذلك العداوة الدفينة أو الصريحة التي يكنّها المصريّون لهؤلاء المغاربة المتعسّفين الذين لا يردعهم رادع ولا يزعهم وازعٌ.

61 ـ جعفر بن الفرات (308 ـ 392)

/ جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات [289] الوزير أبو الفضل، ابن الوزير أبي الفتح، المعروف بابن خنزابة، البغداديّ الأصل، المصريّ الدار والوفاة.

وزر أبوه للمقتدر في السنة التي قتل فيها المقتدر(1). وولد أبو الفضل في ذي الحجَّة سنة ثمان وثلاثمائة [ماي 921]. وسمع من محمد بن هارون الحضرميّ والحسن بن محمَّد الداركي الأصبهانيّ، ومحمد بن زهير الأبلي، ومحمد بن حمزة بن عمارة، وأبي بكر محمد بن جعفر الخرائطي، ومحمد بن سعيد الحمصيّ وجماعة. وكان يذكر أنَّه سمع من أبي القاسم البغويّ(2) مجلساً ولم يكن عنده، وكان يقول: من جاءني به أغْنَيْتُه. وحدَّث وأملى. وقدم عليه الدارقطني: وذلك أنه كان يريد تصنيف مسند(3)،

(1) أي سنة 832/320.

(2) في ترجمة ابن الفرات في تاريخ بغداد (رقم 3723) وفي معجم الأدباء، 166/7 أنَّه سمع من عبدالله بن محمد البغوي ـ وهو البغوي الذي يكنَّى فعلاً أبا القاسم ـ إلَّا أنَّ هذا المحدِّث توفِّي سنة 317 (تذكرة الحفاظ، ترجمة 738)، وعمر ابن الفرات تسع سنوات.

(3) الحافظ الدارقطني (306 - 385): جاء في تذكرة الحفاظ، ترجمة 925: «كنَّا نمرُّ إلى البغوي والدارقطني صبيّ يمشي خلفنا بيده رغيف عليه كامخ». والدارقطني يكبر ابن الفرات بسنتين فقط.

والتباس الضمائر يوهم أنَّ الراغب في تصنيف المسند هو الدارقطني، وإنما هو ابن الفرات (انظر فوات الوفيات، الترجمة رقم 104).

فلزمه الدارقطني وحصَّل منه مالاً كثيراً، وروى عنه أحاديث. قال السِّلفيّ[4]: كان من الحفَّاظ الثقات المتبجّحين بصحبة أصحاب الحديث، مع جلاله ورئاسته، و[كان] يروي[5] بمصر في حال الوزارة، ولا يختار على العلم وصحبة أهله شيئاً، وعندي من أماليه فوائد، ومن كلامه على الحديث وتصرُّفه الدالّ على حدّة فهمه ووفور علمه. وقد روى عنه حمزة الكناني الحافظ مع تقدّمه.

وقال الحسن بن أحمد بن صالح السبيعي[6]: قدم علينا حلب فتلقَّاه الناس وكنت فيهم فعرف أنّي محدّث فقال لي: [أ]تعرف إسناداً فيه أربعة من الصحابة كلّ واحد يروي عن صاحبه؟

قلت: نعم.

وذكرتُ له حديث السائب بن يزيد عن حويطب بن عبد العزّى، عن عبدالله بن السَّعديِّ، عن عمر، في العُمالة[7]. فعرف لي ذلك، وصار به لي عنده منزلة. وله مسند روى منه الحرف الموفي ألفاً من مسند كذا، والحرف الموفي خمسمائة من مسند كذا.

وكان يصوم فإذا [أ] فطر نَامَ نَوْمةً، ثمَّ نهض فتوضَّأ، ودخل بيت مصلّاه وصفّ قدمَيه إلى الغداة.

ولاَّه الأمير أبو القاسم أونوجور بن الإخشيد وزارة مصر بعد الحسين بن

---

(4) الحافظ السلفي أحمد بن محمد الأصبهاني (ت 576): محدِّث انتهى إليه علوّ الإسناد (تذكرة الحفَّاظ، رقم 1082، والسيوطي: حسن المحاضرة، 354/1).

(5) في المخطوط: على ويروي. والتصويب من وفيات الأعيان (ترجمة 133) حيث التعبير أسلم: وكان يملي الحديث بمصر، وهو وزير. وفي معجم الأدباء، 166/7: وكان عالي الحديث بمصر.

(6) السبيعي الحافظ الحلبيّ: حدَّث بحلب في مدَّة سيف الدولة وتوفي سنة 371 (تذكرة الحفَّاظ، رقم 898).

(7) في المخطوط: المعاملة. والتصويب من فتح الباري للعسقلاني (رقم 7163) والعمالة بالضمِّ والكسر: الأجرة التي يأخذها القائم على أمور المسلمين من بيت المال.

محمد بن علي الماذرَّائيّ في يوم الأربعاء سابع ذي القعدة سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة [31 ماي 947] فدبَّر الأمور، وعقد له مجلساً بداره في عشيّة كلّ خميس حضر[ه] القضاة والفقهاء والمحدِّثون.

ولم يزل مدَّة أيّام أونوجور وأيّام أخيه/عليّ، وأيّام كافور الإخشيديّ. [299 أ]
فلمّا مات كافور في عاشر جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة [12 أفريل 968] انقسم أمر مصر بين أربعة: فأقيم الأمير أبو الفوارس أحمد بن علي بن الإخشيد في الإمارة، وعمره عشر سنين وعشرة أشهر، وجعل خليفتَه الحسن بن عبيدالله بن طغج وهو بالرملة، وجعل على تدبير العساكر شمول الإخشيديّ، وعلى تدبير الأموال الوزير أبو الفضل. وقام كلّ من القوّاد في هوى نفسه وانفرد بما يريد. فقبض أبو الفضل على جماعة من الكتاب، وأخذ البيعة على الجند لابنه أحمد بن جعفر بالإمارة على مصر والشامات والحرمَين، واحتجَّ بأنَّه ابن بنت الإخشيد[8]، فوقع بينه وبين شمول[9] وكثرت الفتن، ولم يطق رضا الإخشيديَّة والكافوريَّة والأتراك وسائر العسكر، ولم يحملوا إليه ما عليهم من أموال الضمانات وطلبوا منه[9] فاضطرب الأمر عليه، فاختفى في يوم الثلاثاء ثاني عشر شوَّال منها ولم يعرف له خبر إلى أن جمع الشريف أبو جعفر مسلم بن عبيدالله الحسينيّ القوّاد والوجوه بداره في يوم الجمعة سادس ذي القعدة [2/357 أكتوبر 968] وأخرج الوزير إليهم في زيّ الاستتار بقلنسوة نوميّة ورداءٍ ونعلٍ. فاعتذر الجماعة إليه ووعدوه من أنفسهم النصرة والخدمة وعقدوا عليهم الوفاء له بذلك، وكتبُوا له كتاباً يتوثَّق به. ثمَّ ركب من دار أبي جعفر إلى الجامع العتيق، وصلَّى الجمعة، وأمر بالنداء بالحجِّ في البرِّ، وانصرف في جميع العسكر، وصار إلى أمّ عليّ بن الإخشيد فسلَّم عليها وعاد إلى داره، فنظر في أمور الناس، وأمر ونهى، وعزل وولَّى.

---

(8) في الترجمة الطويلة التي خصَّصها ابن سعيد لمحمَّد بن طغج أنَّه زوّج ابنته من جعفر بن الفرات ابن وزير الراضي العبَّاسي (المغرب، قسم مصر، 157). وفي يتيمة الدهر، 433/1 أنَّ ابن الفرات كان «يدل بعرسه، وهي ابنة الإخشيد».

(9) سقوط في الكلام.

ولم يحجّ أحد من مصر في البرّ، ولا وفى بما عاهد عليه، ولا وفى له مَن حلف. وصارت أمور مصر إلى تلاش زائد، وضاعت الأموال، وتغيّرت النيّات، وافترق الناس: فطائفة خرجت من مصر إلى الرملة ولحقت بالحسن بن عبيدالله بن طغج تضرب على الوزير وتَرميه بالعظائم، وأكثر الناس قد كتبوا إلى بلاد المغرب يستحثّون الإمام المعزّ لدين الله على المسير إلى مصر وأخذها لعدم من يقوم بأمرها. وممَّن كتب إليه الوزير أبو الفضل.

وطائفة خرجت إلى الغرب ولحقت بالمعزّ هذا، وقد اختلطت الأمور وكثر الإرجاف بمسير القرامطة لعلمهم بموت كافور. وقد كثرت الفتن ببلاد الشام، فصار مَن تغلب صاحبه يتأمّر بدمشق، والشريف أبو محمد عبدالله أخو مسلم بالرملة على محاربة الحسن بن عبيدالله بن طغج، وقد جمع معه ثمال العقيلي وطوائف من العرب ودعا إلى نفسه وتلقّب بالمهديّ.

فبينا هم في ذلك بمصر إذ ورد الخبر بقدوم الحسن الأعصم[10] كبير القرامطة إلى الرملة، وانهزام الحسن بن عبيدالله منهم إلى مصر. فشغب الأتراك على الوزير وطالبوه بأرزاقهم فاستتر منهم. ونهبوا دارَه ودُورَ أصحابه وكتابه فلم يزل مستتراً إلى سلخ ذي الحجّة [24/357 نوفمبر 968]، وقد قدم الحسن بن عبيدالله بن طغج، فخرج إليه، وهو نازل بالمختار في الجزيرة تجاه مصر. وركب معه في يوم الجمعة ثاني المحرَّم سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة [27 نوفمبر 968] من المختار إلى الجامع العتيق. فلمَّا انقضت الجمعة سار خلف الحسن، والناس تسبّه وتشتمه، فخاف عليه الحسن، وأمره أن يمضيَ إلى داره، فسار إليها. ونزل الحسن بدار الإمارة، وقبض على الوزير يومَ الاثنين سادس المحرَّم [30/358 نوفمبر 968] وعذَّبه، وصادره على مال عظيم باع فيه أملاكاً كثيرةً. وتوسَّط أمره الشريف مسلم فأطلعه إلى داره موكّلاً به، فأقام إلى أن أطلق في آخر صفر [22/358 جانفي 969].

(10) في المخطوط: الحسن بن الأعصم، والتصويب من ترجمته (رقم 40).

وسار الحسن بن عبيدالله إلى الرملة في ثالث ربيع الآخر [25/358 جانفي 969] ومعه شمول / وجماعة من القوّاد، فخلت له البلد، إلاّ أنَّ [299 ب] الأخبار وردت بمسير عساكر المعزّ مع القائد جوهر في جمادى الآخرة [358 / ماي 969]، فأنفذ أهْلَه إلى الأشمونين مع الشريف عيسى بن عبيدالله أخي مسلم، وجمع الناس وشاورهم فاتَّفقوا على مراسلة جوهر. ثمَّ اجتمعوا على محاربتِه، وأن يُولُّوا عليهم نحرير شويزان. ثمَّ انحلَّ ذلك وعادوا إلى المراسلة بالصلح، وكانت رسل القائد جوهر ترِد سراً إليه.

فسار الشريف مسلم والقاضي أبو طاهر في جماعة إلى القائد جوهر في يوم الاثنين ثامن عشر رجب [7/358 جوان 969] بتقرير الوزير، وعادوا في أوَّل شعبان بكتاب جوهر إلى جماعة أهل مصر، وبكتابه إلى الوزير. وخاطبه فيه بالوزارة بعدما امتنع من ذلك، وقال للشريف مسلم: كيف أخاطبُه بالوزير، وما وزر لخليفة قطّ؟

فما زال الشريف به حتَّى خاطبه بالوزارة. فاجتمع الناس عنده لقراءة كتاب جوهر، وقد نقض الإخشيديَّة والكافوريَّة حديثَ الصُّلح، وأقاموا عليهم نحرير شويزان، وانفضُّوا. وخرجوا للقتال في عاشر شعبان [29/358 جوان 969] فقُتل كثير منهم.

وعبر جوهر إلى مصر، ونزل بمُناخه حيث القاهرة اليوم في سابع عشر [شعبان 6/358 جويلية 969]، فخرج إليه فيمن خرج إلى لقائه بالجيزة، فصاح بعض حجّاب جوهر بالناس: الأرض! إلاّ الشريف والوزير!

فاستمرَّ به جوهر على قرابته[11] فكان يركب في كل يوم إلى القائد جوهر ويلقاه بمناخه فيقبل جوهر منه ما يسرّه[12] ويعمل بمقتضاه. وجلس معه في مجلس المظالم كلّ يوم سبتٍ إلى أن ورد عليه كتاب المعزّ في ذي الحجَّة

(11) هكذا في المخطوط ولعلَّ المعنى: على تقريبه.
(12) هكذا في المخطوط، ولعلّها: ما يشير به.

[358 / نوفمبر 969]. فبعث ابنه أحمد بن جعفر في ربيع الآخر سنة تسع وخمسين وثلاثمائة [فيفري ـ مارس 970] إلى بلاد المغرب بهديَّة إلى المعزّ.

فلمَّا قدم القرامطة لقتال جوهر، وكّل القائد جوهر بالوزير أبي الفضل خادماً يبيت معه في داره ويركب معه حيث كان. ثمَّ أمره في رابع صفر سنة إحدى وستِّين [وثلاثمائة /26 نوفمبر 971] أن يخرج من داره بمصر، وأن يقيم بالقاهرة، فبنى بها داراً سكنها بعدَه الوزير يعقوب بن كلّس. وردَّ إليه جوهر تدبير الأموال في شهر ربيع الآخر [361 / فيفري 972] إلى أن قدم المعزّ لدين الله في سابع شهر رمضان سنة اثنتين وستِّين وثلاثمائة [11 جوان 973] وردَّ الأمور إلى يعقوب بن كلّس وعسلوج بن الحسن.

وتعطَّل أبو الفضل إلى أن شكاه ابنه أحمد إلى المعزّ في ربيع الآخر سنة خمس وستِّين [وثلاثمائة / ديسمبر 975] فاستأذن له أبو إبراهيم إسماعيل بن موسى الحسني على المعزّ، فدخل عليه، وشكا ابنَه وعقوقَه فقبل قوله. وعاد فأقام متعطِّلاً عن العمل إلى أن كانت غرَّة شهر ربيع الأوَّل سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة [26 أفريل 993] [فـ]ـردّ الخليفة العزيز بالله أبو منصور نزار بن المعزّ تدبير الأمور إليه، وأمر الكتّاب كلَّهم أن يمتثلوا ما يأمرهم به، فركب جميعُهم إليه وصاروا إلى داره. فجلس بها وأمر ونهى، وتحدَّث على الواوين[13] إلى نصف شعبان منها [5 أكتوبر 993] فاستغنى من ذلك، فتقدَّم العزيز بإعفائه ومحاسبتِه فحوسب وأُلزِم بمال من قبل الضياع التي حلَّها وعقدها تخطيطه في الارتفاع. ثمَّ خرج عليه خراج ضياعه بالشام وضيَّق عليه بسببه ولحقه منه عنت شديد.

وأحيل عليه في سنة أربع وثمانين أصحاب منصور الجوذريّ فشدَّدوا عليه في المطالبة ومدُّوا أيديَهم إليه، ورموه عن مركوبه إلى الأرض، ففرَّ منهم والتجأ إلى دار القائِد أبي عبدالله الحسين بن البازيار، وقد انكسر إصبعه،

(13) هكذا في المخطوط ولم نعرف معناها.

وطلبوا [ا]بنه فوثبوا به. فقام في أمره القائد حتى سكتوا عنه. فلما بلغ ذلك العزيز بالله أنكره.

وما زال ملازماً داره حتى مات بها في يوم الأحد ثالث عشر ربيع الأوّل سنة اثنتين وتسعين[14] وثلاثمائة [30 جانفي 1002] عن اثنتين وثمانين سنة وثلاثة أشهر وخمسة أيّام، فجعلت في فيه ثلاث شعرات من شعر النبيّ ﷺ كان ابتاعها بمالٍ عظيم، وكانت عنده في درج ذهب محتـزمة الأطراف بالمسك فأوصى أن تجعل في فيه بعد موته / ففعل ذلك. وصلّى عليه [300 أ] القاضي حسين بـن [علي بن] النعمان في داره، ودُفن بها، وحضر جنازتَه سائر قوّاد أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله أبي علي منصور بن العزيز، وسائر أولياء الدولة وأكابر الناس.

قال المسبّحي[15]: وكان رحمه الله من الفضل والعلم والدين والتصرُّف في سائر العلوم بمنزلة لم يشاهد مثلها، وحدَّث وأسمع وأملى عدَّة مجالس، وعمل مستخرجاً على صحيحَي البخاري ومسلم وكان كثير البرّ /والصلات لآل رسول الله (صلعم) كثيرَ الصدقة شديد الغيرة على حرمه، مبالغاً في الحجاب لهم، لما تمَّ عليه من أولاده الكبار، وذلك أنَّ فيهم من واقَعَ أختَهُ وأحبلها. فمنع أولاده الذكور من رؤية أمّهاتهم وأخواتهم.

حدَّثت طرف المغنّية جارية ابنه أبي محمد قالـ[ـت]: كنت في منزلي بجو[ار] داره بعد وفاة مولاي أبي محمد أنا وابنتِي وعدَّة جوار بخدمتي. فلمَّا كان نصف الليل إذا بالخدم قد دخلوا عليَّ وقالوا: سيّدنا يستدعيك.

فلبستُ ثيابِي ونهضت معهم فصُرِفْتُ إليه أنا وابنتي وجوارينا، فإذا به في مجلس، فقبّلت يده أنا وابنتي، فأمر[نا] بالجلوس وباسَطنا ثمَّ قال: يا بنيَّة، تحفظين صوتاً كان يُغنّى في دارنا؟

(14) في ترجمة الوفيات، 349/1: إحدى وتسعين، وكذلك في تاريخ بغداد رقم 3723. وإذا كان مولده سنـة 308 كما قيل في أوّل الترجمة، فعُمُرُه عند الوفاة 84 سنة.
(15) المسبّحي المؤرِّخ (366 - 420): ألّف كتاباً في تاريخ مصر.

فقلت: إن رأى سيّدُنا أن يذكره، فعل.

فقال (طويل):

أهـاجـك بـالبيـداء رسم ومنـزل أضـرّ به طـولُ البلى فهـو مُحـولُ
وقفتُ به في الركب أبـدي تجمّلاً فأبدى الهوى ما كان يخفي التجمّل

فغنّيتُه إيّاه بعد أن استدعيتُ العود، فما هو إلاّ أن بدأتُ به حتى وضع كُمَّه على وجهه وانتحب انتحاباً شديداً متداركاً. فتوقّفت عن الغناء رحمةً له فقال: غنّي! وأخذ في شأنه من البكاء ثم قال: حسبك! انصرفي!

فقبّلت يده وقمت. فأخذ الخدم بيدي إلى قاعةٍ قد فرشت وأعدَّ فيها سائر ما يحتاج إليه الناس من الآلات والمأكل وغير ذلك، وجيء بابنتِي وجواريّ إليّ، ثمَّ أغلق علينا الباب. فوالله ما خرجت رجلي منها إلى أن توفّي رحمَه الله.

وكان قد تنسّك وعمرُه أربعون عاماً فكان يصوم، وإذا أفطر نام ثمَّ نهض وصلّى إلى الصبح. وكان يحمل كلّ سنة إلى بني حسن وحسين المالَ والبُرَّ والدقيق والدهن وغير ذلك، فلا يزالون في الدعاء له والثناء عليه، فمكّنوه لهذا من دفن أمِّه بدارٍ في جوار قبر رسول الله (صلعم). فلمّا حضرته الوفاة أوصى أن يدفن عند أمّه فحُمِل إلى المدينة النبويّة ودفن عندها.

ومن شعره (بسيط):

من أخْمـل النفسَ أحياهـا وروّحَها ولم يبت طـاوياً منهـا على ضجـر
إنَّ الـرياح إذا اشتـدَّت عـواصفُهـا فليس ترمي سوى العالي من الشجر[16]

(16) أورد له ابن سعيد في المغرب ـ قسم مصر، 252 ـ ثلاثة أبيات أخرى (كامل):

مَن لي بصُحبـةِ مَن إذا أغـضبتُـه وسخِـطتُ كـان الحلمُ ردَّ جـوابِـه!
وإذا طربتُ إلى المُدامِ سكرت مِن أخـلاقِـه وطـربـتُ مـن آدابِـهِ
وتـراهُ يـصغِي للحـديثِ بسمعِـه وبـقـلبـهِ، ولـعـلَّه أدرى بِـهِ

ورآه سيبويه الموسوس بعد موت كافور في موكب عظيم فقال: ما بال أبي الفضل قد جمع كُتّابه ولفّقَ أصحابه وحشد بين يديه حجّابَه، وشمّم أنفَه[17]، وساق العساكر خلفَه؟ أبلَغه أنّ الإسلام طرق، أو أنّ ركن الكعبة سرق؟

فقال له رجل: هو اليوم صاحب الأمر ومدبّر الدولة.

فقال: يا عجباً! أليس بالأمس نهب الأتراك داره، ودكدكوا آثاره، وأظهروا عواره، وهم اليوم يدعونه وزيراً، ثمّ قد صيَّروه أميراً؟ ما عجبي منهم كيف نصبوه، بل عجبي كيف تولّى أمر عدوّهم ورضُوه.

وكان قد زوّج ابنه أبا العبَّاس[18] بابنة الوزير يعقوب بن كلّس، فدخل أبو العبَّاس على ابن كلَّس يوماً، فقال له: يا أبا العبَّاس، ما أنا بأجلّ من أبيك ولا بأفضل! أتدري ما أقعد أباك خلف الناس[19]؟ شَيْل أنفه! بالله، يا أبا العبَّاس، لا تشل أنفَك كأبيك! أتدري ما الإقبال؟ نشاط وتواضع! وتدري ما الإدبار؟ كسل وترافع!

وكان أبو الفضل يهوَى النظرَ إلى الحشرات والأفاعي والحيَّات والعقارب وأمّ أربع وأربعين ونحو ذلك / وكان له في داره قاعة لطيفة فيها هذه المذكورات، ولها قيّم وفرّاش وحاو يتعاهدها، وكانت الحواة بأعمال مصر تتقرَّب إليه بما تصيده من ذلك فيثيبهم عليها. وكان له وقت يجلس فيه على دكّة مرتفعة، ويدخل المستخدمون والحواة فيخرجون ما في السلل ويطرحونه على ذلك الرخام ويحرِّشون بين الهوامّ، وهو ينظر إليها. [300 ب]

* * *

(17) في المخطوط: وشمَّر أنفه. والإصلاح من معجم الأدباء، 168/7.

(18) هذا الابن هو الفضل (ياقوت، أدباء، 163/7)، وله ابن آخر يلقَّب بسيدوك. ومرَّ بنا ابن ثالث اسمه أحمد. وخصّص المقريزي ترجمة وجيزة لابن آخر يدعى العبَّاس وقال انه توفي بمصر سنة 441 (مخطوط باريس ورقة 20).

(19) في معجم الأدباء، خلف الباب.

التعليق: الترجمة من مخطوط السليميَّة، ورقة 298 ب.

هذا الوزير الخطير ذو الشخصيَّة القويَّة قد لفَت انتباه جلّ المؤرِّخين والمترجمين، وقد اعتبروا فيه تعدُّد الاهتمامات من رواية الحديث والحنكة السياسيَّة والارتياح لملاحظة الهوامّ والحشرات وَرَوَوا عنه في هذه الهواية الغريبة الطرائف والنوادر. ولا شكَّ أنَّه مهَّد لاقتحام الفاطميِّين أرض مصر، والدليل على تواطئه معهم المعاملةُ الخاصَّة التي عامله بها جوهر أثناء المفاوضات مع الوفد المصريّ.

هذا وقد خصّصت دائرة المعارف الإسلاميّة فصلًا مطوَّلًا لأسرة ابن الفرات الوزيريّة ولا سيَّما للمترجم له هنا ولوالده الوزير العبّاسيّ.

62 ـ الحسين بن علي بن النعمان (358 ـ 395)

/ الحسين بن علي بن النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيّون قاضي القضاة وداعي الدعاة أبو عبد الله، ابن القاضي أبي الحسين ابن القاضي أبي حنيفة. [406 ب]

ولد ببلاد المغرب لليلتين بقيتا من ذي الحجّة سنة ثمان[1] وخمسين وثلاثمائة [11 نوفمبر 969]. وقدم مع أبيه وجدّه إلى القاهرة صغيراً في رمضان سنة اثنتين وستّين وثلاثمائة [جوان 973]، فنشأ بها، ونظر في فقه آل البيت الإسماعيليّة وصار من غلاة الشيعة.

وآستخلفه عمُّه قاضي القضاة أبو عبد الله محمد بن النعمان في الجامع للحكم بين الناس، ثمّ صرفه عن خلافته بابنه عبد العزيز بن محمد[2]. فلمّا مات محمد بن النعمان[3] استدعى الأستاذ برجوان[4] الحسين في يوم الأحد ثالث عشرين صفر سنة تسع وثمانين وثلاثمائة [12 فيفري 999] إلى حضرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله فولّاه القضاء وأضعف له أرزاقَ عمّه وصلاته

(1) في رفع الإصر لابن حجر (ذيل الولاة والقضاة، 596): ولد سنة 353 بالمهديّة.

(2) عوّض عبد العزيز بن محمد بن النعمان ابنَ عمّه الحسين في 10 جمادى الآخرة 377، (انظر الوفيات، 421/5).

(3) مات محمد بن النعمان في صفر 389.

(4) أبو الفتوح الأستاذ بَرجَوان: تولّى أمر مصر في طفولة الحاكم وصارت إليه «الوساطة» أي الوزارة. وتخلّص منه الحاكم قتلاً في رَبيع الثاني سنة 390 (انظر فصل «برجوان» بدائرة المعارف الإسلاميّة).

وإقطاعاته، وقال له: قد أزحتُ عِلّتَكَ(5) فلا توجِدْني سبيلاً إليك بتعرّضك لدرهم من أموال المسلمين، فقد أغنيتُك عنها.

وخلع عليه في القصر ثياباً بيضاً، ورداءً محشًى مُذهّباً، وعمامةً مذهبة، وقلّده سيفاً، وحمله على بغلة، وقاد بين يديه بغلتين مسرجتين ملجمتين، وحمل بين يديه ثياباً كثيرةً صحاحاً(6).

وردّ إليه الحاكم بأمر الله الحكم بالقاهرة المعزّيّة ومصر / والإسكندرية وأعمالها والحرمَين وأجناد الشام وأعمال المغرب كلّها، و[النظر] على(7) المنابر وأئمّة المساجد الجامعة، والقوَمة عليها، والمؤذّنين بها، وسائر المتصرّفين فيها وفي غيرها من المساجد، والنظر في مصالحها جميعاً، ومشارفة دار الضرب وعيار الذهب والفضّة. [407 أ]

ولم يظنّ أحد ذلك لفقره وضعف حاله، وكانت ظنون الناس سبقت إلى ولاية عبد العزيز بن محمد بن النعمان لما كان أبوه قرّره له في حياته وجعله إليه من خلافته.

فنزل الحسين من القصر إلى الجامع العتيق بمصر وقرىء سجّل ولايته على المنبر. فنظر بين الناس، وأوقف جماعةً من الشهود وندب منهم أربعة لكشف أحوال بقيّة الشهود. وألزم من كان ينظر في أموال الأيتام برفع حسابهم بعد أن رفع جماعة من الناس إلى الحضرة يسألون إيصالهم إلى حقوقهم وأموالهم التي كانت مودوعة عند العدول. وتولّى النظر في أمرهم فهد ابن إبراهيم النصرانيّ كاتب الأستاذ برجوان.

ورفع جماعة من الناس يسألون إعطاءهم أموالهم التي كانت مودوعة في مَوْدَع القاضي محمد بن النعمان. فأُحضر ابنُه عبد العزيز وكاتبُه أبو الطاهر بن السندي فسُئلا عن ذلك فذكر[ا] أنّ جميع ما كان في مودعه تصرّف فيه على

(5) أزاح عِلّته فزاحت: أذهبَها.

(6) ثياب «صحيحة» في الولاة والقضاة، وتساءل المحقّق عن معناها كما نتساءل.

(7) الكلمة غير واضحة، والإصلاح من كتاب الولاة والقضاة، 597.

سبيل القرض. فأحضر الأمناء وطولبوا أشدّ مطالبة، ورسم عليهم فهد بن إبراهيم وآعتقل بعضَهم، وضيّق عليهم، ووكّل بهم، وطولب من في يده وديعة بحجّة، فمنهم من أحضر حجّةً، ومنهم من لم يحضر حجّةً فألزم بالقيام بما ثبت باسمه. وأمر الحسين ببَيْع ما خلّفه عمُّه محمد بن النعمان فحصل منه سبعة آلاف دينار وتسعة وثلاثون ديناراً ونصف وثلث دينار. فخرج الأمر من الحضرة بإضافة هذا المال إلى ما صحّ من الجهات المقبوضة من الأمناء، فبلغ المجموع أحدَ عشرَ ألفَ دينار والكسرَ المذكورَ. وحضر القاضي الحسين مع شهوده بالقصر لقسم ذلك على الأيتام، فكانت جملته مع ما وجَبَ لغيرهم من الغُيَّب تسعة آلاف دينار وأربعمائة وتسعة عشر ديناراً وثلث وربع دينار. فأمر القاضي باختيار موضع يكون مودعاً لأموال الأيتام، فوقع الاختيار على مكان بزقاق القناديل حمل إليه ما قبض من أموال الأيتام، ورسم بحضور خمسة من الشهود ليكونوا شهداء على ما يرد إليه ويخرج منه بحجج تكتب في ذلك وتثبت خطوطُهم عليه، فكان هذا ممّا استحسِن من أعمال القاضي الحسين، وهو أوّل من عمل للأيتام مودعاً توضع فيه أموالهم.

وجَعَلَ على خلافته بمصر أبا عبد الله الحسين بن محمد بن طاهر(8)، وعلى خلافته بالقاهرة أبا الحسن مالك بن سعيد الفارقي(9) وعلى خلافته في الفرض والنظر بين المتحاكمين إذا غاب الحسين بن طاهر أبا العبّاس أحمد ابن محمد بن عبد الله بن أبي العوّام(10)، وآستكتب أبا طاهر زيد بن أحمد بن السندي، وأبا القاسم عليّ بن عمر الورّاق، وجعل لأخيه أبي المنذر النعمان ابن علي النظرَ في العيار ودار الضرب وخلافتَه على الحكم بالإسكندريّة وأعمالها.

(8) في رفع الإصر (الولاة والقضاة، 595): الحسين بن محمد بن طاهر نقيب الأشراف.

(9) مالك بن سعيد الفارقي: يخلف عبد العزيز بن محمد بن النعمان (انظر ترجمته في رفع الإصر، الكندي، 603).

(10) أحمد بن أبي العوّام له أيضاً ترجمة (الولاة والقضاة، 496) وقد خلّف مالك بن سعيد في شعبان 405.

وآنبسطت يد القاضي الحسين في الأحكام، ونظر فيها بصرامة وشدّة. ثمّ قبل شهادة كلّ مَن توقّف في قبول شهادته، وعدّل آخرين. وأقام على بابه حاجباً.

وفوّض إليه مع القضاء أمرَ الدعوة وقراءة الدعوة في المجالس بالقصر وكتابتها. وشرّفه الحاكم بأمر الله أيام الأعياد بالصعود معه إلى المنبر وقت الخطبة مع من يصعد، فعلت منزلتُه إلى الغاية.

وفي ثالث جمادى الأولى زلّ لسان رجل مخاصم(11) في مجلس القضاء، فأمر القاضي الحسين به فضرب في الشرطة ألفاً وثمانمائة سوط ودرّة، وطيف به فمات. وشهد أكثر الناس من أهل البلد جنازته وزاروا قبره بكرة وعشيّاً فندم القاضي على فعله فيه.

وفي ثالث رجب سنة تسعين وثلاثمائة [9 جوان 1000] فوّض الحاكم بأمر الله للقاضي أبي القاسم عبد العزيز بن محمد بن النعمان النظر في المظالم وأذن له أن يسمع البيّنة فيها، فقبل جماعة من الشهود اختارهم بعدما راسل قوماً وآمتنعُوا من الشهادة عنده، رغبةً منهم في الشهادة عند قاضي القضاة الحسين. فوقع بذلك بين الناس / اختلاف، وصار مَن رفع غريمَه إلى [407 ب]
الحسين يُريدُ خصمُه عبدَ العزيز، ومن خاصم إلى عبد العزيز جَلب غريمه إلى الحسين، ولا تزال الشرور بين الناس بهذا السبب، وصار عبد العزيز إذا جلس بالجامع حضر الشهود عنده ولا يحضر أحدٌ عند الحسين ولا يصير إلى داره.

وفي تاسع صفر سنة إحدى وتسعين [وثلاثمائة/ 8 جانفي 1001] قام رجل مغربي(12) إلى القاضي حسين وهو في صلاة العصر بالجامع فضربه بحديدة في جبهته، وجرحه ثلاث جراحات، فثار الناس به وضجُّوا ضجّةً

---

(11) هذا المغبون سمّاه ابن حجر (الكندي، 597): الحسن المغربيّ.

(12) عند ابن حجر (الكندي، 596): رجل مغربيّ أندلسيّ، طعن القاضي بمنجل.

عظيمةً وبطشوا بالرجل فمات لوقته وبقي مطروحاً إلى العشاءِ ثمّ صُلب فسرق بعد عشرة أيّام في الليل. ولزم القاضي داره لما به وعاده سائر أهل الدولة. ثمّ ركب في الخامس من ربيع الأوّل إلى القصر، فخُلع عليه وقيد بين يديه بغلتان بسروجهما ولجمهما، وحملت عدّة خلع على أيدي الخدّام إليه.

وقبض على رجل من أهل الشام سُئل عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: «لا أعرفه». فاعتقله القاضي وبعث إليه أربعةً من الشهود فسألوه عن عليّ رضي الله عنه، فأقرّ بالنبي ﷺ وأنّه نبيٌّ مُرسل وقال: «لا أعرف علي بن أبي طالب». فاستدعاه قائد القوّاد الحسين بن جوهر ورفق به فلم يرجع فضربَ عنقَه بأمر الحاكم وصلب[13].

(13) هذا الشاهد على التعسّف المذهبيّ لم يذكره ابن حجر في ترجمة قاضي القضاة.

وعلى العكس، نجد عند ابن خلدون شيخ المقريزي كما يقول صاحب المقفّى، نصّ رسالة من الحاكم إلى رعاياه هي مثالٌ في التسامح المذهبيّ وإقرارٌ لحريّة الناس في معتقدهم وطقوسهم. وجاءت الرسالة كردّ فعل من الخليفة الفاطميّ واستنكار منه لسلوك «جماعة من الروافض تعرّضوا لأهل السنّة في التراويح بالرجم، وفي الجنائز. فكتب في ذلك سجلاً قُرِىء على المنبر بمصر، كان فيه:

«أمّا بعد، فإن أمير المؤمنين يتلو عليكم آيةً من كتاب الله المبين: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ الآية (البقرة، 256). مضى أمس بما فيه، وأتى اليوم بما يقتضيه. معاشر المسلمين، نحن الأئمّة وأنتم الأمّة. ألا مَن شهّد الشهادتَين أحقّ أن لا تُحَلَّ له عُروة، ولا توهن قوّة بين اثنين تجمَعُهُما هذه الأخوّة، عصَمَ الله بها مَن عصم، وحرّم لها ما حرّم، من كل محرّم، من دم ومالٍ ومنكح. الصلاح والإصلاح بين الناس أصلح، والفساد والإفسادُ من العباد يستقبَحُ. يُطوى ما كان فيما مضى فلا يُنشر، ويُعرضُ عمّا انقضى فلا يُذكَرُ، ولا يُقبل على ما مرّ وأدْبَر، من إجراء الأمور على ما كانت عليه في الأيّام الخالية، أيّام آبائنا الأئمّة المهتدين، سلام الله عليهم أجمعين، مَهديّهم بالله، وقائمهم بأمر الله، ومنصورهم بالله، ومعزّهم لدين الله، وهو إذ ذاك بالمهديّة والمنصوريّة، وأحوال القيروان تجري فيها ظاهرةً غيرَ خفيّة، ليست بمستورةٍ عنهم ولا مطويّة.

«يصومُ الصائمون على حسابهم ويفطرون، ولا يُعارَضُ أهلُ الرؤية فيما هم عليه صائمون ومُفطرون.

«صلاة الخمس للذين بها جاءهم، فبها يصلّون، وصلاةُ الضّحى وصلاةُ التراويح لا مانعَ لهم منها، ولا هم عنها يُدفَعُون.

«يخمّسُ في التكبير على الجنائز المخمّسون، ولا يمنع من التكبير عليها المربّعون. =

وكثر كلام الناس في أمر القضايا والأحكام والظلامات، وما يجري بينهم من الاختلاف في الترافع إلى قاضي القضاة الحسين، وإلى عبد العزيز. فكتب الحاكم بخطّ يده بعد البسملة: «يا حسين، أحسنَ الله إليك، اتّصل بنا ما جرى من شناعات العوامّ، ومَن لا خيرَ فيه، وإرجافهم، فأنكرنا أن يجري مثلُه فيمَن يحلّ محلّك من خدمتنا إذْ كنت قاضيَنا وداعيَنا وثقتَنا. ونحن نتقدّم بما يزيل ذلك، ولم نجعل لأحدٍ غيرك نظراً في شيءٍ من القضايا والحكم، ولا في شيءٍ ممّا استخدمناك فيه، ولا مكاتبة أحدٍ من خلفائك بالحضرة وغيرها وسائر النواحي، ولا يكاتب أحداً منهم غيرُك. ومن تسمّى غيرك بالقضاء، فذلك على المجاز في اللفظ ولا على الحقيقة، وقد مَنعنا غيرَك أن يُسجّل في شيءٍ فنتقدّم إلى جميع الشهود والعدول بأن لا يشهدوا في سجلّ لأحدٍ سواك. وإن تشاجر خصمان فدُعي أحدهما إليك ودعا الآخر إلى غيرك، كان الداعي إلى غيرك عليه الرجوع إليك طائعاً أو مُكرهاً. فآجر على ما أنت عليه من تنفيذ القضايا والأحكام، مستعيناً بالله عزّ وجلّ، ثم بِنَا ولك من جميل رأينا فيك ما يسعدك في الدنيا والآخرة. وقد أذنّا لك أن تكاتب جميع من يكاتب القاضي بـ «قاضي القضاة» كما جعلناك، ويُكاتبُكَ جميعُ من تكاتبه بذلك

= «يؤذّن بحيّ على خير العمل المؤذّنون، ولا يُؤذى مَن بها لا يؤذّنون.

«لا يُسَبُّ أحدٌ من السلف، ولا يحتسَبُ على الواصفِ فيهم بما يصف، والخالفُ فيهم بما خلف.

«لكلّ مسلم مجتهدٍ في دينه اجتهادُه، وإلى الله ربّه ميعادُه، عنده كتابُه، وعليه حسابُه.

«ليكُن، عبادَ الله، على مثلِ هذا عملُكُم منذ اليوم، لا يستعلي مسلم على مسلم بما اعتقدَه، ولا يعترض معترض على صاحبه فيما اعتمَدَه مِن جميع ما نصّه أمير المؤمنين في سجله هذا. ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ، لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذا ٱهْتَدَيْتُمْ، إِلَى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة، 105). والسلام عليكم ورحمة الله وبركاتُهُ».

«وكتب في رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة» تاريخ ابن خلدون، 61/4.

وقد نقل الداعي إدريس أيضاً هذا السجلّ في صورة مقتضبة (عيون الأخبار، السبع السادس، نشر مصطفى غالب، 293).

وهذا المنشور لا يبرّىء الحاكم من التعصّب الحزبيّ ولا من التصرّفات القاسية، ولكنّه يدعو الدارسَ المحايدَ النزيه إلى التلطّف في قبول الأحكام أو إصدارها.

وتكتب به في سجلّاتك فاعلم ذلك، وأشهِر أمرنا بجميع ما يقتضيه هذا التوقيع ليُمتَثَل ولا يُتجاوز. وفّقك الله لرضاه ورضانا، وأيّدك على ذلك وأعانك عليه إن شاء الله تعالى. وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وسلّم تسليماً».

فقرأه القاضي على سائر الشهود، وأمر أن يكتب في سجلّاته «قاضي القضاة» وكُوتِب بذلك وكُتِب عنه. فلم يزل على ذلك إلى أن صرفَه الحاكم بأمر الله في يوم الخميس سادس عشر شهر رمضان سنة أربع وتسعين [وثلاثمائة / 6 جويلية 1004]، وهو جالس في داره يتصرّف في الأحكام على حين غفلة، فلم يشعر إلّا وقد قيل له: ولي عبد العزيز بن محمد بن النعمان، وقد حضر الجامع مخلوعاً عليه.

فقال: يا قوم، هذا والله محال، لا حقيقة له، ولعلّه قُلِّد غيرَ القضاء؟

وبعث رسله فسمِعُوا ما في سجله حتى أخبروه بصرفه عن القضاء بتولية عبد العزيز، فقال: ما هذه الداهية على غفلة؟ لا حول ولا قوّة إلا بالله!

وأغلق بابه وصرف مَن عليه، وسأل صاحبَين له مواصلتَه، فلزم داره وقد اشتدّ خوفه. وكانت مدّة ولايتِه القضاءَ خمسَ سنينَ وستّة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً.

ثمّ قَتَلَه في سادس المحرّم سنة خمس وتسعين وثلاثمائة [23 أكتوبر 1004]، وأحرقه بعد قتله، وهو أوّل قاضٍ أُحرقَ بعد قتلِه.

وكانت له سِير وأنباء، منها أنّه تولّى عقد نكاح حظيّة[14] الحاكم بأمر الله فخلع عليه وحمله، ولم يحضر في ذلك غيره، فركب إليه رجال الدولة وهنّؤوه.

وكان يواصل الجلوس بالقصر لقراءة ما يقرأ على الأولياء / والدعاة [408 أ]

(14) الكلمة غامضة، ولعلّها «خطبة» مؤخّرة عن موضعها.

والمتّصلة[15] من مجالس الحكمة، فكان يفرد للأولياء مجلساً، وللخاصّة وشيوخ الدولة ومن يختصّ بالقصور من الخدم وغيرهم مجلساً، ولعوامّ الناس والطارئين على البلد من النواحي مجلساً، وللنساءِ في جامع القاهرة مجلساً، وللخدم وخواصّ نساء القصر مجلساً. وكان يعمل مجالس الحكمة في داره ثمّ ينفذها إلى مَنْ يختصّ بخدمة الدولة. واتخَذ لهذه المجالس كتّاباً يبيضُونَها بعد عرضها على الحاكم بأمر الله. وكان يثبت في كل مجلس منها ما يتحصَّل من مال النجوى[16] من كلّ مَن يدفع شيئاً من ذلك عيناً وورقاً من الرجال والنساء، وتكتب أسماء مَن يدفع شيئاً زيادة على ما يدفَعُه. وكذلك في عيد الفطر يكتب ما يدفع عن الفطرة، ويتحصّل عن ذلك مال جليل فيحمله إلى بيت المال شيئاً بعد شيءٍ.

ثمّ شرّفه الحاكم بأمر الله بالفطر معه في ليالي شهر رمضان سنة تسعين. وأصعده معه المنبر أيّام الأعياد. وخلع عليه بعد الضربة التي ضُرِبها في الجامع. وتقدّم إلى جماعة من شيوخ الأضياف[17] بالركوب معه في كلّ مجلس يجلس فيه، وتقدّم إلى عدّة من الرقّاصين[18] أصحاب السيوف المحلّاة بالمشي بين يديه في كلّ يوم. وكان إذا حضر إلى الجامع العتيق بمصر وقام يصلّي، وقف خلفه الأضيافُ صفًّا يسترونَه، ولا يصلّي أحدٌ منهم حتى يفرغ من صلاته ويعود إلى مجلسه، فيكونون قياماً عن يمينه وشماله إذا جلس، وهو أوّل قاض فُعل معه هذا. وهو أيضاً أوّل من كتب في سجلّاته «قاضي القضاة».

ثمّ علت منزلته وتخصّص بالحاكم. وكان له عند الحاكم من يسدّ غيبتَه

---

(15) لعلّه يعني بالمتّصلة خاصّة البلاط والخدم المقرّبين.

(16) النجوى: تبرّع مالي يساوي ثلاثة دراهم وثلث درهم يقدّمُه المريد الذي يتعلّم أصول الإسماعيلية. انظر: القاضي النعمان: المجالس والمسايرات، 498 هامش 1.

(17) الأضياف: لعلّها لقب مخصوص بسامي الخدّام مثل ألفتكين الضيف (الكامل تحت سنة 393)، وتعني هنا الحرّاس من العبيد.

(18) الرقّاص هو الساعي بين الخليفة ورجال الدولة يحمل إليهم أوامره ونواهيه.

ويذكره بالجميل ويحسّن أفعاله، وكان أشدّ الناس في ذلك الأستاذ ريدان الصقلبيّ والأستاذ ريحان اللحياني، والأستاذ مفلح اللحيانيّ[19]، فلا يزالون يعظّمون قدره، ويشدّون أزره. فانبسطت يده وعظم شأنُه، وأخذ في تعديل من يؤثر تعديله.

وأقطعهُ الحاكم عدّة دورٍ، منها دارٌ بالقاهرة قريبة من الخليج، فكان يركب النيل في عُشَارِيٍّ[20]، ويعبر الخليج إليها، ومعه جميع الشهود على دوابّهم بحافّة الخليج يسايرونه حتى ينزل بداره. ثمّ يركب منها إلى القصر، فإذا قضى الخدمةَ عاد إلى الدار وركب منه إلى داره بالحمراء[21].

ولاعَن في ولايته بين رجل وامرأةٍ[22]، وضرب جماعة وشهّرهم على التزوير.

وساير الحاكم في الموكب وهو بجانبه، وقد شغل بمحادثته دون من عداه. فتجبّر وألزم الشهودَ بحضور مجلسه في داره وبالجامع على عادته، وكان من أبطأ عن وقت الحضور وكلّ مَن يأخذ منه جعلاً جيّداً بسبب تخلّفه. وألزم كتّابه بالجلوس في داره لتوقيعات الناس وضروراتهم. وكان في داره جماعة يكتبون مجالسَ الحكمة. وكان يتتبّع شهادات الشهود، ويحكي في علامته بالثبوت تضمين ما يشهد به الشاهد عنده، ويتتبّع قراءة ما سجّل به عنده، ويقرؤه بنفسه قبل قراءته عليه وقبل أن يشهد به على نفسه.

وكان يتفضّل على أهل العلم والفضل والأدب وأرباب البيوتات، ويجري عليهم الجرايات، ومنهم من يحمِل إليه في كلّ شهر وفي كلّ سنة

---

(19) ريدان الصقلبيّ صاحب المظلّة، هو الذي تولّى قتلَ برجوان. ومفلح اللحياني الخادم ولّاه الحاكم دمشق بعد تموصلت بن بكّار (اتّعاظ، 302/1، وأمراء دمشق للصفدي، 211).
وريحان اللحياني خادم أيضاً ولكن لا نعرفه.

(20) العشاريّ: عن هذا النوع من السفن، انظر تعليق المرحوم الشيّال في الاتّعاظ، 313/1 هامش 1.

(21) الحمراء أحد مواقع ثلاثة بهذا الاسم. وقيل سمّيت الحمراء لنزول الروم بها.

(22) قد سبق لعانٌ مماثل في مدّة محمد بن النعمان. انظر ترجمته رقم 58 هامش 4.

القمح وغيرَه من الصلات والملابس. وكان يتفضّل على حاشيته وخدمه.

ومن قبيح أفعاله أنّه اختصّ قوماً من الشيعة كان عمّه لا يجيز شهادتَهم فجعَلَهم أمناء، بهم يأخذ ويُعطِي، فكثرت شهادَتهم [بـ] ـالزور على المستورين وآذَوا الناس بأنواع الأذى، وآستخفّوا بهم وشتموهم. ثمّ صاروا يَلقَون الرجل من الناس فيلعنون الصحابة رضي الله عنهم، وإن أنكر عليهم شهِدوا عليه بما شاؤوا ورفعوا أمره إلى القاضي حسين هذا.

[ومنها] أنّ رجلاً صالحاً يُعرف بحسين القصير لعَن مَن يلعَنُ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فأمر به فأُحضر إلى الجامع وأخبره بما شهدوا به عليه فقال: «ما لعنتُ أحداً وما أنا من أهلِ اللعن»، واستخصَم من شهِد عليه. فقال له القاضي: «فالعَن فلاناً وفلاناً». فأبى أن يلعَنَهُما فقال له: «الآن صدقوا فيما نقلُوا عنك». وأمر به فضُرب ضرباً وجيعاً، ثمّ استدعى صاحب الشرطة فضربَه على باب الجامع وطوّفه. فأنكر الناس ذلك. وشدّد برجوان على القاضي حتّى قال له أبو العلاء / فهد بن إبراهيم النصرانيّ كاتب برجوان: وحقّ أمير المؤمنين، لو قال لي هذا - يعني برجوان -: آلعن أصحاب المسيح! ما خدمتُه أبداً ولو قُتلت. وأنت تكره الناس على اللعن، فمن أمرَك بهذا؟ [408 ب]

وكان سبب قتله أنه رَفع رجل إلى الحاكم أنّ أباه توفّي وترك له عشرينَ ألف دينار، وأنّها في ديوان القاضي، وقد أخذ منها رزقَ أوقاتٍ معلومةٍ، وعرّفه القاضي أنّ ماله نجز. فلمّا عاد الحاكم إلى القصر دعا بالقاضي ورفع إليه رقعة المتظلّم. فقال كقوله للرجل من أنّه قد آستوفى مالَه عن آخره. فأمر بإحضار ديوان القاضي مِن ساعته وفتّش عن مال الرجل فوجد أنّ الذي وصَلَ إليه أيسَرُه. فعدّد عليه ما أقطعَهُ وأجرى له وما أزاح من عِلَلِه لئلّا يتعرّض إلى ما نهاه عنه من هذا وأمثاله. فقال: العفو والتوبة! فأمر به فضربت عنقه وأحرق بالنار. كذا ذكر الأمير المسبِّحِي، وهو أقعد بأخبار القوم[23].

(23) المسبِّحِي المؤرّخ (366-420)، وأقعَدُ: أعلَمُ وأدرى.

وقال مؤلّف كتاب الكنوز[24]: ومرّ ـ يعني الحاكم ـ يوماً في موكبه، ومعه قاضي قضاته الحسين بن عليّ بن النعمان، بالمكان الذي يباع فيه الحطب، وفيه من الحطب ما لا يُحصى كثرةً. فوقف وأمر أن يُؤجّجَ بالنار، ثم أمر بالقاضي فأنزل عن دابّته، وهو غافل لا يدري، ثمّ رمي به في تلك النار حتى هلك. ومرّ الحاكم كأنّه لم يصنع شيئاً.

* * *

التعليق: الترجمة في مخطوط السليميّة ورقة 406 ب.

وهي ترجمة مماثلة لما في رفع الإصر لابن حجر. ولا شك أنّ المقريزي وابن حجر استقيا هذه المعلومات من مصادر واحدة، مثل الرقيق القيرواني، الذي نقل عنه ابن حجر سبب تنكّر الحاكم للقاضي النعمانيّ، وقد أسقط المقريزي اسم الرقيق من روايته للحادث نفسه.

(24) لا نعرف كتاب الكنوز ولا مؤلّفه.

63 ـ ابن الوشّاء (ـ 397)

[84 ب] /محمد بن أحمد بن عبيد بن محمد ـ وقيل: محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبيدالله بن موسى، أبو عبدالله الوشّاء المصري الفقيه المالكي.

وروى عن محمد بن سعيد المالكي، وعبد الواحد بن أحمد بن قتيبة، ومحمد بن جعفر، وابن أبي الموت، وأبي الحسن عبد الباقي بن فارس، وأبي العبّاس أحمد بن عيسى بن محمد الوشاء.

[89 أ] وروى عنه / عيسى بن بكارة.

وقال المسبّحي في حوادث سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة: «وقبض على أبي عبدالله بن الوشّاء المالكي، وحملت كتبه إلى القصر فبقي معتقلاً بالقصر نحو الشهر ويئس منه. ثمَّ أطلق بسبب أنَّه اعتلَّ الحاكم بأمر الله، فأنفذت أمّه إلى ابن الوشاء، وهو معتقل تسأله الدعاء للحاكم بالعافية فدعا له. ثمَّ كتب القرآن كلَّه في جام بمسك وزعفران، ومعه خادم موكّل به، ثمَّ أنفذه إليها وقال للخادم: قل لها تغسله بماء زمزم واسقيه إيّاه. ففعلت. فـ[ـبَرِئَ] الحاكم [وشفي من علّته] فسألته أمّه في إطلاقه فأطلقه وأطلق كلّ مَنْ كان قد قبض عليه معه من أهل الأندلس، وممَّن كان يدخل إليه».

وتوفِّي يوم الأحد سابع جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وثلاثمائة، ودفن بالقرافة عند قبر الفقاعي.

قال المسبّحيّ: وكان حسن التديُّن متمسِّكاً بمذهبه مظاهراً به غير مراعٍ لأحدٍ. وجرت له قصَّة: سُعِي به إلى الحاكم بأمر الله فاعتقله بالقصر مدَّةً، وخاطبه دفعاتٍ لم ير منه في شيءٍ منها جزعاً، فأطلقه مكرّماً لم ينله بؤس.

وقال السِّلفي: كان ابن الوشّاء من الصالحين من أهل السنَّة فقصده بعض الشيعة في زمان الحاكم حتَّى حُمل إليه، وكان سفَّاكاً للدماء. فلمَّا دخل عليه قيل له: الأرض! الأرض! يؤمر بالسجود وتقبيل الأرض. فقال بصوت جهوريّ ارتجّـ[ـت] منه الآذان: حتى يقول: أنا الله الذي لا إلاه إلَّا أنا!

فقال الحاكم: دعُوا الشيخ يمضي إلى مسجده.

فخرج إلى موضعه سالماً.

* * *

التعليق: من مخطوط ليدن 1 ورقة 84 ب ثمَّ 89 أ.

قفز المقريزي من الورقة 84 إلى الورقة 89 وشغل ما بينهما بتراجم أخرى، وهذا دليل على أنَّ النسخة مسوّدة بخطِّه، وأنَّه كان ينوي تبييضها. ويدعم هذا الرأي أن كثيراً من الورقات رسمت عليها كتابات سابقة بالخط الغليظ الأنيق من جنس ما تكتب به الآيات القرآنية أو الحِكم، فلا يحول ذلك دون أن يعمِّرها المقريزي بالترجمة فتكون كتابة على كتابة مع الاحتياط لوضوح القراءة. ثمَّ إن كثيراً من التراجم تكتب على الورقة طولاً، أي موازية لظهر التجليد.

أمَّا موقف المترجم له هنا فيذكِّرنا بموقف فقهاء القيروان ـ وهم أيضاً مالكيّون ـ إزاء النحلة الإسماعيليّة، كما يذكِّرنا تسامح الحاكم معه بحلم أبي عبدالله مع ابن الحدَّاد وتسامح المنصور مع خصوم الدعوة.

63 م ـ جُنَادة بن محمد الأزدي الهروي اللغويّ (ـ 399)

كان مكثراً من حفظ اللغة ونقلها، عارفاً بحوشيِّها ومستعمَلها.

حضر مجلس الصاحب إسماعيل بن عبَّاد بشيراز، وهو شعث الزيّ ذو أطمار رثَّة وسخة، فجلس قريباً من الصاحب، وكان مشغولاً. فلمَّا بصر به قطَّب وقال: قم يا كلب من ههُنا!

فقال له جنادة: الكلب هو الذي لا يعرف للكلب ثلاثمائة اسم.

فمرَّ عند ذلك الصاحب. . .[1] حيث جلست، ورفعه إلى جانبه.

وقدم مصر وصحب الحافظ عبد الغني بن سعيد [المصري] وأبا علي الحسن بن سليمان المقرىء النحويّ الأنطاكيّ[2]، وكانوا يجتمعون في دار العلم بالقاهرة وتجري بينهم مذاكرات ومباحثات. فتنكّر الحاكم بأمر الله أبو علي منصور عليهم وقتل جنادة وأبا علي المذكور في ثالث عشر ذي الحجة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة: واستتر عبد الغنيّ.

* * *

التعليق: الترجمة في مخطوط السليميَّة و 304 ب.

وترجم له ابن خلكان (رقم 143) ولكنه لم يذكر الحادثة مع الصاحب بن عبَّاد: ولا في ترجمة الصاحب (رقم 96).

(1) هكذا في الأصل، ولعلَّ في الكلام نقصاً.

(2) في الوفيات 372/1: أبو الحسن علي.

64 ـ جعفر بن حبيب القائد (- 401)

/ولّاه عبد الله بن محمد الكاتب[1] مدينة باجة في سنة أربع وسبعين وثلاثمائة [984 - 985]. ثمّ عُزل عنها في سنة اثنتين وثمانين [وثلاثمائة / 992 - 993]. ثمّ أعيد بعد أيّام. وقدم إلى مصر غيرَ مرّة رسولاً من إفريقية بهديّة بعثها الأمير عدّة العزيز بالله أبو الفتح منصور ابن سيف العزيز بالله أبي الفتوح يوسف بن زيري بن مناد إلى أمير المؤمنين العزيز بالله أبي منصور نزار بن المعزّ. [296 ب]

فقدم في سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة [993 - 994] وعاد بهديّة جليلة في سنة أربع وثمانين إلى المهديّة، ومعه الفيل[2]. فتلقّاه الأمير منصور وابنه باديس والقضاة وخلائق، للنصف من ذي القعدة. ثمّ سار بهديّة الأمير أبي مناد باديس بن منصور في يوم الاثنين سادس رمضان سنة ستّ وثمانين [22 سبتمبر 996] وعاد.

فلمّا قدم يانس العزيـزي[3] إلى طرابلس بعـد ولايته بـرقة وخـرج تمصولت[4] إلى مصر، كما ذكر في ترجمة كلٍّ منهما[4م]، دعا نصير الدولة أبو

(1) عبدالله بن محمد الكاتب: نائب بلقين بن زيري على إفريقيّة، قوي نفوذه حتى خافه بنو زيري فقتله المنصور بن بلقين بيده سنة 377 (ابن عذاري، 242/1).

(2) خبر الفيل في البيان المغرب، 247/1، ووصف علي بن يوسف التونسي له، في الأنموذج، 300.

(3) أبو الحسن يانس الخادم: أرسله برجوان والياً على برقة ثمّ طرابلس (الخطط، 25/3).

(4) تموصلت ـ أو تمصولت ـ بن بكار الأسود الحاكمي أبو محمّد، مولى ابن زيري، ولّاه طرابلس فجار (اتّعاظ 35/2) فلمّا طلبه هرب إلى الحاكم بالقاهرة.

(4 م) الترجمتان مفقودتان. وذكر ترجمة يانس دليل على أنّ المقريزي أنهى كتابه.

مناد باديس بالقائد جعفر بن حبيب، وخلع عليه، وحمله، وقلَّده سيفاً، وأخرج بين يديه الطبول والبنود، وأمره بالرحيل إلى طرابلس. فخرج من المنصوريّة مستهلّ رجب سنة تسعين وثلاثمائة [7 جوان 1000]، وسار حتى نزل من وراء يانس بمرحلتين، فأقام بقيّة رجب وشعبان ورمضان حتى بعث نصير الدولة إلى يانس وأجابه بما ذكر في ترجمته.

فكوتب جعفر بالنهوض إليه ومناجزته، فرحل حتى نزل صبـرة واستظهر بالكتاب إلى يانس يُخيِّره بين مسيره إلى نصير الدولة أو محاربته، فاختار الحرب. وبرز إليه حتّى أشرف عليه يوم الجمعة الثاني من ذي القعدة [4/390 أكتوبر 1000]. فخرج من الغد روَّادُ العسكرين، وكان بينهم قتال قُتل فيه من أصحاب يانس سبعةٌ مِن حماة فرسانه، وأتي برؤوسهم إلى جعفر فحمد الله وقال / : هذا أوَّل الفتح إن شاء الله. وبات على تحرُّس واحتراس. فلمَّا كان [297 أ] عند صلاة الفجر من يوم الأحد لأربع خلون منه [6 أكتوبر 1000] تعبّأ الفريقان واقتتلوا قتالاً شديداً قُتِل فيه يانس، وانهزم أصحابه إلى المدينة. فكان أوَّل من سبق إليها فتوح بن علي بن غَفْيَانَان بن الحسن الكتاميّ[5] فقال لمن بها: البشرى يا أهل طرابلس! قد فتح الله لنا وقتلنا صنهاجة مقتلة عظيمة!

ففتحوا له الباب. فلمَّا دخل وكَّـل من وقف عليه حتى [وصل] إليه المنهزمون. وشغل القائد جعفر بن حبيب عن اتِّباع المنهزمين بما أصابه من الغنائم، وبمن قتل من الرجال حتى أفناهم عن آخرهم إلاَّ مَن فرَّ. وتقدَّم إلى طرابلس فوجد القومَ قد تحصَّنُوا ونصبوا العرَّادات وجعلوا الرجال على السور. فنزل بالمرج على نحو ميلين عن المدينة، وكانت بينه وبينهم وقائع كثيرة. وأخذ يجبي بَوادي طرابلس وجميع قبائل البربر من هوارة ولماته وزناته وغيرهم وفرَّق عماله إلى أن بلغه أنَّ فلفل بن سعيد[6] الثائر على نصير الدولة قد توجَّه

(5) عقبانان في الأصل، وعقيان في الاتِّعاظ /34. وقراءتنا من رسالة هـ. ر. إدريس عن الدولة الصنهاجيّة، 101/1.

(6) فلفل بن سعيد بن خزرون الزنُاتي.

يريد طرابلس، فجمع أصحابه ليلقاه ويحاربه فاختلَفوا عليه. فرحل بهم في رجب سنة إحدى وتسعين [جوان 1001] إلى ناحية الجبل[7]، وكان يوماً شديد الحَرّ، وكان مع عساكره من الأثقال والعيال والأطفال ما لا يوصف. فاشتدَّ بهم العطش حتى مات كثير منهم، وأسلم بعضُهم ولدَه. وشرب رجل شربةَ ماء شَفَهَ[8] عنها مائة درهم. وطلبت امرأة من زوجها شربة فقال لها: «أنت طالق» ومضى عنها، فسقاها آخر شربة تزوّجها بها.

وسار جعفر بمَن معه إلى جبال نفوسة، ولم يدخلها سلطان قبله، فآواه النفوسيّون.

ووصل فلفل بن سعيد إلى المناخ الذي كان به جعفر. فلمَّا علم أينَ قصد تبعه حتّى قرب منه، فجمع جعفر أصحابَه ليقاتلَه فاختلفوا عليه، ثمَّ أجمعوا على القتال فزحف بهم على تعبئة. فلمَّا أحسَّ بهم فلفل رحل إلى طرابلس، فمضى جعفر عائداً إلى المدينة المنصوريَّة فوصل إليها يوم الأربعاء لتسع بقين من شهر رمضان [13/391 أوت 1001] ووصل فلفل بن سعيد إلى طرابلس فملكها حتّى مات.

ولم يزل جعفر بن حبيب على حاله إلى أن مات بالمنصوريَّة يوم السبت لليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعمائة [9 ديسمبر 1011].

وكان رجلاً حليماً عاقلاً صبوراً فاضلاً بعيد الغضب محتمِلاً مفتقداً لأحوال رجاله وحاشيته، فمن علم به منهم خلّة سدَّها مسدياً له بذلك من غير سؤال. وكان مقتصِداً في أموره غيرَ مبذِّرٍ ولا مُقتِّرٍ ضحوكاً مستبشراً أبداً.

وولي ابنه هاشم بن جعفر بعده ما كان تولّاه من كتابة نصير الدولة أبي مناد باديس.

* * *

---

(7) أي جبل نفوسة.

(8) شفه المالَ (باب فتح): أنفقه وأفناه.

التعليق: مخطوط السليميّة ورقة 296 ب / 297 أ.

هذا القائد خدم الدولة الصنهاجيّة، وهو على هذا الأساس قد يخرج عن نطاق التراجم الفاطميّة التي جعلناها محوراً لهذا الكتاب. ولكنّه فيما يبدو مغربيّ الأصل، واضطرّته متطلّبات السياسة أن يقاتل الفاطميّين بطرابلس رغم ولاء مواليه الزيريّين للخلافة القاهرية. فلذلك أدرجناه في تراجمنا.

ولمزيد النظر في هذه الحوادث، تراجع رسالة هـ. ر. إدريس عن دولة بني زيري.

65 ـ حسين بن جوهر قائد القوّاد (ـ 401)

/ أبو عبد الله ابن القائد أبي الحسن الروميّ. [383 ب]

فلمَّا ولي الحاكم بأمر الله خلع عليه في خامس شوَّال سنة ستٍ وثمانين وثلاثمائة [21/ أكتوبر 996]، وردَّ إليه البريد والإنشاء، وقاد بين يديه عدَّة من الخيل وكثيراً من الثِّياب، وحُمل على فرس بمركب ذهب فصار يخلفه ابن سورين.

واستكتب أمينُ الدولة أبا عبدالله الموصليّ، وجعل إليه أخذ رقاع الناس وتوقيعاتهم.

فلمَّا قُتل الأستاذ برجوان[1] استدعيَ في يوم الأربعاء ثالث جمادى الأولى سنة تسعين وثلاثمائة [12 أفريل 1000] إلى القصر، وخُلع عليه ثوب ديباج أحمر ومنديل أزرق مذهب، وقُلِّد بسيف محلًى بذهب، وحمل على فرس بسرج ولجام ذهب، وقيد بين [يديه] ثلاثة أفراس بمراكبها، وحُمل أمامه خمسون ثوباً صحـاحاً من كلّ نوع، وردَّ إليه الحاكم بأمر الله التوقيعات عنه، والنظرَ في أمور الناس، وتدبير المملكة، وإنصافَ المظلوم. ونزل من القصر وخلفَه فهد بن إبراهيم[2]، وقد خلع عليه أيضاً، وسائر الناس مَعَه حتّى دخل إلى داره.

---

(1) قتل برجوان في ربيع الأوَّل 390 قتله ريدان الصقلبي بأمر من الحاكم.

(2) فهد بن إبراهيم كاتب برجوان وكان نصرانيّاً.

وتقدَّم إلى فهد بن إبراهيم بالتوقيع في رقاع الرافعين، على ما جرى رسمُه به من أيّام الأستاذ برجوان، وأن يعاضدَ القائد حسين بن جوهر في النظر، ويساعدَه، ويخلفَه إذا غاب. وكان القائد يبكِّرُ إلى القصر ومعه الرئيس فهد فينظران في أمور الناس وينهيان جميع ذلك إلى الحاكم، والقائد مقدّم وفهد تبع له ويكون رسم(3) القائد إلى الكافَّة بأن لا يلقاه واحدٌ من الناس على طريق ولا يركب إلى داره في قضاء حقّ ولا سؤال حاجة، وأن يكون موضع النظر في سائر الأمور بالقصر. وتقدَّم أيضاً أن لا يخاطبه أحدٌ بسيِّدنا في رقعة تكتب إليه، وأن يكون خطابه والكتابة إليه بالقائد فقط، وأن لا يخاطب فهد [بن] إبراهيم ولا يكاتب إلاَّ بالرئيس لا غير.

واتَّفق أنَّه رأى جماعة من قوَّاد الأتراك قياماً على الطريق، وهم في انتظاره، فوقف لهم وقال: كلّنا عبيد مولانا أمير المؤمنين، صلوات الله عليه، ومماليكُه، وليس والله أبرح من موضعي أو تَنْصرفوا عني، ولا يلقاني أحدٌ إلاَّ في القصر.

فتركوه وانصرفوا. وأقام خدماً من الصقالبة الطرادين(4) نوباً على الطريق، يمنعون الناس من المصير إليه ومن لقائه إلاَّ في القصر. وصار يجلس بالقصر في الموضع الذي رُسم له الجلوس فيه ولا يتعدّاه. وأمر أبا الفتح(5) مسعوداً الصقلبيّ صاحب السِّتر أن يوصل الناس بأسرهم إلى الحاكم، ولا يمنع أحداً من الوصول إليه، وأن يعرف رسمَ كلّ من حضَر ومن يجلس للتوقيع إذا وقع له، ففعل ذلك، ودخل الناس على الحاكم برقاعهم وقصصهم، فوقع فيها.

[384 أ] وفي سابع / عشر جمادى الآخرة قرىء سجلّ على منابر المساجد الجامعة بالقاهرة ومصر يتضمَّن تلقيب حسين بن جوهر بقائد القوَّاد.

* * *

(3) هكذا في المخطوط. وعبارة الاتِّعاظ 29/2 أقومُ: وأمر القائد أن لا يلقاهُ. . .

(4) الطرَّادون ج طرَّاد وهو فارس الطراد، أي المبارزة والملاحقة.

(5) في الاتعاظ، 30/2: أبو الفتوح.

التعليق: الترجمة من مخطوط السليميَّة ورقة 383 ب.

والترجمة مبتورة من آخرها. فالمراجع القديمة تردّد أخبار تنكّر الحاكم لوزرائه وقوّاده، وهرب قائد القواد من القاهرة خوفاً على حياته، ثمّ رجوعه بأمان من الحاكم، وأخيراً وقوعه ضحيةً مع صهره عبد العزيز بن [محمد بن] النعمان يوم 12 جمادى الثانيـة سنة 21/401 جـانفي 1011. انظر: اتّعـاظ الحنفاء 86/2، والخطط، 72/4، والكامل، 122/9، وابن خلّكان (في ذيل ترجمة أبيه جوهر، رقم 145)، وكتاب الولاة والقضاة، 603.

ولا يظهر من الترجمة سببٌ لغضب الحاكم عليه، ولا بوادر هذا التنكُّر. ونجد في المصادر الأخرى تحليلاً أوسع لنفسيَّة هذا القائد، وتفاصيل أخرى عن سلوكه وسياسته، مثل خبر تواطئه مع أبي ركوة الثائر على الحاكم ببرقة (الكامل، حوادث سنة 397).

66 ـ جعفر بن الحسين بن جوهر القائد

(ـ بعد 401)

[297 أ] /أبو. . . . ابن قائد القوّاد أبي عبدالله بن القائد أبي الحسين. جدّه جوهر هو الذي أخذ مصر وبنى القاهرة. وتقدَّم أبوه الحسين في أيّام الحاكم بأمر الله تقدُّماً زائداً ثمَّ قتله كما تقدَّم في ترجمته[1]. فلم يأمن جعفر هذا بعد قتل أبيه، وفرّ من القاهرة بإخوته إلى بني جرّاح فأعطوهم الذمام وأجاروهم وأمّنوهم. فبعث الحاكم في طلبهم فدافعوا وسوَّفوا. فأعمل الحاكم الحيلة، ودعا بمفلح من جملة عبيده وخواصّهم، فأمره بما أحبَّ ثمَّ أظهر أنَّه سخط عليه فاعتقله وقبض على أمواله وأملاكه وضياعه، وتركه في السجن مدَّة. ثمَّ فرَّ بحيلة عملها، ثمَّ لحق ببني جرّاح[2] فتوجَّعوا له وقاموا بأمره وأنزلوه عندهم.

فخلا بجعفر بن الحسين وإخوته وقال: إنَّ هذا الرجل ـ يعني مفرج بن دغفل بن جرَّاح ـ قد فعل معنا جميلاً ولم يقبل فينا كتاباً ولا رسولاً، غير أنَّ العرب يستميلهم المال، ويخشى أن يبذل الحاكم الرغائب فينا فيبعث إليه بنا كما فعل في أيّام العزيز بالله بفلان وفلان فيقتلنا بعد أن يميل بنا. وابن جرَّاح، وإن منعَه مرَّة، فإنَّه لا يخرج عن طاعته جُملةً.

(1) انظر ترجمته رقم 65 من كتابنا هذا، ولم يذكر فيها قتله، ممّا يدلّ على أنّها مبتورة.

(2) بنو الجرّاح الطائيّون: انظر فصل ماريوس كانار عنهم في دائرة المعارف الإسلامية، وقد استعرض بالتفصيل تقلُّبات مفرّج بن دغفل بالخصوص. ولا نعرف متى وقع الغدر بأحفاد جوهر.

ولم يزل يخوِّفهم إلى أن قالوا / له: فما ترى؟ [297 ب]

قال: أرى أن نبذل مالاً لمن يأخذ منا طريقاً يوصلنا إلى بغداد حيث لا ينفذ للحاكم حكم، ولا يقبل منه أمر.

فعزموا على ذلك وساروا، وقد تقدَّمت كتب مفلح إلى جيش بن الصمصامة بدمشق فأقام لهم الأرصاد على كلّ طريق فما شعروا، وقد نزلوا منزلاً، حتى قبض عليهم، فضربت رقبة جعفر وإخوته. وحمل مفلح إلى الحاكم فردَّ إليه أمواله وأملاكه ورفع منزلته.

* * *

التعليق: الترجمة في مخطوط السليميّة ورقة 297 أ.

كان المقريزي نبَّه إلى ترجمةٍ منه لجعفر بن جوهر ولكنّا لم نجدها في مخطوط السليميَّة الذي حوى حرف الجيم. ولعلَّه خلط بين ابن جوهر وحفيده، فكلاهما يسمَّى جعفراً. ولعلّه وهم أيضاً في اسم والي دمشق، فإن جيش بن الصمصامة (ترجمة 59) مات بها سنة 390.

ونصّ المقفَّى هنا يفتقر إلى التدقيق: متى فرَّ جعفر بن الحسين إلى بني الجرَّاح؟ ومتى خرج من عندهم ـ خوفاً من غدرهم المعهود ـ فوقع في الفخ الذي نصبه له مبعوث الحاكم؟

وكذلك لا نعرف أسماء إخوته الذين رافقوه وقُتلوا معه.

والنصّ له بعض الفوائد: فهو يبرز قساوة الحاكم ودهاءه السياسيّ الذي لا يتورَّع عن انتهاك أوجب الحرمات. ولكنَّ هذا الجنون يقابله في نصوص أخرى شواهد من حلمه وتسامُحه وتقشُّفِهِ.

وهو ثانياً يبرز تقلُّب بني الجرَّاح أصحاب الرملة وفلسطين من البدو الطائيِّين في ولائهم، بحسب ميزان القوى وبحسب المغريات التي يتلقَّوْنها من الأطراف المتنازعَة.

67 ـ محمد بن باديس الصنهاجي (ـ 407)

محمد بن باديس بن زيري بن مناد الصنهاجي. قدم إلى القاهرة مع أبيه ونشأ بها، ثمَّ عاد هو وأبوه إلى بلاد المغرب وتـأخّرَا إلى أن قتله حمَّاد بن يوسف بن زيري في المحرّم سنة سبع وأربعمائة [جوان 1016] وقتل أولاده.

وكان رجلاً عاقلاً أديباً فاضلاً، نشأ في قصور الخلافة بالقاهرة، وإنَّما نقم عليه حمَّاد وصُوله إلى نصيـر الدولـة أبي مناد بـاديس بن منصور بن يوسف بن زيري لأنَّه كان قد وقع بين حمَّاد وبين ابن أخيه نصير الدولة حروب طويلة.

* * *

التعليق: الترجمة في مخطوط ليدن 1 ورقة 130 أ.

حمَّاد بن يوسف ـ بلقين ـ بن زيري هو مؤسِّس الدولة الحمّاديّة بالمغرب الأوسط وباني القلعة التي عرفت باسمه: قلعة حمَّاد أو قلعة بني حمَّاد. كان ذلك سنة 398 واستقلَّ عن باديس بن منصور بن بلقين، وانسلخ من الولاء الفاطميّ. ولعلَّ رجوعه عن التشيُّع إلى الولاء للعبَّاسيِّين هو الذي حمله على قتل هذا الأمير الصنهاجي الذي بقي وفيّاً للحاكم. (انظر فصل بني حمَّاد في دائرة المعارف الإسلامية).

68 ـ جعفر بن يوسف الكلبيّ (ـ 410)

/جعفر بن يوسف بن عبدالله بن محمّد بن الحسن بن علي بن أبي الحسين الكلبي، أبو محمد، ابن أبي الفتوح ـ ويقال أبي الفتح ـ الأمير تاج الدولة سيف الملَّة ابن الأمير ثقة الدولة: [303 ب]

أحد أمراء صقلّية المعروفين بـ «بني أبي الحسين». قام بأمر صقلّية نيابة عن أبيه الأمير أبي الفتح ثقة الدولة يوسف لمَّا فُلِج وتعطل جانبه الأيسر في [أواخر رجب][(1)] سنة ثلاث وأربعمائة [فيفري 1013]، فلقَّبه الحاكم بأمر الله منصور ابن العزيز بـ «تاج الدولة وسيف الملَّة»[(2)] فاستقرَّ على ولايته.

وفي آخر رجب سنة خمس وأربعمائة [24 جانفي 1015] خالف عليه أخوه الأمير علي بن يوسف، فقتله بمعونة أخويه أحمد وحسن[(3)].

ثمَّ خرج أهل صقلّية عن طاعته لظلمه وحصروه، فخرج إليهم أبوه يوسف في مِحَفَّةٍ حتّى ردَّهم عن محاربته، وصرفه عنهم، وولّى عليهم ابنه تأييد الدولة أحمد الأكحل بن يوسف في سادس المحرَّم سنة عشر وأربعمائة [15 ماي 1019]، وسيَّره[(4)] من صقلّية إلى القاهرة فقدِمَها. وسار أبوه من

(1) الزيادة من الاتعاظ، 99/2.

(2) في الاتّعاظ، 99/2: سيف الملك. وفي نهاية الأرب 376/24: سيف الملّة.

(3) أحمد الأكحل وحسن الصمصام. وجاء خبر التمرُّد مقتضباً عند النويري.

(4) أي جعفر بن يوسف، وقد برّر النويري صرفه إلى مصر بالخوف عليه.

بعده إليها بأموالها وكانت كثيرةً جداً[5].

* * *

التعليق: الترجمة من مخطوط السليميَّة، ورقة 303 ب.

لا نرى في هذه الترجمة من فائدة سوى أمرين:

1 ـ أنَّ أمراء صقلِّية لا يزالون في ولاء الفاطميِّين، وفاءً لآبائهم وأجدادهم الكلبيِّين.

2 ـ أنَّ أهل صقلِّية لا يميلون إلى ملوك صنهاجة بإفريقية ويخشون سيطرتهم إن هم استنجدوا بهم ضدَّ حكَّامهم الجائرين.

(5) ضبطها النويري، 378 بمبلغ 670 ألف دينار.

69 ـ حسين بن علي بن دوّاس الكتاميّ
يلقّب سيف الدين (ـ 411)

/كان أحد شيوخ كتامة. فتنكّر له الحاكم بأمر الله أبو عليّ منصور ابن [395 أ] العزيز، وتحرّز منه ابن دوّاس وامتنع من دخول القصر أو لقاءِ الحاكم إلاّ في الموكب وعلى ظهر الطريق. فإذا استدعاه تأخّر عنه واعتذر إذا لقيه. فلمّا طال ذلك أنكر عليه الحاكم تأخُّرَه فقال له: قد خدمتُك يا مولايَ وخدمتُ آباءَك، ولي عليكم حقوق كبيرة مثلها ما رُعِيَ وروعِيَ[1]. وقد قام في نفسي أنّك تريد قتلِي، فأنا مجتهد في دفعك بغاية ما يمكنني، وما بك حاجة إلى حضوري قصرك. فإن كان باطن رأيك مثل ظاهره فدعني على جملتي[2] فإنّه لا ضرَرَ عليك من تأخُّري. وإن كنت تريدُ بي سُوءاً فَلأَن تقتلَني في داري، وأنا بين أهلي وأولادي، أولى من أن تقتلني في قصرك وتطرحني للكلاب تأكل لحمي.

فضحك الحاكم وأمسك عنه. واتّفق أنّ الحاكم توحّش ما بينه وبين أخته السيِّدة ستّ الملك[3]. فراسلَته حتّى اجتمعت به واتّفقا على قتل الحاكم، وإقامة ابنه في الخلافة موضعَه، وأن يكون ابن / دوّاس صاحب [395 ب] الجيش وشيخ الدولة القائم بها. ووقّعت له بولاية السيارتين[4] وهي حماية

(1) في النجوم، 186/4: يجب لمثلها المراعاة.

(2) هكذا في المخطوط. وفي النجوم: على حالي.

(3) في المخطوط: السيدة العزيزية سيّدة الملك، واللقبان يعنيان الأمّ (السيدة العزيزيّة) والبنت (ست الملك): انظر ص 317 هامش 8.

(4) السيارة: لم نقف على حقيقة هذا المصطلح ولعلّه كما قيل هُنا يعني وظيفة عسكريّة خاصّة بحماية مدينة مصر القديمة، ولعلّه تحريف «السفارتين».

مصر، وبخمسين ألف دينار إقطاعاً، وعشرة آلاف دينار صلة، وعشرة أفراس بمراكب ذهب، ومائة قطعة ثياباً فاخرة، وسيف محلًّى بذهب مرصَّع بجوهر. وأحضرها عبدين فندبَتهُما لقتل الحاكم فقتلاه كما قد ذكر في ترجمتها[5]، وأحضراه إليه فحمله إلى سيِّدة الملك فكتمت أمره. وبعثت إلى ابن دوَّاس ثياباً كثيرة وبدرتين عيناً، وقادت إليه خمسة أفراس بمراكب الذهب. ثمَّ استدعَته بعد فقد الحاكم بخمسة أيّام، وأمرته أن يركب في اليوم السابع من فقده ومعه كتامة إلى باب القصر. فركب في اليوم السابع ووقف بكتامة حتّى تعالى النهار. فاستدعَته إلى مجلسها وقد أخرجت أبا الحسن علي بن الحاكم وقالت له: المعوّل في القيام بهذه الدولة عليك، وتدبيرها موكول إليك. وهذا الصبيّ ولدُ[ك] وينبغي أن تنتهي في الخدمة إلى غاية وسعك وتبذل فيها كل ما عندك.

فقبَّل الأرض وشكر ودعا ووعد بالإخلاص في الطاعة، وبلوغ ما في القدرة والاستطاعة. وخرج بالصبيّ إلى الناس وقد لقّب «الظاهر لإعزاز دين الله». فكان أوَّل من قبّل له الأرض ابن دوَّاس، ومرَّغ خدَّيه على الأرض بين يديه. وفعل الناس كذلك بعدَه.

فزادت السيِّدة ابن دوَّاس في منزلته وجعلت مصادر التدبير على يده. فلمَّا أحكمت ما أحكمَته وأكدت ما أكّدتْه، أحضرتْه وقالت له: قد علمتَ ما بيني وبينك من المواثيق والعهود. وأنا امرأة، وإنَّما أريد الملك لهذا الصبيّ، وقد وفَّقَ الله وأحسنَ المعونة، وأنت زعيمُ الدولة والمقدّم فيها. وقد رأيتُ أن أنجز وعدَك وأردّ إليك أمر السيارتين مضافاً إلى الشرطتين[6]، وأجعلَ رأيَك في الأموال والخزائن نافذاً، ورأيَك في التدبيرات معتمَداً.

فقبَّل الأرض، وشاع هذا الحديث، وركب الناس إليه، وكُتب له العهد

---

(5) هذه الترجمة مفقودة من مخطوطات المقفّى المعروفة لدينا. واختفاء الحاكم كان لليلتين بقيتا من شوَّال 410. وقال في الاتّعاظ، 314: وقيل إن أختَه قتلته وليس بصحيح، وكذلك في الخطط، 74/4.

(6) الشرطتان العليا والسفلى: شرطتا القاهرة ومصر (الفسطاط).

بولاية السفارتين في ثوب مصمّت، وعلّم عليه الظاهر. وجمع الناس لحضور الخلع وسمَّاه «العهد». وأُحضر ابن دوَّاس وبنو عمّه إلى القصر، فخرج معضاد الخادم وأجلسه في صفة على باب الستر ووجوه الدولة بين يديه. فلمَّا تعالى النهار خرج نسيم الصقلبيّ صاحب الستر والسيف ومعه مائة رجل من السعيديَّة أصحاب الركاب وقال لابن دوّاس: مولانا يسلّم عليك ويقول: قد جعل هؤلاء القوم أصحاب السيوف برسمك.

فقبَّل الأرض ووقف القوم قياماً بين يديه. وعاد نسيم فقالت له السيِّدة: اخرج وقف بين يدَي ابن دوَّاس وقل: يا عبيدُ، مولاتُنا تقول لكم: هذا قاتلُ مولانا الحاكم(7)، واعلُه بالسيف، ومُر السعيديّة بأن يقتلوه!

فخرج نسيم في عدَّة من الصقالبة وفعل ما أمرَته به وأخذ رأس ابن دوَّاس ودخل به إلى السيِّدة فوضَعته بين يديها وأمرَت بإخراج جُثَّتِه فرمِيت على باب القصر. ولم يعترض فيه معترض وتفرَّق الناس.

* * *

التعليق: الترجمة من مخطوط السليميَّة ورقة 395 أ.
هذه الرواية في قتل الحاكم تخالف رواياتٍ أخرى تقول باختفائه في إحدى خرجاته الليليَّة إلى الصحراء. ولعلَّها رواية تقصد إلى بيان دهاء ستّ الملك.
وقد اهتممنا بها لمشاركة القائد الكتاميّ فيها، ممَّا يظهر دور العناصر الكتاميَّة في التقلُّبات السياسية بالبلاط الفاطميّ.

---

(7) فـي النجوم الزاهرة، 190/4: خرج الحاكم إلى المقطَّم ليلة 27 شوَّال 411 ولم يُعرف مصيره.

70 ـ القزّاز النحويّ (ـ 412)

محمد بن جعفر بن محمد أبو عبدالله التميميّ النحويّ المعروف بالقزّاز، أحد فضلاء المصريِّين وعلمائهم باللغة. وله كتاب «الجامع في اللغة»، ألّفه لأمير المؤمنين العزيز بالله أبي منصور نزار في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وستِّين وثلاثمائة[1]. وكان سبب تأليفه لهذا الكتاب أنَّ العزيز بالله قال له: أريد أن تؤلِّف كتاباً تجمع فيه سائر الحروف التي ذكر النحويّون أنَّ الكلام كلّه اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، وأن تقصد في تأليفه إلى ذكر الحرف الذي جاء لمعنى، وأن تُجريَ ما تؤلِّفه في ذلك على حروف المعجم. فألّفه على ذلك وجمع المفترق من الكتب النفيسة في هذا المعنى على أقصد سبيل وأقرب مأخذ وأوضح طريق، فبلغ جملة الكتاب ألفَ ورقة، وما علم نحويّ ألف في النحو على هذا التأليف[2].

قال ابن رشيق في الأنموذج[3]: إنَّ القزّار فضح المتقدِّمين وقطع ألسنة المتأخِّرين، وكان مَهيباً عند الملوك والعلماء، يملك لسانه ملكاً شديداً.

وقال ابن ميسّر: وله كتاب «المثلَّث» في اللغة، أحسن فيه، وأخذه أبو محمد عبدالله بن محمد البطْليوسي[4] ونسبَه لنفسه، غير أنه زاد فيه زيادة

(1) تولّى العزيز الخلافة سنة 365، فلعلّ هذا التاريخ غير صحيح، وربّما ألَّفه في سنة 371.

(2) هذا الحكم نسبه ابن خلكان في ترجمة القزَّار (رقم 652) إلى ابن الجزّار.

(3) الأنموذج، 365.

(4) ابن السيد البطليوسي (444 - 521): ترجم له ابن خلّكان (رقم 347) وذكر له كتاب «المثلث»

لطيفة فاشتهر كتاب ابن السيد بخلاف كتاب القزَّاز.

وله شعر صالح مطبوع. أنشد له المسبّحيّ في تاريخه الكبير قوله (وافر):

أمــا ومحــلِّ حُبّـك مِـن فؤادي   وقـدرِ مكـانِـه فيـهِ المَكيـن
لــو انبسَـطَتْ لـيَ الآمـالُ حتـى   تُصَيِّـرَ لي عِنـانَـك في يميني[5]
لصُنتُـك في مكـان سـوادِ عيني   وخِطتُ عليك من حَذرٍ جفوني
فـأبلغُ منـك غـايـاتِ الأمـاني   وآمـن فيـك آفـاتِ الظنـونِ
فـلي نـفسٌ تَـجَـرَّعُ كـلَّ يـومٍ   عليـك بهـنَّ كـاسـاتِ المنـونِ
إذا أَمِنَت قـلوبُ النـاس خـافَت   عليـك خَفـيَّ ألحـاظِ العيـونِ
وكـيـف، وأنـت دنيـاي ولـولا   عِقـابُ الله فيـك لـقلتُ: ديـني

وقوله (خفيف):

أَضْـمِـرُوا لـي ودّاً ولا تُـظهِـروهُ   يُهـدِهِ منكـمُ إليَّ الضـميـرُ
مـا أبـالـي إذا بلغـتُ رضـاكُـم   فـي هـواكم لأيّ حـالٍ أصيـرُ

وقوله (وافر):

أحينَ علِمتَ أنَّـك نـورُ عَيْنِـي   وأنِّـي لا أرى حـتَّـى أَرَاكَـا
جَعَلْتَ مَغِيبَ شخصِك عن عِيانِي   يُـغَيِّـبُ كُـلَّ مَخلُوقٍ سِـوَاكَـا؟

وتوفيَ بمصر ـ وقيل بالقيروان ـ في سنة أثنتي عشرة وأربعمائة عن نحو سبعين سنة[6].

والقزّاز نسبة إلى عمل القزّ.

* * *

= دون أن ينسبه إلى القزاز. ولم يذكره صاحب فصل «البطليوسي» في دائرة المعارف الإسلامية.

(5) في المخطوط: من عنانك. والتصويب من الأنموذج.

(6) في الأنموذج، 369: وقد قارب التسعين. ووفاته كانت «بالحضرة» أي بالقيروان كما في معجم الأدباء 105/18 وإنباه الرواة، 84/3.

التعليق: الترجمة من مخطوط ليدن 1، ورقة 191.

هذا مثال من الأدباء والعلماء الذين كانوا ينتقلون بين إفريقية ومصر ويعتبرون البلدَيْن وطناً لهم على السواء. ولكنَّ المقريزيّ اعتبرَه مصريّاً فقدّم وفاته بمصر على وفاته بالقيروان.

71 ـ محمد بن علي بن عمر بن العدّاس (ـ بعد 412)

أبو عبدالله، ابن أبي الحسن الكاتب.

خلع عليه الحاكم بأمر الله أبو علي منصور مع أبيه في رابع عشر جمادي الآخرة سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة[1] وحمله.

فلمّا قتل الحاكم أباه وحرَّقه بالنار[2] اختلّت حاله. ثمَّ تصرَّف في كتابة الخراج، وولي ديوانَه إلى أن سخط عليه الحاكمُ وقطع يده في يوم الاثنين خامس عشر من جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وثلاثمائة [17 جانفي 1009][3]. ثمَّ خلع عليه في يوم الثلاثاء سابع محرَّم سنة أربعمائة [31 أوت 1009].

* * *

التعليق: الترجمة في مخطوط ليدن 2 ورقة 150 أ.

في كتب التاريخ، إشارات إلى والد المترجم، أي علي بن عمر بن العدّاس الذي خدم العزيز والحاكم. وقد خصّص له ابن منجب ترجمة (الإشارة، 24) ولكنّه اقتصر فيها على خلافة العزيز. أمّا محمد ابنه فقد ذكره عرضاً (الإشارة، 36) في ترجمة الجرجرّائي، وسمّاه «جليل الدولة أبا عبدالله محمد بن العدّاس» وقال إنّه تولّى خطة الوساطة في خلافة الظاهر في سنة 412.

---

(1) في الاتعاظ، 44/2، كان ذلك سنة 392.

(2) في النجوم الزاهرة لابن سعيد، 70 أنَّ علي بن العدَّاس قتل سنة 393. وذكر ابن القلانسي (ذيل، 61) أنَّ قتله كان على يد مسعود السيفيّ بأمر من الحاكم.

(3) هو يوم السبت في جداول كاتينوز.

72 ـ محمد بن علي بن جعفر بن فلاح (ـ بعد 415)

القائد صفيّ الدولة أبو عبدالله، ابن وزير الوزراء أبي [الحسن علي بن جعفر][1] كان من قوّاد مصر وأعلام أمرائها. ورث السيادة عن أبيه وجدّه كما ذكر في ترجمتهما[2]. كان حياً في سنة خمس عشرة وأربعمائة[3].

ومن شعرهِ (مجتثّ):

قـرنـت بـالـورد خـدّاً أرقّ مـنـه وأنـدى
فـضـارع الـنـور نـوراً وعـانـق الـورد ورداً[4]

وقال (وافر):

فـديتـك لـو تكـون بقـدر وجـدِي وما ألقى من الشـوق الشـديـد
ومـا فعلت جفـونُـك في فؤادي مـضـافـرة لـسـالـفـةٍ وجـيـدِ
وريـقـةُ مِـبسـم بـرداً وشـهـداً يـريـك تـألّـقَ الـدرّ النـضـيـدِ
وقَـدٌّ قـدَّ مـن نـظري إلـيـه هـوىً ألهـاه عن وصفِ القـدودِ
جعلتَ بعيـدَ وصلك من قـريـب كـمـا جعلوه جـوراً من بـعـيـد
أنـا العبـدُ المُـقرُّ بمُلك مـولىً يُعَـدُّ لـديَّ في جُمَـلِ العـبيـدِ

(1) الزيادة من ترجمة أبيه (الإشارة، 30).
(2) ترجمة أبيه في حرف العين مفقودة.
(3) هذا التاريخ منقول عن المسبّحي (انظر النجوم لابن سعيد، 226). وبعد هذا التاريخ بياض بالمخطوط بقدر أربعة أسطر، كأنّ المقريزي احتاط به لزيادة معلومات.
(4) في المخطوط: فزارع، والإصلاح من النجوم لابن سعيد، 226.

وقال (كامل):

أهــلاً بــخطّ عــذاره فـي خــدِّه   نُــوَبــاً كــظُلمَــةِ صَــدِّه فـي ودّه
أهـلاً ببـدر دُجىً تكـامـل حسنُــه   فـانجـاب بعض النـور عن مسودِّه
مـا القرب مـعْ إعراضِـه وصـدودِهِ   عنـدي بأيسـر مـركبـاً من بُعـدِه[5]

* * *

المصدر: مخطوط ليدن ب ورقة 114:

الترجمة شبيهة بما عند ابن سعيد في النجوم الزاهرة، 226 ولم نعثر على ترجمة له في بقية المصادر.

وفي اتعاظ الحنفاء، 47/2 ذكرٌ لضحيّة من ضحايا الحاكم العديدين، اسمه محمد بن علي بن فلاح، قتله سنة 394 وحرَّقه، وهو غير هذا المترجم.

---

(5) هذه المقطوعة لم ينقلها ابن سعيد.

73 - [ابن] أبي العرب التميميّ (- 419)

محمـد بن أحمـد بن تميم بن تمَّـام[1]، أبـو العـرب التميـميّ القيرواني[2]. . . كان جدّه من أمراء إفريقيّة. وكان هو حافظاً لمذهب مالك، أخذه عن أصحاب سحنون مفتياً عليه الحديث[2م].

وله مصنَّفات، منها:

كتاب المحن.

وطبقات علماء إفريقية.

وفضائل مكَّة[3].

وفضائل سحنون.

وعبّاد إفريقيّة.

* * *

التعليق: الترجمة من مخطوط ليدن 1 ورقة 65 أ.

خلط المقريزي بين أبي العرب صاحب الطبقات وحفيده واسمُه أيضاً محمد وكنيته

---

(1) في المخطوط بعد تمام: بن أبي العرب، وحذفناها لأنَّ الترجمة متداخلة كما نبيِّنه في التعليق.

(2) في المخطوط، بعد القيرواني: قال ابن بشكوال. . . ثمَّ ينقل ترجمة الصلة 567/2 وهي في حفيد أبي العرب: محمد بن تميم [بن محمد بن أحمد بن تميم بن تمَّام أبي العرب].

(2 م): قراءة ظنيّة.

(3) فضائل مالك في غالب المصادر.

أيضاً أبو العرب. وأقحم في ترجمة الجدِّ ترجمَةَ الحفيد التي اطلع عليها في كتاب الصلة، 567/2 لابن بشكوال فقال:

قال ابن بشكوال: مولده سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة(4). وقدم الأندلس تاجراً سنة ست عشرة وأربعمائة، بعدما حجَّ سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة. ولقي بالمشرق جلةً من العلماء بالحجاز والشام ومصر والقيروان. وبلغنا أنَّه توفِّي بعد منصرفه عنَّا بنحو ثلاثة أعوام في بعض أعمال القيروان(5). وكان شيخاً من أهل الفضل والثقة، واسع الرواية، [وكان] من أهل الصدق والتحرِّي فيما ينقله، يروي عن أبيه(6) كثيراً، وعن غيره من شيوخ قرطبة وغيرها(7).

---

(4) أمَّا أبو العرب فقد استشهد سنة الأثلاث في صفوف أبي يزيد.

(5) أي سنة 419 على افتراض أنَّه ترك الأندلس في سنة قدومه إليها.

(6) لأبي العرب ولدان، أحدهما «استوطن قرطبة وحدَّث [بها] عن أبيه، وكان يُضَعَّفُ» (مدارك عياض، 269/6) والآخر «سكن إفريقية وقرىء عليه بالقيروان» (نفس المرجع، 268).

فالأندلسي يسمِّيه عياض في المدارك: أبا جعفر تميم (326/5) وأبا جعفر أحمد (269/6). أمَّا القيروانيّ أبو العبَّاس فهو إمَّا تميم (268/6) وإمَّا تمام (326/5)، ولكنَّه عند المالكي (رياض، 191/1): أبو العبَّاس تميم بن أبي العرب.

فالمترجَم بكتاب الصلة هو إذن ابن الإفريقي تميم، رغم ما توهم به عبارة ابن بشكوال الآتية: «و (روى) عن غير أبيه من شيوخ قرطبة»، من أنَّ أباه هو الأندلسي القرطبيّ.

(7) إن كان اختلف إلى حلقات قرطبة، فقد طال مقامه بالأندلس، وبذلك نجد مبرراً لمَن قال إنَّ وفاته حسب بعض المؤلِّفين كانت في سنة 433.

74 ـ الرقيق القيروانيّ (ـ 425)

إبراهيم بن القاسم بن الرقيق القيرواني. قدم القاهرة سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة صحبة القائد جعفر بن حبيب بهديَّة بعث بها نصير الدولة أبو مناد باديس ابن عُدَّة العزيز بالله أبي الفتح منصور ابن سيف العزيز بالله أبي الفتوح يوسف بن زيري بن مناد الصنهاجيّ أمير الغرب إلى أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله أبي علي المنصور ابن العزيز بالله. فاختصَّ بالقاضي أبي عبدالله محمد بن النعمان وأنشده قصيدة في أخذ مدينة صور والظفر بالعلَّاقة[1] الثائر بها. فعرضها على الحاكم بأمر الله فوقّع له بألف درهم وأربعـ[ـة] ثياب وأربع عمائم. وعاد إلى القيروان صحبة الهديَّة المجهّزة إلى أبي مناد.

وكان فاضلاً.

وتصانيفه كثيرة، منها:

كتاب تاريخ إفريقية، عدَّة مجلَّدات.

وكتاب النساء، كبير.

[52 أ] / وكتاب الرواح والارتياح[2].

وكتاب نظم السلوك في مسامرة الملوك، أربع مجلَّدات.

---

(1) العلَّاقة: أمّره أهل صور عليهم سنة 387، وهو «رجل ملَّاح من البحريَّة» (ابن القلانسيّ، 50). فقاتله سليمان بن جعفر بن فلاح وأسره.

(2) في فوات الوفيات، 41/1: الرواح، وفي الوافي بالوفيات، 92/6: الراح.

وكتاب الأغاني، مجلَّد.

وكتاب قطب السرور في أوصاف الخمور، وما فيها من الشرور[3]، وغير ذلك.

قال فيه ابن رشيق[4]: شاعر سهل الكلام مُحكَمُهُ، لطيف الطبع قويُّه، تلوح الكتابة على ألفاظه، قليل صنعة الشعر، غلب عليه اسم الكتابة وعلمُ التاريخ وتأليف الأخبار، وهو بذلك أحذق الناس.

وكتب [بـ]ـالحضرة مدَّة نيف وعشرين سنة.

وكان قدم إلى مصر سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة بهديّة من نصير الدولة باديس بن [منصور بن يوسف بن] زيري إلى الحاكم، فقال قصيدة يذكر فيها المَنَاهِلَ ثمَّ قال (طويل):

إذا ما ابنُ شهرٍ قد لبِسنا شبابَهُ بَدَا آخَرُ مِن جانِب الأُفْقِ يَطلُعُ
إلى أن أَقَرَّتْ جِيزةُ النيلِ أَعْيُناً كما قَرَّ عيناً ظاعنٌ حين يرجعُ

ومن شعره (بسيط):

رِيمٌ إذا ما مَعارِيضُ المُنى خَطَرَتْ أَجَلَّهُ المُتَمنِّي عن أمانِيهِ
يا إخوتي أأَقَاحِي فيه أقتَلُ لي أم خطُّ رَاءَيْن من مسكٍ على فيه[5]
أم حُسْنُ ذاكَ التراخِي في تكلُّمِهِ أم حسن ذاكَ التهادي في تثنّيهِ

وقال يتشوَّق إلى إخوانه بمصر، من أبيات (طويل):

هل الريحُ إن سارت مُشَرِّقَةً تسري تُؤَدِّي تحيّاتي إلى ساكني مصر
فما خطَرَتْ إلاَّ بكَيتُ صبابةً وحمَّلتُها ما ضاق عن حمله صدري
لأنِّي إذا هبّت قبولا بنشرهم شممتُ نسيم المسك من ذلك النشر

(3) نشر جزء منه بتونس بتحقيق عبد الحفيظ منصور سنة 1976، وهو قسم اختاره كاتب يدعى المسعودي.

(4) في كتابه الأنموذج الذي نشر أخيراً بتونس بتحقيق العروسي المطوي والبشير البكّوس، ص 55.

(5) قراءة الناشرين في الصدر: أقبل لي.

فكم ليَ بالأهرام أو دير نهيَةٍ   مصائد غِزْلانِ المكابِدِ والقفر
إلى جيزةِ الدنيا بمَا قد تَضَمَّنَتْ   جزيرتُها ذاتُ المواخيرِ والجِسرِ
وبالمَقْس والبستانِ للعين منظَرٌ   أنيقٌ إلى شاطي الخليج إلى القصرِ
وفي سَرَدُوس[6] مُسْتَزادٌ ومَلْعَبٌ   إلى دَيْر مَرْحَنّا إلى ساحل البحر
فكم بين بستان الأميرِ وقصره   إلى البِرْكَة النضراء من زَهَرٍ نضرِ
تراها كمرآةٍ بَدَتْ في رفارفٍ   منَ السُّنْدُسِ الموشَى يُنَشَّرُ للتَّجْرِ
وكم ليلةٍ لي بالقرافة خِلتُها   لِما نِلتُ من لذَّاتِها ليلةَ القدر

* * *

التعليق: الترجمة في مخطوط السليميَّة 51 أ.

وقد اتَّفقت التراجم عند ياقوت (إرشاد، 216/1) والصَّفدي (الوافي، 92/6) وابن شاكر (فوات 1 / 41). وانظر ما كتبه عنه ابن رشيق في الأنموذج، ودراسة المرحوم ح. ح. عبد الوهاب في مقدِّمة قطب السرور، وقد أرَّخ لوفاته بسنة 425.

(6) سرَدوس: أحد خلجان الفسطاط السبعة حسب ياقوت.

75 ـ محمد بن عبد السميع خطيب جامع عمرو (352-427)

محمد بن عبد السميع بن عمر بن الحسن بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبيد الله بن العبَّاس بن عبد المطلب بن عبد مناف، أبو جعفر العبَّاسي الخطيب بجامع عمرو بن العاص بمصر.

ولي الخطابةَ بعد أبيه، وروى عن أبي الحسن عليّ بن عبيدالله بن الفضل البغدادي، ومحمد بن أحمد بن عبدالله. وسمع منه أبو القاسم عبدالله بن عبد الوهاب بن برط البيهقي الدمياطيّ.

مولده في أوَّل ليلة من ذي الحجَّة سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة.

وتوفِّي يوم الخميس ثاني المحرَّم سنة سبع وعشرين وأربعمائة /. [29 ب]

* * *

التعليق: الترجمة من مخطوط ليدن 2 ورقة 29.

في الاتِّعاظ، 169 و196، حديث عن والد المترجم، عبد السميع العبَّاسي: فقد أرغم على إدخال الشعائر الشيعيَّة في الصلاة كالقنوت في الجمعة والحيعلة والجهر بالبسملة في كلّ سورة.

76 ـ الحسن بن جعفر الطالبي (ـ 430)

[356 أ] /الحسن بن جعفر بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبدالله بن موسى ابن عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الأمير أبو الفتوح.

غلب أبوه جعفر[بن الحسن] بن محمد على مكّة بالقوّة في أيّام الإخشيديّة، وقام من بعد[هِ] ابنُه عيسى بن جعفر. واستمرّ إلى سنة أربع وثمانين
[357 أ] وثلاثمائة. فولي أخوه أبو الفتوح/ الحسن صاحب الترجمة. ويقال إن القاهر العبّاسي كتب إليه في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة بولاية مكّة، فأنفذ كتابه إلى العزيز بالله أبي المنصور نزار ابن المعزّ لدين الله أبي تميم معدّ. فوقّع له بولاية مكّة وأرسل إليه بمال وخلع للشرفاء بني الحسن. فأحضرهم عند الكعبة وقسم فيهم المال. وقال عندما لبّس الكعبة الكسوة البيضاء، «الحمد لله يا بني فاطمة الزهراء وأصحاب السنة الغرّاء، على أن زيّن بيته بلبسة السرور بعد لبسة الحزَن، وجعل ملك الحرمين لبني بنت رسوله من بني الحسين وبني الحسَن» فأرضى الفريقين.

وتمادت إمارته إلى أن قام الحاكم بأمر الله أبو علي منصور بن العزيز، فكتب إليه بالبراءة ممّن غصب وصيّ رسول الله ﷺ ميراثه في الخلافة، ومنع فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ حقّها في فدك. فغضب أبو الفتوح وقال: قوم قام بهم منار الإسلام بعد نبيّه ﷺ، نذكرهم بما لا يجب؟ أهكذا فعلتِ النصارى بالحواريّين؟ بل جعلوا قبر كلّ واحدٍ مزاراً لحج وعبادة. والله لو

أمرني أن ألعن قوماً على غير الملَّة لما ارتضيت أن أكون لعَّاناً! والله إن من عقوق جدِّنا علي بن أبي طالب وصفه بالعجز».

فقام أبو الفتوح بهذا وخطب به على رؤوس العلويّة. فقام إليه رجل منهم وقال: أيها الأمير، هذا مقال من يجب عليه أن لا يرجع عمَّا قاله.

قال: صدقت.

وشرع في مباينة الحاكم. ثمَّ قدم عليه الوزير أبو القاسم الحسين بن علي بن المغربيّ برسالة مفرّج بن دغفل بن الجرَّاح الطائيّ وابنه حسَّان بن مفرِّج يدعوانه للإمامة ومباينة الحاكم، ووعداه أن يقوما له بالأمر، وأطمعه أبو القاسم في ذلك وهوَّن الخطب فيه. فانقاد إليه وجمع بني الحسن وخاطبهم فيما أشار به أبو القاسم فوافقوه وبايعوا أبا الفتوح ولقَّبوه بالراشد بالله. فصعد منبر مكَّة وخطب لنفسه. ثمَّ نزل وأخذ يستعدُّ للمسير.

فاتَّفق موت بعض أرباب اليسار بجدّة، فأشار عليه أبو القاسم بأخذ تركته فاستولى عليها بأجمعها وكانت عظيمة. وأخذ أيضاً كثيراً من المحاريب الذهب والفضَّة المنصوبة على الكعبة، وضربها دنانير ودراهم، وعليها لقبُه، وفرَّقها فيمن اجتمع إليه، وبعث بأبي القاسم إلى بطون سليم وعوف بن عامر وغيرهم من بطون العرب يدعوهم إلى طاعته وأخذ البيعة عليهم بخلافته. فاستجابوا لطاعته. فلمَّا استوسق له الأمر، سار من مكَّة في سنة إحدى وأربعمائة في جمع موفور حتى قدم الرملة من أرض فلسطين حيث منازل بني الجرَّاح. فخرج مفرّج وبنوه حسَّان ومحمود وعليّ بحماتهم إلى لقائه، وقبَّلوا له الأرض وسلَّموا عليه بالخلافة وخاطبوه بإمرة المؤمنين، وأنزلوه بدار الإمارة من مدينة رملة لدّ. فأمر بالنداء في الناس بأمان الخائفين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثمَّ ركب يوم الجمعة، ومفرّج وأولاده وسائر أمراء طيّىء مشاة في ركابه وبين يديه حتى دخل الجامع، وصعد المنبر وخطب فحمد الله وأثنى عليه وقرأ بعد البسملة: ﴿طسمّ تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ المُبِينِ، نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى

وَفِرْعَوْنَ بالحَقِّ... إلى قوله... يَحْذَرُونَ﴾ (القصص، 1 - 6). ثمَّ أتمَّ الخطبة ونزل فصلّى بالناس الجمعة وعاد إلى دار الإمارة.

فبلغ ذلك الحاكم، فما زال ببني الجرَّاح حتَّى استمالهم إليه ودفع إلى كلّ من حسّان وأخويه خمسين ألف دينار عيناً، سوى التحف والحظايا. فتخلَّوْا عن أبي الفتوح وتقاعدوا عنه حتى انحلَّ أمره وعاد إلى مكَّة في سنة ثلاث وأربعمائة، وأقام الدعوة للحاكم وضرب السكَّة باسمه وأقام بها حتى مات سنة ثلاثين وأربعمائة.

ومن شعره (مجتثّ):

[357 ب]
[هات] الكؤوس فمنها إلى الكؤوس أسير/
عجبتُ منها شموساً حفَّت بهنَّ سرور
عجبت منها خدوداً لاحت عليها ثغور

فلمَّا سمعها الوزير أبو القاسم ابن المغربيّ قال له يوماً بحضرة الأشراف وأمراء العرب: «ما رأيت أشعر منك في قولك...» وأنشد هذه الأبيات. فخجل أبو الفتوح وعلم أنَّه أراد إعلامهم أنَّه يشرب الخمر. فقال لأحد حجّابه: «عليّ بالمصحف» فلمَّا حضر فتحه وقال: وحقِّ ما احتوى عليه ما شربتُها قطّ ولا حضرت عليها!

وتوحَّش بأبي القاسم ففرَّ منه. ومن شعره (خفيف).

وصلتني الهموم وصلَ هواك وجفاني الرقاد مثل جفاك
وحكى لي الرسولُ أنَّكِ غضبي يا كفى الله شرَّ ما هو حاكي!

* * *

التعليق: الترجمة في مخطوط السليميَّة ورقة 356.

وهي تفيدُنا أن الحسنيّين، رغم تلطُّف الفاطميِّين لهم، لم يكونوا صادقي الولاء لهم، وهذا التحفُّظ صورة من المنافسة بين فرعي أبناء فاطمة.

وقد صفح الحاكم عن هذا المدَّعي للخلافة، على ما عُرف به الحاكم من الأخذ بالظنَّة والإسراع إلى سفك الدماء.

وذكره ابن القلانسي: ذيل 64 فقال: وكان مُتقلِّداً سيفاً زعم أنَّه ذو الفقار.

77 ـ شيخ الشرف (338 - 436)

محمد بن محمد بن علي بن الحسين بن عليّ بن إبراهيم بن عبيدالله بن الحسين الأصغر بن عليّ بـن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسن بن أبي جعفر الحسينيّ العلويّ العبيدلي النسّابة البغـدادي المعروف بشيـخ الشرف.

مولده لليلتين خلتا من ذي القعدة سنة ثمانٍ وثلاثين وثلاثمائة [23/ أفريل 950].

حدَّث عن والده عن أبي العبَّاس بن عقبة وعن أبي الفرج الأصبهاني، وعن أبي بكر أحمد بن الفضل الربعي الملقَّب بسندانة عن أبي عبادة البحتريّ بشعره وعن أبي عبيدالله محمد بن عمران المرزبانيّ[1]، وعن أبي عمرو بن حَيُّويَه.

وكان إماميَّ المذهب، من تلامذة محمد بن محمد بن النعمان المعروف بابن المعلِّم[2].

وكان عالماً بالنسب فريداً فيه، ولهذا لُقِّبَ بشيخ الشرف. وتصانيفه

---

(1) المرزباني (297 - 378) صاحب معجم الشعراء. انظر الوفيات رقم 647.

(2) ابن المعلِّم (336 - 413): هو المعروف بالشيخ المفيد «انتهت إليه رئاسة الشيعة (الإماميَّة) في وقته». انظر الأعلام في محمد بن محمد بن النعمان.

كثيرة، منها، في الأنساب: كتاب الآعقاب، قرىء عليه ببغداد سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة [1037]. ورحل من بغداد، ودخل دمشق وطبريَّة وقدم مصر فسمع منه أبو الغنائم النسَّابة علماً كثيراً. وذكر أنَّ له كتباً كثيرةً من تصنيفهِ وشعراً، وأنه رجع إلى بغداد سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، وله إذ ذاك مائة سنة إلَّا سنتين. ومات ببغداد في رمضان سنة ست وثلاثين وأربعمائة [1 أفريل 1045].

* * *

التعليق: الترجمة من مخطوط ليدن 3 ورقة 42.

وذكرنا شيخ الشرف في مجموعتنا هذه لأنَّه علويّ حسينيّ أوَّلاً، ولكنَّه بقي إمامياً، أي اثني عشريّاً ولم يدخل في النحلة الإسماعيليَّة. ثمَّ لأنَّه من مصحِّحي نسب الفاطميِّين (انظر ترجمة المهديّ، هامش6).

الفهارس

1 ـ فهرس التراجم بالترتيب الأبجديّ

2 ـ فهرس الأعلام والمفاهيم[1]

(1) جرّدنا الأسماء من سوابقها: أبو، أخو، بنو، الخ. والرقم المسطّر هو الذي يحمل الترجمة أو يتبعه شرح. هذا، ونذكر أيضاً الأسماء الواردة في الحواشي.

(ب)

(ج)

(ح)

(س)

(ق)

(ك)

(و)

(ي)

3 ـ فهرس الأمكنة والبقاع

(ت)

(ج)

(ق)

4 ـ فهرس الكتب[1]

(1) نذكر الكتب الواردة في المتن وفي الحواشي-على السواء.

5 ـ فهرس الأبيات

البيـــت	قافيته	وزنه	قائله	الصفحة
ـ ب ـ				
وكأنَّ الصباحَ في الأفق بازٍ	غرابُ	خفيف	تميم بن المعزّ	305
إذا حان من شمس النهار غروبُ	غريبُ	طويل	تميم بن المعزّ	306
أما ترى يومَنلقد جاء بالعجبِ	والطَّرب	بسيط	تميم بن المعزّ	306
ألا إنّ حدّ السيف أشفَى لذي الوَصَبْ	والكتبْ	طويل	القائم	126
ألستَ قريباً كنتَ تدعُو إلى إمرئٍ	مُرْتقَبْ؟	طويل	ابن المنجّم	128
ولو كنتَ منهم ما انتهكتَ محارماً	كالشُّهُبْ	طويل	الصولي	128
تساميتَ من غمِض الوهاد إلى الذُّرى	الذنبْ	طويل	ابن دريد	128
لو صحَّ فيما مضى شيءٌ أنسْتُ به	تطَلُّبِهِ	بسيط	محمد بن النعمان	365
بدَتْ في ذلك الحجْبِ	الرطب	الوافر	أحمد بن كيغلغ	111
مَن لي بصحبةِ مَن إذا أغضبتُه	جوابِه	كامل	جعفر بن الفرات	386
عرفت الديارَ على ما بها	بابِها	متقارب	إبراهيم الرسّيّ	285
ـ ت ـ				
وأحلّ دارَ البحرِ في أغلالِهِ	صلواتِ	كامل	سهل الورّاق	88
أعززْ عليّ بقتلِه	وأبوّته	كامل	الأعصم	267
ـ ث ـ				
لا يكن للكأس في	لبثُ	رمل	أحمد بن كيغلغ	111
ـ ج ـ				
هل لنا فرجة إليك	مفرّجُ	مجتثّ	الأعصم	270
ـ ح ـ				
ولو أنّي ملكت زمامَ أمري	النجاحِ	وافر	الأعصم	270

البيــت	قافيته	وزنه	قائله	الصفحة
ـ س ـ				
مَن كان يرضى بحصنٍ يستجير به	وأجراسِ	بسيط	القائم	125
ناوَلْتُها شِبهَ خدَّيْها مشعشعَةً	مقباسِ	بسيط	تميم بن المعزّ	305
ومجدولة مثل صدر القناة	مكتسِ	متقارب	الأعصم	268
وليلتنا هٰذه ليلةٌ	إقليدسِ	متقارب	ابن كشاجم	268
ـ ص ـ				
شربنا على النيل لمّا بدا	لا ينقص	متقارب	تميم بن المعزّ	304
ـ ط ـ				
وأيُّ وقائع كانت بسفط	وسفطِ	وافر	ابن مهران	41
ـ ع ـ				
إذا ما آبن شهرٍ قد لبسنا شبابَهُ	يطلعُ	طويل	الرقيق	427
رأيتُ بعيني فوقَ ما كنتُ أسمَعُ	أروعُ	طويل	ابن هانىء	331
أستودِعُ الله في بغداد لي قمراً..........	مطلعُه	بسيط	ابن زريق	313
قالت وقد نالها للبين أوجعُه	موقعُه	بسيط	تميم بن المعزّ	305
ولم أر كالمنصور بالله ناصراً..........	وأمنعا	طويل	الأبروطي	148 و 191
ألا شُقَّ جيبَ الصبرِ إن كنت مُوجَعاً.........	مطمعا	طويل	نافع بن محمّد	40
إنّا سمِعنا نسباً مضمَراً	في الجامع	سريع	عبد الرحمان ابن مزيد	233
ـ ف ـ				
له مُقلة صحّت، ولكن جفونُها...........	ويُتلِفُ	طويل	الأعصم	269
إنّي وقوميَ في أحساب قومهمُ	الخَيْفِ	بسيط	الأعصم	269
وخلّفتَ الهمومَ على أناسٍ	في كفَافِ	وافر	مجهول	214
يا ساكنَ البلدِ المنيفِ تعزّزاً	وكهوفِه	كامل	الأعصم	269
ـ ق ـ				
شهدتُ بأنّ الله بالغيب عالمٌ............	مُوَفّقُ	طويل	محمد التونسيّ	142
نبّهتُ ندماني بدجلةَ مَوهناً	معلَّقُ	كامل	مجهول	304
ومعتنقَين في طول آعتناقِ	اتّفاقِ	وافر	محمد بن النعمان	365

البيـت قافيته	وزنه	قائله	الصفحة
أيا مشبهَ البدر بدر السما .... وآثنتينِ	متقـارب	محمد بن النعمان	365
ـ هـ ـ			
ريمٌ إذا ما معاريضُ المُنى خطرَتْ .... عن أمانيهِ	بسيط	الرقيق	427
أَدْنُو إلى الجَوزاءِ .... نجاها	كامل	إبراهيم الرسّي	285
الله لي ثُمَّ إمامُ الهُدى .... اللّهُ	سريع	القائم	126
ـ ي ـ			
فلو تسأل الأيام عنيَ ما درت .... مكانيا	طويل	مجهول	80
ما مقامي على الهوان وعندي .... حَمِيّ	خفيف	الشريف الرضيّ	71

6 - فهرس موادّ الكتاب

التراجم

رقم الترجمة	مصدرها	ورقة المخطوطة	اسم المترجم له	سنة وفاته	الصفحة
17	ليدن 3	218	محمد بن يحيى ابن السرّاج الثائر الحسني	بعد 335	138
18	السليمية	355	الحسن بن طغج	ـ 340	139
19	السليمية	189	المنصور بالله (إسماعيل بن محمد)	ـ 341	142
20	ليدن 2	106	محمد بن علي الماذرائي	ـ 345	193
21	باريس	182	عبد الله بن أحمد بن طباطبا	ـ 348	207
22	السليمية	356	الحسن بن جابر الرياحي	ـ 359	216
23	السليمية	281	تبر الإخشيدي	ـ 360	217
24	ليدن 1	205	محمد بن الحسن المالكي	ـ 360	218
25	السليمية	417	حميدان بن حواش العقيلي	ـ 368	219
26	السليمية	300	جعفر بن فلاح الكتامي	ـ 360	220
27	ليدن 1	242	محمد بن الخير بن خزر	ـ 360	229
28	السليمية	30	إبراهيم بن دوّاس	بعد 362	231
29	السليمية	209	أفلح الناشب	بعد 362	232
30	باريس	36	عبد الرحمان بن محمد... بن مزيد الشاعر	بعد 362	233
31	السليمية	175	إسحاق بن موسى بن العازار الطبيب	ـ 362	234
32	ليدن 1	70	أبو بكر ابن النابلسي الزاهد (محمد بن أحمد)	ـ 363	236
33	ليدن 1	208	محمد بن الحسن الكلبي	ـ 363	240
34	باريس	233	عبد الله بن عبيد الله الحسيني	ـ 363	242
35	السليمية	68	إبراهيم بن كلّس	ـ 364	245
36	السليمية	434	خلف بن جبر	ـ 364	246
37	باريس	247	عبد الله بن علي بن المنجى	بعد 364	248
37 م	ليدن 1	84 ب	محمد بن أحمد بن عبد الله الحسنيّ «باغر العلوي»	بعد 364	250
38	السليمية	293	جبر بن القاسم الكتامي	ـ 365	251
39	باريس	227	ابن الأسواني (عبد الله بن أحمد بن سليم)	بعد 365	252
40	السليمية	344	الأعصم القرمطي (الحسن بن أحمد)	ـ 366	255

رقم الترجمة	مصدرها	ورقة المخطوطة	اسم المترجم له	سنة وفاته	الصفحة
41	ليدن 1	78	القاضي الذهلي (محمد بن أحمد أبو طاهر)	ـ 367	271
42	ليدن 3	148	محمد بن منّ الله	بعد 367	281
43	السليمية	140	أحمد بن أبي المنهال	بعد 368	282
44	السليمية	7	الشريف أبو إسماعيل الرسي (إبراهيم بن أحمد)	ـ 369	284
45	السليمية	25	إبراهيم بن جعفر بن فلاح أبو محمود	ـ 370	286
46	ليدن 3	152	محمد بن المهلّب الصيدلاني	ـ 370	298
47	السليمية	241	باديس بن زيري	بعد 370	299
48	السليمية	355	الحسن بن عبيد الله بن طغج	ـ 371	300
49	السليمية	280	تميم بن المعزّ	ـ 374	303
50	السليمية	302	جعفر بن محمد بن حسن الكلبي	ـ 375	316
51	ليدن 1	280	محمد بن صالح صاحب بيت المال بإفريقية	ـ 377	319
52	السليمية	115	أحمد بن علي بن الإخشيد	ـ 377	320
53	السليميّة	378	الحسن بن إبراهيم الرسّيّ	ـ 379	326
54	السليميّة	306	جوهر القائد	ـ 381	327
55	ليدن 1	106	ابن الأزرق المروانيّ الشاعر (محمد بن أحمد)	ـ 385	354
56	ليدن 2	59	العُتقيّ (محمد بن عبد الله)	ـ 385	355
57	السليميّة	344	الحسن بن زولاق	ـ 387	357
58	ليدن 3	172	محمد بن النعمان	ـ 389	360
59	السليميّة	314	جيش بن الصمصامة	ـ 390	367
60	السليميّة	372	الحسن بن عمّار الكلبيّ	ـ 390	371
61	السليميّة	298	جعفر بن الفرات	ـ 392	379
62	السليميّة	406	الحسين بن عليّ بن النعمان	ـ 395	389
63	ليدن 1	84	ابن الوشّاء (محمد بن أحمد)	ـ 397	400
63 م	السليميّة	304 ب	جنادة بن محمد الأزدي الهروي اللغوي	ـ 399	402
64	السليميّة	296	جعفر بن حبيب القائد	ـ 401	403
65	السليميّة	383	الحسين بن جوهر	ـ 401	407
66	السليميّة	297	جعفر بن الحسين بن جوهر	بعد 401	410

رقم الترجمة	مصدرها	ورقة المخطوطة	اسم المترجم له	سنة وفاته	الصفحة
67	ليدن 1	130	محمد بن باديس الصنهاجي	ـ 407	412
68	السليميّة	303	جعفر بن يوسف الكلبيّ	ـ 410	413
69	السليميّة	395	حسين بن دوّاس الكتاميّ	ـ 411	415
70	ليدن 1	191	القزّاز النحويّ (محمد بن جعفر ابن محمد)	ـ 412	418
71	ليدن 2	150	ابن العدّاس (محمد بن علي)	بعد 412	421
72	ليدن 2	114	محمد بن علي بن جعفر بن فلاح	بعد 415	422
73	ليدن 1	65	ابن أبي العرب التميميّ (محمد بن أحمد بن تميم)	ـ 419	424
74	السليميّة	51	الرقيق القيروانيّ (إبراهيم بن القاسم)	ـ 425	426
75	ليدن 2	29	محمد بن عبد السميع خطيب جامع عمرو	ـ 427	429
76	السليميّة	357	الحسن بن جعفر الطالبيّ	ـ 430	430
77	ليدن 3	42	شيخ الشرَف (محمد بن محمد الحسيني)	ـ 436	443

كتب للمحقق

1 - 100 نصّ عربي (و 100 نصّ فرنسي) مع الترجمة المقابلة، 1984.
2 - ابن هانىء المغربي الأندلسي شاعر الدولة الفاطمية، 1985.
3 - تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب (عيون الأخبار) للداعي إدريس، 1985.
4 - الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي (جمع وتحقيق)، 1986.

دار الغرب الإسلامي
بيروت - لبنان
لصاحبها الحبيب اللمسي
شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء - بناية الأسود
تلفون: 340131 - 340132 - ص. ب. 5787 - 113 بيروت - لبنان
DAR AL-GHARB AL-ISLAMI – B.P.:113-5787 - Beyrouth - Liban

الرقم 1987/4/3000/84
التنضيد: كومبيوتايب لتصنف الطباعة الالكترونية
الطباعة: مؤسسة جواد للطباعة والتصوير – بيروت

K. AL - MUQAFFA'

(Biographies maghrébines et des orientales de la période ^{c}ubaydide)

AL–MAQRĪZĪ (845/1441)

extraits établis par

Mohammed YALAOUI

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI